











فهرست

الجزء الأول

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ



خطبة الكتاب	٥
المقدمة في المبادئ التي يجب تهديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء،	
وفيها خمسة أبواب	٣٥
الباب الأول - في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حقاقهم،	
وفيه فصلان	٣٥
الفصل الأول - في فضل الكتابة	٣٥
الفصل الثاني - في مدح فضلاء الكتاب وذم حقاقهم	٤٦
الباب الثاني - في ذكر مدلول الكتابة لغة وأصطلاحاً الخ،	
وفيه ثلاثة فصول	٥٠
الفصل الأول - في ذكر مدلولها الخ	٥١
الفصل الثاني - في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة	٥٤
الفصل الثالث - في ترجيح النثر على الشعر	٥٨
الباب الثالث - في صفاتهم وآدابهم، وفيه فصلان	٦١
الفصل الأول - في صفاتهم، وهي على ضربين	٦١
الفصل الثاني - في آداب الكتاب، وهي على نوعين	٦٩
النوع الأول - حسن السيرة وشرف المذهب، ولذلك شروط ولوازم	٦٩
النوع الثاني - حسن العشرة التي هي من أفضل الخلاق الخ،	
وهي على خمسة أضرب	٧٣
الباب الرابع - في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء الخ، وفيه فصلان	٨٩
الفصل الأول - في التعريف بحقيقته	٨٩

صحيفة

الفصل الثانى - فى أصل وضعه فى الاسلام وتفرقه عنه بعد ذلك

فى الممالك ... .. ٩١

الباب الخامس - فى قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله وآداب

أهله، وفيه أربعة فصول ... .. ١٠١

الفصل الأول - فى بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورقة قدره أنخ

الفصل الثانى - فى صفة صاحب هذا الديوان وآدابه ... .. ١٠٤

الفصل الثالث - فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان بتديره أنخ،

وفيه اثنا عشر أمرا ... .. ١١٠

الفصل الرابع - فى ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية أنخ،

وفيه ضريان ... .. ١٣٠

### المقالة الأولى

فى بيان ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد، وفيه بابان ١٤٠

الباب الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية، وفيه

ثلاثة فصول ... .. ١٤٠

الفصل الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال ... ١٤٠

الفصل الثانى - فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء،

وفيه طرفان (صوابه ثلاثة أطراف) ... .. ١٤٨

الطرف الأول - فيما يحتاج إليه من الأدوات، ويشتمل الغرض منه

على خمسة عشر نوتا (صوابه تسعة عشر نوتا) ١٤٨.

النوع الأول - المعرفة باللغة العربية، وفيه أربعة مقاصد ... ١٤٨

- صيفة
- النوع الثاني - المعرفة باللغة العجمية أنخ، وفيه مقصدان ... ١٦٥
- النوع الثالث - المعرفة بالنحو، وفيه مقصدان ... ١٦٧
- النوع الرابع - المعرفة بالتصريف ... ١٧٧
- النوع الخامس - المعرفة بعلوم المعاني والنيات والبديع،  
وفيه مقصدان ... ١٨٠
- النوع السادس - حفظ كتاب الله العزيز، وفيه مقصدان ... ١٨٩
- النوع السابع - الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية،  
وفيه مقصدان ... ٢٠١
- النوع الثامن - الإكثار من حفظ خطب البلغاء، والتفنن  
في أساليب الخطباء، وفيه مقصدان ... ٢١٠
- النوع التاسع - مما يحتاج إليه الكاتب أنخ، وفيه ثلاثة مقاصد  
النوع العاشر - الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة أنخ،  
وفيه مقصدان ... ٢٧١
- النوع الحادي عشر - الإكثار من حفظ الأمثال، وفيه مقصدان  
٢٩٥
- النوع الثاني عشر - معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم ... ٣٠٦
- النوع الثالث عشر - المعرفة بمفانرات الأمم ومنافاتهم أنخ،  
وفيه مقصدان ... ٣٧٢
- النوع الثالث عشر (مكرر) المعرفة بأيام الحروب الواقعة، وفيه  
ثلاثة مقاصد ... ٣٩٠
- النوع الرابع عشر - في أوابد العرب ... ٣٩٨
- النوع الخامس عشر - في معرفة عادات العرب، وهي صفتان ... ٤٠٩

صحيفة

النوع السادس عشر - النظر في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال،

وفيه مقصدان ... .. ٤١١

النوع السابع عشر - المعرفة بخزائن الكتب وأنواع العلوم الخ،

وفيه مقصدان ... .. ٤٦٦



(تم فهرست الجزء الأول من كتاب صبيح الأعشى)

ويليه الجزء الثاني

وأوله النوع الثامن عشر - المعرفة بالأحكام السلطانية









دار الكتب الخديوية

---

صبح الأستة

---

الجزء الأول

---

طبع  
بالمطبعة الاميرية بالقاهرة

م ١٣٣١ هـ  
١٩١٣



كِتَابٌ

صَبِيحُ الْأَسَدِ

ثَالِثٌ

الْشَيْخِ أَبِي الْغُبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَافِي

الجزء الأول

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الحديثة

طبع  
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة  
١٣٣١ هـ  
١٩١٣ م



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه . والمتكلم بأجمليه ، فصاحته وبيانه .  
راقم حقائق المعاني بأقلام الإلهام على صفحات الأفكار . جامع اللسان والقلم على  
ترجمة مافي الضمائر ، ذاك للأسماع وهذا للأبصار . الذي حفظ برسوم الخطوط ماتكل  
الأذهان السليمة عن حفظه . وتبلغ بوساطتها على البعد مايسر على المتحمل تأديته  
بصورة معناه ولفظه .

أحمده على أن وهب من بنات الأفكار ما يربو في الفخر على ذكور الصوارم .  
ومنح من جواهر الخواطر ما يركو مع الإنفاق ولا ينقص بالمكارم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يُوقع لصاحبها بالنجاة من النار .  
ويُكتب قائلها في ديوان الأبرار . وأن عمدا عبده ورسوله الذي آهتت لهيبته  
الإسيرة وشرفت بذكره المنابر . وضائق عن ترك وصفه الطروس ونفدت دون  
إحصاء فضله المحابر . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قلّدوا أمور الدين فقاموا  
بواجبها . وحملوا أعباء الشريعة فانتشرت بهم في مشارق الأرض ومغاربها . صلاة  
تُسطر في الصحف . وتفوق بهجتها الروض الأنث .

وبعد فلما كانت الكاتبة من أشرف الصنائع وأرفعها . وارجع البضائع وأفعها . وأفضل المآثر وأعلاها . وآثر الفضائل وأغلاها . لاسيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها . وإنسان عينها بل عين إنسانها . لا تلتفت الملوك إلا إليها . ولا تعول في المهمات إلا عليها . يعظمون أصحابها ويقربون كتابها . فخليفتها أبدا خليف بالقديم . جدير بالتجديد والتكريم .

سَرَّجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظَّمَا \* وَتُرَوَّى جَارِيهَا إِذَا بَجَلَ الْقَطَرُ

. وكانت الديار المصرية . والمملكة اليوسفيه . أعز الله تعالى حماها ! . وضاعف علماها ! قد تعلقت من الثريا بأقراطها . ورجحت سائر الأقاليم بغيراطها . بشر بفتحها الصادق الأمين ، فكانت أعظم بشرى . وأخبر سيد المرسلين أن لأهلها نسبا وصبرا . فتوجهت إليها عزام الصعابة زمن الفاروق فحاسوا خلال الديار وعمرها وسهلها . وأقتطعتا أيدي المسلمين من الكفار ﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ .

ثم لم يزل يعلو قدرها . ويسمو ذكرها . إلى أن صارت دار الخلافة العباسية . وقرار المملكة الإسلامية . وفخرت مملكتها بخدمة الحرمين . وخدمها سائر الملوك والأمم لحيازة القبلتين .

تَنَاهَتْ عِلَاءَ وَالشَّبَابِ رِدَاؤُهَا \* فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْفَضْلِ وَالرَّأْسِ أَشْيَبُ ؟

وحظيت من فضلاء الكتاب بما لم تحظ مملكة من الممالك ، ولا مصر من الأمصار . وحوث من أهل الفضل والأدب ما لم يحوقط من الأقطار . فما برحت متوجة بأهل الأدب في الحديث والقديم . مطروزة من فضلاء الكتاب بكل مكين أمين ، وحفيظ عليم .

يُجُومُ سَيَاءٌ كَمَا غَابَ كَوْكَبٌ \* بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

هذا . والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف . وتباينت  
مواردهم في الجمع والتأليف . ففرقة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدها .  
وأخرى جتحت إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها . وطائفة أهتمت بتلويح  
الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأذيالها . وتكون أنموذجا لمن بعدهم يسلك  
سبيلها ، من أراد أن يتسج على منوالها . ولم يكن فيها تصنيف ، جامع لمقاصدها .  
ولاتأليف ، كافل بمصادرها الجلييلة ومواردها . بل أكثر الكتب المصنفة في بابها .  
والتأليف الدائرة بين أربابها ، لا يخرج عن علم البلاغة المرجوع فيها إليه . أو الألفاظ  
الرائقة مما وقع اختيار الكُتاب عليه . أو طرّف من اصطلاح قدرّض . وتغير  
أنموذجُه وتقص . فلا يفتني النظر فيه المقلّد من كُتاب الزمان . ولا يكتفي به القاصر  
في أوّانٍ بعد أوّان . على أن معرفة المصطلح هي اللازم المحتم . والمهم المقتم .  
لموم الحاجة إليه . واقتصار القاصر عليه .

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تُكُونُ صَنِيعَةً \* حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

وكان الدسُور الموسوم "بالتعريف . بالمصطلح الشريف" . صنعة الفاضل  
الألمى . والمصنّع اللوذعى . ملك الكتابة وإمامها . وسلطان البلاغة ومالك زمامها .  
المقرّ الشهابي "أحمد بن فضل الله العدوي العمري" سقى الله تعالى عهده العهاد ! .  
وألهمه سوانح الرحمة والرضوان يوم المعاد ! . هو أنفس الكتب المصنفة في هذا الباب  
عقدا . وأعدلها طريقا وأعنفها ورّدا . قد أحاط من المحاسن بجوانبها . وأعقمت  
الافكار عن مثله ففاز من الصنعة بأحمد مذهبها . فكان حقيقا بقوله في خطبته :

"يَا طَالِبَ الْإِنْشَاءِ خُذْ عَلَيْهِ \* عَنِّي فِعْلِي غَيْرَ مَنْكُورٍ !"

"وَلَا تَقِفْ فِي بَابٍ غَيْرِي فَا \* تَسْخُلْهُ إِلَّا (بُدْثُورِي)"

إلا أنه قد أهمل من مقاصد المصطلح أموراً لا يسوغ تركها . ولا يخبر بالفدية لدى القوات تُسكها . كالبطائق ، والمطلقات ، والمكبة في جملة كثيرة من المكاتبات . فلم يقع الغنى به عما سواه . ولا الاكتفاء بالنظر فيه عما عداه .

ثم تلاه المقرئ القوي ابن ناظر الجيش (رحمه الله ! ) بوضع دُستوره المسعى "بتثقيف التعريف" . مقتنيا أثره في الوضع ، وجارياً على سَنَنِهِ في التأليف . مع إيراد ما أهمله في تعريفه . وذَكَرَ ما فاتته من مصطلح ما يُكْتَب أو حُدِّث بعد تأليفه . فاشتهر ذكره وعز وجوده . ووقع الضنُّ به حتى يَحِلُّ بإعارته مَنْ عُرِفَ كَرَمُهُ وَجُودُهُ . وكان مع ذلك قد ترك مما تضمنته التعريف مقاصد لا غنى بالكاتب عنها . ولا بُدَّ لليلس بهذه الصناعة منها . كالوصايا والأوصاف ، التي هي عمدة الكاتب . ومراكر البريد وأبراج الحُمام ، وغير ذلك من ممات الواجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . فصار كلُّ من الدُستورين مفرداً عن الآخر بقدر زائد . ولم تقع الغنية بأحدهما عن الآخر ، وإن كانا في معنى واحد .

وكيفما كان فالاعتصار على معرفة المصطلح قصور . والإضراب عن تعرف أصول الصنعة ضَعْفٌ هَمِيَّةٌ وَقُورٌ . والمقلد لا يوصف بالاجتهاد . وشَتَانٌ بين مَنْ يَعْرِفُ الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد مع جزم الاعتقاد .

وَلَمْ أَرَفِ عِيُوبَ النَّاسِ شَيْئًا \* كَنَقِصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

وقد ثبت في العقول أن البناء لا يقوم على غير أساس . والفرع لا ينبت إلا على أصل ، والنثر لا يُحْتَنَى من غير غراس .

وكنت في حدود سنة إحدى وتسعين وسبعمائة عند استقرارى في كتابة الإنشاء بالأبواب الشريفة السلطانية ، عظم الله تعالى شأنها ! . ورفع قدرها ! . وأعز سلطانها !



أنشأت مقامة بنيتها على أنه لابد للإنسان من حرفة يتعلق بها . ومعيشة يتمسك بسببها .  
وأن الكتابة هي الصناعة التي لا يلقى بطلاب العلم من المكاسب سواها . ولا يجوز له  
العُدُول عنها إلى ما عداها . وجنّحت فيها إلى تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها .  
وتقديمها على كتابة الأموال وترشيحها . ونهت فيها على ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء  
من المواد . وما ينبغي أن يسلكه من الجَوَاد . وضمنتها من أصول الصنعة ما أُرَبّت به  
على المطولات وزادت . وأودعها من قوانين الكتابة ما استولت به على جميع مقاصدها  
أو كادَتْ . وأشرت فيها إلى وجه تعلُّق بحال هذه الصنعة وإن لم أكن بطلوبها ملِكاً .  
وأتسألي إلى أهلها وإن كنت في النسبة إليها دعيّاً .

وليس دعيّ القوم في القوم كالذي . « حوى نسباً في الأكرمين عريقاً

إلا أنها قد وقعت موقع الوحي والإشارة . ومالت إلى الإيجاز فاكثفت بالتلويح  
عن واسع العبارة . فعزّ بذلك مطلبها . وفات على المجتني بُعد التناول أطيبها . فأشار من  
رأيه مقرون بالصواب . ومشورته عريّة عن الارتباب . أن أتبّعها بمصنّف مبسوط  
يشتهل على أصولها وقواعدها . ويتكفّل بحل رموزها وذكّر شواهدِها . ليكون  
كالشرح عليها . والبيان لما أجهلته والتّمة لما لم يسقّه الفكر إليها . فامتثلت أمره  
بالسمع والطاعة . ولم أتلُكاً وإن لم أكن من أهل هذه الصناعة . غير أن القرينة  
بذلك لم تسمع . وصار المقتضى بضعف والمانع يترجّح . لأعذار قد تشابه مُحْكُمها .  
وضرورات . إن لم يعلمها الخلق فالله يعلمها . إلى أن لاحت لي بوارق الفتح . وظهرت  
ولله الحمد آثار المنح . فعند ذلك بلغت النفس أملها . وأضفت مواهب الامتنان  
حلّها . وتلا لسان العناية على الفبي الحاسد : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك  
لها .

فشرعت في ذلك بعد أن استخوت الله تعالى (وما خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ) .  
 وراجعت أهل المشورة (وما نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ) . مستوعبا من المصطلح ما شتمل عليه  
 "التعريف" و "التشقيف" . موضحا لما أبهماه بتبيين الأمثلة مع قُرب المآخذ وحُسن  
 التأليف . متبرعا بأمور زائدة على المصطلح الشريف لانسع الكاتب جهلها . مُتَقَلَّا  
 من توجيه المقاصد ، وتبيين الشواهد ، بما يُعرف به فرعُ كل قضية وأصلها . آتيا من  
 معالم الكتابة بكل معني غريب . ناقلًا الناظر في هذا المصنف عن رتبة أن يسأل فلا  
 يجاب إلى رتبة أن يُسأل فيجيب . منها على ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون ، التي  
 يخرج بمعرفتها عن عهدة الكتابة ودركها . ذاكرًا من أحوال المهالك المكتبة عن هذه  
 الملكة ما يُعرف به قدرُ كل مملكة ومَلِكها . مبيّنًا جهة قاعدتها ، التي هي محل الملك  
 شرقا أو غربا ، أو جنوبا أو شمالا . معرّفا الطريق الموصل إليها ، برا وبحرا ، وأقطعا  
 وأصالا . ذاكرا مع كل قاعدة مشاهير بلدانها ، إكمالًا للتعريف . ضابطا لأسمائها .  
 بالحروف كي لا يدخلها التبديل والتحريف .

وسمّيته (صبح الأعشى في كتابة الإنسا) راجيا من الله تعالى أن يكون  
 بالمقصود وافيا . وللغليل شافيا .

وليعذر الواقف عليه ، فتأمّل الأفكار على اختلاف القرائح لاتتناهى . وإنما ينفق  
 كل أحد على قدر سعته ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ . ورحم الله من وقف فيه  
 على سهو أو خطأ فأصلحه عاذرا لا اذلا . ومثيلا لا نائلا . فليس المبرأ من الخطأ  
 إلا من وفى الله وعصم . وقد قيل : الكتاب كالمكلف لا يسلم من المواخذة ولا يرتفع  
 عنه القلم ، والله تعالى يقرّنه بالتوفيق ! . ويُرشد فيه إلى أوضح طريق ! . ﴿وَمَا تَوْفِيقِي  
 إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

وقد رتبته على مقسمة ، وعشر مقالات ، وخاتمة .

## المقدمة

في مبادئ يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء، وفيها خمسة أبواب.

## الباب الأول

في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حَقَقَاهُمْ، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في فضل الكتابة.

الفصل الثاني - في مدح فضلاء الكُتَّاب وذم حَقَقَاهُمْ.

## الباب الثاني

في ذكر مدلول الكتابة لِنَسْءٍ وَأَصْطِلَاحًا، وبيان معنى 'الإنشاء'، وإضافة الكتابة إليه، ومراعاة لفظ التوقيع لكتابة الإنشاء في عُرْفِ الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسُّل، وتفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة، وترجيح الشرع على الشعر. وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول - في ذكر مدلولها، وبيان معنى 'الإنشاء' وإضافتها إليه. ومراعاة التوقيع لكتابة الإنشاء في عرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسُّل.

الفصل الثاني - في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة.

الفصل الثالث - في ترجيح الشرع على الشعر.

## الباب الثالث

في صفات الكُتَّاب وآدابهم، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في صفاتهم الواجبة والعرفية.

الفصل الثاني - في آدابهم.

## الباب الرابع

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام

وتفرقه بعد ذلك في الممالك، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في التعريف بحقيقته .

الفصل الثاني - في أصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك بالديار

المصرية وغيرها .

## الباب الخامس

في قوانين ديوان الإنشاء، وترتيب أحواله، وآداب أهله، وفيه أربعة فصول .

الفصل الأول - في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله

ولقبه الجارى عليه في القديم والحديث .

الفصل الثاني - في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه .

الفصل الثالث - فيما يتصرف فيه متولى هذا الديوان ويديره ويصرفه بقلمه .

الفصل الرابع - في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وما يلزم رب

كل وظيفة منهم، وما كان عليه الأمر في الزمن القديم، وما استقر عليه الحال بعد ذلك .

## المقالة الأولى

فيما يحتاج إليه الكاتب، وفيها بابان

## الباب الأول

في الأمور العلمية، وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول - فيما يحتاج إليه الكاتب في الجملة .

الفصل الثاني - فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء ، من معرفة اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع ، وحفظ كتاب الله تعالى ، والكثير من الأحاديث النبوية ، وخطب البلغاء ورسائلهم ومكاتبتهم ومحاوراتهم ومراوضاتهم ، (وأشعار العرب) والمولدين والمحدثين ، (وأمثال العرب) ومن جرى مجراهم ، والمعرفة بالتاريخ (وأنسب العرب) ، ومفانراتهم ، ومنافراتهم ، وحروبهم ، وأوابدهم في الجاهلية ، وأحوال الأمم والأحكام السلطانية ، وأصناف العلوم ، ومن برع في كل علم منها ، والكتب الفائقة في كل فن من فنونها وما يجري مجرى ذلك ، والمعرفة بصناعة الكلام وكيفية إنشائه ونظمه ، وتأليفه ، وترصيفه ، وما يجمد من ذلك وما يذم .

الفصل الثالث - في معرفة الأزمنة والأوقات : من الأيام والشهور والسنين على اختلاف الأمم فيها وتفاصيل أجزائها ، وما يخرط في سلك ذلك من الفصول الأربعة وأعياد الأمم .

## الباب الثاني

فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العملية ، من الخط وتوابعه ولواحقه ، وفيه فصلان

الفصل الأول - في ذكر آلات الخط من الدوى وما يُتخذ منه ومقاديرها وكيفياتها ، ومعرفة أصناف الأقلام وصناعة رآيتها : فتحا ونحنا وشقا وقطأ ، ومقادير أطوالها وعدد ما يكون في الدواة منها ، وكيفية عمل الحبر ، وحل الذهب ، وإذابة اللزورد والمغرة العراقية ، وغير ذلك مما يحتاج إليه في كتابة الديوان .

الفصل الثاني - في الكلام على نفس الخط وأصل وضعه واختلاف الأمم فيه ، وما يختص من ذلك بالخط العربي من تنويع أقلامه التي أحدثها أئمة الكتابة وتباين

أشكالها واختلاف أوضاعها؛ وما يستعمل منها في ديوان الإنشاء، وما يلحق بذلك من النقط والشكل والمجاء.

## المقالة الثانية

في المسالك والممالك؛ وفيها أربعة أبواب.

## الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال؛ وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول - في معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها، وبيان جهاتها الأربع، وما أشتملت عليه من الأقاليم السبعة الطبيعية؛ وبيان موقع الأقاليم العرفية كصر والشام من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعة لها.

الفصل الثاني - في ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان في التعريف بها والسفر إليها من البحر المحيط والبحار المنبثقة في أقطار الأرض ونواحي الممالك مما هو متصل به ومنقطع عنه وما بها من الجزائر المشهورة .

الفصل الثالث - في استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها .

## الباب الثاني

في ذكر الخلافة ومنّ وليها من الخلفاء ومقرراتهم في القديم وما أنطوت عليه

ممالكهم من الأقطار؛ وفيه فصلان .

الفصل الأول - في ذكر الخلافة ومنّ وليها من الخلفاء الراشدين من الصحابة

(رضوان الله عليهم)، وخلفاء بني أمية بالشام، وخلفاء بني العباس بالعراق، ثم بالديار

المصرية، وخلفاء الفاطميين بمصر، وخلفاء بنى أمية بالأندلس، والمتعين الخلافة من  
بهايا الموحدين بأفريقية .

الفصل الثانى - فيما أنطوت عليه الخلافة العباسية فى الزمن القديم وما كانت  
عليه من الترتيب وما هى عليه الآن .

### الباب الثالث

فى ذكر الديار المصرية ومضافاتها من البلاد الشامية وما يتصل بها  
وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول - فى الديار المصرية، وذكر فضائلها ومحاسنها، وخواصها  
وعجائبها وما بها من الآثار القديمة، وذكر نيلها ومبدئها ونهايتها، وزاداته ونقصه،  
ومقاييسه، وما ينتهى اليه فى الزيادة وما يصل اليه فى النقص، والخلجان المتفرقة  
عنه، وجسورها الحابسة لمياه النيل على أرضها، وبحيرات الديار المصرية وبجبالها  
وزروعها ورياحيتها وفواكهها، ومواشيتها ووحوشها وطيورها، وذكر حدودها  
وأبتداء عمارتها وتسميتها مصر، وتفرع الأقاليم التى حولها عنها، وذكر أعمالها وقواعدها  
القديمة، والمباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان، وقواعدها المستقرة وما أشتملت عليه  
من محلات الأبنية، وذكر من ملكها جاهلية وإسلاما قبل الطوفان وبعده، وترتيب  
أحوالها، وذكر معاملاتها ونقودها، وترتيب مملكتها فى القديم والحديث، وبيان  
وظائف دولها القديمة والمستقرة لأرباب السيوف والأقلام .

الفصل الثانى - فى البلاد الشامية وما يتصل بها من بلاد الجزيرة الفراتية  
وبلاد الفغور والعواجم المعبر عنها الآن - ببلاد الأرمن - وبلاد الدربندات المعروفة  
الآن - ببلاد الروم - مما هو مضاف إلى مملكة الديار المصرية، وفضل الشام وخواصه

وعجائبه وحدوده وأبتداء عمارته وتسميته شاما، وذكر أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة، وذكر زروعه وفواكهه ومواشيه ووحوشه وطيوره، وذكر أعماله وجهاته وأجناده وكوره القديمة والمستقرة وقواعده العظام وما كانت عليه في الزمن السابق ومن ملكها جاهلية وإسلاما وما استقرت عليه الآن من النيابات، وترتيب أحوالها، وذكر معاملاتها وتقودها، وترتيب نياباتها وما بها من وظائف أرباب السيوف والأقلام وما اشتملت عليه من العُرَبَانِ<sup>(١)</sup>.

الفصل الثالث - في البلاد المجازية وما يخفط في سلكتها، وذكر فضل الحجاز وخواصه وعجائبه وأبتداء عمارته وتسميته حجازا، وذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وقواعده وأعماله ونواحيه ومعاملاته وتقوده وملوكه جاهلية وإسلاما.

### الباب الرابع

في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية من الجهات الأربع والطرق الموصلة إليها، وفيه أربعة فصول

الفصل الأول - في الممالك والبلدان الشرقية عن الديار المصرية، وما سامت ذلك والاولاه من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية، وما اشتملت عليه هذه الجهة من مملكة إيران التي هي مملكة الفرس قديما، وما أنطوت عليه من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد العراق وبلاد خوزستان وبلاد الأهواز وبلاد فارس وبلاد كرمان وبلاد سيحستان وبلاد أرمينية وأذربيجان وبلاد الجبال المعبر عنها بعراق العجم وبلاد الديلم وبلاد الجليل المعبر عنها بكيلان وبلاد مازندران وبلاد قومس وبلاد زابلستان وبلاد القور

(١) اشتر هذا الجمع على الألسنة ولم نثر عليه في معاجم اللغة التي بأيدينا وإن كان القياس لا ياباه.



وغيرها، ومملكة تُوران المعروفة بمملكة الترك قديماً، وما أشتملت عليه من قسم ما وراء النهر من بخارى، وسمرقند ومضافاتهما وبلاد تركستان وما مع ذلك، وقسم خوارزم ودشت القبچاق المشتمل على خوارزم والدشت وأعمال السراى وبلاد القرم وبلاد الأزق وما ينضم إلى ذلك من بلاد السرب والبلغار وبلاد الأولاق وبلاد الآص وبلاد الروس وغيرها، وقسم ما بيد صاحب التخت المعبر عنه (بالقان الكبير) المشتمل على بلاد الخطا وبلاد الصين، وما اتصل بهاتين المملكتين مما على الجنوب من بلاد البحرين، ومملكة اليمن وما منها بيد أولاد رسول وما منها بيد إمام الزيدية، وممالك الهند المتصلة ببلاد الصين والواقعة في جزائر البحر الهندي.

الفصل الثاني - في الممالك والبلدان الغربية عن مملكة الديار المصرية، من مملكة تونس المشتملة على بلاد أفريقية، ومملكة تِلْؤسان المشتملة على بلاد الغرب الأوسط، ومملكة فاس المشتملة على بلاد الغرب الأقصى إلى البحر المحيط وما إلى ذلك من ممالك جزيرة الأندلس وما بقي منها بيد المسلمين وما استعاده منها ملوك الكفر.

الفصل الثالث - في الممالك والبلدان الجنوبية عن مملكة الديار المصرية وما أشتملت عليه من بلاد السودان من مملكة البرنو ومملكة الكانم ومملكة مالى ومملكة الحبشة، وبيان ما من ذلك بيد ملوك المسلمين وما منه بيد ملوك الكفر.

الفصل الرابع - في الممالك والبلدان الشمالية عن مملكة الديار المصرية مما بيد المسلمين من البلاد المعروفة الآن ببلاد الروم وما بيد ملوك النصارى من جزائر بحر الروم بجزيرة قبرس وجزيرة رودس وجزيرة أقریطش وجزيرة المصطكى وجزيرة صِقِلِيَّة وغيرها وما إلى ذلك مما شمالى بحر الروم من مملكة القسطنطينية ومملكة البندقية ومملكة جنوه ومملكة رومية ومملكة فرنسة وغير ذلك.

## المقالة الثالثة

في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكتبات والولايات وغيرها من ذكر الأسماء والكُنَى والألقاب، وكيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء القصص والمربعات ونحوها على كُتاب الإنشاء، ومقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام، ومقادير البياض في أول الدرَج وحاشيته وبعده ما بين السطور في الكتابات، وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكتبات والولايات وغيرها، وكتابة الملخصات، وبيان الفوائد والخواصم . وفيها أربعة أبواب .

## الباب الأول

في الأسماء والكُنَى والألقاب، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في الأسماء والكُنَى ومواضع ذكرهما في المكتبات والولايات وما يجري مجراها

الفصل الثاني - في ذكر الألقاب وأصل وضعها وما استعمله الكُتاب منها وما كان يلقَّب به أهل كل دولة وما حدث من الزيادة بعد ذلك حتى صار الأمر إلى ما عليه الحال في زماننا، والألقاب التي أصطلح عليها لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم وما وُضع منها لأهل الكفر، وبيان معنى كل لقب في اللغة ومن يقع عليه في الاصطلاح، وكيفية ترتيب بعضها على بعض

## السياط الثاني

في بيان مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام، ومقادير البياض الذي يراعيه الكاتب في كتابته، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في مقادير قطع الورق المستعملة بدواوين الإنشاء في القديم والحديث

الفصل الثاني - في بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة  
الذكر من الأقلام، ومقادير البياض الذي يراعيه الكاتب في أعلى الدرج وحاشيته  
وبعد ما بين السطور في الكتابة .

### الباب الثالث

في بيان المستندات وكتابة الملخصات، وكيفية التعيين، ومقادير قطع الورق  
وما يناسبها من الأقلام، وفيه فصلان،

الفصل الأول - في بيان المستندات التي يصدر عنها كتابة ما يكتب من تلقى  
\*كاتب السر الأمر في ذلك عن السلطان أو تليقه وتلقى كتاب الدست بدار العدل،  
أو شمول القصة بالخط الشريف، أو كونه برسالة الدوادار أو بإشارة النائب الكافل  
أو إشارة أستاذ الدار أو إشارة الوزير أو بقائمة من ديوان الخصاص وغيره، وكتابة  
الملخصات التي تكتب من الكتب المطولات الواردة على الديوان، وترجمة الكتب  
الواردة بغير العربية إلى العربية .

الفصل الثاني - في بيان كيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء القصص  
والمربعات وما في معناها، وبيان مقادير قطع الورق المستعمل في دواوين الإنشاء من  
الكامل والثلاثين والنصف والثالث والعادة وما يناسب كل مقدار منها من مختصر  
الطومار وقيل الثالث وخفيفه والتوقيعات والرقاع ومقادير البياض المرعية في الكتابة  
في أعلى الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور

## الباب الرابع

في الفوائح والخواتم واللواحق؛ وفيه فصلان.

الفصل الأول - في الفوائح من البسملة والحمدلة والتصلية والسلام في أول الكتب والبعديّة التي يقع بها فصل الكلام، وبيان أصول ذلك وأصل مشروعته

الفصل الثاني - في الخواتم واللواحق من كتابة إن شاء الله في آخر المكتوب وكتابة التاريخ ومعرفة معناه ومعرفة التواريخ القديمة وأصل وضع التاريخ في الإسلام والتاريخ بالهجرة والوقت الذي يؤرخ فيه؛ وبيان بناء التاريخ العربي على الليالي دون الأيام، واختلاف مذاهب النحاة والكتاب في التعبير عن ذلك، وبناء تاريخ العجم على الأيام دون الليالي، ومعرفة استخراج كل تاريخ من تواريخ الأمم من الآخر، وكتابة المستند والحمدلة في آخر الكتب والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم بعدها، والاختتام بالسبلة، وبيان مواضع ذلك جميعه من الورق، وكيفية وضعه.

## المقالة الرابعة

في المكتبات، وفيها بابان

## الباب الأول

في أمور كلية : تتعلق بالمكتبات، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في مقدمات المكتبات من أصول يعتملها الكاتب فيها من حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال وتقديم مقدمة تناسب المكتوب فيه في أول المكتبة، ومعرفة الفرق بين الألفاظ الجارية في الخطاب ونحوه في المكتبات وما يناسب المكتوب إليه منها، ومواقع الداء فيها، والإتيان لكل مقصد من مقاصد المكتبات بما يناسبه، ومخاطبة كل أحد من المكتوب اليهم على قدر طبقته

من اللغة العربية، ومراعاة الفصاحة والبلاغة في الكتابة إلى مَنْ يتعاناها، ومراعاة رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه، ومواقع الشعر من المكتبات وحسن الاختتام وما يجري مجرى ذلك، وبيان مقادير المكتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز وما يلائمها من المعاني، ومعرفة ما يختص من ذلك بالأجوبة وبيان ترتيبها .

الفصل الثالث - في بيان أصول المكتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ومذاهب الكُتّاب فيما تُفتتح به المكتبات في القديم والحديث، وما يخاطب به أهل الإسلام وأهل الكفر في المكتبات، وبيان كيفية طي الكتاب وختمه وحمله وتأديته وفضله وقراءته وحفظه في الإضبارة.

## الباب الثاني

في مُصطَلَح المكتبات الدائرة بين كُتّاب الإسلام في كل زمن من الصدر الأول وإلى زماننا، وفيه ثمانية فصول .

الفصل الأول - في الكُتُب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام وملوك الكفر، واختلاف أفتاحها بحسب المقاصد .

الفصل الثاني - في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وخلفاء الفاطميين، وخلفاء بني أمية بالأندلس وبقايا الموحدين بأفريقية : آبتداء وجوابا .

الفصل الثالث - في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معانهم مما كُتِب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية، وخلفاء

بني أمية بالأندلس، وبقايا الموحدين بإفريقية؛ وما كتب به عن الملوك ومن في معانهم إلى الملوك ومن في معانهم من المكتبات الدائرة بين ملوك الديار المصرية وملوك الشرق والغرب، ووزراء الخلفاء ومُنقِذِي أمر الخلافة اللاحقين بسأو الملوك، وما يَلْتَحِقُ بذلك من المكتبات الصادرة إلى ملوك الكفر واختلاف الأفتتاح في ذلك.

الفصل الرابع - في الكُتُب الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استعتر عليه الحال من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا على رأس الثمانمائة مما أُكْتُرَ ما حُوِذَ من ترتيب الدولة الأيوبية، التي هي أصل الدولة التركية تماماً هو صادر عنهم إلى خلفاء بني العباس، وإلى أهل المملكة بمصر والشام والحجاز، وإلى عظماء القانات بممالك الشرق كقنان مملكة إيران الجامع لحدودها على ما كانت الأمر عليه إلى آخر أيام أبي سعيد ثم من بعده ممن لم يبلغ شأوه من القانات الصغار كالشيخ واويس ومن تلاه إلى زماننا، ومن بهذه المملكة من صغار الملوك والحكام، وقانات مملكة ثوران من صاحب ماوراء النهر من بخاري وسمرقند وما معهما، وصاحب خوارزم والدشت والقان الكبير صاحب التخت، وصاحب الهند، وصاحب اليمن وإمام الزيدية بها، وملوك بلاد المغرب كصاحب تُونُس، وصاحب تِلْهَسَان، وصاحب فاس، وصاحب غُرَاطَة من الأندلس، وملوك بلاد السودان كملك البرنو وملك الكانم، وصاحب مالي، وملوك الأتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم من الجهة الشمالية، وملوك الكفر كملك الحبشة من البلاد الجنوبية وملك القُسْطَنْطِينِيَّة ومسلم ملوك الفرنج وحكامهم بجزائر الروم وغيرها من تقدم ذكره في الكلام على المسالك والممالك.

الفصل الخامس - في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية بالديار المصرية من ملوك الممالك المتقدمة الذكر وحكامها من أهل الإسلام والكفر من تردُّ مكاتبتهم على هذه المملكة.

الفصل السادس - في المكاتبات الإخوانيات مما كان عليه مصطلح السلف  
فمن بعدهم في كل زمن وما استقر عليه الحال في زماننا .

الفصل السابع - في مقاصد المكاتبات من الأمور الخاصة بالملوك والحلفاء .  
كالكتب بالإشارة بولاية الخلافة ، والجلوس على تخت السلطنة ، والدعاية إلى الدين ،  
والحث على الجهاد ، والإخبار عن الفتوحات ، والأمر بلزوم الطاعة ، والتنبيه على مواسم  
العبادة ، والمواظبة عند حدوث الآيات السماوية ، والأوامر والنواهي ، والتهنئة على  
الغنائم في الدين ، والكتب إلى من نكث العهد أو خلع الطاعة ، والتضييق على أهل  
الجرائم ، والإشارة بالموااسم ، والأعياد ، وولاء النيل ، وركوب الميادين ، والعود من الغزو ،  
والكتب بالتلقيب على ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم ، وبالإحسان والإحسان ،  
والكتب قرين الإنعام السلطاني من الخيل والجوارح ، وسائر أصناف الإنعام ،  
والاعتذار عن السلطان في الهزيمة ونحوها ، والأجوبة عن ذلك ، وما يشترك فيه الملوك  
ومن عداهم من التهانى كالتهنئة بالوظائف ، وتكرمة السلطان ، وتجدد الأولاد ،  
والمساكن ، والعود من الحج ، والقدوم من السفر ، والإبلاغ من المرض ، ورضاء السلطان ،  
وغفرة السنة ، وثمر رمضان ، وعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، والنيروز ، والمهرجان ، والدخول  
في دين الإسلام ، والصرف عن الخدمة في سلامة ، ومن التعازي كالتعزية بالأب  
والأم والولد والقرىب والصدق ، والتشوقات ، والشفاعات ، والتهادى ، والاستشارة ،  
وأستماعة الجوامع ، وأخطاب المودة ، وخطبة الترويح ، والشكر ، والشكوى ، والاعتذار ،  
والعتاب ، والمداعبة ، وغير ذلك .

الفصل الثامن - في معرفة إخفاء ما في الكتب من السر إما بطريق المتعجم ،  
وإما بالكتابة بما يظهر بالمعالجة من عرضه على النار ، أو جعل دواء عليه وما أشبه ذلك .

## المقالة الخامسة

في الولايات، وفيها أربعة أبواب.

## الباب الأول

. في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت، وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول - في بيان طبقات الولايات وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها مما يكتب في ولاية الخلافة والسلطنة والولايات الصادرة عن الخلفاء والملوك، وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية والشام والحجاز لأرباب السيف وأرباب الأقلام وأرباب الوظائف الديوانية والوظائف الدينية، وغير ذلك.

الفصل الثاني - في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال.

الفصل الثالث - في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات.

## الباب الثاني

في البيعات، وفيه فصلان.

الفصل الأول - في معنى البيعات.

الفصل الثاني - في ذكر تنوع البيعات مما يكتب للخلفاء، وأصل مشروعيتها؛ وبيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية، وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة؛ وبيان صورة ما يكتب فيها، واختلاف مذاهب الكتاب في ذلك؛ وذكر نسخ من بيعات الخلفاء مما كان يكتب به في الخلافة العباسية بالعراق، وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية، وخلفاء بني أمية بالأندلس وما يتحقق بذلك مما يكتب به لخلفاء بني العباس الآن بالديار المصرية، وما يكتب من البيعات للملوك على ما اصططح عليه كتاب بلاد الغرب والأندلس.



## الباب الثالث

في العهد، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في معنى العهد .

الفصل الثاني - في بيان أنواع العهود مما يكتب به للخلفاء عن الخلفاء، وما يكتب به للملك عن الخلفاء، وما يكتب به عن الملوك لولاة العهد بالسلطنة وللوك المفردين بصغار البلدان، ومذاهب الكُتّاب في ذلك، وذكر نسخ من ذلك جميعه مما كتب به ببلاد المشرق والمغرب والديار المصرية .

## الباب الرابع

في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب، من أصحاب السيوف

والأقلام وغيرهم . وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول - فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية بالشام، وخلفاء بني العباس بالعراق، وخلفاء بني أمية بالأندلس، وخلفاء الفاطميين بمصر، ومدعين الخلافة من بقايا الموحدين ببلاد المغرب، ومذاهب كُتّاب الدول في ذلك .

الفصل الثاني - فيما يكتب من الولايات عن الملوك لأرباب السُيُوف والأقلام وغيرهم من مصطلح كُتّاب المشرق بعد آقراض الخلافة العباسية من العراق، ومصطلح كُتّاب المغرب والأندلس في القديم والحديث، ومصطلح كُتّاب الديار المصرية في الدولة الطولونية وما يليها من الدولة الإخشيدية، والدولة الأيوبية وما يليها من الدولة التركية، وما استقر عليه الحال فيها إلى زماننا، مما يكتب لأرباب السيوف

والأفلام وغيرهم عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية من التقاليد والتفاويض  
والمراسم والتواقيع على اختلاف مراتبها.

الفصل الثالث - فيما يكتب عن تواب السلطنة بالممالك الشامية لأرباب  
السيف والأفلام وغيرهم، وذكر نسخ من ذلك.

### المقالة السادسة

في الوصايا الدينية، والمساحات، والإطلاقات، والطوخانيات، وتحويل المسنين،  
والتذاكر، وذكر نسخ من ذلك، وفيها أربعة أبواب،

### الباب الأول

في الوصايا الدينية، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فيما لقضاء الكُتب من ذلك.

الفصل الثاني - فيما يكتب من ذلك في زماننا.

### الباب الثاني

في المساحات، والإطلاقات، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فيما يكتب في المساحات.

الفصل الثاني - فيما يكتب في الإطلاقات.

### الباب الثالث

في الطرخانيات ؛ وفيه فصلان .

الفصل الاول - في طرخانيات أرباب السيوف .

الفصل الثاني - في طرخانيات أرباب الأقلام .

### الباب الرابع

في تحويل السنين ، وما يكتب في التوفيق بين السنين القمرية والشمسية ،

وما يكتب في التذاكر ؛ وفيه فصلان .

الفصل الاول - في تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية .

الفصل الثاني - في التذاكر ؛

### المقالة السابعة

في الإقطاعات والمقاطعات ، وذكر نسخ من ذلك ؛ وفيها بابان .

### الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ؛ وفيه فصلان .

الفصل الاول - في ذكر أمور تتعلق بالإقطاعات : من بيان معناها ، واصل

وضعها في الشرع ، وأول من وضع ديوان الجيوش في الإسلام ، ومن يستحق إثباته

في الديوان ، وكيفية ترتيبهم فيه .

الفصل الثاني - في بيان حكم الإقطاع وأقسامه إلى إقطاع تملك وأستغلال

## الباب الثاني

فيما يكتب في الإقطاعات في القديم والحديث، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في أصل ذلك في الشرع، وبيان ما أقطعه النبي صلى الله عليه

وسلم من البلاد والأرضين .

الفصل الثاني - في صورة ما كان يكتب في الإقطاعات في الزمن القديم عن

خلفاء بني العباس بالعراق، وخلفاء الفاطميين بمصر، وعن الملوك القائمين على الخلفاء

بالعراق، وملوك بني أيوب بالديار المصرية، وما يكتب في الإقطاعات في زماننا مما

استقر عليه الحال، وما يكتب في ذلك من ديوان الجیش من المربعات وما هي مرتبة

عليه، وما يكتب في ذلك من ديوان الإنشاء من المناشير، وبيان مراتبها، وذكر قطع

الورق الذي يكتب فيه، وما يكتب في طرر المناشير وما يلحق بذلك من الطغراوات

المستعملة على الألقاب السلطانية التي كانت تُلصق بأعلى المناشير بين العُرة والبسملة،

وما يختص من ذلك بالزيادات والتجديدات .

## المقالة الثامنة

في الإيمان، وفيها بابان .

## الباب الأول

في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض في الإيمان، وفيه فصلان .

الفصل الأول - فيما يقع به القسم من الأقسام التي أقسم الله تعالى بها، والأقسام

التي يُقسم بها الخلق من أقسام العرب في الجاهلية، والأقسام الشرعية التي يُخلف بها

في الشريعة .

الفصل الثانى - فى بيان الإيمان القموس ولقوا الإيمان، والتحذير من الحنث والوقوع فى الإيمان القموس.

## الباب الثانى

فى نسخ الإيمان الملوكة، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فى نسخ الإيمان المتعلقة بالخلفاء.

الفصل الثانى - فى الإيمان المتعلقة بالملوك مما يحلف به المسلمون من أهل السنة وأرباب يدع وأهل الملل من اليهود والنصارى، والمجوس وما يحلف به الحكماء.

## المقالة التاسعة

فى عقود الصلح والقسوخ الواردة على ذلك، وفيه خمسة أبواب.

## الباب الأول

فى الأمانات، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فى عقد الأمان لأهل الكفر.

الفصل الثانى - فى كتابة الأمانات لأهل الإسلام، وذكر أصل ذلك من السنة، وإيراد نسخ من ذلك.

## الباب الثانى

فى الدفن، وفيه فصلان.

الفصل الأول - فى أصله وكونه مأخوذاً عن العرب.

الفصل الثانى - فيما يكتب فى الدفن عن الملوكة.

## الباب الثالث

فيما يكتب في عقد الذمة وما يتفرع على ذلك ، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد .

الفصل الثاني - في صورة ما يكتب في متعلقات أهل الذمة ، وإلزامهم بالجرى على ما يقتضيه عقد الذمة لهم .

## الباب الرابع

في الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام ، وملوك الكفر ، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في أصول يتعين على الكاتب معرفتها من بيان معنى الهدنة وما يرادفها من الألفاظ ، وبيان أصل وضعها في الشرع ، وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها .

الفصل الثاني - في صورة ما يكتب في المهادنات وأختلاف مذاهب كتّاب الشرق والغرب والديار المصرية في ذلك ، وذكر نسخ منها ، وبيان ما يكتب من ذلك من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية وما يراد من ذلك مما يكتب عن ملوك الكفر .

## الباب الخامس

في عقود الصلح الواقعة بين ملوك مسلمين ، وفيه فصلان .

الفصل الأول - في أصول تُعتمد في ذلك .

الفصل الثاني - فيما يكتب في عقد الصلح ، وذكر نسخ من ذلك مما كتب به عن الخلفاء والملوك في القديم والحديث إلى زماننا .

## المقالة العاشرة

في فنون من الكتابة يتداولها الكتّاب ويتنافسون في عملها ليس لها تعلق  
بكتابة النواوين السلطانية ولا غيرها، وفيها بابان.

## الباب الأول

في الحذيات، وفيه ستة فصول.

الفصل الأول - في المقامات وذكر نسخ منها .

الفصل الثاني - في الرسائل: من الرسائل الملوكية المشتملة على الغزو والصيد  
ونحو ذلك، والرسائل الواردة مورد المدح، والرسائل الواردة مورد الذم، ورسائل  
المفاجرات بين الأشياء النفيسة: كالمنفعة بين العلوم والسيوف والقلم ونحو ذلك،  
والرسائل المشتملة على الأسئلة والأجوبة، والرسائل المكتوبة بالحوادث والمجاهرات  
وذكر نسخ من ذلك جميعه .

الفصل الثالث - في قدمات البندق، وذكر نسخ منه .

الفصل الرابع - في الصدقات الملوكية، وصدقات الأعيان .

الفصل الخامس - فيما يكتب عن العلماء وأهل الأدب: من الإجازة بالفتاوى  
وعراضات الكتب والمرويات، وما يكتب على الكتب المصنفة والقصائد من  
التقريظات، وما يكتب عن القضاة من التقاليد الحكيمة وإسجلات العدالة والمطلقات  
وغير ذلك .

الفصل السادس - في العُمرات التي تكتب للحاج .

## الباب الثاني

في المَزَلَّاتِ ووفيه فصلان .

الفصل الأول - فيما أعنت الملك ببعضه .

الفصل الثاني - في سائر أنواع المَزَلِّ .

## الخاتمة

في ذكر أمور تتعلق بديوان الإنشاء غير أمور الكتابة ووفيه أربعة أبواب .

## الباب الأول

في الكلام على البريد ووفيه فصلان .

الفصل الأول - في مقدمات يحتاج الكاتب إلى معرفتها : من معرفة معنى البريد وأول من وضعه في الجاهلية والإسلام ، وبيان معالجه .

الفصل الثاني - في ذكر مراكز البريد بالديار المصرية والبلاد الشامية على اختلاف طرقها .

## الباب الثاني

في مَطَارَاتِ الحمام الرسائل ، وذكر أبراجها المقررة بالديار المصرية

والبلاد الشامية ووفيه فصلان .

الفصل الأول - في ذكر مَطَارَاتِهِ ، وأعتناء الملوك بشأنه في القديم والحديث ومسافات طيَرَانِهِ .

الفصل الثاني - في الأبراج المقررة له بالديار المصرية والبلاد الشامية .



### الباب الثالث

في ذكر مرآكب الثلج الواصل من البلاد الشامية إلى الملوك  
بالديار المصرية ؛ وفيه فصلان .

الفصل الأول - في مرآكبه .

الفصل الثاني - في هُجُجِه .

### الباب الرابع

في المناور والمُحْرِقات ؛ وفيه فصلان .

الفصل الأول - في المناور التي كان يُستعمل بها حركة التتار إلى البلاد الإسلامية

الفصل الثاني - في المُحْرِقات التي كانت يتوسل بها إلى إحراق زروع التتار

ومراعيتهم بأطراف بلادهم .



## المقدمة

في المبادئ التي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء .  
وفيها خمسة أبواب :

## الباب الأول

في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم مخلفهم .  
وفيه فصلان :

### الفصل الأول

( في فضل الكتابة )

أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن الله تعالى ! نسب تعليمها إلى نفسه، وأعتده من أافر كرمه وإفضاله فقال عن اسمه : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ مع ما يروى أن هذه الآية والتي قبلها مفتتح الوحى، وأول التنزيل على أشرف نبي، وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم ! وفى ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها مالا خفاء فيه .

ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلَّت قدرته : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ولا أعلى رتبة وأبذخ شرفاً مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته ثم زاد ذلك تأكيداً ووفر محله إجلالاً وتعظيلاً بأن أقسم بالقلم الذى هو آلة الكتابة وما يُسطر به فقال تقديست عظمتة : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِرَبِّعَةٍ رَبِّكَ بِمَحْنُونٍ ﴾ والإقسام لا يقع منه

سبحانه إلا بشريف ما أبدع، وكريم ما اخترع: كالشمس والقمر والنجوم ونحوها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها.

ثم كان نتيجة تفضيلها، وأثرة تعظيمها وتجيّلها، أن الشارع ندب إلى مقصدها الأسنى، وحثّ على مطلبها الأغنى، فقال صلى الله عليه وسلم: "قِيلُوا الْعِلْمُ بِالْكِتَابِ" مشيراً إلى الغرض المطلوب منها، وغايتها المجتناة من ثمرتها؛ وذلك أن كل ذى صنعة لا بدّ له في معاناتها من مادة جسمية تظهر فيها الصورة، وآلة تؤدّي إلى تصويرها، وغرض ينقطع الفعل عنده، وغاية تستثمر من صناعته.

والكتابة إحدى الصنائع فلا بدّ فيها من الأمور الأربعة.

فأدّتها، الألفاظ التي تجلّيها الكاتب في أوهامه، وتصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه بالقوة، والخطّ الذي يخطه القلم، ويقيد به تلك الصور. وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة. وألها القلم، وغرضها الذي ينقطع الفعل عنده تقيّد الألفاظ بالرسوم الخطية، فتكلّ قوة النطق وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب، وتحفظ صورته، ويؤمن عليه من التغير والتبدل والضّياع (وغايتها الشئ المستثمر منها، وهي انتظام جمهور المعاون والمرافق العظيمة، العائدية في أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسيمة في أمور الدين والدنيا. ولما كان التقيّد بالكتابة هو المطلوب، وقع الحظ من الشارع عليه، والحث على الاعتناء به تنبيه على أن الكتابة من تمام الكمال، من حيث إن العمر قصير والوقائع متسعة، وما ذا عسى أن يحفظه الإنسان بقلبه أو يحصّله في ذهنه.

قال ذو الرمة لعيسى بن عمر: "أَكْتُبْ شِعْرِي فَالْكَاتِبُ أُعْجِبُ إِلَى مَنْ الْحَفِظُ  
إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ لَيَسْنَى الْكَلِمَةُ قَدْ سَهَرْتُ فِي طَلَبِهَا لَيْلَةً فَيَضَعُ مَوْضِعَهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا  
لَا نَسَاطِئَهَا، وَالْكَاتِبُ لَا يَسْنَى وَلَا يَبْدُلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ".

وقد أطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لماسح حتى قال سعيد بن العاص: "مَنْ لَمْ يَكْتُبْ فِيمِنْهُ يُسْرَى". وقال مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ: "إِذَا لَمْ تَكْتُبِ الْيَدُ فَهِيَ رَجُلٌ". وبالعكس كقولهم: "لَا يَدِيَّةَ لَيْدٍ لَا تَكْتُبُ". قال الجاحظ: ولو لم يكن من فضل الكتابة إلا أنه لَا يَسْجَلُ نَبِيٌّ بِحِلَّةٍ وَلَا خَلِيفَةُ مَرَضَى وَلَا يقرأ كِتَابٌ عَلَى منبرٍ من منابر الدنيا إِلَّا إِذَا اسْتَفْتَحَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَكَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَكَرَ الْخَلِيفَةَ ثُمَّ يَذْكُرُ الْكُتُبَ كَمَا هُوَ مشهور في السجلات التي سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نَجْرَانَ وغيرهم وأكثرها بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في شرفه ونبله وسابقته ونجدة .

ومن ثم قال المؤيد: "الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة، إليها ينتهي الفضل، وعندها تقف الرغبة".

ومن كلام أبي جعفر "الفضل بن أحمد" في جملة رسالة "الكتابة أَسُّ الْمُلْكِ، وعماد المملكة، وأغصان متفرقة من شجرة واحدة. والكتابة قُطْبُ الْأَدَبِ، وَمِلَاكُ الْحِكْمَةِ، وَلِسَانُ نَاطِقٍ بِالْفَصْلِ، وَمِيزَانٌ يَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ الْعَقْلِ. والكتابة نور العلم، وَقِدَامَةُ<sup>(١)</sup> الْعُقُولِ وَمِيزَانُ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ. والكتابة حِلْيَةٌ وَزِينَةٌ وَلِبَاسٌ وَجَمَالٌ وَهَيْئَةٌ وَرُوحٌ جَارِيَةٌ فِي أَقْسَامٍ مُتَفَرِّقَةٍ، والكتابة أَفْضَلُ دَرَجَةٍ وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةٍ، وَمَنْ جَهِلَ حَقَّ الْكِتَابَةِ فَقَدْ وُسِمَ بِوَسْمِ الْفَوَاحِشِ الْجَهْلَةِ؛ وبالكتابة وَالْكُتُبُ قَامَتِ السِّيَاسَةُ وَالرِّيَاسَةُ، ولو أن فضلاً ونَيْلاً تصَوَّرَا جَمِيعاً تصَوَّرَتِ الْكِتَابَةُ، ولو أن فِي الصَّنَاعَاتِ صِنَاعَةً مَرْبُوبَةٌ لَكَانَتِ الْكِتَابَةُ رَبًّا لِكُلِّ صِنْعَةٍ .

قال صاحب مواد البيان: ومن المعلوم أن جميع الصنائع وسائل إلى ذلك المطالب ونَيْلُ الرغائب، وأن عوائدها متفاضلة في الكثرة والقلة بحسب تفاضلها في الرِّفْعَةِ

(١) من معاني الفدامة المصفاة وهي مناسبة هنا .

والضعة، إذ كان منها ما لا يفي بالبلغة من قوام العيش : نحو الصنائع الميئنة  
السوقية الداخلية في المرافق العامة، ومنها ما يوصل إلى الثروة ويجاوز حد الكفاية  
ويُحظى بالمال والنعم الخطيرة وهي الصنائع الخاصة، وإذا تُوِّمِل ما هذه صفته منها  
علم أنه ليس منها ما يلحق بصناعة الكتابة ولا يساويها في هذا النوع، ولا ما يُكسب  
ما يُكسبه من الفوائد والمعاون مع حصول الرفاهية والتفرغ عن دناءة المكاسب  
ولا ما يوصل إليه من الخطوية ورفاهية العيش ومشاركة الملوك في اقتناء المساكن  
الفسحة، والملابس الرفيعة، والمراكب النيلية، والدواب النفيسة، والخدم المستحسنة  
وغير ذلك من آلات المروءة والأدوات الملوكية في أقرب المبدد وأقل الأزمنة ؛  
وناهيك بذلك من فضل هذه الصناعة وشرفها وارتفاع خطرها وسمو قدرها إذ كان  
لها سعة مثل هذه الجدوى التي لا يوجد مثلها في غيرها من الصنائع .

وكفى بالكتابة شرفاً أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قلبه ولا يزاحمه  
الكاتب في سيفه .

قال في مواد البيان : ”ومن ثم صار السلطان الذي هو رئيس الناس ومستخدم  
أرباب كل صناعة ومصرفهم على أغراضه يفتخر بأن تكون فضيلتها حاصلته له مع  
ترفعه عن التلبس بصناعة من الصنائع الحسنة، وأنفقته أن يقع اسم من أسمائها عليه“  
قال : وذلك أنا نرى كل ملك وسلطان يؤثر أن يكون له حظ من بلاغة العبارة وجوده  
الخط، وفي ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبة وأعلاها درجة، وأن المشاركين  
للسلطان فيها ممن تكتنفه سياسته أفضل من سائر المتحليين بغيرها من الصنائع الأخر  
فقد علم أن الصنائع كلها معاون ومرافق، لا تنظم عمارة العالم إلا بتضافرها ومرافقة  
بعضها لبعض . ولأنها على ضربين : خاصة وعامة ، فالعامة صنائع المهنة وأهل الأسواق  
والحرف وإن شاركهم الخاصة في الحاجة إليها لأن بها تنظم أمور المعاملات وتعمّر

البلاد؛ والخاصية التي تقع في حيز الملوك والسلاطين، ويتوزعها أعوانهم وأتباعهم؛ وهذه الصنائع إنما يقع التمييز بين أقدارها بالنظر إلى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرعية مما كان معلقا بالأمر الأهم، وكانت الحاجة إليه أزم، وقدر المنفعة به أجسم، والفساد العائد بوقوع خلل فيه على أسباب المملكة أعظم؛ ومربته في الصنائع الخاصة أشرف والطف .

وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه الفضائل إلا صناعة الكتابة، وذلك لأن الملك يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها .

أحدها رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهى، وترغيب، ووعد ووعد، وإحماد وإذمام .

والثاني استخراج الأموال من وجوهها، وأستيفاء الحقوق السلطانية فيها .

والثالث تفريقها في مستحقها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يعمون حوزتها، ويسدون ثغورها ويحفظون أطرافها، ويذبون عنها وعن رعاياها، وغير ذلك من وجوه التفقات الخاصة والعامة؛ ومعلوم أن هذه الأعمال لا يقوم بها إلا المكاتب السلطان ولا سبيل للمكاتب إلى الكتابة فيها إلا بالتدبر في صناعة الكتابة، فهي إذن من أشرف الصنائع لعظيم عائدتها على السلطان ودولته . قال الجاحظ : ” من آتت فضله أن جعلت في علية الناس “ قال صاحب مواد البيان : ” وقد عرف أن الذين وضعوها وأبتننوها ورسوموا رسوماتهم هم الأنبياء عليهم السلام “ .

وقد ذكر علماء التاريخ : أن يوسف عليه السلام كان يكتب للعزير، وهارون ويوشع بن نون كانا يكتبان لموسى عليه السلام، وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه، وأصف بن برخيا ويوسف بن عتقا كانا يكتبان لسليمان عليه السلام، ويحيى بن زكريا كان يكتب للشيخ عليه السلام .

وقد آتتقل جماعة منها إلى الخلافة . فأبو بكر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد ذلك . وعمر بن الخطاب كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه . وعثمان بن عفان كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لأبي بكر بعده ثم صارت الخلافة إليه . و معاوية كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد الحسن . ومروان بن الحكم كان يكتب لعثمان بن عفان ثم صار الأمر إليه فيما بعد وعبد الملك بن مروان كان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان ثم آتتقل الأمر إليه . إلى غير هؤلاء من أهل هذه الصنعة ممن قرع الذروة العلية من السيادة ، والسنام الباذخ من الرياسة ، على تغير الدول وتقلها بين العرب والعجم ، وفي ذلك ما يدل على علو خطرها ، وأرتفاع قدرها .

قال صاحب المقد وقد تلبه قوم بالكاتب بعد التحول ، وصاروا إلى الرتب العلية ، والمنازل السنية . منهم سرجون بن منصور الرومي كان رومياً خاملاً فرفعت الكاتبة وكتب لمعاوية . ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان . ومنهم حسن البطحى كاتب الحجاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبل بن عبد الرحمن ، وحقثم جد الحجاج بن هشام القهظي<sup>(١)</sup> ، وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية ، والربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وابن المقفع ، والفضل بن سهل ، وجعفر بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبن عبد السلام الجندى سابورى . وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس ،

(١) فى المقد الفريد جد الوليد بن هشام .



(١) ونجاح بن سامة، وأحمد بن عبدالعزيز، وزاد صاحب الريحان والريمان : مروان ابن الحكم، وعبد الملك بن مروان. قلت : وهؤلاء بعض من شرفه الكتابة ورفعت قدره. ولو اعتبر من شرف بالكتابة وارتفع قدره بها لفاتوا الحصر وخرجوا عن الحدة . وهذا الوزير المهلب كان في أول أمره في شدة عظيمة من الفقر والضائقة، وكان قد سافر مرة ولقى في سفره ضيقة حتى اشتبهى اللحم ولم يقدر عليه فقتل أرتجالا :

أَلَا مَوْتُ يَسَاعُ فَاشْتَرِيهِ ! \* فهذا العيش ما لا خَيْرَ فيه !

أَلَا مَوْتُ لِيَذُ الطَّعْمُ بِأَيِّ \* يُخَلِّصُنِي مِنَ الْمَوْتِ الْكَرِيهِ !

أَلَا رَحِمَ الْمُهِمِّنُ نَفْسَ حُرٍّ \* تصدق بالوفاة على أخيه !

(٢) وكان معه رفيق له فاشترى لهما وأطعمهما . ثم ترقى بالكتابة حتى وُزِّرَ لمعز الدولة ابن بويه الديلمي في جلالة قدره . وهذا الفاضل الفاضل أصله من بيسان من غير بيت الوزارة ورفعه الكتابة حتى وُزِّرَ للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وعلت رتبته عنده حتى بلغ من رتبته لديه أن كان يكتب في كتب السلطان صلاح الدين عن نفسه بما أحب ، فكتب مرة السلام على الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين في كتاب عن أبيه ، ثم كتب شعرا منه :

وغيرية قد جئتُ فيها أولاً \* ومن أفتأها كان بعدى الثاني

فرسولى السلطان فى إرسالها \* والناس رسلهم إلى السلطان

وأبلغ من ذلك كله أبو إسحاق الصابى صاحب الرسائل المشهورة ، كان على دين الصابئة مشددا في دينه ، وبلغت به الكتابة إلى أن تولى ديوان الرسائل عن الطامع

(١) أى فبين نهوا بالكتابة . وأما عدما السابق ففى المکتوب لهم .

والمطيع وعن الدولة بن بويه: وجهد فيه عن الدولة أن يسلم فلم يقع له؛ ولما مات رثاه الشريف الرضي بقصيدة فلامه الناس لكونه شريفا يرثى صائليا، فقال: إنما رثيت فضله.

قال في مواد البيان: "ولا عبرة بمن قعد به الجُد، وتخلّف عنه الحظّ من أهل هذه الصناعة؛ إذ العبرة بالأكثر لا بالقليل النادر. على أن المبرز في هذه الصناعة إن قعدت به الأيام في حال فلا بد أن يُرفع قدره في أخرى؛ لأنّ دولة الفاضل من الواجبات، ودولة الجاهل من المحكّات؛ خصوصا إذا صادف الكاتبُ الفاضلُ ملكا فاضلا أو رئيسا كاملا، فإنه يوفيه حقه ويرقيه إلى حيثُ استحقّاه. فمن كلام بعض الحكماء: تسقط الحظوظ في دولة الملك الفاضل فلا يتسّم الرتبة العلية إلا مستوجبها بالفضيلة.

وبالجملة ففضل الكتابة أكثر من أن يُحصى وأجل من أن يُستقصى؛ وإنما حرّمت الكتابة على النبي، صلّى الله عليه وسلم! ردا على الملحدين حيثُ نسبوه إلى الاقتباس من كتب المتقدمين كما أخبر تعالى بقوله ((وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا)) وأكد ذلك بقوله ((وما كنتم تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينكم إذا لارتاب المبتطلون)).

وقد كان، صلّى الله عليه وسلم! يأتي من القصص والأخبار الماضية من غير مدرّسة ولا نظر في كتاب بما لا يعلمه إلا نبي، كما روى أن قريشا بمكة وجهت إلى اليهود: أن عرفونا شيئا نسأله عنه، فبعثوا إليهم أن سلّوه عن أنبياء أخذوا أحدهم فرمّوه في بئر وباعوه، فسألوه فزلت سورة يوسف جملة واحدة بما عندهم في التوراة وزيادة.

قال العتيبي: "الأئمة في رسول الله، صلى الله عليه وسلم! فضيلة في غيره تقيصة لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكّن الإنسان بها من الحيلة في تأليف الكلام، واستنباط المعاني فيتوسل الكفار إلى أن يقولوا اقتدر بها على ما جاء به".

قال صاحب موادّ البيان: "وذلك أنّ الإنسان يتوصل بها إلى تأليف الكلام المنشور وإخراجه في الصور التي تأخذ بمجامع القلوب، فكان عدم علمه بها من أقوى الحجج على تكذيب معانيه، وحسم أسباب الشك فيه".

وقد حكى أبو جعفر النحاس: أن المأمون قال لأبي العلاء المتقري "بلغني أنك أمي، وأنت لا تقيم الشعر، وأنت تلعن في كلامك" فقال: "يا أمير المؤمنين! أما نحن فرمّا سبقني لساني بالشئ منه؛ وأما الأئمة وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً وكان لا ينشد الشعر". فقال له المأمون: "سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدني رابعا وهو الجهل، يا جاهل! ذلك في النبي، صلى الله عليه وسلم! فضيلة وفيك وفي أمثالك تقيصة".

قال الجاحظ: "وكلام أبي العلاء المتقري هذا من أوامد ما تكلم به الجهال".  
على أن أصحابنا الشافعية رحمهم الله قد حكوا وجهين في أنه صلى الله عليه وسلم هل كان يعلم الكتابة أم لا وصححوا أنه لم يكن يعلمها معجزة في حقه كما تقدم.

قال أبو الوليد الباجي من المالكية: "ولو كتب، صلى الله عليه وسلم! لكان معجزة تخرق العادة". قال: "وليس بأول معجزاته صلى الله عليه وسلم!".

وإذا كانت الكتابة من بين سائر الصناعات بهذه الرتبة الشريفة والدرة المنيفة، كان الكتاب كذلك من بين سائر الناس. قال الزبير بن بكار: "الكتاب ملوك وسائر الناس سوقة". وقال ابن المقفع: "الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك". ومن كلام المؤيد "كتاب الملوك عيونهم المبصرة وأذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة".

وكانت ملوك الفرس تقول: "الكُتَّاب نظام الأُمور، وجمال الملك، وهبَاء السلطان وتُخْزان أمواله، والأمانة على رعيته وبلاده، وهم أولى الناس بالحِباء والكرامة، وأحقُّهم بحِبة السلام".

ومن كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد "لكُتَّاب أقرَّت الملوك بالفاقة والحاجة، واليهُم أقيمت الأئمة والأزمنة، وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة، وعليهم أتكلوا في الأهل والولد والذخائر والمقدِّ وولاء العهد وتدير الملك وقراع الأعداء، وتوفير الفئ، وحياطة الحريم، وحفظ الأسرار، وترتيب المراتب، ونظم الحروب".

قال في مواد البيان: "وما من أحد يتوسَّل إلى السلاطين بالأدب، ويمتُّ إليهم من العلم بسبب، إلا وهو باقله لا يتول ما يتولُّه إلا على وجه الإرفاق، خلا الكاتب فإنه يتولُّ الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق، لموضع الاقتدار إليه والحاجة، ومن المعلوم أنه لا بد من واسطة تقوم بين الملوك والرعية لبعث ما بين الطبقتين: العليا والدنيا، وليس من طبقات الناس من يساهم الملوك في جلالته القدر وعظيم الخطر، ويُشارك العامة في التواضع والاقتصاد سوى الكُتَّاب فأحتيج إليهم للسفارة في مصالح الرعية عند السلاطين، واستيفاء حقوق السلاطين من الرعية، والتلطف في الصلة بينهما". قال: "ولعلم الملوك بخطور هذه الصناعة وأهلها وعائنتها في أمور السلطان صرفوا العناية إلى الكتبة وخصَّوهم بالخطوة وعرفوا لهم فضل ما جعروه من الرأي والصناعة، وكانت ملوك الفرس لرفعة رتبة الكتابة عندهم تجمع أحداث الكُتَّاب ونواشئهم المعترضين لأعمال الملك ويأمرون رؤساء الكتابة بامتحنهم فمن رضى أقرَّ بالباب ليستعان به، ثم يأمر الملك بضمهم إلى العُمل، واستعمالهم في الأعمال، وينقلهم في الحسنة على قدر طبقاتهم من حال إلى حال حتى يتهيَّ بكل واحد منهم إلى

ما يستحقه من المنزلة ، ثم لا يمكن أحد ممن عرض اسمه على الملك من الخدمة عند أحد إلا بأذن الملك .

وفي عهد سابور - "وليكن كاتبك مقبول القول عندك ، رفيع المنزلة لديك ، يمنعه مكانه منك وما يظن به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لأحد والمداهنة له ، ليحمله ما أوليته من الإحسان على محض النصيحة لك ، ومتابذة من أراد عييك وانتقاص حقك " . ولم يكن يركب الهاليج في أيامهم إلا الملك والكاتب والقاضي .

قلت : ولشرف الكتابة وفضل الكُتّاب صرف كثير من أهل البلاغة عنايتهم إلى وضع رسائل في المفاخرة بين السيف والقلم ، إشارة إلى أن بهما قوام الملك وترتيب السلطنة ، بل ربما فضل القلم على السيف ورُجِّح عليه بضروب من وجوه الترجيح كما قال بعضهم مفضلاً للقلم بقسم الله تعالى به :

إِنْ أَتَخَّرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ \* وَعُدَّوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمَ  
كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ عِزًّا وَرِفْعَةً \* مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَفْسَمَ بِالْقَلَمِ  
وَمَا قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يُخْذَمِ الْقَلَمُ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ \* لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ  
فَالْمَوْتُ ، وَالْمَوْتُ لِأَشْيُ يُغَالِبُهُ ، \* مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ  
كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورَتٌ \* أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُدُّ أُرْهِفَتْ خَدَمُ

والمعنى في ذلك أنها تؤثر في إرهاب العدو على بُعد السيف ولا تؤثر إلا عن قرب مع ما فضل به القلم من زيادة الجدوى والكرم ، وإلى ذلك يشير بعضهم بقوله مشيراً للقلم

فَلَكُمْ يَقُولُ الْجَيْشِ ، وَهُوَ عَرَمَرَمٌ ، \* وَالْبَيْضُ مَا سُلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ  
وَهَبَتْ لَهُ الْأَجَامُ حِينَ تَنْشَأُ بِهَا : كَرَمَ السُّيُوفِ وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ

## الفصل الثاني

(في مدح فضلاء الكُتّاب وذمّ حقّاقهم)

أما فضلاء الكُتّاب فلم يزل الشعراء يلّهجون بمدح أشرف الكُتّاب وتقرّبطهم  
ويستألفون في وصف بلاغاتهم وحُسن خطوطهم . فمن أحسن ما مدح به كاتب  
قول ابن المعتز :

إذا أَخَذَ القِرْطاسَ خِلْتِ يَمِينَهُ \* تُفْتَحُ نُورا أَوْ تُنْقَطِعُ جَوْهَرًا

وقول الآخر :

يُؤَلِّفُ اللُّؤْلُؤَ المَشْهُورَ مُنْطِقُهُ \* وَيَنْظِمُ النَّدَى بالأقلامِ في الكُتُبِ

وقول الآخر :

وَكاتِبٌ يَرْقُمُ في طَرَسِهِ \* رَوْضًا بِهِ تَرْتَعُ الحِطائِلُ  
فَالنَّدَى ما تَنْظِمُ أَقلامُهُ \* وَالسَّحَرُ ما تَنْشُرُ أَلْفاظُهُ

وقول الآخر :

إِنَّ هَذا أَقلامُهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَها \* أُنْساكَ كُلَّ نَبِيٍّ هَذا عَمِلَهُ  
وَإِنَّ أَقْرَبَ عَلَيَّ رَقٍّ أَمَلَهُ \* أَقْرَبَ الرِّقِّ كُتّابُ الأَنامِ لَهُ

وقول الآخر :

لا يَخْطُرُ الفِكرُ في كَتائِهِ \* كَأَنَّ أَقلامَهُ لَها حَاطِرُ  
القَوْلُ والفِعْلُ يَحْزَنانِ مَعًا \* لا أَوَّلَ فِيهِما ولا آخِرَ

وقول الآخر :

وشادني من بَنِي الكُتّابِ مُقَدِّيرُ \* عَلَيَّ البَلّاغَةُ أَحلَّ النَّاسِ إِنْشاءَ  
فَلا يُجَارِيهِ في مِدادِهِ أَحَدٌ \* يُرِيكَ سَجَبانَ في الإِنْشاءِ إِنْ شاءَ

وكذلك أولعوا بدم حنق الكُتَّاب ولمْجُوا بهجوم في كل زمن .

فمن ذلك قول بعض المتقدمين يهجو كاتباً :

حِمارٌ في الكِتابَةِ يَدْعِيها \* كدَعْوَى آلِ حَرْبٍ في زِيادِ  
فَدَعَ عَنْكَ الكِتابَةَ لَسْتُ مِنْها ! \* ولو غَرِقْتُ ثِيابُكَ في المِدادِ

وقول الآخر :

وكانتْ كُتُبُهُ تُدَكَّرُني السَّقْرُءانَ حَتَّى أَطْلَلَ في عَجَبٍ  
فَاللَّفَظُ "قَالُوا قُلُوبُنَا غُلَّتْ" . \* وَالْخَطُّ "دَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍّ"

وقول الآخر :

يَبِي غَيْرَ ما قُلْنَا وَيَكْتُبُ غَيْرَ ما \* يَبْعِي وَيَقْرَأُ غَيْرَ ما هو كاتبُ

وقول الآخر :

وكانتْ أَقْلَامُهُ \* مُعَوَّداتٌ بِالْفَاطِ  
يَكْشِطُ ما يَكْتُبُهُ \* ثُمَّ يُعِيدُ ما كَشَطَ

وقول ابن أبي العيَّان يهجو أسد بن جهور الكاتب

أوما ترى أَسَدَ بَنِ جَهْوَراً قَدْ غَدَا \* مُتَشَبِّهاً بِأَجَلَةِ الكُتَّابِ ؟

لَكِنْ يُحَرِّقُ أَلْفَ طُومارٍ إِذا \* ما أَحْجَبَ مِنْهُ إِلى جَوابِ كُتَّابٍ

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة عن هذا النوع من الكُتَّاب مما صاروا

به هزواً على ممر الزمان وتعاقب الأيام . كما حكى عن محمد بن يحيى الكاتب أنه قرأ

على بعض الخلفاء كتاباً يذكر فيه حاضرتي فصَّحفه جاضرطي فسخَّرمه أهل المجلس

ويروى أن كُتَّاب الدواوين ألزموا بعضَ العالِ مآلاً مخرِجاً عليه فبعث بحسابه إلى

عبيد الله بن سليمان فوقع عليه " هذا هذا " وردَّ الحساب إلى العامل فقدر العاملُ

بضعف آدابه أنه صحح حجة وقيل الحساب منه كما يقال في تنبئ الشيء هو هو وأخرج التوقيع إلى الكُتَّاب وناظرهم على أن ذلك يوجب إزالة المال الذي لزمه عنه فلم يفهم أحد منهم ما أراد عبيد الله بن سليمان فردَّ التوقيع إلى عبيد الله فلم يزد في الجواب على أن شدد الكلمة الأخيرة ووقع تحتها "الله المستعان" إعلاماً له أن لفظ هذا بالتشديد بمعنى الهذيان .

وحكى العباس بن أسيد : أن أبا الحسن علي بن عيسى كتب إلى أبي الطيب أحمد بن عيسى كتاباً من مكة فقراه ثم رمى به إلى فقال : اقرأ . فقرأت : كتابي إليك يوم القتر، بالرفع . فقال : مامعنى يوم القتر؟ فقلت : القتر البرد . فقال : إنما هو يوم القتر بالفتح ، حين يقتر الناس بئى ، وهو اليوم الثانى من النحر . ومثل ذلك كثير .

قال صاحب نهاية الأرب ، : "وقد اتسع الخرق في ذلك ودخل في الكتابة من لا يعرفها البتة ، وزادوا عن الإحصاء ، حتى إن فيهم من لا يفرق بين الضاد والطاء . قال : ولقد بلغنى عن بعض من أدخل نفسه في الكتابة وتوسل إلى أن كتب في ديوان الرسائل : أنه رُسم له بكتاب يكتبه في حق رجل اسمه طرنطاي فقال لكتاب إلى جانبه طرنطاي يكتب بالساقط أو بالقائم . قال : وصار الآن حدّ الكاتب عند هؤلاء الجهال أنه يكتب على المجدودة ويتقن بزعمه أسطرا فإذا رأى من نفسه أن خطه قد جاد أدنى جودة أصلح رزقه ، وركب رزونه أو بغلته ، وسعى في الدخول إلى ديوان الإنشاء والانضمام إلى أهله ، ولعل الكتابة إنما يحصل ذمتها بسبب هؤلاء وأمثالهم . والله درّ القائل !

تَس الزمان ! فقد أتى بِعُجَابٍ \* ومحا فُنُونُ القَـضَل والآداب  
وأتى بِكُتَّابٍ لو أنْبَسَطْتُ يَدِي \* فِيهِمْ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الكُتَّابِ "

(١) في ضوء الصبح (من منى) .

(٢) في الأصل بعباب وقد اخترنا رواية الضوء .



قلت : وإنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الأوفى لاستيلاء الأعاجم على الأمر ، وتوسيد الأمر لمن لا يفتق بين البليغ والأثوك لعدم إلمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها ، حتى صار الفصيح لديهم أعجم ، والبليغ في مخاطبتهم أبكم ، ولم يسع الأخذ من هذه الصناعة بحظ إلا أن ينشد :

وَصَبَّأَتْنِي عَرَبِيَّةً وَكَأَنَّنِي \* أَلْفِي بِأَكْثَرِ مَا أَقُولُ الرُّومَا  
فَلَيْنَ أَقُولُ؟ وَمَا أَقُولُ؟ وَأَيْنَ لِي؟ \* فَاسِيرٌ لَا بِلَ أَيْنَ لِي فَأَقِيمَا؟

وقد حكى أبو جعفر النحاس عن بعضهم أنه قال : حضرت مجلس رجل فاجمعت عن مسألة حاجتي لكثرة جمعه ، فرأيت أنه قد أملئ على كاتبه " ولم أكتب بخطي إليك خوفاً من أن تقيف على رداوته " فكتب كاتبه "رداءته" على ما يجب فقال : أما تمحسن الهجاء؟ أين الواو؟ فأثبتها الكاتب نفس حينئذ في عني ، فأجترأت عليه فدنوت منه وسألته حاجتي .

وحكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء : أنه تقدم إلى كاتبه بأن يكتب ألقاب أميرليثتها على بُرج أنشأه فكتب "أمر بعمارة هذا البرج أبو فلان فلان" وأستوفى ألقابه إلى آخرها ، ودفع المثال إلى الوزير ليقف عليه فلما قرأه غضب حتى ظهر الغضب في وجهه ، وأنكر على الكاتب كونه كتب أبو فلان بالواو ولم يكتب أبي فلان بباء محتجاً عليه بأن أبو من ألقاب العامة فلا تعظيم بها . فقال الكاتب : إن الحال أقتضت رفعة من حيث إنه في هذا الموضع فاعل ، فزاد إنكاره عليه وقال : متى رأيت الأمير فاعلا في هذا الموضع يحمل الطين وينقل الحجارة على رأسه حتى تنسبه إلى هذا ؟ والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك ! .

(١) في الاصل أعجماء ... أبكا .

قال ابن حاجب النعمان: ولما كان أرباب الأمور وولاتها من الخلفاء فمن دونهم يتقدمون ما يكتب به الخُتاب عنهم وما يرد عليهم من الكتب، ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ أو يدخلها من خلل، ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته، ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته، كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيله . و يترفعون عن أن يعلّق بهم من الجهل أدنى رذيله . ويجهّدون في معرفة ما يحسن ألفاظهم . ويزين مكاتباتهم . لينالوا بذلك أرفع رتبة ، ويفوزوا بأعظم منزلة .

ولما انعكست القضية في تقديم من غلط بهم الزمان . وغفل عنهم الجذثان . واستولت عليهم شرّة الجهل . ونفرت منهم أوانس الرياسة والفضل . وصار العالم لديهم حشفاً، والأديب محارفاً، والمعرفة منكراً، والفضيلة منقصة، والصمت لئكة، والفصاحة فجّة، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم، وهجرت العلوم هجر كبار الماتم . ولو أنصف أحد هؤلاء الجهّال، لكان بالحشّف أولى، وبالحرقة والمنقصة أجدر وأحرى، لكنه جهل الواجبات وأضاعها . وسفّه حقّ المروءة وأفسد أوضاعها ويوصف بالحقى الناطق، والصامت أربح منه عند أهل النظر وذوى الحقائق .

## الباب الثاني

### من المقدمة

في ذكر مدلول الكتابة لغة وأصطلاحاً، وبين معنى الإنشاء وإضافة الكتابة إليه .  
ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الإنشاء في عرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسيل .  
وتفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح النثر على الشعر؛ وفيه ثلاثة فصول .

(١) في الأصل وأوضاعها براور زائدة وهي من زيادة الناصح كما هو ظاهر .

## الفصل الأول

في ذكر مدلولها وبيان معنى الإنشاء وإضافتها إليه ومرادفة التوقيع لكتابة

الإنشاء في عُرف الزمان، والتعير عنها بصناعة الترسل

الكتابة في اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كتباً وكتاباً وكتابةً ومكتبةً وكتبته فهو كاتب ومعناها الجمع، يقال تكتبت القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخليل كتبية، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شقريها بحلقه أو مسير ونحوه، ومن ثم سمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض كما سمي نثر القرية كتابة لضم بعض النثر إلى بعض. قال ابن الأعرابي: وقد تطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي يعلمون. وعلى حد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه لأهل اليمن حين بعث إليهم معاذ وغيره "إني بعثت إليكم كاتباً". قال ابن الأثير في غريب الحديث "أراد عالماً سمي بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علماً ومعرفة وكان الكاتب عندهم قليلاً وفيهم عزيزاً".

أما في الاصطلاح فقد عرّفها صاحب موادّ البيان: بأنها صناعة روحانية تظهر بالآلة، جُثمانية، دالة على المراد بتوسط نظمها، ولم يبين مقاصد الحد ولا ما دخل فيه ولا ما خرج عنه، غير أنه فسّر في موضع آخر معنى الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخيّلها الكاتب في أوهامه ويصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه. والجُثمانية بالخط الذي يخطّه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة. وفسر الآلة بالقلم وبذلك يظهر معنى الحد وما يدخل فيه ويخرج عنه؛ ولا شك أن هذا التحديد يشمل جميع ما يسطره القلم مما يتصوره الذهن ويتخيّله الوهم فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو المستفاد من

المعنى اللغوي. على أن الكتابة، وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها، لا تخرج عن أصليين : هما كتابة الإنشاء ، وكتابة الأفعال وما في معناهما على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

« إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خص لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أُطلقت لا يُراد بها غير كتابة الإنشاء والكتاب إذا أُطلق لا يراد به غير كتابتها حتى سُمي العسكري كتابه «الصناعتين الشعر والكتابة» يريد كتابة الإنشاء، وسمي ابن الأثير كتابه «المثل السائر» في أدب الكاتب والشاعر» يريد كاتب الإنشاء إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإنشاء من علم البلاغة وغيرها .

ثم غلب في زماننا بالديار المصرية اسم الكاتب على كاتب المال حتى صار الكاتب إذا أُطلق لا يراد به غيره بوصار لصناعة الإنشاء اسمان : خاص يستعمله أهل الديوان ويتلفظون به وهو كتابة الإنشاء ، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع . فاما تسميتها بكتابة الإنشاء فتخصيص لما بالإضافة إلى الإنشاء الذي هو أصل موضوعها وهو مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال يحتذيه، بمعنى أن الكاتب مخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها ، أو أن المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع فاصله من التوقيع على حواشي القصص وظهورها كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإنشاء أو كُتاب الدست ومن جرى مجراهم بما يعتمد في القضية التي رُفعت القصة بسببها ثم أُطلق على كتابة الإنشاء جملة .»

قال ابن حجب النعمان في «ذخيرة الكُتاب» : ومعناه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف ، يقال : جنب هذه الناقة موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال تأثيرا خفيفا .

وَحِكِي أَتْ أَعْرَابِيَّةٌ قَالَتْ بَلَّارْتَهَا "حَدِيثُكَ تَرْوِيعٌ وَزِيَارَتُكَ تَوْقِيعٌ" تَرِيدُ أَنْ زِيَارَتَهَا خَفِيفَةٌ . قُلْتُ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَعَ الْأَمْرُ إِذَا حَقَّ وَلَزِمَ وَمِنَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا ؛ أَيْ حَقَّ ، أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَعَ الصَّيْقُلُ السَّيْفُ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمِقْعَةٍ يَجْلُوهُ لِأَنَّهُ بَتَوْقِيعُهُ فِي الرِّقْعَةِ يَجْلُو اللَّبْسَ بِالْإِرْشَادِ إِلَى مَا يُعْتَمَدُ فِي الْوَاقِعَةِ ، أَوْ مِنْ مَوْقَعَةِ الطَّائِرِ . وَهِيَ الْمَكَانُ الَّذِي يَأْلَفُهُ مِنْ حَيْثُ إِنْ الْمَوْقَعُ عَلَى الرِّقْعَةِ يَأْلَفُ مَكَانًا مِنْهَا يُوقَّعُ فِيهِ كَحَاشِيَةِ الْقِصَّةِ وَنَحْوِهَا ، أَوْ مِنَ الْمَوْقَعَةِ بِالتَّسْكِينِ . وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَرْتَضِعُ فِي الْجَبَلِ لِأَرْفَاعِ مَكَانِ الْمَوْقَعِ فِي النَّاسِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَوَجْهٌ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ أَنَّهُ قَدْ تَقَبَّلَتْ أَنْ التَّوْقِيعُ فِي الْأَصْلِ أَسْمٌ لِمَا يُكْتَبُ عَلَى الْقِصَصِ وَنَحْوِهَا وَسَيَأْتِي أَنْ مَا يَكْتُبُ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ مِنَ الْمَكْتَبَاتِ وَالْوِلَايَاتِ وَنَحْوِهَا لِمَا يَنْبَغِي عَلَى مَا يَخْرُجُ مِنَ الدِّيْوَانِ مِنَ التَّوْقِيعِ بِحُطِّ صَاحِبِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ أَوْ كُتَّابِ الدَّسْتِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ؛ وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ التَّوْقِيعُ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ الْمُنْشَى ، وَقَدْ يَكُونُ سَمًى بِأَصْلِهِ الَّذِي نَشَأَ عَنْهُ بِجَازَا ؛ وَقَدْ يَعْبرُ عَنْهَا بِصِنَاعَةِ التَّرْسُلِ تَسْمِيَةً لِلشَّيْءِ بِأَعْمِ أَجْزَائِهِ إِذَا التَّرْسُلُ وَالْمَكْتَبَاتُ أَعْظَمُ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَأَعْمُهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَسْتَفْنِي عَنْهَا مَلِكٌ وَلَا سُوقَةٌ ، بِخِلَافِ الْوِلَايَاتِ فَلَهَا مَخْصَصَةٌ بِأَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ دُونَ غَيْرِهِمْ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ بَنَى الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْحَلَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَسْمِيَةَ كِتَابِهِ "حُسْنُ التَّوَسُّلِ إِلَى صِنَاعَةِ التَّرْسُلِ" .

(١) عبارة اللسان والقاموس والوقع بالتسكين المكان المرتفع من الجبل . فقل ما في الأصول من تصحيف

## « الفصل الثاني »

( في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة )

قد تقدم في الفصل الذي قبله أن الكتابة وإن كثرت أقسامها وتمتدت أنواعها  
لا تخرج عن أصلين : كتابة الإنشاء ، وكتابة الأموال .

فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل ما يرجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام  
وترتيب المعاني : من المكتبات والولايات والمساحات والإطلاقات ومناشير  
الإقطاعات والمهذّن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها .

وأما كتابة الأموال فالمراد بها كل ما يرجع من صناعة الكتابة إلى تحصيل المال  
وصرفه وما يجرى مجرى ذلك ككتابة بيت المال والخزائن السلطانية ، وما يُنحى  
إليها من أموال الخراج وما في معناه ، وصرف ما يصرف منها من الجارى والنفقات  
وغير ذلك ، وما في معنى ذلك ككتابة الجيوش ونحوها مما ينجز القول فيه إلى صناعة  
الحساب ؟ ولا شك أن لكل من النوعين قدراً عظيماً وخطراً جسيماً ، إلا أن أهل  
التحقيق من علماء الأدب ما برحوا يرتحون كتابة الإنشاء ويفضلونها ويميزونها على  
سائر الكتابات ويقدّمونها ، ويحتجون لذلك بأمر .

منها أن كتابة الإنشاء مستلزّمة للعلم بكل نوع من الكتابة ، ضرورة أن كاتب  
الإنشاء يحتاج فيما يكتبه من ولاياته ومكتباته مما يتعلق بكتابة الأموال إلى أن يُمثّل  
لهم في وصاياه من صناعتهم ما يعتمدونه ، ويبين لهم آياتونه ويذرّونه ، فلا بُدّ أن  
يكون عالمًا بصناعة من يكتب له . بخلاف كاتب الأموال فإنه إنما يعتمد على رسوم  
مقررة وأتمودجات محزنة لا يكاد يخرج منها . ولا يحتاج فيها إلى تغيير ولا زيادة  
ولا نقص .

ومنها آشتال كتابة الإنشاء على البيان الدال على لطائف المعاني التي هي زبد الأفكار وجواهر الألفاظ، التي هي جليلة الألسنة، وفيها يتنافس أصحاب المناصب الخطيرة، والمنازل الجليلة، أكثر من تنافسهم في الدر والجوهر.

ومنها ما استلزمه كتابة الإنشاء من زيادة العلم، وغزارة الفضيحة، وذكاء القريحة، وجودة الروية؛ لما يحتاج إليه من التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عجز بها من سبق إلى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها إلى حقائقها؛ وفي ذلك من المشقة ما لا يخفاء فيه على من مارس الصناعة، خصوصاً إذا طلب الزيادة والعلو على من تقدمه في استعمالها، أو حدا حدوسوم المبرزين الذين يتحلون الكلام ويوقعونه مواقفهم مع مراعاة رشاقة اللفظ، وحلاوة المعنى، وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع المعاني الأبيكار للأمور الحادثة التي لم يقع مثلاً، ولا سبق سابق إلى كتابتها - لأن الحوادث والوقائع لا تنهاى ولا تحف عند حد . ومن هنا تنقص الوزير ضياء الدين بن الأثير في المشل السائر المقامات الحربية وأزدها جاشاً إلى أنها صور موضوعة في قوالب حكايات مبنية على مبدأ ومقطع بخلاف الكتابة فإن أهوالها غير متناهية؛ ولوروى حال ما يكتبه الكاتب في أدنى مدة لكان مثل المقامات مرات .

ومنها اختصاص كاتب الإنشاء بالسلطان وقربه منه وإعظام خواصه واعتمادهم في المهمات عليه، مع كونه أحرزاً بالسلامة من أرباب الأقلام المتصرفين في الأموال . وقد قال بعض الحكماء : الكتاب كالجوارح كل جارحة منها ترشد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها، وكاتب الإنشاء بمنزلة الروح الممازجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواشه .

قال في موادّ البيان "ولا شك في صحة هذا التمثيل : لأن كاتب الإنشاء هو الذى يمثل لكل عامل في تحليله ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالأمر والنهى على ما يؤدى إلى استقامة مآدق به ، وهو حلية الملكة وزيتها لما يصدر عنه من البيان الذى يرفع قدرها ، ويُعلي ذكرها ، ويعظم خطرها ، ويدلّ على فضل ملكها ، وهو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد ، والترغيب ، والإحجام ، والإذمام ، واقتضاب المعاني التى تُهمز الوالى على ولايته وطاعته ، وتعتطف العدو العاصى عن عداوته ومعصيته " على أن بعض المتعصبين قد رجّح كتابة الأموال على كتابة الإنشاء بمغالطات أوردها ، وتزويرات زعمها وتمقّها ، لانحنى على متأمل ، ولا تنغضى على ذى ذهن سليم . -

« وقد أورد الحريرى في "المقامة الثانية والعشرين" المعروفة بالفرائية ألفاظا قلائل في المفاخرة بين كتابى الإنشاء والأموال فقال على لسان أبى زيد السروجى :

"إعلموا أنّ صناعة الإنشاء أرفع ، وصناعة الحساب أنفع ، وقلم المكاتبه خاطب ، وقلم المحاسبة حاطب ، وأساطير البلاغة تُنسخ تُندرس ، ودساتير الحسابات تنسخ وتُندرس ، والمدينى جُهينة الأخبار ، وحقيبة الأسرار ، ونجى العطاء ، وكبير الندماء ، وقلمه لسان الدولة ، وفارس الجولة ، ولقمان الحجة ، وترجمان الهمة ، وهو البشير والنذير ، والشفيق والسفير ، به تُستخلص الصباصى ، وتملك النواصى ، ويقتاد العاصى ، ويستندى القاصى ، وصاحبه برىء من التبعات ، آمن كيد السعات ، مقرظ بين الجماعات ، غير معترض لنظم الجماعات .

ثم عقب كلامه بأن قال :

(١) في الضوء عرق بالعين المهملة والزاي وهو المناسب ولعل ما في الاصل تصحيف .



”إلا أن صناعة الحِساب موضوعةٌ على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبنيةٌ على التفتيق، وقلم الحاسب ضابط، وقلم المنشئ خابط؛ وبين إتاوة توظيف المعاملات، وتلاوة طوامير السجلات، بون لا يذركه قياس، ولا يعتوره التباس؛ إذ الإتاوة تملأ الأكياس، والتلاوة تفرغ الراس، وتخرج الأواريج يُغنى الناظر، وتستخرج المدارج يُرى الخاطر.

ثم إن الحسبة حَفَظَةُ الأموال، وَحَلَّةُ الأثقال، والنقلة الإثبات، والسفرة الثقات، وأعلام الإنصاف، والانتصاف، والشهود المقانع في الاختلاف؛ ومنهم المستوفى الذى هو يدُ السلطان، وقُطْبُ الديوان، وقِسْطُ الأعمال، والمهيمن على العمال، وإليه المال فى السلم والهرج، وعليه المدار فى الدخْل والخَرْج؛ وبه مناط الضر والنفع، وفى يده رِباط الإعطاء والمنع؛ ولولا قلم الحِساب، لأودت ثمرة الاكتساب، ولأُتصل الثغابن إلى يوم الحِساب؛ ولكان نظام المعاملات محلولا، وجرح الظلمات مطلولا، وجيدُ التناصف مغلولا، وسيفُ التظالم مسلولا. على أن يراع الإنشاء متقول، ويراع الحِساب متأول، والحاسب متاقش، والمنثنى أبو براقص؛ ولكليهما حمة حين يرقى، إلى أن يلقى ويرقى، وإعنات فيما يُنشا، حتى يُعشى ويرشى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم).

قلت : وقد أوردت فى المقامة التى أنشأتها فى كتابة الإنشاء المشار إليها بالذكر فى خطبة هذا الكتاب من فضل الكتابة ما يُسَدُّ ويذكره المترنم، وأودعتها من شرف الكتاب ما يُدعِن له الخصم ويسلم.

## الفصل الثالث

(في ترجيح النثر على الشعر)

اعلم أن الشعر وإن كان له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره من حيث تفرّده باعتدال أقسامه وتوازن أجزائه وتساوي قوافي قصائده، مما لا يوجد في غيره من سائر أنواع الكلام، مع طول بقائه على ممرّ الدهور وتعاقب الأزمان، وتداوله على ألسنة الرواة وأفواه النقلة لتمكّن القوة الحافظة منه بارتباط أجزائه وتعلّق بعضها ببعض، مع شيوعه واستفاضته وسرعة انتشاره وبُعْد مسيره وما يؤثّر من الرّفعة والضّعة باعتبار المدح والهجاء، وإنشاده بحال الملوك الحافلة والملوك الجامعة بالتقرّظ وذكر المفانح وتعدد المحاسن، وما يحصل عليه الشاعر المهيّد من الجلاء الجسمي والتمنّح الفائق، الذي يستحقّه بحسن موقع كلامه من النفوس وما يحدثه فيها من الأريحية، وقبوله لما يرد عليه من الألقان المطربة المؤثّرة في النفوس اللطيفة والطباع الرقيقة، وما استعمل عليه من شواهد اللغة والنحو وغيرهما من العلوم الأدبية وما يجري تجرّاها، وما يستدلّ به منها في تفسير القرآن الكريم وكلام من أوتي جوامع الكلم، وبجامع الحكم، صلى الله عليه وسلم! وكونه ديوان العرب ومجتمع تمكّنها والمحيط بتواريخ أيامها وذكر وقائعها وسائر أحوالها - إلى غير ذلك من الفضائل الجمّة، والمفانح الضّخمة، فإن النثر أرفع منه درجة، وأعلى رتبة، وأشرف مقامًا، وأحسن نظامًا، إذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم فيها والتأخير، وقصر الممدود ومدّ المقصور، وصرف مالا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف، واستعمال الكلمة المفروضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها - وغير ذلك مما تلجئ إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه، والكلام المشطور لا يحتاج فيه إلى شيء من ذلك فتكون ألفاظه تامة لمعانيه، ويؤيد ذلك أنك إذا اعتبرت ما نقل

من معاني النثر إلى النظم وجدته قد انحطت رتبته . ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين  
على كرم الله وجهه ! ” قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَائِحِينَ “ : أنه لما نقله الشاعر إلى قوله :  
فَيَلَاثِمِي دَعْنِي أَغَالِي بِقِيَمِي \* قِيَمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَائِحِسُونُهُ

قد زادت ألفاظه وزهبت طلاوته ، وإن كان قد أفرد المعنى في نصف بيت فإنه  
قد احتاج إلى زيادة مثل ألفاظه مرة أخرى توطئة له في صدر البيت ومراجعة  
لإقامة الوزن ، وزاد في قوله فقيمة فاء مستكرهة ثقيلة لاحتاجة إليها وأبدل لفظ أمرئ  
بلفظ الناس ولا شك أن لفظ أمرئ هنا أعذب وألطف ، وغير قوله يُحْسِنُ إلى قوله  
يُحْسِنُونَهُ ، والجمع بين نونين ليس بينهما إلا حرف ساكن غير معتد به مستوحم ، وإذا  
اعتبرت ما قبل من معاني النظم إلى النثر وجدته قد نقصت ألفاظه وزاد حسناً وروفاً  
ألا ترى إلى قول المتنبي يصف بلداً قد علقت القتلى على أسوارها :

وَكأنَّهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ \* وَمن جُثِّثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا نَمَامٌ

كيف نثر الوزير ضياء الدين بن الأثير في قوله يصف بلداً بالوصف المتقدم :  
” وكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائم عزائم ، وعلق عليها من رموس القتلى نمام “  
فإنه قد جاء في غاية الطلاوة خصوصاً مع التورية الواقعة في ذكر الزنائم مع ذكر  
الجنون ، وهذا في النظم والنثر الفائقين ولا عبرة بما عداهما .

وانهيك بالنثر فضيلة أن الله تعالى أنزل به كتابه العزيز ونوره المبين الذي لا يابسه  
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ( ) ولم ينزله على صفة نظم الشعر بل نزهه عنه بقوله  
( وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ) وحزم نظمته على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم  
تشرقاً لمحلّه وتزيهاً لمقامه منها على ذلك بقوله ( وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ )  
وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة ، والصفات

المجاورة للحد، والنعوت الخارجة عن العادة، وقذف المُحصَّات، وشهادة الزور، وقول  
 البهتان، وسبُّ الأعراض، وغير ذلك مما يجب التزُّه عنه لآحاد الناس فكيف بانبي  
 صلى الله عليه وسلم! ولا سيما الشعر الجاهليّ الذي هو أقوى الشعر وأخفله . بخلاف  
 الشعر فإن المقصود الأعظم منه الخطب والترسل، وكلاهما شريف الموضوع حسن  
 التعلق، إذ الخطب كلام مبنّى على حمد الله تعالى وتمجيدِه وتقديسه وتوحيده والثناء  
 عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتذكير والترغيب في الآخرة والترهيد  
 في الدنيا والحض على طلب الثواب، والأمر بالصّلاح والإصلاح، والحث على  
 التعاضد والتعاطف، ورفض التباغض والتقاطع، وطاعة الأئمة، وصلة الرحم، ورعاية  
 الذم . وغير ذلك مما يجرى هذا الجرى مما هو مستحسن شرعاً وعقلاً . وحسبك  
 رتبة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم! والخلفاء الراشدون بعده . والترسل مبنّى  
 على مصالح الأمة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس  
 في مهمات الدين وصالح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم  
 من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأفلام الذين هم  
 أركان الدولة وقواعدها . إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء  
 ولا يأخذها الحصر .

قال في موادّ البيان "وقد أحسّت العرب بانحطاط رتبة الشعر عن الكلام  
 المشهور كما حكى أن أمراً القيس بن خُجرهم أبوه بقتله حين سمعه يترنم في مجلس  
 شرا به بقوله :

اسْقِيَا خَجْرًا عَلَى عِلَّاتِهِ \* مِنْ كُنَيْتٍ لَوْهَا لَوْنُ الْعَلَقِ

وما يروى أن النابغة الجعدي كان سيداً في قومه لا يقطعون أمراً دونَهُ وأَنَّ قول الشعر نقصه وحطَّ رُتبته“ قال: “ولا عبرة بما ذهب إليه بعضهم من تفضيل الشعر على النثر أتباعاً لهواه بدون دليل واضح“

قال في الصناعتين : “ومع ذلك فإن أكل صفات الخطيب والكاظم أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيباً كاتباً“ قال : “والذي قصر بالشعر كثرتُه وتعاطى كل أحد له حتى العامة والسُّفلة ففحقه بالنقص مالحق الشُّطرنج حين تعاطاه كل أحد“. وميأتى الكلام على احتياج الكاتب للشعر في بيان ما يحتاج إليه الكاتب فيما بعد إن شاء الله تعالى !

## الباب الثالث

في صفاتهم وآدابهم، وفيه فصلان

### الفصل الأول

(في صفاتهم، وهي على ضربين)

#### الضرب الأول

(الصفات الواجبة التي لا يسع إهمالها، وهي عشر صفات)

الصفة الأولى، الإسلام - ليؤمن فيما يكتبه ويؤمله، ويؤتى به فيما يدره ويأتيه إذ هو لسان المملكة، المرهبُ للعدو بوقع كلامه، والجادِبُ للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يوثى أحد من أهل الكفر؛ إذ يكون عينا للكفار على المسلمين، ومُطلعا لهم على خفائهم فيصلون به إلى ما لا يمكن استدراكه، وقد قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

أَمْنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۖ وَالْمُرَادُ بِالْبَطَانَةِ فِي الْآيَةِ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَى حَالِ الْمُسْلِمِينَ كَالْأَطْلَاعِ عَلَى مَقْدَارِ خَزَائِنِهِمْ مِنَ الْمَالِ، وَأَعْدَادِ جَيْشِهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ .

قال أبو الفضل الصُّورِيُّ فِي تَذَكُّرِهِ "وإن من الفِطْرَةِ التي جُبِلَ كُلُّ أَحَدٍ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ كُلُّ شَخْصٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَنْ يَرَى رَأْيَهُ وَيَدِينُ دِينَهُ" قال: "وهذا أمرٌ يَجِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ فِي نَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ شَرَطَ بَعْضُهُمْ فِي الْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَذْهَبِ الْمَلِكِ الَّذِي يَتَّخِذُ بِهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونَ مُوَافِقًا لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ".

وَلَمَّا فَتَحَتِ الصَّحَابَةُ (رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم) مِصْرَ، بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِأَمْرِهِ أَنْ لَا يَسْتَعْمَلَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ كَأَفْرَا فَاجَابَهُ عَمْرُو: بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ الْبِلَادِ، وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَقَادِيرِ نَجَاحِهَا، وَقَدْ أَجْتَهَدْتُ فِي نَصْرَانِي عَارِفٍ مَنْسُوبٍ إِلَى أَمَانَةٍ إِلَى حِينٍ مَعْرِفَتَنَا بِهَا فَنَعَزَلَهُ، فَغَضِبَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: كَيْفَ تُؤْمِنُهُمْ وَقَدْ خُونَهُمُ اللَّهُ؟ وَكَيْفَ تُعَزِّهِمْ وَقَدْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ؟ وَكَيْفَ تُقَرِّبُهُمْ وَقَدْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ؟ ثُمَّ تَلَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ "مَاتَ النَّصْرَانِي وَالسَّلَامُ".

وَقَدْ رَوَى أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدَّمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَهُ كَاتِبُ نَصْرَانِي فَأَعْجَبَ عَمْرُ بِخَطِّهِ وَحِسَابِهِ، فَقَالَ عَمْرُ "أَحْضِرْ كَاتِبَكَ لِيَقْرَأَ" فَقَالَ أَبُو مُوسَى "إِنَّهُ نَصْرَانِي لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ" فَزَبَرَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ "لَا تُؤْمِنُوهُمْ، وَقَدْ خُونَهُمُ اللَّهُ، وَلَا تُدْنُوهُمْ، وَقَدْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ، وَلَا تُعَزِّوهُمْ وَقَدْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ".

وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْأَثَمِ: "مَا يَنْبَغِي لِقَاضٍ وَلَا وَاِلٍ أَنْ يَتَّخِذَ كَاتِبًا ذِمِّيًّا، وَلَا يَضَعَ الَّذِي مَوْضِعًا يُفْضَلُ بِهِ مُسْلِمًا. وَيُزَيَّرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ

حاجة إلى غير مسلم . وجزم المساوردى والقاضى أبو الطيب والبنديجى وابن الصبأغ وغيرهم من أصحابنا الشافعية رحمهم الله أنه يشترط فى كاتب القاضى أن يكون مسلماً وهو الأصح الذى عليه الفتيا فى المذهب .

وإذا اشترط الإسلام فى كاتب القاضى والوالى فى كاتب السلطان أولى لعموم النفع والضرر به .

قال أبو الفضل الصورى : " ولا شك أن كاتب الإنشاء من أحوج الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى فى أثناء محاوراته وفصول مكاتباته ، واتمثل بنواحيه وأوامره ، والتدبير لقوارعه وزواجره ، وهو حلية الرسائل وزينة الإنشاءات ، وهو الذى يثبت قوى الكلام ، ويثبت صحته فى الأفهام ، فتى خلت منه كانت عاطلة من المحاسن ، عارية من الفضائل : لأنه الجهة التى لا تُدخَص ، والحقيقة التى لا تُرْفَض ، فإذا كان الكاتب غير مسلم لم يكن لديه من ذلك شئ ، وكانت كتابته مغسولة من أفضل الكلام . وخالية مما يترك به أهل الإيمان والإسلام . ومقصرة عن رتبة الكمال . ومفسوبة إلى العجز والإخلال . فإن تعاطى الكاتب الذمى حفظ شئ منه وكتبه فقد أصبحت حرمة كتاب الله تعالى وأنتهكت ، وأمكن منه من يتخذ هزوا ولعباً والله سبحانه يقول فى كتابه المكنون ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ . فقد صح أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلا مسلم " قال : " ولا يحتاج بالصائى وأنه كتب للطبع والطائع من خلفاء بنى العباس ، ومعز الدولة ، وعز الدولة من ملوك الديلم ، وهما يومئذ عمدة الإسلام وعصدة الخلافة ، وهو على دين الصابئة . فإن الصائى كان من أهل ملّة قليل أهلها ، ليس لهم ذكر ولا مملكة ، وليس منهم محارب لأهل الإسلام ، ولا لهم دولة قائمة فتخشى غائلته وتُخاف عاقبته .

الصفة الثانية، الذكورة - فقد صرح أصحابنا الشافعية، بأنه يُشترط في كاتب القاضي أن يكون ذكراً، وإذا اشترط ذلك في كاتب القاضي ففى كاتب السلطان أولى لما تقدم من عموم النفع والضربه . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال في حق النساء "جَنَّبُوهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَلَا تُسَكِّنُوهُنَّ الْغُرَفَ، وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِنَّ" : "بَلَا : فَإِنَّ نَعْمَ تُضَرِّبِينَ فِي الْمَسْأَلَةِ". ومرت على كرم الله وجهه على رجل يعلم امرأة الخط . فقال "لَا تَزِدِ الشَّرَّ مَرًّا" .

ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال : "أَفَى تُسْقِي سُبْحًا" والله البسامي حيث يقول ! :

مَا لِلنِّسَاءِ وَاللِّجَا \* بِيَّ وَالْعِلَالَةِ وَالْخَطَابَةِ !

هَذَا لَنَا وَلَمْ يَنْسَا أَنْ يَتَنَ عَلَى جَنَابَةِ

فإن قيل : قد كُنَّ جماعة من النساء يكتبن ولم يرد أن أحدا من السلف أنكر عليهن ذلك . فقد روى أبو جعفر النحاس بسنده إلى الحسن أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ! كانت تكتب في مكاتباتها بعد البسملة : من المبرأة عائشة بنت أبي بكر حبيبة حبيب الله . وحكى جعفر بن سعيد أنه ذكر لعمرو بن مسعدة كاتب المأمون توقيعات جعفر بن يحيى فقال : "قرأت لأُم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للعاني" . وذكر محمد بن علي المدائني في كتاب القلم والدواة أن عاملا لربيدة كتب إليها كتابا فوقعت في ظهره "أَنْ أَصْلَحَ كِتَابُكَ وَإِلَّا صَرَفْنَاكَ عَنْ عَمَلِكَ" فتأمل فلم يظهر له فيه شيء، فعرضه على بعض إخوانه فرأى فيه في الدعاء لها وأدام كرامتك، فقال : "لإنها تخيلت أنك دعوت عليها فإن كرامة النساء دَفْنُهُنَّ" فغير ذلك وأعاد الكتاب إليها فقبلته، ومن كان هذا شأنه فكيف يقال انه لم يؤهل للكتابة ؟ .



فالجواب أن حديث عائشة لم يصرح فيه بأنها كتبت بنفسها ولعلها أمرت من يكتب فكتب كذلك بإملائها أو دونه، وإن ثبت ذلك عنها فغيرها لأيقاس عليها، ومن عداها من النساء لاعترة به .

الصفة الثالثة، الجزية - فقد شرطوا في كاتب القاضى أن يكون حرا : لما في العبد من النقص ، فلا يعتمد في كل القضايا ، ولا يؤتى به في كل الأحوال ، فكاتب السلطان كذلك بل أولى كما تقدم .

الصفة الرابعة، التكليف - كما في كاتب القاضى فلا يعمل على الصبي في الكتابة إذ لا وثوق به ولا اعتماد عليه .

الصفة الخامسة، العدالة - فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقا فإنه بمنزلة كبيرة، ورتبة خطيرة، يحكم بها في أرواح الناس وأموالهم : لأنه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتبت شيئا قد علمه أو تأول لفظا بغير معناه أو حذفه عن جهته، أدى ذلك إلى ضرر من لا يستوجب الضرر، ونفع من يجب الإضرار به، وكان قد موه على الملك حتى مدح المذموم وذم المدح . فتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المأثم ويزعه عن احتساب الحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع، وأثر فعله من الأضرار ما لم تؤثره السيوف، والله القائل !

وَلَضَرَّةٌ مِنْ كَاتِبٍ بَنَانِهِ \* أَمْغَى وَأَقْطَعُ مِنْ رَقِيقِ حُسَامِ

قَوْمٌ إِذَا عَزَمُوا عَدَاوَةَ حَاسِدٍ \* سَفَكُوا الدَّمَاءَ بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ

وأیضا فإنه لا يقبل قول الفاسق فيضيع به المصالح ، وربما حمله الفسق وعدم الاكتراث بأمور الدين على وهن يدخله على الدين بقلبه ، أو ضرر يحلله بلسانه .

وأيضاً فالكتابة ولاية شرعية والفاقد لا تصح توليته شيئاً من أمور المسلمين ؛ وقد أطلق القاضي أبو الطيب والماوردي من أصحابنا الشافعية القول باشتراط العدالة في كاتب القاضي فيجب مثله في كاتب السلطان بل أولى على ما تقدم .

الصفة السادسة ، البلاغة - بحيث يكون منها بأعلى رتبة وأسمى منزلة ؛ فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ، ويده التي بها يكتب . ورب كاتب يبلغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكاتب ، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب ؛ وإذا كان جيد الفطنة صائب الرأي حسن الألفاظ ، لتأتي له المعاني الجزلة فيجلوها في الألفاظ السهلة ، ويختصر حيث يكون الاختصار ، ويطيل حيث لا يبعد عن الإطالة بدأً ويتهندفملاً القلوب روعة ، ويشكر فيلني على النفوس مسرة ؛ وإن كتب إلى ملك كبير وذو رتبة خطير عظم مملكة سلطانه ونظمها في معارض كلامه من غير أن يوجد أن ذلك قصده .

الصفة السابعة ، وُفُورُ العقل ، و جزالة الرأي - فإن العقل أس الفضائل وأصل المنافع ؛ ومن لا عقل له لا أنفاج به ، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله ؛ فإذا كان تام العقل كامل الرأي ، وضع الأشياء في مكاتباته وخطاباته في مواضعها ، وأتى بالكلام من وجهه ، وخطب كل أحد عن سلطانه بما يقتضيه الحال التي يكون عليها ؛ فيشتد ما كانت الشدة نافعة ، ويلين حين يكون إلى الآلين محتاجاً . ويوضح من لا يقتضي فعله أكثر من التوبيخ ، ويؤثم من تعدى إلى ما يستوجب الذم ؛ ويأتي بالمكتابات التي يقتضيها اختلاف الأحوال واقعة مواقعها صائبة مرامها .

الصفة الثامنة ، العلم ؛ بؤاد الأحكام الشرعية ، والفنون الأدبية ، وغيرها مما يأتي بيانه - إذ الجاهل لا يميز له بين الحق والباطل ، ولا معرفة ترشده إلى الطرق المعتبرة في الكتابة ؛ ومن سلك طريقاً بغير دليل ضل . أو تمسك بغير أصل زل .

الصفة التاسعة، قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس - فإنه يكتب الملوك عن ملكه . وكل كاتب يجذبه طبعه ويجلبته وخيمته في الكتابة إلى ما ميل إليه ، ومكتبة الملوك أخرج شئ إلى التفضيم والتعظيم ، وذكر التهاويل الرائعة والأشياء المرغبة ، فكلما كان الكاتب أقوى نفسا وأشد عزيمة وأعلى همة ، كان في ذلك أمضى وعليه أقدر ، ومهما قصص في ذلك قصص من كتابته .

الصفة العاشرة، الكفاية لما يتولاه - لأن العاجز يدخل الضرر على المالكه ويوجب الوهن في أمر المسلمين ، وربما عاد عليهم عجزه بالويل ، أو أدى بهم ضيعته إلى الاضطراب والاختلال .

## الضرب الثاني

### ( الصفات الرقيقة )

قال المهذب بن ماتي في كتابه "قوانين الدواوين" : "ينبغي أن يكون الكاتب أدبيا ، حاد الذهن ، قوى النفس ، حاضر الحس ، جيد الحدس ، حلو اللسان ، له براءة يثبت بها الأمور على حكم البديهة ، وفيه تودة يقف بها فيما لا يظهر له على حد الروية ، شريف الآفة ، عظيم النزاهة ، كريم الأخلاق ، مأمون الغائلة ، مؤدب الخدام" .

قال محمد بن إبراهيم الشيباني : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة ، وخفة الهازم ، وكثافة الحمية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشامل ، وخطف الإشارة ، وملاحة الزبي . قال : ومن حاله أيضا أن يكون يهيئ المائس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ، مستقر المركب ،

ولا يكون مع ذلك فَضْفَاصَ الجنة، متفاوت الأجزاء، طويل الهية، عظيم الهامة؛ فإنهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة؛ والله القائل!

وَسَمُولُ كَأَمَّا آعَتَصَرُوهَا \* مِنْ مَعَانِي شَمَائِلِ الْكِتَابِ

وقال أبو الفضل الصوري: <sup>(١)</sup> "يبنى أن يكون الكاتب فصيحاً بليغاً أدبياً، سني الرتبة، قوى اللمعة، شديد المعارضة، حسن الألفاظ؛ له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم المحمود".

"قال المذهب بن ممتي: <sup>(٢)</sup> أما حسن الهيئة فإنه يرجع في ذلك إلى ما يعلبه من حال مخدومه من إشاره إظهار نعمته على من هو في خدمته أو إخفاؤها". قلت: وهذا قد يخالف ما تقدم: من أنه يبنى أن يكون الكاتب بهي الملبس. وبالجملة فصاحة اللسان، وقوة البيان، والتقدم في صناعة الكتابة هو الذي يرفع الرجل وبعظمته دون أثوابه البهية، وهيئة الزاهية. بل ربما كان التعظيم في الفضل لرتب الحالة المنحط الجانب أكثر، وترجيحه على غيره أقرب.

وقد قال سهل بن هرون كاتب المأمون، وهو من أئمة هذه الصناعة: "ولو أن رجلين خطباً أو تمحدثاً أو أحصياً أو وصفاً وكان أحدهما جميلاً بهياً، ولبأساً نبيلاً، وإذا حسب شريف؛ وكان الآخر قليلاً قبيحاً، وباذاً الهيئة دميماً، <sup>(٣)</sup> وخامل الذكر مجهولاً، ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي ترتيب واحد من الصواب، لتصدع عنهما الجمع وعاشمهم يقضى للقليل الدميم على النبل الجسم، وللباذ الهيئة على ذى الهيئة؛ ويشغلهم التعجب منه عن مناوأة صاحبه، ولصار التعجب على مساواته له سبباً للتعجب به، والإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه. لأن النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أياس، ومن حسده أبعد؛ فلما ظهر منه خلاف ماقدروه وتضاعف

(١) في الأصل المعارضة وهو تصحيح من النسخ.

(٢) هو نيل من دم الرجل بأمال الدال بمعنى قبح منظره وإعجابه في الأصول تصحيح فتنه.

حُسْنُ كلامه في صدورهم كبر في عيونهم : لأن الشيء من غير معدنه أغرب ؛ ولما كان أبعد في الوهم كان أطرف ؛ وكلما كان أطرف كان أعجب ؛ وكلما كان أعجب كان أبعد ؛ وإمعان ذلك كنوادر الصبيان ومناجح المجانين ؛ فإن استغراب السامعين لذلك أعجب ، وتعجبهم منه أكثر . قال : « والناس بموكلون بتعظيم الغريب واستظراف البديع ، وليس لهم في الموجود الراهن ولا فيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذى معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ ؛ وعلى هذا السبيل يستظرفون القادم إليهم ، ويرسلون إلى النازح عنهم ، ويتركون من هو أعم نفعا ، وأكثر في وجوه العلم تصرفا ، وأخف مؤنة وأكثر فائدة » .

## الفصل الثاني

( في آداب الكتاب ، وهى على نوعين )

### النوع الأول

حُسْنُ السيرة وشرف المذهب ؛ ولذلك شروط ولوازم

منها اعتماد تقوى الله تعالى في الأسرار والإعلان ، والإظهار والإبطان ، والمحافظة عليها ، والاستناد إليها في مبادئ الأمور وعواقبها . فإنها العروة التى لا تنقسم ، والحبل الذى لا ينصرف ، والركن الذى لا ينهدم ، والطريق التى من سلكها آهتدى ، ومن حاد عنها ضلّ وتردى ؛ والمحافظة على شرايع الدين التى فرضها الله تعالى على خلقه ، والحذر من الاستخفاف فيها بحقه ، وتوقى غضبه بتأديتها ، والاستجنان من شقاء الدنيا والآخرة بتوقيها <sup>(١)</sup> .

(١) كذا في الأصول من الرواية ولعله بتوقيتها من الوفاء تأمل .

ومنها طلب الأجر بما يُنبئه من عز سلطانه ويُجديه من فواضل نعمائه ؛ وهذا هو أصح الأغراض التي يجب على كل عاقل أن يقدمه على كل غرض ، ويحصل منه على السهم الوافر ؛ فلا خير في دنيا تنقطع السعادة عنها ، وإنما السعادة بعد الموت ﴿ وَالْآثَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ ؛ ومن أختار الفاني المنصرم على الباقي الدائم ، فقد خسرته صفقته ، وبارت تجارتها .

والطريق الموصّل إلى هذا المقصد صلاح النية فيما يتولاه من أمور السلطان ، وقصد النفع العام له ولرعيته ، والاجتهاد في إغاثة الملهوف ، والأخذ بيد الضعيف ، والنفع بجاهه عند سلطانه ، وحمله على العدل في الرعية ، فإذا توثق ذلك فاز بثواب الله تعالى ، وقضى حق السلطان فيما عرضه له من الشكر والأجر ، وقابل نعمة الله التي أقره بها على هذه الأفعال الجميلة بما يرتبطها عنده ويستقر بها لديه .

ومنها : بجانب الرب والتزّه عنها ، والطهارة منها . فانها تُسخط الله تعالى ، وتذهب بمهابة المرء ، وتُسقطه من العيون والقلوب . وأحقّ من راعى ذلك من نفسه من أين أتباع السلطان أهل هذه الصناعة لأختصاصهم به ، ولطف منزلتهم عنده . إذ المشهور عند قلة الآثار أن الذين تقدّموا من صدورهم ومشايخها كانوا من جلة العلماء ، وسادة الفقهاء ، وأفاضل أهل الورع ، المبرزين من الدّس والطمع ، المميزين على القضاة والحكّام ، في الاستقلال بعلوم الإسلام ، المتميزين عنهم بفضل الآداب ، ورواية الأشعار ، والعلم بالأيام والسير ، والكرتياض بأداب الملوك وعشرتهم ورسوم محبتهم ، وغير ذلك مما ينظم في صناعتهم . فقد ساروهم في علم الدّين ، وفاقوهم فيما تقدّم ذكره مما لا يشاركونهم فيه . والسلطان والدّين قرينان لا يفترقان . وعونان على صلاح البلاد والعباد ، فلا يحتمل السلطان ما ينكره الدّين لأنه تابعه ورديفه .

(١) أي الثواب ولعله مصحف عن الآخرة كما يدل عليه السياق .

ومنها : لزوم العَفَاف والصَّيَانَةِ فيما يتولاه للسلطان من أعماله ، ويتصرف فيه من أشغاله ، والتعفف عن المطامع الذميمة ، والمطاعم الوخيمة ، والترفع عن المكاسب اللثيمة ؛ فإن ذلك يجمع القُرْبَةَ إلى الله تعالى والخُطُوَّةَ عند السلطان ، وجيَلُ السيرة عند الرعية - حتى إن هذه الطريقة قد تقدم بها عند السلطان المتخلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا على مَنْ لا يثابرونه في غَسَاء ولا كفاية ، وحصلوا على الأحوال السلية ، والمنازل العلية ؛ وقرب بها مَنْ كان بعيدا على مَنْ كان قريبا ، ومن لا مكانة له ولا حرمة على مَنْ له مكانة وحرمة ، وأستدنى لأجلها مَنْ لا يترشح لخدمة السلطان . ثم الذى يلزمه أن يعتمد التسك بالصيانة والعَفَاف الذى عليه نظام معيشتة ، والأرتفاق فيما يحل ويطيب له من جاه خدمته - فإنه قد قيل " الزم الصحة يلزمك العمل " .<sup>(١)</sup>

لأنه يمتنع من المنافع التى تصل إليه من أطيب المكاسب ، وتسلم من تبعات العاجل والآجل ، وتخلص من قبيح الأحداث ، وإطلاق ألسن الحسدة بالظن والتأليب ، وينال بجاه السلطان ونفوذ الأمر من غير خيانة للوثيق ولا اشتكاك للرعية - فإنه لولا هذه المنافع لغنى الانسان بالقنابة ، ورضى بالكفَاف ، وسلم من المخاطرة بدينه ودنياه فى سلامة السلطان . اذ لا يجوز أن يستفرغ وسعه ويعرض نفسه للخطر فيما لا تحسن له عائده ، ولا تخلص منه فائدة ، فى جاه ولا مال . وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة فى سائر الدول وما حصلوه من الذخائر وأقتنوه من الثغنيات النفيسة ، التى أقدرتهم على إظهار مروءاتهم ، واغناذ صنائع عند الأحرار ، وحراسة النعم على الدوائر والأعقاب . وإنما حصلوا على ذلك من حيث معرفتهم بوجوه المكاسب ، وأبواب المرافق ، لامن الخيانة وذميمة الطاعم - لأنهم كانوا فى أزمنة لا يفضى فيها عن متكسب من رشوة ولا مصانعة ولا اغتصاب ولا سبب من أسباب الظلم وإن جلت منزلته وعظمت مرتبته .

(١) هكذا بالأصل . (٢) لعله على الذرارى تأمل . (٣) لعله الطمع .

ومنها طلب الثناء والحمد وهو من أفضل المقاصد السنية وأعلىها رتبة - لأنه يتلو الأجر في البقاء والدوام ، وكلما كانت المهمة أعظم وأشرف ، كانت إليه أرغَبَ وبه أَكْثَفَ . ولفضل هذا رغب فيه الأشراف وعِلية الناس حتى قال الخليل عليه السلام ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ . وأولى الناس باقتناء ذخائر الحمد وأفراض فرض الشكر من عرض الله تعالى جباه ، وطول يده ، وأمضى عند السلطان لسانه ، فينبغي أن يختار هذه المَكْرُمة ، ويقوم بالنصيب الأوفر منها ، ولا يَتَّكِلَ بجاهه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا ذى رَحِمٍ وَذِمَامٍ ، ولا يُضَجِّع في أمر بطانته وحاشيته وأصحابه ، ولا يَصْبِقُ عليهم مع مَعَتَه ، ولا يَقْصُرُ بهم في كِفَايَتِهِ ، ويجعل آكتسابها بجاهه وماله دون أموال سلطانه - فإن كثيرا من المتصرفين بذلوا ما أُوْتِئِمُّنَا عليه في هذا الغرض ورضوا به أهل الشفاعات والرسائل ، فأعقبهم ذلك زوال النعم ، وسقوط الرتبة وَذَهَابَ المال ، والوسم يسمم الخيانة والبوار إلى الأبد . ولا يبلغ في آتِئَاءِ المعالي واقتناء المحامد وبذل الرغائب وارتفاع المهم ، فإن ذلك مما يختص بالملك ولا ينبغي لأحد من أتباعهم من كاتب ولا غيره الإقدام عليه مُفَاعِرًا ولا مُكَاثِرًا ولا مَقَاسِيًا ، فيكون قد عَدَا طَوْرَهُ ، وأضل رُشْدَهُ ، وتعزَّضَ للعطب مع سلطانه ، وأوجد الطريق إلى سُوءِ الظن به ، وفوق سهام الحَسَدَةِ إليه ، وأطلق ألسنتهم بالطعن عليه ؛ وربما أدَّى به ذلك إلى سقوط المترلة ان ساهمت نفسه .

ومنها الاقتصاد في طلب اللذة ، والاقتصار من ذلك على ما يقيم المروءة من أفضل الأخلاق وأشرفها : بأن يكون تناولهم ما يتناولونه من ذلك بسلوك طريقة محمودة يظهر فيها أثر التدبير السديد والرأى الأصيل ، من غير خروج إلى الإقبال على اللذات . والانهماك في الشهوات . فان ذلك غير مستحسن للملك ولا سُوءة لأنه جالب للاسقام ، قاطع عن الأمور المهمة التي يجب صرف العناية إليها في صلاح المعاش



وأمر الآخرة ؛ ولكن لا يكلف ترك اللذات جملة - إذ لا بد لكل أحد من ذوى  
الرتبة العلية من الأخذ بنصيب منها، لما جُبلت عليه الطباع من الميل إليها والرغبة  
في الاستمتاع بالنعم والملاذ ولكل منها حظ يضاهى رتبته .

وأهل هذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم في آدابهم لا غنى بهم  
عما يقيم مروءاتهم من اللذات المشابهة لأقدارهم ومواضعهم من السلطان .

### النوع الثانى

حُسن العشرة - التى هى من أفضل الخلائق الموجودة فى الفرائض طبعاً والحاصلة  
بالتخلق بنكسها وتطبعها، وأعوذها لمصالح الحياة والمعاش ومحبة الخاصة والعامة وحصول  
الثناء والشكر والمودة من الأفاضل الأخيار، وكفاية الأراذل الأشرار، وإن لم يلتزمها  
الكتاب طوعاً حمل عليها كرها .

وأعلم أن أدب المعاشرة على خمسة أضرب .

### الضرب الأول

#### عشرة الملوك والعظماء

قال على بن خلف : ولا يقوم بأدائها وأكل رسومها إلا مَنْ مَلَتْ فى الأدب درجته،  
وسمَتْ فى رِجَاحَةِ العقل منزله ، وتميَّزَ بغرزة فاضلة وأدب مكسَّب ، وصَبَرَ على  
المشاوِى فى التحلَّى بالهمم الشريفة، والسمو إلى المنازل اللطيفة، من عز السلطان ومساعدة  
الزمان، وتمكَّن من تصريف النَّفْسَيْنِ الحيوانية والشهوانية على أغراض الناطقية  
ومطاوعتها، وأخذَهما بقبول ما تُرشِدُ اليه وتبعث عليه لأنَّ هجة السلطان أمر عظيم  
وصاحبة راكب خَطَرٍ جسيم ، بتلكه نفسه لمُتَحَكِّم فى شعوره وبشوره، قادر على نفعه

وَضُرّه ؛ لا يردّه عن مقابلته على يسير الخيانة بكبير النكّاية إلا ما يؤمل من صَفْحه  
ومساحته ، ويرجو من عَطْفه ورأفته . وأوّل ما يجب على المتصل بخدمة السلطان  
النظرُ في عواقب أموره ، وحفظ نفسه من جَريرة يُحْزرها عليها باغفاله فرضا من فروض  
طاعته ، وتضييعه المحافظة على حقوق خدمته ، والعلم بأن لكل مصحوب خُلُقاً يغلب  
عليه ، ويرجع بغيره الطبع اليه ، لا يمكنه التروّع عنه ولا المفارقة له ؛ إذ الانتقال عن  
الطّباع ، شديد الامتناع ، في الخدم والإتباع ؛ فكيف الملوك والرؤساء الذين لا يقابلون  
بلوم على خُلُق مذموم ؛ بل العادة جارية في أدب خدمتهم بأن يصوّبوا ما يركبونه  
من خطأ ويَحْسِنُوا ما يواقعونه من قبيح . فعليه أن ينزل عن أخلاقه لأخلاق سلطانه ،  
وما خالف بصحيته في إصلاح زمانه ؛ وأن ينزل عن هواه لهواه ، ويتّبع فيما يسخطه  
وبإباه ، ما يؤثّر سلطانه ويرضاه . وينبغي أن لا يعترض نفسه لما يسقط منزلته  
ويُفسد عاقبته ولا يوجد للزمن طريقاً إلى التكرّ له ، ويُعيّنه بتفوق سهامه والتصدّي  
لمواقعها . وقد علم أن الزمان وإن عمّ بنوائبه فإنه يخصّ صاحب السلطان منها بما  
يزيد على نصيب غيره . ومن أشقّ الأحوال أن يدفع الإنسان إلى تغيير السلطان مع  
كون السبب في ذلك شيئاً جزه إلى نفسه بسوء اختياره ، لما يجتمع عليه في ذلك  
من مرارة النكبة ، وحرارة المغبة ، وتقرّيع من يُزرى على عقله ، ويؤنّب بهجه .

ثم انه يلزمه بعد الاحتياط فيما تقدّم عدّة خصال أيضا .

منها الإخلاص وهو قوام الأمر في المصاحبة ؛ فإنّ من صحّب سلطانا بعقيدة  
مذخولة في ولايته ، مشوبة في محبته . لم يلتزم له ولا لسلطانه أمر : لأن الضمائر  
المذوقة<sup>(١)</sup> والنيات السقيمة لا بد أن يصرّح بما فيها ويظهر ما في دخليتها ؛ وإذا آتضح  
ذلك للسلطان لم يقنع إلا بإتلاف نفسه ، وإذهاب مهجته .

(١) لعله المذوقة . أى صر الخالصة من قولهم مذق فلان الودة إذا لم يخلصه . تأمل

ومنها النصيحة، وهى رتب الإخلاص . والطريق الموصل إلى التوفية بها أن يُطلع السلطان بكل ما يفتقر إلى العلم به من خاصّ أموره وعامّها، وعلى من استخلصه السلطان نفسه، وأتمته على رعيته، وأنطقه بلسانه، وأخذ وأعطى بيده، وأورد وأصدر برأيه، وتخيّره لهذه المنزلة من بين رؤساء دولته وأعيان مملكته : أن لا يستتر عنه دقيقاً ولا جليلاً من أحوال مافوضه إليه، ولا يقف عن إنهاء تفاصيله وجملة توقيف من لوم لا تهم، ولا يحله فرط النصح له على الإضرار برعيته، ولا الرغبة في إثبات حقه على تضييع حقوقها، ولا القيام بما يجب له دون ما يجب لها - فإنها به وهوبها .

ومنها الاجتهاد فيما يباشره من أحوال سلطانه بما يعود عليه نفعه بحيث لا يبقى في ذلك ممكناً، ولا يدع فيه شأواً للاحق .

ومنها كتمان السر . وهو من أفضل الآداب في محبة السلطان وغيره، وأعوذها بالصلاح على صاحبها : لأن كثرة الانتشار الداخل على الدول إنما توجه بتفريط بطائنها وصاحبها في أسرارها، وإظهارهم بما تهتز في أذهان الملوك وعزائمهم قبل أن يظهروه؛ فيجد العدو بذلك الطريق إلى معالجة آرائهم بما ينقضها، ومقابلتها بما يُفسدها . على أن إفساء السر من الأخلاق التي طبع أكثر الناس عليها، وحيل بينهم وبين الإقلاع عنها؛ فمن علم من نفسه ذلك فليحتذر معاملة السلطان في أسرارهِ وبواطنِ أموره، ولا سيما ما وجد منها في باب حروبه ومكايده، فإنه إن ظهر منه على خيانة في السر، عرض نفسه للهلكة .

ومنها الشكر فإنه وإن كان واجبا على الإنسان مع أكتفائه ونظرائه فإنه مع السلطان الذى يستظل بظله، ويستتر أخلاف فضله أوجب . إذ المرء قد يقدر على مكافأة عارفة صديقه بما يُضاهيها ويزيد عليها، ولا يقدر على مكافأة سلطانه إلا

بشكر نعمته، والحفاظ على حقوق خدمته . ثم الشكر بالقول يرتفع بين الرئيس والمرموس، والخدام والمخدوم، إلا اليسير الذي يقضى به حق الخدمة : لأن الإكثار منه داخل في حكم الملق والتثقل، وإنما يظهر شكر الخادم من أفعاله .

ومنها الوفاء . وهو من أهم الخصال اللازمة وأكدها، إذ هو الطريق إلى صلاح العباد وعمارة البلاد؛ بل هو رأس مال الكاتب وربحه ودوام عمله، والسبب الذي لأجله ترغب السلطين في صحبته : لأنهم ما برحوا يقربون صاحب هذه الخصلة ويرونه أهلا للاختصاص، موضعاً للثقة؛ ولا أسوأ حالاً من نزل هذه المنزلة وهو بخلافها .

ثم الوفاء يكون بإظهار النصيحة، وبذل الاجتهاد، وقصد المخالصة، ومقابلة كل نعمة تقاض عليه بالثمنه فيما استند اليه : <sup>(١)</sup> ليدعو ذلك سلطانه إلى رب النعمة <sup>(٢)</sup> لديه، وإقرارها عليه .

ومن شروط الوفاء أن يلتزم صاحبه لسلطانه، في حال سعادته، وإقبال دولته، وفي حال توليها عنه وعطئته . أما في حال إقبال الدولة عليه فإن يصحبه بقلبه دون بدنه ولا يتطلب صاحباً غيره ينتقل إلى صحبته، ويستبدل بخدمته من خدمته؛ ولا يتحدث نفسه بأنه متى وجد أنفع منه عدل إليه؛ ولا أن يرتب له جهة أخرى يعملها مقدمة لأمر بترقبه : لما في ذلك كله من الخروج عن حد الإخلاص المقدم وجوبه . وأما في حال أنصراف الدولة عن صاحبه، فإنه لا يباينه مباينة المساعد للزمان عليه، الموافق للقادر فيه، ولا يخونونه عند حاجته إليه، ولا يضيع حقوقه عنده وصانعه لديه؛ ولا ينحاز بكليته إلى من أقبلت أمور السلطان عليه؛ فإن ذلك

(١) في الضوء . استند . وهي أوضح .

(٢) أى زيادة النعمة .

مما يدل على حُبِّ السجِّة ومقابلتها على الإحسان بالإساءة، واستعمال العقوق، وأطراح الحقوق .

ومنها : مجانبة الإدلال إذ الدالة على السلطان والرئيس من أعظم مصارع التلّف ، وأقرب الأشياء إلى زوال النعم ، ولأجلها هلك مَنْ هلك من بطانة السلطان وخاصته ووزرائه ، وفي قصصهم عبرة لمن أنعم النظر في تأملها . وعليه أن يعول في الاعتداد بحسبته ونصائحه له على آشتارها وظهورها ، ولا يفيض في تعديدها وذكرها ، ولا يواصل الثقل بأغراضه والإلحاف بأسئلته ، ولا يظهر التشجّب عند التقصير به ، ولا الغضب اتكالا على سالف خدمة ، وقليل حمية ؛ وأن يتناسى ما أسلفه من الخدمة والصحبة ، ويكون في كل حال عارفا بعوارفه ، معتادا بفواضله ، موجبا الفروض له لاطليه ، فإن السلطان مجبول على أنفة النفس وعزّيتها ، ولا يحتمل التنازل لأحد : لتزليه الكلّ منازل الخدم والأرقاء ، واعتقاده أنه سبب النعمة السابغة على الكافة ، وحقه بوجود العوض عمن يفقده من الأعوان والأصحاب ، ومتابعة الناس على خدمته والانتساب إلى متابعتهم لما يصلون إليه من الخطوة ، وينالونه من الجاه والثروة . وإن كان في باطن حاله على خلاف ما يؤثر ، أظهر الشكر والاعتداد وتلطّف في بلوغ الغرض بأحسن تعريض ، ولم يطلق قلبه كتابا ، ولا لسانه مخاطبا ؛ فإن ذلك إضرار على همة المصحوب ، ودلالة على إخلاله بتفقد صاحب ، لكن يذكر النعمة وسُبُوغها ، والمِنَّة وشيوعها ، ويسأل الزيادة فيها ومضاعفتها ، فإن ذلك يفضي ببلوغ آماله ، وسداد أموره ، وسهولة مطالبه . وإذا زاده السلطان رِفعة وتشريفا أزداد له تعظيما وتوقيرا . وإذا بسط يديه أن ينقبض عن كل ما يشينه ، وإذا خصّه بأثرة وتقريب أن يزيد الخاصّة والعامة بشرا وإنسا ، وإن آتهم بهقوة لم يته في إقامة العُدْر والاحتجاج على براءة الساحة إلى الغاية القصوى . بل يتوسط في ذلك ويسأل

(١) من حُسن الصّبح والإقالة وجَميل التّعُدِّ والعفو ما يجعل للإحسان وجهًا ، ولتَعقُّبه للسخَط سببًا . فإنه إذا صدع بالجمّة في براءة السّاحة ، فلا وجه لمعذرتة وفيه تكذيب لرئيسه ، وربما أدّى إلى فساد ومُفارقة .

ومنها : التمسك بأداب الخدمة بالمواظبة عليها ، وصرف الأهتمام إليها ، إذ هي أعظم الذرائع إلى نيل الرتب وبلوغ المآرب ، والسبب الذي يقترب البُعْداء ، ويرفعهم على أهل الوسائل والحُرَم ، وذوى المَوَات<sup>(٢)</sup> والخَلَم ؛ ويُعيى عن كل شَيْن ، ويُصم عن كل طعن . وما نال أحد عند السلطان مرتبةً إلا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجِبها . وأولى الناس بلزوم السلطان كُتّابُه الذين لا غنى به عن حضورهم ، في ليله ونهاره ، وأحيان شغله وفراغه : لأنه ربما بدّعه ما يحتاج إلى استكفائه إياه وإسناده إليه ، وإن تأخر عنه في تلك الحال استدعى من موجدته واستجّر من لائمه مالا يُزيله المعذرة إلا في المدة الطويلة . وربما اضطُرَّ لغيّته إلى إحضار من يستكفيه . أعرض له وأدّى ذلك إلى أصطناعه وتصويره في مقامه وإن كان لا يساويه في فضل ولا علم ولا غناء ، بخلاف ما إذا وجده مُسارعا إلى أمثله ؛ فإن ذلك يزيد في حُظوته ، ويدعو إلى استخلاص موَدّته .

فيجب عليه أن يخصّ سلاطانه من زمانه بالقسم الأوفى ، والنصيب الأغزر ، ولا يُؤثر نيل لذة عليه ، ولا بلوغ وطَر إذا أدّى إلى تنكّره ؛ فإن استطاع أن يوافقه على وقت يرضه له يتمكن فيه من بلوغ أوطاره ، والوصول إلى مقاصده ، كان أحمدَ لما قبلته ، وأبلغَ لقصده ، وأحسَمَ لأسباب اللائمة في غيِّته . ولا ينهمك في الملاذّ أنهماك الآمن

(١) التّعُدُّ السر من قوم تَعُدُّه الله رحمه أي ستره .

(٢) جمع مائة . وهي الحرمة والوسيلة .

بل يقف عند الحد الذي يُبقى فيه فضلةً لموارض السلطان ومُهماته الحادثة في آناء الليل، وساعات النهار . فإن تعبه في صلاح زمانه وراحة سلطانه مستثنى لنعمته، مستدج لزيادته . ولا يشتغل بكبير الأمور عن صغيرها ، ولا يتهج بما أصلحه منها حتى ينظر في عواقبه ، ويسوس ماردً إليه بالسياسة الفاضلة : فليّن في غير ضعف ، ويشد في غير عنف ، وبغفو عن غير خور ، ويسطو من غير جور ، ويقرب غير تده ، ويبعد غير نكر ، ويخص في غير مجازاة ، ويؤم في غير تضجيع ، فلا يسقى به المحق وإن كان عدواً ، ولا يسعد به وإن كان ولياً .

ومنها : إذا حضر بين يدي سلطانه أو رئيسه في المجالس الخاص أو العام أن يعتمد مقابلته بالإجلال والإعظام ، والتوقير والإكرام ؛ ولا يجعله تأكيد الخدمة وتطاؤل الصبغة على إهمال ذلك بل يحفظ رسمه ، ولا يغير عادته .

ومنها : أن يتخير لخطابه في الأغراض والأوطار أوقاتاً يعلم خلق سره فيها ، وفراغ باله ، وأنشراح صدره ، وارتفاع الأفكار عن خاطره : إلا إن كان ما يخاطبه فيه أمراً عائداً بانتظام سلطانه ، واستقامة زمانه ، داخلاً في مهمات أعماله التي متى أنجزها نُسب إلى التقصير ؛ فيقدم الكلام فيها خف أو قل . وإذا خاطبه رئيسه من سلطان أو غيره في أمر من الأمور ، فعليه أن يرعي عينه ، وينصت إليه سمعه ، ويشغل به فكره ، ولا يستعمله فيما يعوقه عنه حتى يستوعب ما يليقه إليه ، ويحجبه عنه أحسن الجواب . ولا يلتفت في حال إقباله عليه إلى غيره ، ولا يصغى إلى كلام متكلم ، ولا حديث متحدث ، حتى لو امتدحت باستعادة ما فاضله فيه وجده قد أحرز جميعه ؛ فإن التقصير في ذلك مما ينكره الملوك والرؤساء ، ويستدلون به على ضعف المخاطب . وإن كان فيما خاطبه فيه أمر يحتمل التأخير بادر بالاعتذار عنه : لئلا ينسب إلى التقصير بتأخيره عند الكشف عنه ؛ وإن كان فيه ما يخالف الصواب

أمضاه ؛ وإن تعذر السبيل إلى فعله لم يظهر التقاعس عنه لخطئته ، بل يقابله بالاستصواب . ثم يتلطف في تعريضه مكان الخطأ فيها وآه .

ومنها : أن يجرى في الحال في مجالسه على ما يعود بوقائه وإرادته : فإن مال إلى الانبساط أطلق عِناقه فيه إطلاق المتجنب للهجر والفحش ، ورفّت القول تابعا لإيثاره ، قاضيا لأوطاره . وإن أظهر الانقباض ذهب منهبة في ذلك ، ولا ينبغي أن يخالفه في حال من أحواله ؛ فإن من شروط هذه الخدمة أن يتصرف صاحبها في كل ما يصرف فيه ، ويسرع الانقياد إلى كل ما يدعى إليه ؛ ولا يكثر من الدماء لرئيسه والثناء عليه والشكر على ما يولييه من العوارف فإن مثل ذلك يستنقل .

ومنها : أن لا يحضر سلطانه في ملابسه التي جرت العادة أن ينفرد بها كالوشى ونحوه ؛ إلا أن يكون هو الذي يشرفه بها ، وأن يقتصد في لباسه : فيحفظ عما يليه سلطانه ويرتفع عما يليه السوق ، ويصرف عنايته إلى التنظيف والتعطر ، وقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره ، حتى لا تقع عين رئيسه على دَنَس في أثوابه ، ولا يجمد منه كراهية رائحة في حال دتوه منه ؛ ويواصل استعمال الطيب والبخور الفائق والتضمخ بالمسك ؛ فإن الملوك ترى أن من أخفل تعهد نفسه كان لغيرها أشد إغفالا .

ومنها : أن يتجنب التفاسيح والتعمق في مخاطبة رئيسه ، والاكتغار عليه بالبلاغة والبيان ؛ لما في ذلك من الترفع عليه في الكلام . بل يجعل ما يليه إليه ضمن ألفاظ تدل على معانيها بسهولة مع غَض من صوته ، وخفيض من طَرَفه ، وسكون من أعضائه ؛ لأنه انما يتسامح بالإتيان بالفصاحة والذهب بمنزلة الجزالة للخطباء الذين يُثْنون على الملوك في المواقف العامة ضرورة احتياجهم إلى استعمال ألفاظ تقع في الإسماع أحسن المواقع .



ومنها : أنه إذا تميز عند رئيسه وأرتفعت رتبته لديه أن يحجل القول في خاصته وعامته ،  
ويمحسن الوساطة لحاشيته ورعيته ، ويتجنب القدح عنده في أكفائه ونظرائه من  
بطائنه ، والمقرئين من حضرته ، ليكون ذلك داعيا إلى محبته والثناء عليه مكافأة له  
ولإمسك الألسن عن الطعن فيه .

ومنها : أن يبادر إلى المشورة عليه بالصواب فيما يستشير فيه ، ويورده إيراد  
مستفيد لا مفيد ، ومتعلم لاملع ، ويتلطف في أن يوقعه من نفسه موقعا يدعو إلى  
العمل به . فإن من عادة الملوك والرؤساء الأئمة من الانقياد إلى ما يتحمله غيرهم من  
الآراء ولو كانت صائبة ، وإن تمكن من صياغة حديث يودعه فيه فعل مخدعة بذلك  
لنفسه الأيية وعزته المتقاسمة .

### الضرب الثاني

#### آداب عشرة الإكفاء والنظراء

قال علي بن خلف : ولا شك أن طريقة الاعتدال في ذلك الموافقة في الإخاء ،  
والمساواة في الصفاء ، ومقابلة كل حالة بما يضيها . أما المسامحة بالحقوق والإغضاء  
عن قصر ، والمحافظة على ود من فرط ، فلا خلاف في فضله والتمتع بمثله ، لاسيما  
لمثل أهل هذه الصناعة التي يرتفع حق الاعتزاء إليها عن حقوق القرابات الدانية ،  
والأنساب الراضية . ولذلك وقع في كلام بعضهم « الكتابة نَسَب » . قال علي  
ابن خلف : والمعنى فيه أن التماسب الحاصل بين أهلها تناسب نفساني لا جسماني ،  
يحصل عن تناسب الصور القائمة في نفوسهم بالقوة ، وعن تناسبها بعد خروجها  
وظهورها من القوة إلى الفعل ، بدليل ما نراه من اتفاق خواطرها على كثير من  
المعاني التي يستنبطونها ، وتواردهم فيها . ولولا تناسب الفرائز وتشابها ، لم يكن  
أن يتواطأوا في أكثر الأحوال على معاني متكافئة متوافية .

قال: "وإذا كنا نحفظ مَنْ مَتَّ إلينا بالأنساب الجِسميَّة التي لا تعارف بينها فأولُّ أن نحفظ مَنْ مَتَّ إلينا بالأنساب النفسانية التي يصح منها التعارف . ولذلك قال الحسن بن وهب: «الكتابة نفسٌ واحدة تجزأت في أبدان متفرقة» . وقال: لآخرة بما يقع بين بعضهم من التافر والتباين ، لأن المناسبة إنما تقع عند المساواة . أما من وقع دون رتبة الآخر من الفضيلة فليس بمناسب له فيصيرُ القاصر حاسدا لمن فوقه ، للتقصير الذي فيه " .

وبكل حال فإنه يجب عليه أن يعرف لأكفائه حقهم ، ويحفظ مناسبتهم ، ويتوَّخى مساهمتهم ، ويتلقاهم بالإكرام والتميز ، ويجعلهم في أعلى المراتب عنده ، ويزيدهم على الإنصاف ولا يقصرهم عما يستوجبونه ويستحقونه ، ويتخول بمثل ذلك نظراء في الرياسة من غير الكُتَّاب . وإن تعذر عليه الوصول إلى ملتمسهم أطاب قلوبهم بالوعد الجميل في المستقبل ، وأجتهد في الوفاء به .

### الضرب الثالث

#### (١) آداب عشرة الأتباع

قال علي بن خلف: وهي لاحقة بعشرة الأكفاء: لأن الذين يستعين بهم الكاتب يُدْعَوْنَ كُتَّاباً ولا يُدْعَوْنَ أَعْوَاناً ، وإنما الأعوانُ خُدَّامُ الشرطة ومن يجري مجراهم . قال: "وهم وإن كانوا أصحاب الكاتب ومرؤوسيه وأتباعه ، فاسم الكتابة يجمع بينه وبينهم ، ومعاشرتهم داخلة في باب التكرم ، والتفضيل ، والاستئثار بحاسن الأفعال ومكارم الشيم" .

ثم قال بعد ذلك: "وينبغي أن يخصَّصهم بالنصيب الأوفر ، من إكرامه ، والقسم الأغزر ، من ملاحظته وأهتمامه ، ويفرض لهم من التقديم والاختصاص وتفقد

الأحوال والشئون ، والذي ينتهى إليه أمل المرعوس من الرئيس : ليجعل خدمتهم له بذلك خدمة مِقة ومودة ، لخدمة خوف ورهبة ؛ وأن يحب خدمته إليهم بترك مناقشتهم ، والتصديق عليهم ؛ وإنالهم من الترفيه فى بعض الأوقات ما يجدون به السبيل إلى الأخذ بنصيب من لذاتهم وأوطارهم التى تميل النفوس إليها ، وتنافت عليها ؛ فإنهم متى لحقهم التعب والنصب ، أعترضهم الضجر والملل ، فقصرُوا فى الأعمال ، وتهاونوا بالأشغال ؛ فلا بد لهم من راحة تصفو بها أذهانهم ويزل عنها الكلال ، ولا يفسح لهم فى « واصله الراحة والإخلال بما يلزمهم ؛ لأن ذلك يحمل على سوء العادة وقبح المذهب . وعليه أن يحفظ لهم حقوق الصحة والخدمة ويوجههم من الإغانة ما فيه صلاح حالهم ؛ فإنه يستعبدُهم بذلك ويستخلص موتهم إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها » .

### الضرب الرابع

#### آداب عشرة الرعية

قال ابن خلف : " وهو أمر عظيم النفع ، جسيم العائدة ، قاض بالسلامة . إذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له ، وفورهم عنه ، وإن هلت عند السلطان رتبته ، وارتفعت طبقته ، وظن بنفسه الاستغناء عنهم " . قال : " فينبغى أن يوفر العناية على استصلاحهم له ، واستمالة أهوائهم إليه ، ولين الجانب ، ووطأة الكنف <sup>(١)</sup> ، وخفض الجناح ، والبسط والإيناس وتأليفهم : كما يوفرها على استصلاح السلطان وسياسته ، لتصح له رتبة التوسط بين الطبقتين ، ويسلم من طعن الطاعن ، ولوم اللائم ، ويرأ من البغض والشحناء ، وينقلهم عما تسرع إليه الطباع الرديئة :

(١) أى دماثة الأخلاق كما يؤخذ من القاموس .

من الحسد والإيذاء إلى التألف والمودة. وقد أذب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .

### الضرب الخامس

(آداب عشرة من بُدِّئَ إليه بِحُرْمَةٍ ، كالجوار ، والقاصد ، والآمل ، والمُدِّل بِحَقِّ المُفاوضة ، والمطاعمة ، والمحاضرة ، والسلام والمعرفة في الصِّبا ، والصدقة بين الآباء وغير ذلك من الحُرْمِ التي لَا يَطْرَحُهَا أَهْلُ المروءات )

قال ابن خلف : "وينبغي أن يوفيه حقوقهم ، وينهض بما يسَّح من أوطارهم ومهماتهم ، ويعينهم على ما يَحْدُثُ من نوائب زمانهم ، ويُسَعِدَ في بلوغ مطالبهم من سلطانهم ، ولا يَضُرَّ عليهم بجاه ولا مال ، ولا يُجَيِّبَ أَمَلِ أَمَلِهِمْ ولا قَصْدَهُ ، ويفرض لهم من إذعانه وأعتائه ما يُعْزُجُ جانبهم ، ويسَّهل ما رُبُّهم ؛ ويكف الضيم والظلم عنهم ، ويسَّطِ العدل والإنصاف عليهم . فإنه إذا التزم ذلك لهم التزموا له الإعظام والإجلال ، وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه ، والاعتداد بأياديه ، وأشاعوا ذلك بين أمتالهم فاجتلبوا له مودتهم وتعصبهم له " .

قلت : ومن تمام آداب الكاتب وكلها أن يعرف حقوق مشايخ الصناعة وأئمتها الذين فَتَحُوا أبوابها ، وَذَلَّلُوا سُبُلَهَا ، وسهَّلُوا طرقها ؛ ويعاملهم بالإنصاف فيما أعملوا فيه خواطرهم ، وأتعبوا فيه رَوِيَّاتِهِمْ فيُزِلُّهُمْ منازلهم ولا يَتَجَسَّسَ حقوقهم . فمن آفات هذه الصنعة على ذوى الفضل من أهلها أن القاصر منهم لا يمنع من ادعاء منزلة المبرز بل لا يعفيه من ادعاء التقدُّم في الفضل عليه ، والمبرز في الفضل لا يقدر على إثبات نقص المتخلف زَوَّاهُ يَلْمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴿

ثم اصل هذه الآداب الذى ترجع اليه ، وينبوعها الذى تنفجرت منه ، رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، التى كتبها إلى الكاتب يوصيهم فيها . وهى :

أما بعد ، حفظكم الله بأهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ! فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً ، وإن كانوا فى الحقيقة سواء ، وصرفهم فى صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم ، وأبواب أرزاقهم ؛ فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات أهل الأدب ، والمروءة ، والعلم ، والرواية . بكم تنظم الخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ؛ وينصالحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعلم بلادهم . لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كافي إلا منكم ؛ فوقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون ، وأبصارهم التى بها يبصرون ، وألسنتهم التى بها ينطقون ، وأيديهم التى بها يبطشون . فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ! ولا تزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم ! .

وليس أحد أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحموده ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة ، منكم أيها الكاتب ، إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذى يشق به فى مهمات أموره أن يكون حليماً فى موضع الحلم ، فهياً فى موضع الحكم ، ومقدماً فى موضع الإقدام ، ومُحجماً فى موضع الإحجام ؛ مؤثراً للعفاف ، والعدل والإنصاف ، كئوباً للأسرار ، وقيماً عند الشدائد ، عالماً بما يأتى من التنازل ؛ ويضع الأمور مواضعها ، والطوارق اما كتبها . قد نظر فى كل فن من فنون العلوم فأحكه ، فان لم يجده أخذ منه بمقدار يكتفى به . يعرف بقرينة عقله ، وحسن أدبه ، وفضل تجربته ، ما يرد عليه قبل وروده ،

(١) فى غير هذا الكتاب ومحيطاً .

وعاقبة ما يصبر عنه قبل صدوره ؛ فيعد لكل أمر عذته وعذاه ، ويهي لكل وجه  
 هيئته وعادته . فتنافسوا يا معشر الكُتَّاب ، في صنوف الآداب ، وتفقهوا في الدين ،  
 وأبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ؛ ثم العربية فانها تَقَابُ أَلْسِنَتِكُمْ .

ثم أجيّدوا الخَطَّ فإنه حِلْيَةُ كِتَابِكُمْ ، وارووا الأَشْعارَ ، وأعرفوا غريبها ومعانيها ؛  
 وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ؛ فان ذلك معين لكم على ما تسمو إليه  
 هَمُّكُمْ . ولا تضيّعوا النظر في الحساب فإنه قِوَامُ كُتَّابِ الخِراج ؛ وأرغبوا بأنفسكم  
 عن المطامع مبيهاً ودينياً ، وسفساف الأمور ومخافها ، فإنها مَذَلَّةٌ للرقاب ، مَقْسَدَةٌ  
 للكُتَّاب ؛ وزهوا بصناعتكم عن الدنآآت ، وآربوا بأنفسكم عن السعاية والنيمة وما فيه  
 أهل الجهالات ؛ وإياكم والكبر والصلف والعظمة ، فإنها عبادة مجتلبة من غير  
 إحنة ، وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل  
 الفضل والعدل والنبل من سلفكم .

وإن نبا الزمان برجل منكم فأعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع إليه حاله ، ويثوب  
 إليه أمره ؛ وإن أفسد أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه ، فزوروه وعظموه  
 وشاوروه ، وأستظفروا بفضل تجربته ، وقدم معرفته . وليكن الرجل منكم على من  
 أصطنعه وأستظهر به ليوم حاجته إليه أحفظ منه على ولده وأخيه . فإن عَرَضَتْ  
 في الشغل مَحْنة فلا يضيفها إلا إلى صاحبه ، وإن عرضت مَدَّةٌ فليحملها هو من  
 دونه . وليحذر السُّقطة والزلة والملل عند تغير الحال ، فإن العيب إليكم معشر الكُتَّاب  
 أسرع منه إلى القراء ؛ وهو لكم أفسد منه لها .

قد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه الرجل ، يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من  
 حقه ، فواجب عليه أن يعتد له من وفائه ، وشكره ، وأحتماله ، وصبره ، ونصيحته .  
 وكتمان سره ، وتدير أمره ، ما هو جراء لحقه . ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة  
 إليه ، والاضطرار إلى مآلديه .

فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء، والشدة، والحرب،  
والمواساة، والإحسان، والسراء، والضراء، فنعمت الشيمة هذه لمن وُسم بها من  
أهل هذه الصناعة الشريفة! . فإذا ولى الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله  
وعياله أمر، فليراقب الله عز وجل، وليؤثر طاعته، وليكن على الضعيف رفيقا،  
وللظالم منصفا، فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله . ثم ليكن بالعدل  
حاكما، وللأشراف مكرما، وللغنى موقرا، وللبلاد عامرا، وللرعية متألفا، وعرب  
إيذاتهم متخلفا، وليكن في مجلسه متواضعا حلما، وفي محلات خواجه، واستقضاء  
حقوقه رفيقا . وإذا صحب أحدكم رجلا فليخبر خلايقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها  
أعانه على ما يوافق من الحسن وأحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة،  
وأجل وسيلة . وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها اتس معرفة  
أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجمها إذا ركبها، وإن كانت شجوبا ألقاها من قبل  
يديها، وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونا قم برفق  
هواها في طريقها، فإن استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف  
من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وداخلهم .

والكتاب بفضل أدبه، وشريف صنعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره  
من الناس وينظره، ويفهم عنه أو يخاف سخطوته، أولى بالرفق بصاحبه، ومداراته،  
وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا، ولا تعرف صوابا، ولا تفهم  
خطابا، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الركب عليها . ألا فأمعنوا رحمكم الله  
في النظر، وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتهموه  
النبوة، والاستئصال والحقوة، ويصير منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة  
والشفقة إن شاء الله تعالى .

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ومجلسه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمته وغير ذلك من فنون أمره، قدر حقه . فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تمحون في خدمتكم على التقصير، وحفظة لا تمحل منكم أفعال التضییع والتبذير . وأستعينوا على عفاكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم ، وقصصته دايكم . وأحذروا متآلف السرف، وسوء عاقبة الترف؛ فإنهما يُعقبان الفقر ويدلان الرقاب ؛ ويفضحان أهلها ولا سيب الكُتاب، وأرباب الآداب؛ ولأُمور أشباه وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤنت أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم؛ ثم أسلكوا من مسالك التدبير أومحها عجة، وأصدقها حجة، وأحمدها عاقبة .

وأعلموا أن للتدبير آفة متلفة - وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته؛ فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه، وليؤخر في ابتدائه وجوابه؛ وليأخذ بجسم حججه؛ فإن ذلك مصلحة لفعله، ومدعة للتشاغل عن إكثاره . وليضرع إلى الله في صلة توفيقه، وإمداده بتسديده، مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه؛ فإنه إن ظن منكم ظان، أو قال قائل، إن الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته، إنما هو بفضل حيلته، وحسن تدييره، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكلفه الله عز وجل إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف .

ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعب التدبير من مراقيه في صناعته، ومصاحبه في خدمته؛ فإن أعقل الرجلين عند ذوى الأبواب من رعى بالعجب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقل منه وأحد في طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اعتزاز برأيه، ولا تركية لنفسه، ولا تكاثر



على أخيه أو نظيره، وصاحبه وعشيرته، وحمد الله واجب على الجميع : وذلك بالتواضع لعظمته، والتذلل لعزته، والتحدث بنعمته“.

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل (من يلزم الصحة يلزمه العمل) وهو جوهر هذا الكتاب وغرّة كلامه، بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل؛ فلذلك جعلته آخرًا وتممته به. تولانا الله وإياكم بإعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده! فإن ذلك اليه ويده. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الباب الرابع من المقدمة

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء، وأصل وضعه في الإسلام، وتفرقه بعد ذلك في الممالك؛ وفيه فصلان .

### الفصل الأول

في التعريف بحقيقته

لا خفاء في أنه اسم مركب من مضاف وهو ديوان ومضاف اليه وهو الإنشاء، أما الديوان فليعلم للوضع الذى يجلس فيه الكتاب وهو بكر الدال . قال النحاس في صناعة الكتاب “وفتحها خطأ” قال : “وأصله ديوان فأبدلت إحدى الواوين ياء فقيل ديوان” ويجمع على دواوين . واختلف في أصله، فذهب قوم إلى أنه عريق . قال النحاس : “والمعروف في لغة العرب أن الديوان الأصل الذى يرجع إليه ويعمل

بما فيه "ومنه قول ابن عباس : «إذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب» . ويقال دونه أى أثبتته وإليه يميل كلام سيبويه .  
 وذهب آخرون إلى أنه عجمي وهو قول الأصمعي وعليه أقصر الجوهري في صحاحه ، فقال الديوان «فارسي معرب» . وقد حكى الماوردي "في الأحكام السلطانية" في سبب تسميته بذلك وجهين :

أحدهما - أن كسرى ذات يوم أطلع على كُتاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون مع أنفسهم فقال "ديوانه" أى مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفا ، فقل ديوان وعليه أقصر أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب .

والثاني - أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسمى الكتاب بذلك لحذوقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي منها وانلقى .

وأما الإنشاء فقد تقدم أنه مصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأه وأخترعه ، وحينئذ فإضافة الديوان للإنشاء تختمل أمرين :

أحدهما - أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه وتُبتدأ منه .  
 والثاني - أن الكتاب ينشئ لكل واقعة مقالا . وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمها ، وربما قيل ديوان المكاتبات ، ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن .

## الفصل الثاني

( في أصل وضعه في الإسلام وتفريقه عنه بعد ذلك في الممالك )

اعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام ؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه، وأصحاب سراياه من الصحابة ؛ رضوان الله عليهم ! ويكتبونه . وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ؛ وبعث إليهم رسوله بكتبه : فبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، وعبيد الله بن حذافة إلى كسرى أبريز ملك الفرس ، ودحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر ، وسليط بن عمرو إلى هودنة بن حلي ملك اليمامة ، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين إلى غير ذلك من المكاتب . وكتب لعمرو بن حزم عهداً حين وجهه إلى اليمن . وكتب لتميم الداري وإخوته بإقطاع بالشام . وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية . وكتب الأمانات أحياناً إلى غير ذلك مما يأتي ذكره في الاستشهاد به في مواضعه إن شاء الله تعالى .

وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء بخلاف ديوان الجيش ، فإن أول من وضعه ورثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافة .

على أن القاضي قد ذكر في تاريخه "عيون المعارف" وفنون أخبار الخلائف " أن الزبير بن العوام، وجهم بن الصلت كانا يكتبان للنبي صلى الله عليه وسلم أموال الصدقات ، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له نرخ النخل ، وأن المغيرة بن شعبة والحصين بن ثمير كانا يكتبان المدائنات والمعاملات . فإن صح ذلك فتكون هذه البواوين أيضاً قد وضعت في زمنه صلى الله عليه وسلم ، إلا أنها ليست في الشهرة وتوثر الكتابة في زمانه صلى الله عليه وسلم : كما تقدم من متعلقات تجلية الإنشاء .

وقد رأيت في سيرة لبعض المتأخرين أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم نيف وثلاثون كاتباً : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعامر بن فهيرة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأبان أخوه ، وسعيد أخوهما ، وعبد الله بن الأرقم الزهري ، وحنظلة بن الربيع الأسدي ، وأبي بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ، وزيد بن ثابت ، وشريحيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن زيد ، وجهم بن الصلت ، والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعلاء بن الحضرمي ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن رباح ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، وطاحه بن زيد بن أبي سفيان ، والأرقم بن الأرقم الزهري ، والعلاء بن عتبة ، وأبو أيوب الأنصاري ، وبريدة بن الحصيب ، والحصين بن نمير ، وأبو سلمة المخزومي ، وخويط بن عبد العزيز ، وأبو سفيان بن حرب ، وحاطب بن عمرو ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وكان ألزمهم له في الكتابة معاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت .

وكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وعثمان هو الذي كتب عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة عن أبي بكر رضوان الله عليه كما سياتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وكتب لعمر رضي الله عنه زيد بن ثابت ، وعبد الله بن خلف .

وكتب لعثمان رضي الله عنه مروان بن الحكم .

وكتب لعلي رضي الله عنه بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسعيد ابن جحران الهمداني .

وكتب للحسن بن علي رضي الله عنهما عبد الله بن أبي رافع كاتب أبيه .  
ثم كانت دولة بني أمية فتوالت خلفاؤهم من معاوية بن أبي سفيان فبن بعده ،  
وأمر ديوان الإنشاء في زمن كل أحد مفوض إلى كاتب يُقيمه إلى حين أنقراض  
دولتهم . وكان الخليفة هو الذي يوقع على القصص ويحملها بنفسه ، والكاتب يكتب  
ما يبرز إليه من توقيعه ويصرفه بقلمه على حكمه . وكان ممن أشتهر من كتابهم بالبلاغة  
وقوة الملكة في الكتابة حتى سار ذكره في الآفاق ، وصار يضرب به المثل على مز  
الأزمان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد آخر خلفائهم .

٦٦ فلما بزغت شمس الخلافة العباسية بالعراق وولى الخلافة أبو العباس السفاح  
أول خلفاء بني العباس ، استوزر أبا سلمة الخلال . وهو أول من لقّب بالوزارة  
في الإسلام على ما سيأتي ، وتوالت الوزراء بعده لخلفاء بني العباس من يومئذ .  
( وكان ديوان الإنشاء تارة يُضاف إلى الوزارة ، فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره  
بقلمه ، ويتولى أحواله بنفسه ؛ وتارة يُفرد عنه بكتاب ينظر في أموره ، ويكون الوزير  
هو الذي ينفذ أموره بكلامه ، ويصرفها بتوقيعه على القصص ونحوها ؛ وصاحب  
ديوان الإنشاء يعتمد ما يرد عليه من ديوان الوزارة ويُمشي على ما يلي إليه من  
توقيعه ؛ و ربما وقع الخليفة بنفسه حتى بعد غلبة ملوك الأعاجم من الديلم و بني  
سلجوق وغيرهم على الأمر والأمر على ذلك تارة وتارة إلى أنقراض الخلافة من بغداد .  
وكان ممن أشتهر من وزراءهم بالبلاغة حتى صار يضرب به المثل يحيى بن خالد  
وزير الرشيد ، والحسن بن سهل ، وعمرو بن سعدة كاتب المأمون ، وأبن المقفع  
مترجم كتاب "كيلة ودمنه" ، وسهل بن هرون الذي ترجمها ، والأستاذ أبو الفضل  
أبن العميد ، والمصاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عباد ، وأبو إسحاق الصابي في جماعة  
آخرين منهم . ٥٨٠

ثم لما انقرضت الخلافة من بغداد في وقعة هولاكو ملك التتار في سنة (ست وخمسين ومستمائة) وأستولت المغل والأعاجم على بغداد، بطل رسم الكتابة المعتبرة، وصار أكثر ما يُكتب عن ملوك التتار بالمغلية أو الفارسية؛ والأمر على ذلك إلى زماننا على ما سيأتي بيانه في الكلام على دواوين الأمصار في المكاتبات والولايات وغيرهما إن شاء الله تعالى.

وكانت بلاد الغرب والأندلس بأيدي ثواب الخلفاء من حين الفتح الإسلامي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولا عناية لهم بديوان الإنشاء للتقريب من البداوة، وغايته المكاتب إلى ديوان الخلافة ونحو ذلك؛ فلما غلب بنو العباس على الخلافة هرب طائفة من بني أمية إلى بلاد المغرب، وجازت البحر إلى الأندلس فأنتموه من الثواب الذين كانوا به وملكوه، وصاروا ينصبون فيه خليفة بعد خليفة، جارين على سنن ما كانوا عليه بالشام من ألقاب الخلافة، مضاهين خلافة بني العباس ببغداد؛ من إقامة شعار الخلافة، واتخاذ ديوان الإنشاء، وأستخدام بلغاء الكتاب وتعتد دولتهم إلى بر العدو من بلاد المغرب لحكوه. ثم تقاصر أمرهم بعد ذلك شيئاً فشيئاً باستيلاء المستوليين المستبدين عليهم بالأمر إلى أن انقرضت دولتهم من الأندلس وبلاد المغرب، وأستولت عليهما طوائف من الملوك وتقلت بهم الأحوال في استيلاء الملوك على كل ناحية منهما، وتتابعت الدول في كل حين كلما خبت دولة نجمت أخرى على ما سيأتي ذكره في مكاتبات ملوكهما إن شاء الله تعالى.

وكان حال ديوان الإنشاء فيهم بحسب ما يكونون عليه من الحضارة والبداوة، فأوائل الدول القرييون عهدا بالبادية لاعناية لهم بكتابة الإنشاء؛ وإذا استحضرت الدولة صرفت أهتمامها إلى ديوان الإنشاء وترتيبه إلى أن أستقر ما بقي من الأندلس بعد ما أرتجعته الفرنج منه بأيدي بني الأحمر، والغرب الأقصى بيد بني مرين.

والغرب الأوسط بيد بنى عبد الواد، وإفريقية بيد بقايا الموحدين من أتباع المهديّ  
أبن تومرت، وداخلتهم الحضارة، فأخذوا في ترتيب دواوين الإنشاء بهذه الممالك،  
ومعانة البلاغة في المكاتبات ونحوها، واستمر الحال على ذلك إلى زماننا .

ومن أشهر بالبلاغة من كتّاب المغاربة والوزراء به أبو الوليد بن زينون،  
والوزير أبو حفص بن برد الأصغر الأندلسي، وذو الوزارتين أبو المعيرة بن حزم،  
والوزير أبو القاسم محمد بن الحد في جماعة أخرى من متقدمي كتّابهم. ومن متأخريهم  
عبد المهيمن كاتب السلطان أبي الحسن المريني، وأربى على كثير من المتقدمين ابن  
انطليب وزير ابن الأحمر صاحب غرناطة من الأندلس ممن أدركه من عاصرناه .  
أما الديار المصرية فلديوان الإنشاء بها خمس حالات :

الحالة الأولى - ما كان الأمر عليه من حين الفتح وإلى بداية الدولة  
الطولونية، وتوابع الخلفاء تتوالى عليها واحدا بعد واحد فلم يكن لهم عناية بديوان  
الإنشاء، ولا صرف همة إليه : لاقتصار على المكاتبات لأبواب الخلافة، والترز  
اليسير من الولايات ونحو ذلك . ولذلك لم يصدر عنهم ما يؤدّن في الكتب ولا  
يتناقل بالألسنة .

الحالة الثانية - ما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية من ابتداء ولاية  
أحمد بن طولون، واستفحال ملك الديار المصرية في الإسلام، وترتيب أمرها، وإلى  
حين انقراض الدولة الاخشيدية، وفي خلال ذلك ترتب ديوان الإنشاء بها، وانتظم  
أمر المكاتبات والولايات، وكان ممن أشهر من كتّابهم بالبلاغة وحسن الكتابة،  
أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود بن عبيد : كان كاتب أحمد بن طولون، وكان  
مبدأ الكتّاب المشهورين بها . وكتب بعده نحمارويه بن أحمد بن طولون إصحق بن  
نصر العبادي النصراني، وتوالت الكتّاب بالديوان بعد ذلك .

الحالة الثالثة - ما كان الأمر عليه من ابتداء الدولة الفاطمية وإلى انقراضها .

ولما ولي الفاطميون الديار المصرية، صرّفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكتّابه، فارتفع بهم قدره، وشاع في الآفاق ذكره، وولي ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكتّاب وبلغائهم : ما بين مسلم وذمي؛ فكتب للعزیز بالله ابن المعز أبو المنصور بن سوردین النصرانی، ثم كتب بعده لأبنته الحاكم ومات في أيامه، فكتب للحاكم القاضي أبو الطاهر البزكي، ثم كتب بعده لأبنته الطاهر . وكتب للمستنصر القاضي ولي الدين بن خيران، ثم ولي الدولة مومني بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة، وأبو سعيد العميدى . وكتب للأمر والحافظ الشيخ الأجل أبو الحسن على بن أبي أسامة الحلبي إلى أن توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة . فكتب بعده ولده الأجل أبو المكارم إلى أن توفى في أيام الحافظ؛ وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأئین تاج الرأسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجد المبصرى المعروف بابن الصيرفى، والقاضى كافى الكفأة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس، وابن أبي الدم اليهودى . ثم كتب بعد الشيخ أبي المكارم بن أبي أسامة المتقدم ذكره القاضى الموفق ابن الخلال أيام الحافظ، وإلى آخر أيام العاضد؛ وبه تخرج القاضى الفاضل التيسانى . ثم شرك العاضد مع الموفق ابن الخلال في ديوان الإنشاء القاضى جلال الملك محمود بن الأنصارى وكان في أيامه القاضى المؤتمن كاسيويو . ثم كتب القاضى الفاضل بين يدي الموفق ابن الخلال قرب وفاته في سنة ست وستين وخمسمائة في وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكتب من إنشائه عدة سجلات ومكتابات عن العاضد آخر خلفائهم .

الحالة الرابعة - ما كان الأمر عليه من ابتداء دولة بنى أيوب إلى آخر

انقراضها .



قد تقدم أن القاضي الفاضل رحمه الله كان قد كتب بين يدي الموفق ابن الخلال في وزارة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين، فلما استقل السلطان صلاح الدين المذكور بالملك وخطب لبني العباس على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر، فوض إلى الفاضل الوزارة وديوان الإنشاء فكان يتكلم فيهما جميعاً، وأقام على ذلك إلى أن مات السلطان صلاح الدين، فكتب بعده لابنه العزيز وأخيه العادل أبي بكر. ثم مات، وكتب للكمال بن العادل القاضي أمين الدين سليمان المعروف بكتّاب الدريج إلى أن توفي، فكتب بعده للكمال الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبي مدة قليلة، وتوالت كتاب الإنشاء في الولاية إلى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب فولّى ديوان الإنشاء صاحب بهاء الدين زهيراً. ثم صرفه وولّى بعده صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعدي، فبقى إلى انقراض الدولة الأيوبية.

الحالة الخامسة - ما كان الأمر عليه في الدولة التركية ما هو مستقر إلى الآن. قد تقدم أن صاحب نحر الدين بن لقمان بقى في ديوان الإنشاء إلى آخر الدولة الأيوبية.

ولما صارت المملكة إلى الدولة التركية، بقى في صحابة ديوان الإنشاء أيام أليك التركاني، ثم أيام المظفر قطز، ثم أيام الظاهر بيبرس، ثم أيام المنصور قلاوون. فباشر ديوان الإنشاء في أيامه مدة، ثم نقله إلى الوزارة، وولّى مكانه بديوان الإنشاء القاضي فتح الدين بن القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في حياة والده، فبقى حتى توفي المنصور قلاوون، واستقر بعده ابنه الأشرف خليل، واستقر عنده في كتابة السرّ بهمة من الزيان وسافر معه إلى الشام، فبات بالشام، فولّى الأشرف مكانه القاضي تاج الدين أحمد بن الأثير، وقفل السلطان راجعاً إلى مصر، فبات

القاضي تاج الدين في إنشاء الطريق بمضى شهر من ولايته ، فولّى مكانه القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله ، فأقام بقية أيام الأشرف بن قلاوون ، وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الأولى ، وأيام العادل كتبغا ، وأيام المنصور لاجين ، وأيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثانية ، وأيام المظفر بيبرس الجاشنكير ، وبعده من أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثالثة .

ثم نقله إلى كتابة السرّ بدمشق المحروسة عوضاً عن أخيه القاضي محي الدين بن فضل الله ، وولّى مكانه بمصر علاء الدين بن الأثير لسابق وعده له منه حين كان معه في الكرك ، وبقي حتى مرض بالفالج وبطلت حركته ، فأستدعى الملك الناصر القاضي محي الدين بن فضل الله من الشام ، فولّاه ديوان الإنشاء بالديار المصرية في المحرم سنة تسع وعشرين وسبعمائة .

وكان ولده القاضي شهاب الدين هو الذي يقرأ البريد على السلطان ويتقدّم المهمات إلى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأعادها الملك الناصر إلى دمشق ، وولّى مكانهما القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود في شعبان من السنة المذكورة ، فبقي حتى حجّ السلطان وعاد إلى مصر ، فأعاد القاضي محي الدين وولّاه القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، فبقيا إلى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وفي أواخر ذلك تغير السلطان على القاضي شهاب الدين المذمّم كور وصرفه عن المباشرة ، وأقام أخاه القاضي علاء الدين مكانه يباشر مع والده ، وبقي الأمر على ذلك مدة لطيفة .

ثم سأل القاضي محي الدين السلطان في العود إلى دمشق ، وقد كبرت سنّه وضعفت حركته ، فأعاده وحببته ولده القاضي شهاب الدين وكتب له تقليد في قطع

الثَّلاثِينَ : بأن يستمر على صحابة دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية، وأن يكون جميع المباشرين لهذه الوظيفة بالباب الشريف فَنَ دُونَهُ نُوَابَهُ ، وأنه حيث حل يقرأ القِصَصَ والمظالم ، ويقرّر الولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ، ويوقع فيها بما يراه ، ويُجهّز إلى مصر ليعلّم عليها العلامة الشريفة ، وفوض أمر ديوان الإنشاء بالديار المصرية لولده القاضي علاء الدين آستقلالاً ، وتجهّز القاضي محي الدين للسفر ، فرض ومات بعد أيام قلائل في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعائة بالقاهرة . ثم نقل إلى دمشق سنة تسع ، وبقي ولده القاضي علاء الدين فبقى في الوظيفة بقية أيام الملك الناصر ، ثم أيام ولده المنصور أبي بكر ، ثم أخيه الأشرف بكك ، ثم أخيه الملك الناصر أحمد .

فلما خَلَعَ الناصر أحمد نفسه في سنة ثلاث وأربعين وتوجه إلى الكرك ، توجه القاضي علاء الدين معه ، فأقام عنده ، وأستقر الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون في السلطنة بعد أخيه أحمد ، فقرّر في ديوان الإنشاء القاضي بدر الدين محمد بن محي الدين بن فضل الله ، فبقى في الوظيفة إلى أن عاد أخوه القاضي علاء الدين من الكرك ، فأعيد إلى منصبه ، وبقي بقية أيام الملك الصالح إسماعيل ، ثم أيام أخيه الكامل شعبان ، ثم أيام أخيه المظفر حاجي ، ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطته الأولى ، ثم أيام أخيه الصالح صالح ، ثم أيام الناصر حسن ثانياً ، ثم أيام المنصور محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون ، ثم أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون فتوفى ، وولي الوظيفة بعده ولده القاضي بدر الدين محمد ، فبقى بقية أيام الأشرف شعبان ، ثم أيام ولده المنصور علي ، ثم أيام أخيه الصالح حاجي بن شعبان إلى أن خَلَعَ ، وجاءت الدولة الظاهرية برقوق فقرّر في ديوان الإنشاء القاضي أُوحد الدين عبد الواحد بن التركمانى ، فبقى حتى توفى فأعيد القاضي بدر الدين

المذكور وبقى حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجي بن الأشرف شعبان إلى السلطنة وهو مستمر المباشرة .

فلما عاد الظاهر برقوق من الكرك حضر معه القاضي علاء الدين علي الكركي ، فولاه كتابة السر وبقى حتى توجه محبة السلطان إلى الشام في طلب منطاش ، فات القاضي علاء الدين ، وكان القاضي بدر الدين صحبه فأعيد إلى الوظيفة في سنة ثلاث وتسعين وسبعائة ، وعاد مولى محبة الركاب الشريف السلطاني . ثم توجه صحبه إلى الشام عند وصول تمر لبغداد ، فرض ومات هناك ، فولى الظاهر مكانه القاضي بدر الدين محمود السراي الكلستانی في شوال سنة ست وتسعين وسبعائة ، وحضر محبة الركاب الشريف إلى الديار المصرية ، فبقى حتى توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة ، فولى الظاهر مكانه المقر العالی الفتحى فتح الله ، ففتح الله به من أبواب ديوان الإنشاء ما كان مغلقا ، وأصفى به من وزده ما كان مكثرا .

وأنقلت السلطنة بعد وفاة الظاهر برقوق إلى ولده الناصر فرج ، فأجراه من المباشرة والإجلال والتعظيم على عادة أبيه . ثم صرفه عن الوظيفة في شهر سنة ثمان وثمانمائة ، وأقام مكانه في الوظيفة المقر السعدى إبراهيم بن غراب ، وهو يومئذ مشير الدولة بعد تنقله في وظائف الديار المصرية والمشار إليه ، وأقام بها مدة لطيفة ، وعادت إلى المقر الفتحى فتح الله المشار إليه ، وقيل : ( نَزَّ هَذِهِ بِضَاعَتَنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا ) بخيرى فيها على الأسلوب الأول والمهجع السابق : من العدل والإنصاف ، والإحسان إلى الخلق ، وإيصال البر إلى مستحقه ، والمساعدة في الله لمن عَرَفَ ومن لم يعرف ، والله هو المكافئ لعباده على جميل الصنع !

مَنْ يَقْعِلِ الْخَيْرَ لَمْ يَحْدَمْ جَوَارِيَهُ \* لَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

## الباب الخامس

### من المقتمة

في قوانين ديوان الإنشاء، وترتيب أحواله، وآداب أهله به وفيه أربعة فصول

### الفصل الأول

(في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله  
ولقبه الجارى عليه في القديم والحديث)

أما رفعة محله وشرف قدره، فأرفع محل وأشرف قدره يكاد أن لا يكون عند الملك  
أخص منه ولا أزم لمجالسته به ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك في كل  
زمن، مقلماً لديهم على من عداه : يُلقون إليه أسرارهم، ويحسبونه بحقاً أمورهم،  
ويطلعونه على ما لم يطلع عليه أخص الأخصاء: من الوزراء والأهل والولد، وناهيك  
رتبة هذا محلها !

قال صاحب مواد البيان "ليس في منزلة خدَم السلطان والمتصرفين في مهماته  
أخص من كاتب الرسائل . فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه، ولا غنى له  
عن مفاوضته في آرائه، والإفضاء اليه بمهمات، وتقريبه من نفسه في آناء ليله  
وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات  
مملكته، فهو لذلك لا يثيق بأحد من خاصته يثق به، ولا يركن إلى قريب ولا نسب  
ركونه إليه، ومحله منه في عائدة خدمته وأثرة دولته محل قلبه الذي يؤامره في مشكل  
رأيه حتى ينتقح، ويراجعه في مهم تديره حتى ينضح به، ولسانه الذي يقرر برغبه  
أوليائه على الطاعة والمواقفة، ويستقر برغبه عن المعصية والمشاقفة، ويقرر بأوامره  
(١)

(١) كذا في الاصل ولعله مصنف عن بقر - أو مستقر كما يقتضيه المقام .

ونواحيه أمور سلطانه ، ويُرثها منازلها في متمدن مجالسها ، ويتمكن من سياسة أجناده ، وعمارة بلاده ، ومصلحة رعيته ، وأجتلاب مودتهم ، وأستخلاص نياتهم ، وعينه التي تلاحظ أحوال سلطانه ، ويرعىها مهمات شأنه ، وأذنه التي يثق بما وعته ، ولا يرتاب بما سمعته ، ويده التي يسطرها بالإنعام ، ويبطش بها في التقض والإبرام .

قال : ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتبته فيها أفضل الأسباب ، وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب .

قال ابن الطوير في ترتيب الدولة الفاطمية "وكان هذا المنصب لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أجل كآب البلاغة ، ويُخاطب بالأجل ، وإليه تسلم المكتبة واردة محتومة فيعرضها على الخليفة من يده ، وهو الذي يأمر بتزيلها والإجابة عنها وربما بات عند الخليفة ليالى ، وهذا أمر لا يصل إليه غيره " . قال "وهو أول أرباب الإقطاعات في الكسوة والرسوم والملاطقات ، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه أحد ولا يجتمع بأحد من كتابه إلا الخواص ، وله حاجب من الأمراء الشيوخ ، وله في مجلسه الموتبة العظيمة واتخاذ المُسند ، والدواة العظيمة الشأن ، ويحمل دواته أستاذ من خواص الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة " .

قلت : ومرتبته في زماننا أرفع مرتبة ، ومحلّه أعظم محل ، إليه تلقى أسرار المملكة وخفائها ، وبرأيه يُستضاء في مشكلاتها ، وعلى تديره يعول في مهماتها ، وإليه ترد المكتابات ، وعنه تصدر ، ومن ديوانه تُكتب الولايات السلطانية كافة ، ويقوم توقيعُه على القيصص في نفوذ الأوامر مقام توقيع السلطان ، وجميع ما يعلم عليه السلطان من جليل وحقير في مرزته حتى ما يُكتب من ديوان الجيش من المناشير ، وما يُكتب من ديوان الوزارة وديوان الخالص وغيرهما من المربعات ونحوها . وليس

لأحد من المتولين لهذه المناصب التعرض لأخذ علامة سلطانية البتة، وتاهيك بذلك رفعةً وشرفاً باذخاً .

وأما لقبه الجارى عليه في كل زمن فقد تقلم أنهم كانوا في زمن بنى أمية وما قبله يعبرون عنه بالكاتب، لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القضاى في "عيون المعارف". فلما جاءت الدولة العباسية، واستقر السقّاح أول خلفائهم في الخلافة، لقب كاتبه أبا سلمة الخلال بالوزارة وترك اسم الكاتب؛ واستقر لقب الوزارة على من يليها من أرباب السيوف والأقلام إلى أنقراض الخلافة من بغداد، وتقدم أيضا أن هذا الديوان كان تارة يضاف إلى الوزارة فيكون الوزير هو الذى يشره بنفسه أو يفوضه إلى من يتحدث فيه عنه، وتارة يفرد عنها، فحين آنفرد عن الوزارة لقب متولى بما يتضمن إضافته إلى صحابة الديوان وولايته بحسب ما يشتهر به الديوان في ذلك الزمن .

فحين كان الديوان مشهورا بديوان الرسائل، كما كان في الزمن الأول، لقب متولى بصاحب ديوان الرسائل أو متولى ديوان الرسائل، وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات، أو متولى ديوان المكاتبات؛ وحين كان الديوان مشهورا بديوان الإنشاء كما في زماننا بالديار المصرية لقب متولى بصاحب ديوان الإنشاء وربما جمعوا لفظ الديوان تعظيما لمتولى فقالوا صاحب دواوين الإنشاء بالملك الإسلامية ما وعلى هذا مصطلح كتاب الديوان في زماننا في تعريفه فيما يكتب له من تقليد أو غيره؛ على أنه لو قيل ناظر دواوين الإنشاء لكان أعلى في الرتبة لما أشتهر في العرف من أن لفظ ناظر الديوان أعلى من صاحب الديوان .

قال ابن الطوير: "وكانوا يلقبونه في الدولة الفاطمية بالديار المصرية كاتب الدت" ،

قلت : وآتتهى الأمر إلى أوائل الدولة التركية والحال في ذلك مختلف ، فتارة إلى الديوان كاتبٌ واحد يعبر عنه بكتاب الدست ، وربما عبر عنه بكتاب الدرج ، وتارة يليه جماعة يعبر عنهم بكتاب الدست . ويقال إنهم كانوا في أيام الظاهر بيبرس ثلاثة نفر ، أرفعهم درجة القاضي محي الدين بن عبد الظاهر . وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولي الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر في أيام المنصور قلاوون على ما تقدم ذكره ، فلقب بكتاب السر ونقل لقب كاتب الدست إلى طبقة دونه من كتاب الديوان . واستمر ذلك لقباً على كل من ولي الديوان إلى زماننا على ما سأتى ذكره . وبضاهيه في ذلك من العرف العام متولى ديوان الإنشاء بدمشق ، وحبلى ، وبطرابلس ، وبجاء ، وبصفد ، إلا أنه لا يقال في واحد منهم في مصطلح الديوان صاحب دواوين الإنشاء كما يقال في متولى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، بل يقال في متولى ديوان دمشق صاحب ديوان الإنشاء بالشام ، وفي متولى ديوان حلب صاحب ديوان المكتبات بحلب ، وكذا في الباقيات . أماغزة ، والكرك ، والإسكندرية وغيرها من الثيابات الصغار فإنما يقال في متولى شئ من دواوينها كاتب درج ولا يطلق عليه كاتب سر بوجه .

وأعلم أن العامة يبدلون الباء من كاتب السر بميم فيقولون كاتب السر وهو صحيح المعنى لما لأنه يكتم سر الملك ، أو من باب إبدال الباء بالميم على لغة ربيعة وإن كانوا لا يعرفون الشائى .

## الفصل الثانى

( في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه )

قال أبو الفضل الصورى في مقدمة تذكرته : " يجب أن يكون صحيح الوجه ، فصيح الألفاظ . طلق اللسان ، أصيلاً في قومه ، رقيقاً في حبه ، وقوراً ، حلماً



مُؤثراً يلجئ على الهزل، كثير الأناة والرفق، قليل العجلة والخرق، تزر الضحك، مهيب المجلس، ساكن الظل، وقور النادى، شديد الذكاء، متوقد الفهم، حسن الكلام إذا حدث، حسن الإصغاء إذا حدث، سريع الرضا، بطيء الغضب، زهواً بأهل الدين، ساعياً في مصالحهم، محباً لأهل العلم والأدب، راغباً في نفعهم؛ وأن يكون محباً للشغل أكثر من محبته للفراغ، مقسماً الزمان على أشغاله: يجعل لكل منها جزءاً منه حتى يستوعبه في جميع أقسامها، ملازماً لمجلس الملك إذا كان جالساً، وملازماً للديوان إذا لم يكن الملك جالساً: ليتأمن به سائر كتاب الديوان، ولا يبدوا رخصة في الغيبة عن ديوانهم؛ وأن يقلب هوئى الملك على هواه ورضاه على رضاء - ما لم ير في ذلك خلا على المملكة، فإنه يجب أن يهتدى النصيحة فيها للملك من غير أن يوجد فيها تقصم من رأيه فساداً أو نقصاً، لكن يتحلى لنقص ذلك وتهجنه في نفسه وإيضاح الواجب فيه بأحسن تأني وأفضل تطف؛ وأن يتحمل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه، ومهما حدث من الملك: من رأي صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد، أشاعه وأذاعه، وعظمه ونغمه، وكرز ذكره، وأوجب على الناس حمده طيه وشكره. وإذا قال الملك قولاً في مجلسه أو بمحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقاً للصواب، فلا يجبه بالرد عليه وأستهجان ما أتى به - فإن ذلك خطأ كبير؛ بل يصبر إلى حين الخلوة، ويدخل في أثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تأني برد، ولا يتبجح بما عنده، ويكون متابعاً للملك على أخلاقه الفاضلة، وطباعه الشريفة: من بسط المعتلة، ومد رواق الأمانة، ونشر جناح الإنصاف، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وجبر الكسير، والإنعام على المعتز المستحق، والتوفير على الصدقات، وعمارة بيوت الله تعالى، وصرف الهمم إلى مصالحها - والنظر في أحوال الفقهاء وحالة كتاب الله العزيز بما يصلح، والاكتفات إلى عمارة البلاد، وجهاد الأعداء،

ونشر الهيبة، وإقامة الحدود في مواضعها، وتعظيم الشريعة، والعمل بأحكامها .  
 فيكون لجميع ذلك مؤكّداً، ولأفعاله فيه موثقاً ممهداً . وإن أحسن منه بحلّة تُنافى  
 هذه الحلال . أو فعلة تخالف هذه الأفعال، نقله عنها بالطف سعى وأحسن تدريجاً،  
 ولا يدع ممكناً في تبين قبّحها، وإصلاح رداءة عاقبتها، وقضية مخالفتها إلا بينه  
 وأوضحه إلى أن يعيده إلى الفضائل التي هي بالملوك النبلاء أليق؛ وأن يكون مع  
 ذلك بأعلى مكانة من القِظة والاستدلال بقليل القول على كثيره، وبيع بعض الشيء  
 على جميعه، ويستغنى عن التصريح بالإشارة والإيحاء، بل الرمز والإيحاء: لينبه الملك  
 على الأمور من أولئها، ويعترف خواتم الأشياء من مُفتحاتها، ويحذّره حين تبدو  
 له ألوانح الأمر من قبل أن يتساوى فيه العالم والجاهل - كما حكى عن خالد بن برمك:  
 "أنه كان مع حطّبة في معسكر، جالسين في خيمة إذ نظر خالد إلى سُرْب من الظباء  
 قد أتى حتّى كاد يخاطب العسكر، فأشار على حطّبة بالركوب فسأله عن السبب،  
 فقال الأمر أعجل أن أئين سببه . فركب وأركب العسكر، فلم يستثموا الركوب إلا  
 والعدو قد دهمهم، وقد استعدوا له فكانت النصرة لهم على العدو . فلما انقضى  
 الحرب سأل حطّبة خالداً من أين أدرك ذلك؟ فقال: رأيت الظباء وقد أقبلت حتّى  
 خالطت العسكر، فعرفت أنها لم تفعل ذلك مع نفورها من الإنسان إلا لأمر عظيم  
 قد دهمها من ورائها" <sup>١</sup> وأن لا يكتب عن الملك إلا ما يقيم منار دولته ويعظمها،  
 ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها، ولا يكتب ما يكون فيه عيب على الملكة  
 ولا ذم لها على غابر الأيام، ومستأنف الأحقاب، وإن أمر بشئ يخرج عن ذلك،  
 تلطّف في المراجعة بسببه، وبين وجه الصواب فيه إلى أن يرجع به إلى الواجب .  
 وأن يكون من كتان السرّ بالمنزلة التي لا يدانيه فيها أحد، ولا يقاربه فيها بشر، حتّى  
 يقرّر في نفسه إمامة كل حديث يعلمه، ويتناسى كل خبر يسمعه، وأن لا يطلع والدا

ولا ولدا؛ ولا أخا شقيقا، ولا صديقا صدوقا، على مَدَقٍّ أو جَلٍّ؛ ولا يُعْلِمُهُ بِمَا كَثُرَ مِنْهُ وَلَا قَلَّ؛ ويتوهم بل يتحقق أنَّ في إذاعته ما يُعْلِمُ بِهِ وَضَعَ مِثْلَتِهِ وَحَطَّ رَجَبَهُ، ويحتجِدُ في أن يصير له ذلك طَبْعًا مَرَجًا وأَمْرًا ضَرُورِيًّا .

قلت : وهذه الصفة هي الشرط اللازم، والواجب المحتمل بها شهر، وبالإضافة إليها عُرِفَ . وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكانًا، وأوسمهم علما: "المملوك محتَمَلُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا ثَلَاثَةً أَشْيَاءَ: الْقَذْحُ فِي الْمَلِكِ، وَإِفْشَاءُ السَّرِّ، وَالتَّعَرُّضُ لِلْهَرَمِ".

ومن كلام بعض الحكماء: "سِرُّكَ مِنْ دِمِكَ" قال صاحب العقد: يعنون أنه ربما كان في إفشاء سِرِّكَ سَقُّكَ دِمَكَ . وإلى ذلك يشير أبو نَجَّحٍ التَّمَنِّيُّ بقوله :

قَدْ أَطْعَمَ الطَّعْنَةُ التَّجْلَاءَ عَنْ عُرْضِ \* وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبُهُ الْعُنُقِ

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : "إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثاً أفلا أخبرك به ؟ قال يابني : إنَّ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ اخْتِيَارُهُ وَمِنْ أَفْشَاءِ كَانَ اخْتِيَارُهُ عَلَيْهِ ؛ فَلَا تَكُنْ مَمْلُوكًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مَالِكًا" . وقد كانت ملوك الفرس تقول "أَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَى جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ مَنْ وَلِيَ أَسْرَارَ الْمُلُوكِ" .

وأعلم أنه إذا كان إفشاء السر ربما أفضى إلى الهلكة خصوصاً أسرار الملوك، فعلى صاحب هذه الوظيفة القيام من ذلك بواجبه وكتيأت السر حتى عن نفسه؛ فقد حكى صاحب "الريحان والريمان": أن عبداً لله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر، فقال عبداً لله :

وَمُسْتَوْدِعِي سِرِّا تَضَمَّنْتُ سِرَّهُ \* فَأَوْدَعْتُهُ فِي مُسْتَقَرِّ الْحَشَا قَبْرَا

فقال أبنه عبيد الله، وهو صبي :

وَمَا السَّرُّ مِنْ قَلْبِي كَتَاوٍ مُجْفَرَةٍ \* لِأَنِّي أَرَى الْمَدْفُونِ يَنْتَظِرُ الْحَشْرَا  
وَلِيَكُنِّي أَخْفِيهِ حَتَّى كَأَنِّي \* مِنْ الدَّهْرِ يَوْمًا مَا حَطَّتْ بِهِ خُبْرَا

وعلى صاحب هذه الرتبة الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك بأن لا يتلقاه عنه بحضرة أحد . فقد حكى أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه ، فقال أحدهما : "لا ينبغي لك أن يستشير منك أحدا إلا خالياً فإنه أصون للسر وأحرز للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين وإفشاؤه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة ، لأن الواحد رهن بما أفضى إليه . والثاني مطلق عليه ذلك الرهن . والثالث علاوة ، وإذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يظهره رغبة أو رهبة ، وإن كان عند اثنين كان على شبهة وآسعت عن الرجلين المعارض ، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وإن أتهمهما أتهم بريئاً بجنابة مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له ، وعن الآخر ولا حجة معه " .

قلت : وكما يجب عليه الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك فكذلك يجب عليه الاحتياط حالة إلقائه إلى كاتب يكتبه ، فلا يلقيه إلى كاتبين جميعاً ، ولا يخاطب فيه أحدهما بحضرة الآخر لتكون المهددة في دركه على واحد بعينه . على أنه ربما أفضى السر مع احتراز صاحبه عن إفشائه ، فقد قيل : إن الحق تنقل الأخبار ، وتفضى ما تطلع عليه من الأسرار . وقد حكى عن علي بن الجهم أنه قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل فראيت الفتح بن خاقان وزيره واقفاً على غير مرتبته التي يقوم عليها ، متكاً على سيفه ، مطرباً إلى الأرض فانكرت حاله ، وكنت إذا نظرت إليه نظر الخليفة إلى ، وإذا صرفت وجهي إلى نحو الخليفة أطرق ؛ فقال لي الخليفة يا علي أنكرت شيئاً؟ - قلت نعم يا أمير المؤمنين! - قال : ما هو؟ - قلت : وقوف الفتح بن خاقان في غير منزلته ، - قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام ، - قلت :

(١) في الأصل أموت . وهو نصحيح ظاهر

(٢) لعل الأظهر على .

ما السبب يا أمير المؤمنين؟ - قال : خرجت من عند جارية لى فأسررت إليه سراً  
فما عدانى السرُّ أن عاد إلى . - قلت لعلك أسررت الى غيره ، - قال : ما كان  
هذا ! - قلت فلعل مستمعا أستمع إليكما ، - قال لا ولا هذا أيضاً . قال فأطرقت  
ملياً ثم رفعت رأسى ، فقلت : يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً . -  
قال وما هو؟ - قلت : خبر أبى الجوزاء ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال حدثنا  
المعتمر بن سليمان عن أبى الجوزاء قال : طلقت امرأتى فى نفسى وأنا بالمسجد ثم  
أنصرفت إلى منزلى ، فقالت لى امرأتى : طلقتنى يا أبا الجوزاء ! قلت من أين لك  
هذا؟ قالت حدثتنى به جارى الأنصارية قلت : ومن أين لها هذا؟ قالت ذكرت  
أن زوجها أخبرها بذلك قال : فغدوت على ابن عباس رضى الله عنهما فقصصت  
عليه القصة فقال : أما علمت أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل؟ فمن  
هنا يفسد السر ، فضحك المتوكل ، وقال إلى يافتح ! فصب عليه خلعة ، وحمله  
على فرس ، وأمر له بجال ، وأمر لى بدونه فأنصرفت إلى منزلى ، وقد شاطرنى  
الفتح فيما أخذ فصار إلى الأكثر .

قال أبو نعيم وكان فى نفسى من حديث أبى الجوزاء شئ حتى حدثنى حمزة  
ابن حبيب الزيات . قال : خرجت سنة أريد مكة فبينما أنا فى الطريق إذ ضللت  
راحلتى فخرجت أطلبها فإذا أنا بأثنين قد قبضا على أحس حشما ولا أرى شخصهما  
بل أسمع كلامهما ، فأخذانى إلى شيخ قاعد وهو حسن الشبهة فسلمت عليه فرد على  
السلام فأفرخ روعى . ثم قال من أين والى أين؟ قلت من الكوفة إلى مكة .  
قال : ولم تخلقت عن أصحابك؟ قلت ضللت راحلتى فجئت أطلبها ، فرجع رأسه  
إلى قوم عنده ، وقال : أئبخوا راحلته ، فأبيحت بين يدي . ثم قال : تقرأ القرآن؟

(١) فى الأصول بالجيم وهو تصحيف . وصوابه بالطاء المعجمة يقال أفرخ روعه أى زال ذره . انظر القاموس

قلت نعم . قال فاقرا ، فقرأت حم الأحصاف حتى أتيت ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا  
مِنَ الْجُنِّ ﴾ فقال مكانك ، أتدري كم كانوا ، قلت لا . قال كمًّا أربعة : وكنْتُ  
أنا المخاطَبُ عن النبي صلى الله عليه وسلم لم ، فقلت : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾  
ثم قال أتقول الشعر ؟ قلت لا . قال فترويه ؟ قلت نعم . قال هاته ، فأنشدته  
قصيدة زهير بن أبي سلمى "أمَّنْ أوفى" فقال لمن هذه ؟ قلت لزهير بن أبي سلمى  
قال الجنى ؟ قلت : لا بل الإنسى . ثم رفع رأسه الى قوم عنده ، فقال استثنى زهير  
فأَنَّى بَشِخَ كأنه قطعة لحم فَأَلْقَى بين يديه . قال يا زهير - قال لبيك ! قال "أمَّنْ  
أم أوفى" لمن هي ؟ قال لى - قال هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى ،  
قال : صدق وصدقت ، قال : وكيف هذا ؟ قال هو الذى من الإنس وأنا تابعه  
من الجن ، أقول الشيء فألقيه اليه في فهمه ويقول الشيء فأخذ عنه ، فأنا قائلها فى الجن  
وهو قائلها فى الإنس . قال أبو نعيم : فصدق عندى حديث أبي الجوزاء أن وسواس  
الرجل يحدث وسواس الرجل .

### الفصل الثالث

فيما يتصرف فيه صاحبُ هذا الديوان بتدبيره ، ويصرفه بقلمه ،  
ومتعلق ذلك اثنا عشر أمرًا

### الأمر الأول

#### التوقيع والتعيين

أما التوقيع فهو الكتابة على الرَّقاع والقصاص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات  
والمكاتبات فى الأمور المتعلقة بالملكة ، والتحدث فى المظالم ، وهو أمر جليل ،  
ومنصب حفيظ ، إذ هو سبيل الإطلاق والمنع ، والوصل والقطع ، والولاية والعزل

إلى غير ذلك من الأمور المهمات والمتعلقات السَّيِّئَةِ . وأعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء، فكان الخليفة هو الذى يُوقِّع فى الأمور السلطانية، وفصل المظالم، وغيرهما .

## الأمم السانى

نظرة فى الكُتُب الواردة عليه

قال أبو الفضل الصورى: "كان الواجب أن لا يقرأ الكُتُب الواردة على الملك إلا هو بنفسه؛ ولما كان ذلك متعذرا عليه لوفورها، وأتساع الدولة، وكثرة المكاتبين من أصناف أرباب الخِلم، ووصول الكُتُب إليه من الأقطار النائية، والممالك المتباعدة، وضيق الزمان عن تفرغه لذلك، وجب تفويضه إلى متولى ديوان رسائله". قال: "ولما كان حال متولى صاحب الديوان كذلك لا يشتغاله بالحضور عند الملك فى بعض الأوقات لقراءة الكتب الواردة، وتقرير ما يجاب به عن كل منها، مع شغله بتصفُّح ما يكتب فى الديوان والمقابلة به، احتاج أن يرده أمرها إلى كاتب يقوم مقامه" على ما سيذكر فى صفات كتاب الديوان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

## الأمم الثالث

نظرة فيما يتعلق برده الأجوبة عن الكُتُب الواردة على لسانه

قال أبو الفضل الصورى: "ومن أهم ما يلزم صاحب هذا الديوان إشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه أن من أعظمها خطرا أن يُصدر جواب كل كاب يصل إليه فى يومه ولا يؤخره إلى غده ويؤخره فى آخره بتاريخ ذلك اليوم" فيقال: "وكتب فى يوم وصول كتابك، وهو يوم كذا" فإن ذلك يقيم للكَ هبة كبيرة، ويدل

على تطلعه للأمور، وانتصابه للتدبير، وقلة إهماله لأُمُور دولته، وكثرة احتفاله باستقامة شُؤونها، ويؤثر في نفس المكاتبين تأثيراً كبيراً، ويستشعرون منه حذراً وخيفة“ . قال : ”وينبغي أن يأخذ جميع أرباب الخِدم في البلاد بتاريخ كتبهم ويحذروهم من ترك ذلك ؛ فإن في إهماله ضرراً كبيراً من حيث إنه إذا ورد غير مؤرخ لم يعلم بُعد العهد بما ذكر فيه من قُربه ، ولا هل فات وقت النظر فيما تضمنه أم لا ؛ وإذا كان مؤرخاً عرف ذلك وزالت الشبهة فيه ، وإذا وصل إليه كُلب أقتضى تاريخه زيادة زمن على مسافة الطريق ، أنكر ذلك على حامله فإن خرج عن المهدة بإقامة الحجّة على أنه لم يتأخر به قدرًا زائداً على مسافة طريقه ، وأن العذر من تقدم التاريخ قبل إرساله ، أنكر ذلك على مرسله إنكاراً يردّعه عن ذلك ويبرّحه عنه .

### الأمر الرابع

نظره فيما تفاوت به المراتب في المكاتبات والولايات : من الاقتراح والدعاء، والألقاب، وقطع الورق ونحو ذلك

وقد كان هذا الباب في الزمن المتقدم في غاية الضبط والتحرير، خصوصاً في زمن الخلفاء من بنى العباس والفاطميين ؛ لا يُزاد أحد في الألقاب على ما قبله به الخليفة كبيراً كان أو صغيراً ، ولا يُسمَح له بزيادة الدعوة الواحدة فضلاً عما فوقها . أما الآن فقد صار ذلك موكولاً إلى نظر صاحب ديوان الإنشاء ينزل كل أحد من المكاتبين وأرباب الولايات مَرتبته على ما يقتضيه مصطلح الزمان من علو وهبوط ؛ وحينئذٍ فعليه أن يحتاط في ذلك ويؤخذ كتاب الإنشاء بالمشاحة فيه ، والوقوف عند ما حُدّ لهم من غير إفراط ولا تفريط . فقد قال صاحب موادّ البيان : ”إن الملوك تسمَح ببدّرات المال، ولا تسمَح بالدعوة الواحدة“ وتأهيك بذلك تشديداً واحتياطاً .



## الأمر الخامس

نظره فيما يكتب من ديوانه وتصفحه قبل إخراجها من الديوان  
قال أبو الفضل الصوري: "على متولى الديوان أن يتصفح ما يكتب من ديوانه  
من الولايات والمتأشير والمكتبات؛ إذ الكاتب غير معصوم من الخطأ والغلط وسبق  
القلم؛ وعيب الإنسان يظهر منه لغيره مالا يظهر له، فإبصره من لحن أو خطأ أصلحه  
ونبه كاتبه عليه فيحذر من مثله فيما يستأنفه، فإن تكرر منه زجره عن ذلك، وردعه  
عن العود إلى مثله، إذ الغرض الأعظم أن يكون كل ما يكتب عن الملك كاملاً  
الفضيلة خطأ ولفظاً ومعنى وإعراباً حتى لا يجد طاعن فيه مطعناً؛ فربما زلّ الكاتب  
في شيء فيزل بسببه متولى الديوان . بل السلطان . بل الدولة بأسرها . قال : فإذا  
فرغ من عرض الكتاب والوقوف عليه، كتب عليه بخطه ما يدل على وقوفه عليه  
ليكون ملتماً بذكره"

وكانه يشير إلى ما تقدم من كلامه : من أنه إن كان رسالة كتب عنوانها بخطه؛  
وإن كان مشوراً ونحوه، كتب تاريخه بخطه .

ثم قال : "فإن كان متولى الديوان مشغولاً بحضور مجلس السلطان ومخاطباته  
والتلقى عنه، ولا يمكنه مع ضيق الزمان توفية كل ما يكتب بالديوان حق النظر فيه  
وتصفحه ألفاظه ومعانيه، نصب له في ذلك نائباً كاملاً الصنعة حسن الفطنة موثوقاً  
به فيما يأتي ويذر، يقوم مقامه في ذلك" . قال : "وليس ذلك لأنه يغني عن نظر  
متولى الديوان، ولكن ليحمل عنه أكثر الكل ويصير إليه وقد قارب الصنعة  
أو بلغها فيحصل على الراحة من تعبها، ويصرف نظره إلى ما لعله حتى على المتصفح  
من دقائق المعاني وعويص المدارك، فيقل زمن النظر عليه، ويظفر بالغرض  
المطلوب في أقرب وقت" .

(١) الويس بالعين المهملة وهو ما يسهر فهمه . وإيجامه في الأصول تصحيف

## الأمير السادس

نظرة في أمر البريد ومتعلقاته ، وهو من أعظم مهمات السلطان ،  
وأكد روابط الملك

قال زياد لحاجبه : ”وَلَيْتَكَ حِجَابِي وَعِزَّتِكَ عَنْ أَرَبَعٍ : هَذَا الْمُنَادِي إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ وَالْفَلَاحِ فَلَا تَتَوَجَّهْ عَنِّي ، وَلَا سُلْطَانُ لَكَ عَلَيْهِ ؛ وَصَاحِبُ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ الطَّعَامَ إِذَا أُعِيدَ تَسْخِينُهُ فَسَدَ ؛ وَطَارِقُ اللَّيْلِ فَلَا تَحْجُبْهُ فَشَرُّ مَا جَاءَ بِهِ ، وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا جَاءَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ؛ وَرَسُولُ الثَّقَرِ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَبْطَأَ سَاعَةً أَفْسَدَ عَمَلَ سَنَةٍ فَأَذْخَلَهُ عَلَيَّ وَلَوْ كُنْتُ فِي حِلَافِي“ . وقد تقدم أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي يتلقى المكاتبات الواردة وقرؤها على السلطان ويجاوب عنها ، فيجب على صاحب هذه الوظيفة أن يكون متيقظا لما يردُّ على السلطان من نواحي ممالكه وقاصيات أعماله ، فإنه المعتمد عليه في ذلك والمعوَّل عليه في أمره .

وقد كان أمر البريد في الزمن المتقدم والدواريَّة يومئذ أمراء صغار وأجناد معنون لصاحب ديوان الإنشاء ، تخرج رسالة السلطان على لسان بعض الدوادارية بما يرسم به لمن يركب البريد في المهمات السلطانية وغيرها ويأتي بها إلى صاحب ديوان الإنشاء فيعلق رسالته على ما تقدم في تعليق الرسالة ويعمل بمقتضاها . وكان للبريد ألواح من نحاس كل لوح منها بقدر راحة الكف أو نحوها منقوش على أحد وجهيه ألقاب السلطان ، وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وفي رقبته شُرابة من حرير أصفر يجعلها راكب البريد في عنقه ويرسل اللوح على صدره علامة له . فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريدي لوحا من تلك الألواح وكتب له ورقة بخطه إلى أميرأخوَر البريد بالإصطبل السلطاني بما تبرز به الرسالة من الخيل ،

ويكتبُ اسمه في آخر الكتاب الذي يُنقَد معه بين السطور، ويختم الكتاب، ويسلمُ إليه، ويكتب له ورقة طريق بالتوجه إلى جهة قصده، ويحمله على ما رسم له به من خيل البريد على ماسياتى ذكره في الكلام على كتابة أوراق الطريق، ويترك اسمه، وتاريخ سفره، والجهة التي توجه إليها، والشغل الذي توجه بسببه بدقير الديوان.

فلما عظم أمر الدوادارية واستقر عند الدوادار كاتب من كتّاب الدست يعلّق عنه الرسالة على ما تقدم في الكلام على تعليق الرسالة، رجع أكثر الأمر في ذلك إلى الدوادار، وصار كاتب الدست الذي يخدّمه يعلّق الرسالة عنه بذلك كما يعلّقها عنه في غيره على ما تقدم. فإن كان البريد إلى جهة الشام كتب في ورقة لطيفة يرسم برسالة المقر المخدوم الفلاني أمير دوادار الناصري أو الظاهري مثلا أعز الله تعالى أنصاره أن يكتب ورقة طريق شرفه باسم فلان الفلاني المرسوم له بالتوجه إلى الجهة الفلانية، ويحمل على فرس أو فرسين أو أكثر من خيل البريد، ثم يؤرخ. وإن كان البريد إلى الوجه القبلي أو البحري أو غير ذلك كتب: أن يكتب ورقة فرس بريد باسم فلان الفلاني من غير تعرض لذكر ورقة طريق، وباقي الكلام على نحو ما تقدم، ويؤرخ ويجهز تلك الورقة صحبة البريدي إلى صاحب ديوان الإنشاء فيخلد الورقة بديوانه عند دواداره في جملة أصاير الديوان، ويكتب له في ورقة صغيرة أيضا ما مثاله: أمير اخور البريد المنصور يحل فلان الفلاني على فرس واحد أو أكثر من خيل البريد المنصور عند توجهه إلى الجهة الفلانية ويؤرخ، ويدفع إلى البريدي ليدفعها إلى أمير اخور البريد تحلّده عنده، ويكتب اسم البريدي في آخر الكتاب على ماسياتى في أول المكاتبات إن شاء الله تعالى، ويختم الكتاب ويدفع إليه.

قلت: وقد ظل الآن ما كان من أمر الألواح وترك، وصار كل بريدي عنده

شُرْأة حرير صفراء يجعلها في عنقه من غير لوح . اللهم إلا أن يتوجه البريد إلى مملكة من الممالك النائية، فيحتاج إلى اللوح لتعارف أمر المملكة القديمة . وكذلك الحكم فيمن يتوجه إلى الأبواب السلطانية من نيابة من نيابات المملكة في ورقة الطريق وخيل البريد . ولصاحب ديوان الإنشاء التنبه على مصالح مراكر خيل البريد في الديار المصرية وغيرها .

وسأني الكلام على مراكر البريد بمصر والشام، مفصلة في موضعها إن شاء الله تعالى . وأعلم أنه يجب على الناظر في أمر البريد : من الملك فن دونه أن يحتاط فيمن يرسله في الأمور السلطانية، فيوجه في كل قضية من يقوم بكفاتها وينهض بأعبائها، ويختص المملوك وأكابر النواب بأكابر البريدية وعقلائهم وأصحاب التجارب منهم، خصوصا في المهمات العظيمة التي يحتاج الرسول فيها إلى تنسيق الكلام، وتحسين العبارة، وسماع شبهة المرسل إليه، ورد جوابه وإقامة الحجج عليه، فإنه يقال : يُستدل على عقل الرجل بكتابته ورسوله . وقد قيل : من الحق على رسول الملك أن يكون صحيح الفكرة والمزاج، ذا بيان وعارضة ولين وأستحكام متعة، وأن يكون بصيرا بخارج الكلام وأجوبته، مؤديا للألفاظ عن الملك بمعانيها، صدوقا بريئا من الطمع . وعلى مرسله امتحانه قبل توجيهه في مقاصده، ولا يرسل إلى المملوك الأجانب، إلا من اختبره بتكرير الرسائل إلى توابه وأهل مملكته . فقد كان المملوك فيما سلف من الزمن إذا آثروا لإرسال شخص لهم، قدموا امتحانه بإرساله إلى بعض خواص الملك ممن في قرار داره، في شئ من مهماته، ثم يجعل عليه عينا فيما يرسل به من حيث لا يشعر، فإذا أدى الرسول رسالته رجع بجوابها وسأل الملك عنه، فإن طابق ما قاله الرسول ما أتى به من هو عين عليه وتكرر ذلك منه، صارت له الميزة

والتيقدمة عند الملك، ووجهه حيثخذ في مهمات أموره .

وكان أردشير بن بابك آخر ملوك الفرس يقول : "حق على الملك الحازم إذا وجه رسولا إلى ملك أن يردفه بآخر، وإن وجه برسولين وجه بعدهما باثنين، وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسله في طريق فعل"

ومن الحرم أن الرسول إذا أتاه رسالة أو كتاب في خير أو شر أن لا يتحدث في ذلك شيئا حتى يرسل مع رسول آخر يحكى له كتابه أو رسالته حرفاً ومعنى معنى فإن الرسول ربما فاتته بعض ما يؤمله فأفعل الكتب، وغير ماشوفة به فافسد ما بين المرسل والمرسل إليه : من ملك أو نائب ونحوهما ؛ وربما أدى ذلك إلى وقوع فتنة بين المليكين، أو خروج النساب عن الطاعة وتفاقم الأمر بسبب ذلك وسرى إلى ما لا يمكن تداركه .

وقد حكى أن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق بغاء رسالة شك الإسكندر في حرف منها فقال له : "ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومسند إذا مالت وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بيّنة المعاني ، وقد وجدت فيها حرفاً ينقضها ؛ أفعل ! يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال بل على يقين منه أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب الألفاظ حرفاً وحرفاً ويعاد إلى الملك الذي جاء ذلك الرسول من عنده مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له . فلما وصل الرسول الثاني إلى ذلك الملك وقرأ عليه ما كتب إليه به الإسكندر في أمر ذلك الرسول ، أنكر ذلك الحرف الذي أنكره الإسكندر وقال للترجم : "ضع يدك على هذا الحرف" فوضعها فأمر أن يعلم بعلامة وقال : "إني أجل ما وصل عن الملك أن أقطعه بالسكين ، ولكن ليصنع هو فيه وفي قائله ما شاء" . وكتب إلى الإسكندر : "إن من أسس المملكة صحة لهجة الرسول ؛ إذ كان عن لسانه ينطق ، وإلى أذنه

يُؤدّي“ . فلما عاد الرسول إلى الإسكندر دعا برسوله الأول وقال : ”ما حملك على كلمة قصدت بها إفساد ما بين ملكين؟“ فأقر أن ذلك كان منه لتقصير رآه من الملك ، فقال له الإسكندر : ”فأراك قد سميت لنفسك لالنا ! فأتك ما أملت مما لا تستحقه على من أرسلت إليه بفعلت ذلك ثأرا تُوقعه في الأُنفس الخطيرة الرفيعة ! ثم أمر بلسانه فتزع من قفاه.“ وكأنه رأى إتلاف نفس واحدة أولى من إتلاف نفوس كثيرة بما كان يُوقعه بين الملكين من العداوة ويشير من الإحن وضغائن الصدور .

وقد كان أردشير بن بابك يقول : ”كم من ديم سفكهُ الرسولُ بغير حيلة ! وكم من جُيُوش هُزمت وقُتِل أكثرها ! وكم حُرمة أُنْهكت ! وكم مالٍ نُهب وعقد نُقِصَ بخيانة الرُّسل وأكاذيب ما يأتون به !“ .

### الأمر السابع

( نظره في أمر أبراج الحمام ومصلقاته )

سيأتى فيما بعد إن شاء الله تعالى أن بالديار المصرية أبراجا للحمام الرسائلي- يحمل البطائق في أجنحته من مكان إلى مكان ؛ منها بُرج بقلعة الجبل ، وأبراج بطريق الشام بمدينة بلييس ، وأبراج بطريق الإسكندرية . وكان قبل ذلك يدرج إلى قوص ، ومنها إلى أسوان وعيناب ما يقطع ذلك الآن . وحمام كل برج يُنقل منه في كل يوم إلى البرج الذى يليه ليطلب برجه الذى هو مستوطنه إذا أُرسِل . فإذا عرض أمر مهم أو ورد بريد أو غيره ممن يحتاج إلى مطالعة الأبواب السلطانية به إلى مكان من الأمكنة التى فيها برج من أبراج الحمام ، كتب إليها المتحدّث فيها بذلك للأبواب السلطانية ، وبعث بها على أجنحة الحمام . وقد جرت العادة

(١) كذا في الأصل ولعله فاقطع ذلك الآن .

(٢) صوابه مما كما هو واضح .

أن تكتب بطاقتان وتؤرخان بساعة كتابتهما من النهار ، ويعلق كل منهما في جناح طائر من الحمام الرئاسي ويرسلان ، ولا يكتفى بواحد لاحتمال أن يعرض له عارض يمنعه من الوصول إلى مقصده . فإذا وصل الطائر إلى البرج الذي وجه به إليه ، أمسكه البرّاج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذي يليه أى من المنقول إلى ذلك البرج ، وعلى ذلك حتى ينتهي إلى برج القلعة فيأخذ البرّاج الطائر والبطاقة في جناحه ويحضّره بين يدي الدوّادار الكبير فيعرض عليه ، فيضع البطاقة عن جناحه بيده . فإن كان الأمر الذي حضرت البطاقة بسببه خفيفا لا يحتاج إلى مطالعة السلطان به ، استقلّ الدوّادار به ، وإن كان مهماً يحتاج إلى إعلام السلطان به ، استدعى كاتب السر وطلع لقراءة البطاقة على السلطان كما يفعل في المكاتبات الواردة . وكذلك الحكم فيما يطراً من المهمات بالأبواب السلطانية فإنه يوجه بالحمام من برج القلعة إلى الجهة المتعلقة بذلك المهم . وفي معنى ذلك كل نيابة من النيابات العظام بالمالك الشامية كتمشق ، وحلب ، وطرابلس ونحوها مع ماتحتها من النيابات الصغار والولايات ، على ما سيأتي ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى .

### الأمر الثامن

( نظره في أمور الفداوية )

وهم طائفة من الإسماعيلية المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! ، من فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وهم فرقة من الشيعة معتقدهم معتقد غيرهم من سائر الشيعة أن الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم !

انتقلت بالنص إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ثم إلى ابنه الحسن ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم تنقلت في بنى الحسين إلى جعفر الصادق ، ثم هم يدعون انتقال الإمامة من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ، ثم تنقلت في بنيه .

وُسِمُوا الفِداوية لأنهم يُهادُون بالمال على مَنْ يَقْتُلُونَهُ . وَيُسَمُّونَ في بلاد العجم بالباطنية لأنهم يُبْطِنُونَ مذهبهم وَيُخْفَوْنَهُ ، وتارة بالملاحدة لأن مذهبهم كله إلحاد . وهم يُسَمُّونَ أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية . وسيأتي الكلام عند ذكر تحليلهم في الكلام على الأيمان إن شاء الله تعالى . وكانوا في الزمن المتقدم قد علَّتْ كلُّهُمْ ، وأشدَّتْ شِكِمَتَهُمْ ، وقَوِيَتْ شوْكُهُمْ ، وأستولوا على عِنة قلاع بلاد العجم وبلاد الشام . فأما بلاد العجم فكان بداية قوتهم وانتشار دعوتهم في دولة السلطان ملكشاه السلجوقي في المائة الخامسة . وذلك أنه كان من مقدِّمهم رجل اسمه عطاش فنشأ له ولد يسمى أحمد فتقدم في مذهبهم وأرتفع شأنه فيهم ، وألَمَ به مَنْ في بلاد العجم منهم ، فغلب على قلعة بأصْبَهَانَ ، كان قد بناها السلطان ملكشاه المتقدم ذكره ، وقلعة بالطالقَان تعرف بقلعة الموت ؛ وكان من تلامذته رجل يقال له الحسن بن الصباح ذو شهامة وتقدم في علم الهندسة والحساب والنجوم والسحر ، فأثمه بالدعوة للخلفاء الفاطميين ، وهم من جملة طوائف الإسماعيلية ففر الحسن بن الصباح منه هاربا إلى مصر ، وبها يومئذ المستنصر بالله خاض خلفاء الفاطميين فأكرمه وأحسن نزلَه ، وأمره بأن يخرج إلى البلاد للدعوة إلى إمامته فأجابَه إلى ذلك ، وسأله مَنْ الإمام بعده ، فقال له : ابنى زرار وهو الذى تنسب إليه التَّزَارِيَّة منهم . فخرج ابن الصباح من مصر وسار إلى الشام ، والجزيرة ، وديار بكر ، وبلاد الروم يدعو إلى إمامة المستنصر . ثم أبته زرار من بعده ، وسار إلى خُرَّاسان وجاوزها إلى ما وراء النهر ، ودخل كاشغَر يدعو إلى ذلك ، ثم عاد إلى الطالقَان وأستولى على قلعة الموت في سنة ثلاث وثمانين



وأربعائة، ثم استولى على قلعة أصفهان واستضاف إليها عدة قلاع بتلك النواحي في سنة تسع وتسعين وأربعائة، وقويت شوكة هذه الطائفة بتلك البلاد، وعظم أمرها، وخافها الملوك وسائر الناس، وبقي ابن الصباح على ذلك حتى مات في سنة ثمان عشرة وخمسمائة. وتنقلت تلك القلاع بعده حتى صار أمرها إلى شخص من عقبه يسمى جلال الدين بن حسن الكيا الصيحي ف أظهر التوبة في سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وبقي على ذلك إلى سنة ثمان وستمائة، فأظهر شعائر الإسلام، وكتب إلى جميع قلاع الإسماعيلية ببلاد العجم والشام، فأقيمت فيها، وبقي حتى توفي سنة ثمان عشرة وستمائة، وقام بعده ابنه علاء الدين محمد، وتداول مقدموهم تلك القلاع إلى أن خرج هولاكو على بلاد العجم في سنة ست وخمسين وستمائة باستصراخ أهل تلك البلاد من عيبتهم وفسادهم، فغرب قلاعهم عن آخرها.

وأما بلاد الشام فكان أول قوتهم بها أنه دخل منهم إلى الشام رجل يسمى بهرام بعد قتل خاله إبراهيم الأسدي بادي بغداد في أيام تاج الملوك بوري صاحب الشام، وصار إلى دمشق ودعا إلى مذهبه بها، وعاضده سعيد المردغاني وزير بوري حتى علت كلمته في دمشق وسلم له قلعة بانياس، فعظم أمر بهرام وملك عدة حصون بالجبال أظنها القلاع المعروفة بهم إلى الآن، وهي سبع قلاع بين حماه وحمص متصلة بالبحر الرومي على القرب من طرابلس : وهي مضيايف، والرصافة، والخوابي، والقدموس، والكهف، والعليقة، والمليقة، ومن هنا سُميت بقلع الدعوة. وكان آخر الأمر من بهرام أنه قُتل في حرب جرت بينه وبين أهل وادي التيم، وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم اسمه إسماعيل، وأقام الوزير المردغاني عوض بهرام بدمشق رجلا منهم اسمه أبو الوفاء فعظم أمره بدمشق حتى صار الحكم له بها، وهم بتسليمها

(١) أهلها بانياس. قال ياقوت كورة وديانة صغيرة وحصن بسواحل حمص.

للفريج على أن يسلموا له صوراً عوضاً منها، فشعر به بوري صاحب دمشق فقتله وقتل وزيره المردغاني ومن كان بدمشق من هذه الطائفة، ولم يزل أمرهم يتنقل بالشام لواحد بعد واحد من مقدمهم إلى أن كان المقدم عليهم في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبو الحسن راشد الدين سنان البصري وكان بينهم وبين السلطان صلاح الدين مباينةً ووثبوا عليه مراتٍ ليقْتلوه فلم يظفروا بذلك إلى أن حاصر قلاعهم في ستة أثنتين وسبعين وخمسمائة وضيق عليهم، فسألوه الصّبح عنهم فأجابهم إلى ذلك وبقي راشد الدين سنان مقدماً عليهم حتى مات في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

قال في مسالك الأبصار: "وهم يعتقدون أن كل من ملك مصر كان مظهرًا لهم، ولذلك يتولّونه ويرَوْن إتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقل إليه من النعيم الأكبر برعمهم". قال: "ولصاحب مصر بمشايعتهم مزية يخافها أعداؤه<sup>(١)</sup> لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالي أن يُقتل بعده، ومن بعثه إلى عدوّ له فجئ عن قتله قتل أهله إذا عاد إليهم، وإن هرب تبعوه وقتلوه".

قلت: وكانوا في الزمن المتقدم يُسمون كبيرهم المتحلّث عليهم تارة مقدّم الفداوية، وتارة شيخ الفداوية. أما الآن فقد سموا أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم بأتابك المجاهدين، وقد كانت السلاطين في الزمن المتقدم تمنع هؤلاء من مخالطة الناس فلا يخرجون من بلادهم إلى غيرها إلا من رُسِم له بالخروج لما يتعلق بالسلطان ولا يُمكن أحد من التجار من الدخول إلى بلادهم لشراء قماش وغيره. وكان يكتب بذلك مراسيم من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ويوجّه بها لنائب الشام المحروس. وسيأتي إيراد شيء من نسخ هذه المراسيم عند ذكر مرسوم أتابكهم في الولايات إن شاء الله تعالى!

(١) لعله عدوه بالافراد.

## الأمر التاسع

( نظره في أمر العيون والجواسيس )

وهو جزء عظيم من أسس الملك وعماد المملكة . وعلى صاحب ديوان الإنشاء مداره واليه رجوع تديره واختيار رجاله وتصريفهم . فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريد والرسل : لأن الرسول قد يتوجه إلى الصديق وقد يتوجه إلى العدو والجاسوس لا يتوجه إلا إلى العدو ، وإذا وثق بجاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر ، وعليه معتمد ، وبه فاعل .

وقد شرطوا في الجاسوس شروطا :

منها أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه ، فإن الظنين لا يُتَمَع بغيره وإن كان صادقا لأنه ربما أخبر بالصدق قائم فيه فتفوت فيه المصلحة . بل ربما أثر الضرر لمن هو عين له إذ المتهم في الحقيقة عينٌ عليك لا عون لك . وكيف يكون المتهم آمينا ! لا سيما فيما يصرف فيه جليل الأموال من القضايا العظيمة إن سلمت نفوس النفوس .

ومنها أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة : ليدرك بوقور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو والمشاهدة ما كتموه عن النطق به ، ويستدل فيما هو فيه ببعض الأمور على بعض فإذا تفرس في قضية ولاح له أمر آخر يعضدها قوى بحثه فيها بانضمام بعض القرائن إلى بعض .

ومنها أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة : ليتوصل بدهائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته في كل مدخل ، ويدرك مقصده من أى طريق أمكنه . فإنه متى كان قاصرا في هذا الباب أو شك أن يقع ظفر العدو به أو يعود صفر اليد من طلبته .

ومنها أن يكون له دُرْبَةٌ بالأسفار ومعرفةً بالبلاد التي يتوجه إليها : ليكون أَعْقَى له عن السؤال عنها وعن أهلها ، فربما كان في السؤال تنبُّه له وتيقُّظ لأمره فيكون ذلك سببا لحلاكه ؛ بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن حال ملكه فدلَّ عليه وكان عَيْنًا عليه لا له .

ومنها أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها لِيَلْتَقِطَ مَا يَقَعُ من الكلام فيما ذهب بسببه مَنْ يخالطه من أهل تلك المملكة وَسُكَّانِ البلاد العالمين بأخبارها ، ولا يكون مع ذلك ممن يُتَّهَمُ بِمَلَاةِ أَهْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ من حيث إن الغالب على أهل كلِّ لسان اتِّحَادُ الْجَنَسِ ، والجنسيةُ علةُ الضمِّ .

ومنها أن يكون صَبُورًا على مالهه يصير إليه من عُقُوبَةِ إِنْ ظَفِرَ به العدو بحيث لا يَخِرُّ بأحوالِ مَلِكِهِ ولا يُطْلِعُ عَلَى وَهْنٍ فِي مَلِكَتِهِ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ لَا يَنْخَلُصُهُ مِنْ يَدِ عَدُوِّهِ ، وَلَا يَدْفَعُ سَطَوَتَهُ عَنْهُ . بل ولا يعترف أنه جاسوس أصلاً ؛ فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَمُّ هَلَاكُهُ وَيُقْضَى إِلَى حَتْفِهِ : إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَسَعُ اسْتِعَابُهَا . فإذا وَجَدَ من العيون والجواسيس مَنْ هُوَ مُسْتَكْمِلٌ لِهَذِهِ الشَّرَاطِطِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، فعليه أَنْ يُظْهِرَ لِهَمِ الْوُدِّ وَالْمَصَافَاةِ وَلَا يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ فِي زَمَنِ تَصَرُّفِهِ لَهُ أَنَّهُ يَتَّهَمُ وَلَا أَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ لَدَيْهِ ؛ فَرَبَّمَا أَذَاهُ ذَلِكَ فِي أَضْيَاقِ الْأَوْقَاتِ أَنْ يَكُونَ عَيْنًا عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ الْضَّرُورَةُ قَدْ تَلَجَّثَتْ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، خُصُوصًا إِنْ جَذَبَهُ إِلَى ذَلِكَ جَاذِبٌ يَسْتَحِيلُهُ عَنْهُ مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْضَّرُورَةِ ، وَالضَّرُورَةُ قَدْ تَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى مَفَاسِدِ الْأُمُورِ ، وَيُخَيِّرُ لِهَمِ الْإِحْسَانِ وَالْبَرِّ ، وَلَا يُفْعَلُ تَعَاهُدُهُمُ بِالصَّلَاتِ قَبْلَ أَحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِمْ . ويزيد في ذلك عند توجُّههم إِلَى الْمَهْمَاتِ ، وَيَتَعَهَّدُ أَهْلِيهِمْ فِي حُضُورِهِمْ وَغَيْبَتِهِمْ لِيَمْلِكَ بِذَلِكَ قُلُوبَهُمْ وَيَسْتَصْقِيَ بِهِ خَوَاطِرَهُمْ . وَإِنْ قُضِيَ عَلَى مَنْ بَعَثَهُ مِنْهُمْ بِقَضَاءٍ ، أَحْسَنَ إِلَى مَنْ خَلَّفَهُ مِنْ أَهْلِهِ ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ لَهُ

إذا ورد بنفسه عليه ليكون ذلك داعيا لغيره على النصيحة . وإن قُدر أن عاد منهم أحد غير ظافر بقصد أو حاصل على طليّة وهو ثقة ، فلا يستوحش منه بل يؤليه الجميل ، ويعامله بالإحسان ؛ فإنه إن لم ينجح المرة نجح الأخرى . وعليه أن يحترز عن أن تعرف جواسيسه بعضهم بعضا لا سيما عند التوجه للهمّات . وإن استطاع أن لا يجعل بينه وبينهم واسطة فعل ، وإن لم يمكنه ذلك جعل لكل واحد منهم رجلا من بعض خاصته يتولّى إيصاله إليه فإنه إذا علم بعضهم ببعض ربما أظهره ، بخلاف ما إذا أختص الواحد بالسر . وأيضا فإنه لا يؤمن اتفاقهم عليه ومالائهم لعدوه . وكذلك يحترز عن تعرّف أحد من عسكره عيوته وجواسيسه فإن ذلك ربما يؤدى إلى انتشار السر والعود بالفسدة . وعليه أن يصنئ إلى ما يليق به إليه كلّ من جواسيسه وعيونه وإن اختلفت أخبارهم يأخذ بالأحوط فيما يؤدّيه إليه أجهّاده من ذلك ولا يجعل اختلافهم ذنبا لأحد منهم ، فقد تختلف أخبارهم وكل منهم صادق فيما يقوله ؛ إذ كل واحد قد يرى ما لا يرى الآخر ، ويسمع ما لا يسمعه . وإذا عثر على أحد من جواسيسه برّلة فليسترها عنه وعليه ، ولا يعاقبه على ذلك ولا يوبّخه عليه فإن يوبّخه ففي خلوة بلطف مذكرا له أمر الآخرة وما فى مملأة العدو والخيانة من الوبال فى الآخرة . ولا بأس بأن يُجرى له ذكر ما عليه من مصافاته ومودته وأنه مع العدو على غرر لا يدرى ما هو صائر إليه ؛ فإن ذلك أدعى لاستصلاحه . ولا شك أن استصلاحه إما فى الوقت أو فيما بعد خير من ثبات فسادته ، فربما أداه ذلك إلى مملأة العدو ومباطلته ، لا سيما إذا كان العدو معروفا بالحلم والصفح ، وكثرة البذل والعطاء . وإذا حضر إليه جاسوس بخبر عن عدوه استعمل فيه التثبت ودوام البشر ولا يُظهر تهاوتا عليه تظهر معه الحقة ، ولا إغراضا عنه يفوت معه قدر المناصحة ، ولا يُظهر له كراهة ما يأتيه به من الأخبار المكروهة فإن ذلك مما يستدعى فيه كتمان السر عنه فيما يكره فيؤدى إلى الإضرار به .

وقد حكى عن بعض الملوك أنه كان يعطى من يأتيه بالأخبار المكروهة من الجواسيس أكثر مما يعطى من يأتيه بالأخبار السارة .  
واعلم أنه لا يمكن أحدا ممن يمنع بلاده أو عسكره من جواسيس عدوه . فيجب الاحتراز منهم بكتمان السرّ وسرّ العورة ما أمكنه ؛ على أنه ربما دعت الضرورة في بعض الأحيان إلى أن يعترف الملكُ عدوه بعض أموره على حقيقته لأمر يحاول به مكيدته . والطريق في ذلك أن يتلطف إلى أن يصير جاسوسَ عدوه جاسوسا له بأن يتوّدّد إليه بالاستمالة والبرّ وكثرة البذل حتى يستخرج نصيحته ، فيثبذ يلقى إليه ما أراد تبليغه إلى صاحبه الأول مما فيه المكيّدة فيوصله إليه فيكون أقرب لقبوله من بلوغه له من غيره ممن يتهمه .

### الأمر العاشر

( نظره في أمور القُصّاد الذين يسافرون بالمطّفات من الكتب )

عند تعذّر وصول البرّد إلى ناحية من النواحي )

وهو من أعظم مهمات السلطنة وأكدها . وقد ذكر ابن الأثير في تاريخه : أن أوّل من اتخذ السّعاة من الملوك معز الدولة بن بويه أوّل ملوك الديلم بعد الثلاثين والثلاثمائة : وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد ، وأخوه ركن الدولة ابن بويه بأصبهان وماعها فأراد معز الدولة سرعة إعلام أخيه ركن الدولة بتجددات الأخبار فأحدث السّعاة وأنشئ في أيامه ساعيان اسم أحدهما فضل والآخر مرعوش ، وكان أحدهما ساعى السّنة والآخر ساعى السّبعة ، وتعصّب لكل منهما فرقة ، وبلغ من شأنهما أن كل

(١) كذا في الأصل . ولعلّ صوابه "لا يمكن أحدا أن يمنع الخ" فنه .

واحد منهما كان يسير في كل يوم نيفاً وأربعين فرسخاً ، وأستتر حكم السعاة ببغداد إلى زماننا حتى إن منهم ساعين لركاب السلطان يمشيان أمامه في المواكب وغيرها على قرب .

قلت : "وقد رأيتهما في خدمة السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد حين قدم مصر في دولة الظاهر برقوق فاتراً من تمر" . أنا الديار المصرية فإنه لا يتعاضد ذلك . عندهم إلا خفاف الشباب من مكارية الدواب ونحوهم ممن يعتاد شدة العدو إلا أنه إذا طرأ مهم سلطاني يقتضى إيصال ملطف مكتبة عن الأبواب السلطانية إلى بعض النواحي وتعرض إيصاله على البريد لحيلولة عدو في الطريق أو انقطاع خيل البريد من المراكز السلطانية لعرض ، أنتدب كاتب السر بأمر السلطان من يعرف بسرعة المشي وشدة العدو للسفر ليوصل ذلك الملطف إلى المكتوب إليه والإتيان بجوابه . وربما كتبت الكتابان فأكثر إلى الشخص الواحد في المعنى الواحد ويجهز كل منهما بحجة قاصد مفرد خوف أن يتعرض واحد فيمضي الآخر إلى مقصده كما تقدم في بطائق الحمام الراسالي . وقد أخبرني بعض من سافر في المهمات السلطانية من هؤلاء أنهم في الغالب عند خوف العدو يمشون ليلاً ويكمنون نهاراً وإذا مشوا في الليل يأخذون جانباً عن الطريق الحادة ، يكون بين كل اثنين منهم مقدار رمية سهم حتى لا يسمع لهم حس فاذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين مع مواعدهم على مكان يتلاقون فيه في وقت المسير .

### الأمر الحادى عشر

(نظرة في أمر المتأور والمحترقات)

أما المتأور فسياقى أنه في الزمن المتقدم عند وقوع الحروب بين التار وأهل هذه المملكة ، كان بين القرات بأخر الممالك الشامية وإلى قريب من بليّس من أعمال

الديار المصرية أمكنةً مرتبةً برعوس جبال عوالي، بها أقوام مقيمون فيها، لهم رزق على السلطان من إقطاعات وغيرها إذا حدث حادث عدو من بلاد التتار، وأتصل ذلك بمن بالقلاع المجاورة للفرات من الأعمال الحليسية : فإن كان ذلك في الليل أُوقِدَت النار بالمكان المقارب للفرات من رعوس تلك الجبال فينظره من بعده ، فيوقد النار فينظره من بعده، فيوقد النار وهكذا حتى ينتهي الوقود إلى المكان الذي بالقرب من بليس في يوم أو بعض يوم، فيرسل بطاقته على أجنحة الخمام بالإعلام بذلك فيعلم أنه قد تمزك عدو في الجملة فيؤخذ في التأهب له حتى تصل البرد بالخبر مفصلاً .

وأما المحرقات فسيأتي أنه كان أيضا قوم من هذه المملكة مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتعملون على إحراق زروعهم بأن تُمسك الثعالب ويحوها وتربط الخرق المغموسة في الزيت بأذنان تلك الثعالب وتوقد بالنار وترسل في زروعهم إذا يبست فيأخذها الدُعر من تلك النار المربوطة بأذنانها فتذهب في الزروع آخذة يمينا وشمالا فما مرّت بشئ منه الا أحرقتة وتواصلت النار من بعضها إلى بعض فتُحرق المزرعة عن آخرها .

قلت : وهذان الأمران قد بطل حكمهما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

### الأمر الثاني عشر

( نظره في الأمور العامة مما يعود نفعه على السلطان والمملكة )

قد تقدّم في أوّل هذا الفصل في الكلام على بيان رتبة صاحب ديوان الإنشاء من كلام صاحب موادّ البيان أنه ليس في منزلة خدّم السلطان والمتصرفين في مهماته



أخص منه، من حيث إنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه وأنه لا يغنى به عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمهمات، وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره، وأوقات ظهوره للعامة وخلواته، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته، وأنه لا يثق بأحد من خاصته ثقته به، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب ركونه إليه؛ ومن كان بهذه الرتبة من السلطان والقرب منه، وجب عليه أن لا يألوه نصحا فيما يعلم أنه أصلح لمملكته وأعمر لبسلاده وأرغم لأعدائه وحساده وأثبت لدولته وأقوى لأسباب مملكته.

فقد حكى عن علي بن زيد الكاتب : أنه سجد بعض الملوك فقال للملك :  
«أصبحك على ثلاث خلال - قال وما هي؟ - قال لا تهتك لي سترا، ولا تشتم لي عرضا،  
ولا تقبل في قول قائل حتى تستبرئ». فقال له الملك - هذه لك عندي فإلى عندك؟  
قال : لا أفشي لك سرا، ولا أؤثر عنك نصيحة، ولا أؤثر عليك أحدا - قال نعم  
الصاحب المستصحب أنت ! .

فلذا انتهى إلى صاحب الديوان خبر يتعلق يطلب منفعة إلى المملكة أو دفع مضرة عنها، أطلع السلطان عليه في أسرع وقت وأعجله قبل فوات النظر فيه ونحله فيه صائب رأيه، ثم رد النظر فيه إلى رأى السلطان ليخرج عن عهده . وإن أرتاب في خبر المخبر أحضره معه إلى السلطان ليشافهه فيه حتى يكون بريئا عن تبعته، ولا يهمل تبليغ خبره بمجود الريسة لأحتمال صحته في نفس الأمر فيلحق بواسطة إهماله ضرر لا يمكن تداركه . وكذلك الحال في سائر ما يرجع إلى صلاح المملكة وحسن تديرها.

### الفصل الرابع

في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية، وما يلزم رب كل وظيفة منهم فيما كان الأمر عليه في الزمن القديم وأستقر عليه الحال في زماننا .

أما في الزمن القديم فقد ذكر أبو الفضل الصوري في مقدمة تذكرته أن أرباب الوظائف فيه على ضربين .

### الضرب الأول — الكاتب

(وقد عداهم إلى سبع كتاب<sup>(١)</sup>)

الأول — كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات، والولايات، تنصدي للإنشاء ملكته وغريزة طبعه . قال: ويجب أن يكون هذا الكاتب لاحقاً بصفات متولى الديوان بحيث يكون كاملاً في الصفات، مستوفياً لشروط الكتابة، عارفاً بالفنون التي يحتاج إليها الكاتب، مشتملاً على التقدم في الفصاحة والبلاغة، قوى المجعة في المعارضة، واسع الباع في الكلام بحيث يقتدر بملكته على مدح المذموم وذم المحمود وصرف عنان القول إلى حيث شاء، والإطنا ب في موضع الإطناب، والإيجاز في موضع الإيجاز؛ فإنه أجلُّ كتاب الديوان، وأرفعهم درجة لأنه يتولى الإنشاء من نفسه، وتلقى إليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فينشئ على ذلك كلاماً طويلاً، ويأتى منه بالعبارة الواسعة، وهو لسان الملك المتكلم عنه، فهما كان كلامه أبدع، وفي النفوس أوقع، عظم رتبة الملك، وأرتفعت منزلته على غيره من الملوك . وهو الذي ينشئ المهود والتقاليد في الولايات والكُتب في الحوادث الكبار، والمهمات العظيمة التي

(١) الصواب ثمانية أمم العدد كما هو واضح .

تتلى فيها الكتب على صياحي المنابر ورعوس الأشهاد . فقد حكى أن يزيد بن الوليد كتب إلى إبراهيم بن الوليد، وقسمهم بالعصيان: أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فأعتمد على أيهما شئت والسلام؛ فكان سبباً لإقلاعه عما هم به .

الثاني - كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه ؛ وقد شرط فيه مع ما شرط في المنصدي للأشياء المتقدم ذكره أن كان هو الذي ينشئ المكاتبات بنفسه عن الملك أن يكون على دين الملك الذي يكتب عنه ومذهبه ؛ لما يحتاج إليه في مكتبة الملك المخالف من الاحتجاج على صحة عقيدته ، ونصرة مذهبه ، وإقامة الدلائل على صحة ذلك ، ولن يتجنى لالة أو المذهب من اعتقد خلافه بل المخالف إنما تبؤله مواضع الطعن لا مواضع الجحاج . وكذلك أن يكون من علو الهمة ، وقوة العزم ، وشرف النفس بالمحل الأعلى ، والمكان الأرفع ؛ فإنه يكتب عن ملكه ، وكل كاتب فإنه يحزه طبعه وجيلته وخيمته إلى ما هو عليه من الصفات . فكما كان الكاتب أقوى جانباً وأشد عزيمة وأعلى همة ، كان على التفضيم والتعظيم ، والتهويل والترغيب والترهيب أقدر ، وكما نقص من ذلك نقص من كتابته بقدره ؛ وأن يكون عالماً بقدر طبقة المكتوب إليه في معرفة اللسان العربي فيخاطب كل قوم على قدر رتبهم في ذلك وما يعرف من فهمهم .

الثالث - كاتب يكتب مكاتبات أهل النُولة وكبرائها، وولائها، ووجوهها من التواب والقضاة والكتّاب والمشارفين والعمال ، وإنشاء تقليدات ذوى الخلق الصغار والأمانات ، وكتب الأيمان والقسامات . قال : وهى وإن كانت دون الرتبين المتقدمتين فهى جليلة الخطر عالية القدر ؛ ويجب أن يكون لاحقاً برتب الخدمة منها ، وأن يكون مأموناً على الأسرار ، كاتب اليد ، نزه النفس عن العرض

الديوى لأنه يطالع على أكثر مايجرى فى الدولة ، ويعلم بالوالى قبل توليه والمصرف  
قبل صرفه ، ويكون مع ذلك سريع اليد فى الكتابة ، حسن الخط اذ كان هذا الفن  
أكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل فى وقت من الأوقات

الرابع - كاتب يكتب المناشير والكتب اللطاف والنسخ . قال : وهذه المنزلة  
لاحقة بالمنزلة التى قبلها وكأنها جزء منها ، ويجب أن يكون هذا الكاتب مأموناً كئوباً  
للسر ، فيه من الأدب ما يأمّن معه من الخطأ واللحن فى لفظه وخطه ، ويكون حسن  
الخط أو بالغاً فيه القدر الكافى . ولكن لما كان هذا الشغل واسعاً وهو أكثر عمل  
الديوان والذى لا ينفك منه ، لم يكد يستقل به رجل واحد فيحتاج إلى معاضدته بآخر  
يكون دونه فى المنزلة ، ويحمل رسم تسطير المناشير والفصول المتقدمة الى المقيمين  
بالحضرة ، وكتابة تذاكر المستخدمين ، ونقلها مما يمليه صاحب الديوان ويصدر عنه  
فى نسخ تكون مخلدة فيه لا تفادى الميضية بحرف لتكون موجودة متى احتجج بها .

الخامس - كاتب يبيض ما ينشئه المنشى مما يحتاج إلى حسن الخط ، كالعهود  
والبيعات ونحوها . قال الصورى : لما كانت البلاغة التامة التى يصلح صاحبها للإنشاء  
وحسن الخط قلما يجتمعان فى أحد ، وجب أن يختار للديوان مبيض رسم الإنشاءات  
والسجلات والتقليدات ، ومكاتب الملوك ، وأن يكون حسن الخط إلى الغاية  
الموجودة بحيث لا يكاد يوجد فى وقته أحسن خطاً منه لتصدر الكتب عن الملك  
بالألفاظ الرائقة والخط الرائع . فإن ذلك أكمل للملكة ، وأكثر تفخيماً عند من يكتبه  
وتعظيماً لها فى صدره . ويجب أن يكون مع ذلك فى الأمانة ، وكتمان السر ، ونزاهة  
النفس على ما تقدم .

السادس - كاتب يتصفح ما يكتب فى الديوان . قد تقدم أنه لما كان كل واحد  
من تقدم ذكره غير معصوم من السهو والزلل والخطأ واللحن وعثرات القلم . وكل واحد

يَتَغَطَّى عَنْهُ عَيْبُ نَفْسِهِ وَيُظْهِرُ لَهُ عَيْبُ غَيْرِهِ، وَكَانَ زَمَنُ مَتَوَلَّى الدِّيَوَانَ أَضْيَقَ مِنْ أَنْ يُوفَى بِكُلِّ مَا يَكْتَبُ بِدِيَوَانِهِ حَقَّ النَّظَرِ. وَكَانَ الْقَصْدُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا يَكْتُبُ عَنْ الْمَلِكِ كَامِلَ الْفَضِيلَةِ خَطًّا وَلَفْظًا وَمَعْنَى وَإِعْرَابًا، حَتَّى لَا يَجِدَ طَاعَنٌ فِيهِ مَطْعَنًا، وَجَبَ أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَتَوَلَّى الدِّيَوَانَ مَعْنِيًا يَتَصَفَّحُ جَمِيعَ الْإِنْشَاءَاتِ وَالتَّقْلِيدَاتِ وَالْمَكَاتِبَاتِ وَسَائِرَ مَا يُسَطَّرُ فِي دِيَوَانِهِ .

قال أبو الفضل الصوري : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُتَصَفِّحُ عَالِي الْمَنْزَلَةِ فِي اللَّغَةِ وَالنَّحْوِ وَحِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، ذَكِيًّا، حَسَنَ الْفِطْنَةِ، عَاقِلًا، مَأْمُونًا وَأَنْ يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ بَعِيدًا مِنَ الْفِرْضِ وَالْعَدَاوَةِ وَالشَّحْنَاءِ حَتَّى لَا يَخْشَى أَحَدًا حَقًّا، وَلَا يُجَاهِي أَحَدًا فِيمَا أَنْشَأَهُ أَوْ كَتَبَهُ . بَلْ يَكُونَ الْكُلُّ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ لَا يَتَرَجَّحُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى الْآخَرِ . وَعَلَيْهِ أَنْ يُلْزَمَ الْكُتَّابُ بِعَرْضِ جَمِيعِ مَا يَكْتُبُونَهُ وَيَنْشِئُونَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ مَرْضَاهُ عَلَى مَتَوَلَّى الدِّيَوَانَ . فَإِذَا تَصَفَّحَهُ وَحَرَّرَهُ كَتَبَ خَطَّهُ فِيهِ بِمَا يَعْرِفُ رِضَاهُ عَنْهُ لِيَلْتَرَمَ بِدَرْكِ مَا فِيهِ وَيَرَى مِنْشِئَهُ .

(السابع) - كَاتِبُ يَكْتُبُ التَّذَاكُرَ وَالْإِفَاتَرَ الْمَضْمُونَةَ لِمَتَعَلِّقَاتِ الدِّيَوَانَ .

قال الصوري : وَيَجِبُ أَنْ يُخْتَارَ لِنَاكَ كَاتِبٌ مَأْمُونٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ، صَبُورٌ عَلَى التَّعَبِ، قَالَ : وَالَّذِي يُلْزَمُهُ مِنْ مَتَعَلِّقَاتِ الدِّيَوَانَ أُمُورٌ .

أحدها - أَنْ يَضَعَ فِي الدِّيَوَانَ تَذَاكُرًا تَشْتَمِلُ عَلَى مَهْمَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي تُنْهَى فِي ضَمَنِ الْكُتُبِ، وَيُظَنُّ أَنَّهُ رُبَّمَا سُئِلَ عَنْهَا أَوْ أُحْتِجَ إِلَيْهَا، فَيَكُونُ اسْتِخْرَاجُهَا مِنْ هَذِهِ التَّذَاكُرِ أَيْسَرَ مِنَ التَّقْيِيبِ عَلَيْهَا وَالتَّقْيِيرِ عَنْهَا مِنَ الْأَضْيَافِ . قَالَ : وَيَجِبُ أَنْ تَسْلَمَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ بَعْدَ أَنْ يُكْتَبَ بِالْإِجَابَةِ عَنْهَا لِيَتَأَمَّلَهَا وَيُنْقُلَ مِنْهَا فِي تَذَاكُرِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَجِيبَ عَنْهُ بِشَيْءٍ نَقَلَهُ، وَيَجْعَلُ لِكُلِّ صَفِيفَةٍ

أوراقا من هذه التذاكر على حدة، تكون على رؤوس الأوراق علامات باسم تلك الصفقة أو الجهة، ويكتب على هذه الصفقة فصل من كتاب فلان الوالى، أو المشارف، أو العامل - ورد بتاريخ كذا - مضمونه كذا - أجب عنه بكذا - أو لم يجب عنه إلى أن تفرغ السنة يستجد السنة الأخرى التى تسلوها تذكرة أخرى . وكذلك يجعل له تذكرة يسطر فيها مهمات ما يخرج به الأوامر فى الكتب الصادرة لئلا تُفقد ولا يجاب عنها، وتكون على الهيئة المتقدمة من ذكر النواحي وأرباب الخدم. وإذا ورد جواب عن شئ مهم نُزل عنه فيقول: ورد جوابه عن هذا الفصل بتاريخ كذا يتضمن كذا، فإنه إذا اعتمد هذا وجد السلطان جميع ما يُسأل عنه حاضرا فى وقته غير متعذر عليه .

الثانى - أن يضع فى الديوان دفترًا بالقباب الولاية وغيرهم من ذوى الخدم، وأسمائهم، وترتيب مخاطبتهم، وتحت اسم كل واحد منهم كيف يخاطب : بكاف الخطاب أو هاء الكناية، ومقدار الدعاء الذى يدعى له به فى السجلات والمكاتبات والمناسبات، والتوقيعات : لاختلاف ذلك فى عُرُف الوقت . وكذلك يضع فيه ألقاب الملوك الأبعد والمكاتبين من الآفاق وكُتَّابهم وأسماءهم، وترتيب الدعاء لهم، ومقداره . ويكون هذا دفتر حاضرا لدى كُتَّاب الإنشاء ينقلون منه فى المكاتبات ما يحتاجون إليه : لأنه ربما تعذر حفظ ذلك عليهم - ومتى تغير شئ منه كتبه تحته . ويكون لكل خدمة ورقة مفردة فيها اسم متوليا لقبه ودعاؤه - ومتى صُرف كتب عليه صُرف بتاريخ كذا، وأستُخدم عوضا منه فلان بتاريخ كذا وأجرى فى الدعاء على منهاجه، أو زيد كذا أو قص . ولا يتغافل عن ذلك : فإنه متى أهمل شئ من ذلك زلَّ بزلله الكُتَّاب وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه .

الثالث - أن يضع بالديوان دفقرا للحوادث العظيمة وما يتلوها مما يجري في جميع المملكة؛ ويدكر كلا منها في تاريخه؛ فإن المنفعة به كثيرة حتى إنه لو جمع من هذين الدفقرين تاريخ لا يجمع .

الرابع - أن يعمل فهرستا للكتب الصادرة والواردة مفصلا مُسَانَةً ومُشَاهِرَةً ومُيَاوَمَةً، ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهته "كتاب ورد بتاريخ كذا"، ويشير إلى مضمونه إشارة تدل عليه أو ينسخه جميعه إن دعت الحاجة إلى ذلك، ويسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على ما سياتى ذكره .

الخامس - أن يعمل فهرستا للإنشاءات، والتقاليد، والأمانات، والمناشير وغير ذلك مُشَاهِرَةً في كل سنة بجميع شهورها؛ وإذا آتت سنة استجد آخر، وعمل فيه على مثل ما تقدم .

السادس - أن يعمل فهرستا لترجمة ما ترجم من الكتب الواردة على الديوان بغير اللسان العربي من الرومي والفرنجي وغيرهما مصرحا بمعنى كل كتاب ومن ترجمه على ما تقدمت الإشارة إليه . قال الصوري : فإذا رُوِيت هذه القوانين انضبطت أموره ولم يكدر بخيل منه شيء، وكان جميع ما يلتمس منه موجودا بأيسر سعي في أسرع وقت .

## الضرب الثاني

(غير الكتاب، وهما أثنان)

أحدهما الخازن . قال الصوري "ينبغي أن يختار لهذه الخدمة رجل ذكي عاقل عاقل مأمون بالغ في الأمانة والثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع إلى الحد الذي لا يزيد عليه : فإن زمام جميع الديوان بيده؛ فمَنْ كان قليل الأمانة ربما أمانته الرشوة إلى

إخراج شئ من المكتبات من الديوان، وإفشاء ممر من الأسرار فيضّر بالدولة ضرراً كبيراً . ويجب أن يكون ملازماً للحضور بين يدي كُتّاب الديوان فتى كُتب المنشئ أو المتصدى لمكتبة الملوك ، أو المتصدى لمكتبة أهل الدولة ، أو لكاتبه المناشير وغيرها شيئاً ، سلمه للمتصدى للنسخ فينسخه حرفاً بحرف ، ويكتب بأصل نسخته كتاب كذا - ويذكر التاريخ بيومه وشهره وسنة على ما تقدم في موضعه ؛ ويسلمه للخازن . وكذلك يفعل بالكتب الواردة بعد أن يأخذ خط الكاتب الذى كتب جوابها بما مثاله . «ورد هذا الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا ، وكتب جوابه بتاريخ كذا» . وإن كان لاجواب عنه ، أخذ عليه خط صاحب الديوان أنه لاجواب عنه ثبراً ذمته منه ولا يتأول عليه في وقت من الأوقات أنه أخفاه ولم يعلم به . ثم يجمع كل نوع إلى مثله ، ويجمع متعلقات كل عمل من أعمال المملكة من المكتبات الواردة وغيرها ، ويجعل لكل شهر إضبارة ، يجمع فيها كُتب من يكتب من أهل تلك الأعمال ، ويجعل عليها بطاقة مثل أن يكتب «إضبارة لما ورد من المكتبات بالأعمال الفلانية في الشهر الفلاني» ثم يجمع تلك الأضابير ويجعلها إضبارة واحدة لذلك الشهر ويكتب عليها بطاقة بذلك ليسهل أستخراج ما أراد يستخرجه من ذلك . قال : ويجب على هذا الخازن أن يحتفظ بجميع ما في هذا الديوان من الكتب الواردة وتُسَخ الكُتب الصادرة ، والتذاكر ، ونرائط المهمات ، وضرائب الرسوم احتفاظاً شديداً .

الثانى - حاجب الديوان . قال الصورى : "ينبغي لصاحب ديوان الإنشاء أن يُقيم لديوانه حاجباً لا يمكن أحداً من سائر الناس أن يدخل إليه ، ما خلا أهله الذين هو معدوق بهم ، فإنه يجمع أسرار السلطان الخفية فمن الواجب كتبها ومتى أهل

(١) في الضوء سرق بهم بالعين المهلة والزاى [وهى أصح في المقام فى القاموس عزق به كفرح لصق] .



ذلك لم يؤمن أن يُطلع منها على ما يكون باظهاره سبب سقوط مرتبته وإذا كثر الفاشون له والداخلون إليه ، أمكن أهل الديوان معه إظهار الأسرار اتكالا على أنها تنسب إلى أولئك ، فإذا كان الأمر قاصرا عليهم آحتاجوا إلى كتمان ما يعلمونه خشية أن ينسب إليهم إذا ظهر .

وأما ما استقر عليه الحال في زماننا فكأن الديوان على طبقتين .

الطبقة الأولى - كُتاب الدست ؛ وهم الذين يجلسون مع كاتب السر يجلس السلطان البدار العدل في المواقب على ترتيب منازلهم بالقدمة <sup>(١)</sup> ويقرون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر . وسُموا كُتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه : جلوسهم للكتابة بين يديه ؛ وهؤلاء هم أحق كُتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين : لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم .

وقد تقدم أنهم كانوا في أوائل الدولة التركية في الأيام الظاهرية ببيرس وما والاها قبل أن يلقب صاحب ديوان الإنشاء بكاتب السر ثلاثة كُتاب ، رأسهم القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، ثم زادوا بعد ذلك قليلا إلى أن صاروا في آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عشرة أو نحوها ، ثم تزايدوا بعد ذلك شيئا فشيئا خصوصا في سلطنة الظاهر برقوق ، وأبنة الناصر فرج حتى جاوزوا العشرين وهم آخذون في التزايد .

وقد كانت هذه الرتبة لاحقة بشأوكا كتابة السر في الرقعة والرياسة إلى أن دخل فيها الدخيل ، وقدم فيها غير المستحق ، ووليها من لا يؤهل لها هو دونها ، وأنعطت رتبتها وصار أهلها في الحضيض الأوهد من الرياسة بعد أوجها الا الأفذاذ من علّت رتبته وقليل ما هم .

(١) المقدمة بالضم السبق . ولعل مراده السبق في الفضل .

الطبقة الثانية - كُتَاب الدَّرَج، وهم الذين يَكْتُبُونَ ما يَوْفَعُ به كاتبُ السَّر أو كُتَاب الدست أو إشارة النَّائب أو الوزير، أو رسالة الدوادار ونحو ذلك من المكتاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات ونحو ذلك مما يجري مجراه. وسمُّوا كُتَاب الدَّرَج لكاتبهم هذه المكتوبات ونحوها في دُرُوج الورق، والمراد بالدَّرَج في العُرف العام الورق المستطيل المركَّب من عدة أوصال، وهو في عُرْف الزمان عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لأخير. قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكُتَاب: وهو في الأصل اسمٌ للفعل أخذنا من درَجَت الكُتَاب أدْرَجُه درَجًا إذا أسرعت طِبُّه وأدرَجته إدراجا فهو مُدرَج إذا أعدته على مطاويه وأضله الإسراع في حالة، ومنه مدرجة الطريق التي يُسرِّع الناس فيها وناقدة دُرُوج إذا كانت سريعة. ويجوز أن يطلق عليهم كُتَاب الإنشاء لأنهم يَكْتُبُونَ ما يُنشَأ من المكتاتبات وغيرها مما تقدّم ذكره؛ ولا يجوز أن يطلق عليهم لَقَب الموقِّعين لما تقدّم من أن المراد من التوقيع الكُتابة على جوانب القصص ونحوها. وكما زاد كُتَاب الدست في العبد زاد كُتَاب الدَّرَج حتى خرجوا عن الحد، وبلغوا نحو من مائة وثلاثين كاتبًا، وسقطت رئاسة هذه الوظيفة وأنحط مقدارها حتى إنه لم يرضاها إلا من لم يكن أهلاً. على أن كُتَاب الدست الآن هم المتصِّتون لكُتابة المهم من كتابة الدَّرَج: كمتعلقات البريد المختصة بالسلطان من المكتاتبات والعهود والتقاليد وكرار التواقيع والمراسيم والمناشير، وصار كُتَاب الدَّرَج في الغالب مخصّوصين بالمكتاتبات في خلاص الحقوق وما في معناها. وكذلك صفار التواقيع والمراسيم والمناشير مما يكتب في القطع الصغير، وربما شارك أعلاهم كُتَاب الدست في التقاليد وكرار التواقيع وما في معناها إذا كان حسن الخط، ولا نظر إلى البلاغة جملة بل كل أجد يلقق ما يتبيها له من كلام المتقدمين غير مبالي بتعريفه ولا تصحيحه مبهجا بذلك مطالعا

لغيره في أنه الذي ابتدعه وأبتكره ، وكل من لُقِّق منهم شيئاً أو أنشأه كتبه بخطه على  
أى طبقة كان في الخط ، ما خلا جهود السلطنة ومكتبات القانات من مملوك الشرق  
فإنه ربما انتخب لها أعلى أهل الزمان خطأ ، تنوياً بذكرها ، ورفعةً لقدرها .

أما كتابة التذاكر والدفاتر فقد كان الأمر مستمراً في بعضها ككتابة ما في المكتبات  
الواردة والصادرة بدقتر في الديوان إلى آخر مباشرة القاضي بدر الدين بن فضل الله  
في الدولة الظاهرية برقوق ، ثم رُفِض ذلك وتُرك وأقتصر على ما يرد من المكتبات  
وما يكتب من الملخصات وكتابة الموقع الذي يكتب الجواب بسد كل فصل تحته  
ليس إلا وترك ما وراء ذلك ، وأكفى من الخازن بدوادار كاتب السر ، وصار هو  
المتولى لحفظ ذلك وإيداعه في الأضياع على نحو ما تقدم ، وكذلك صار أمر حجابة  
الديوان إليه . ثم للديوان أعوان يسمون المدرا جمع مدير ، شأنهم أخذ القصص  
ونحوها وإدارتها على كاتب السر فن دونه من كتاب الديوان ليكتب كل منهم  
ما يلزمه من متعلقها ولذلك سمو بهذا الاسم .

(١) كذا في الأصل والقواعد لا تساعد .

## المقالة الأولى

### بعد المقدمة

في بيان ما يحتاج إليه كاتبُ الإنشاء من المواد ؛ وفيه بابان

### الباب الأول

فيما يحتاج إليه الكاتبُ من الأمور العلمية ، وفيه ثلاثة فصول

### الفصل الأول

( فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال )

وقد اختلفت مقاصدُ المصنِّفين في ذلك : فأبْنُ قتيبة بعد أن بنى كتابه أدبُ الكاتب على أمور من اللغة والتصريف وطُرف من الهجاء قال : " وليس كتابنا هذا لمن لم يتعلَّق من الإنسانية إلا بالجسم ، ولا من الكتابة إلا بالرَّسم ، ولم يتقدَّم من الأداء ، إلا بالقلم والدواء : ولكنه لمن شَدَّ شِئْثًا <sup>(١)</sup> من الإعراب فعرف الصُّدر والمصدر ، وأتقَلَبَ الياء عن الواو ، والألف عن الياء ، وأشَبَّاهَ ذلك من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية ، والمثلث الحاد ، والمثلث المنفرج ، ومساقط الأجسام ، والمربعات المختلفة ، والقيس ، والمدورات ، والعمودين ؛ ومُنَحَّن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر ، فإن المخبر عنه ليس كالمُعَاين . ودَكَرَ أن العَجَم كانت تقول : من لم يكن عالما بأجراء المياه ، وحَقَّرَ قُرْضُ

(١) كذا في الأصل وأدب الكاتب . وفي القاموس شدا أخذ طرفا من الادب وهو معنى مناسب هنا .

المشارب ورَدَم المَهاوى، وبَحَارَى الأيَّام في الزيادة والنقصان، ودَوَّرَانِ الشمس، ومَطَالِج النجوم، وحَالِ القمر في آسْتِهْلَاة وأتْصَالِه، ووَزَنِ الموازين، وذَرَعَ المثلث والمرْبِع والمختلِف الزَّوَايا، ونَصَب القناطر، والجُسُور، واللَّوَايِ، والنَّوَاغِي على المياه، وحَال أدْوَات الصَّنَاع، ودَقَائِقِ الحِساب، كان ناقصاً في حال كُتَابَتِه . ثم قال : ولا بدُّ له مع ذلك من النَّظَر في بَجَلٍ من الفقه والحديث، ودراسة أخبار النَّاس، ويَحْفَظُ عُيُونَ الأخبار لِيُدْخِلَهَا في تَضَاعِيفِ سَطُورِه مِمَّا يَحْتَاجُهَا إِذَا كَتَبَ، أو يَصِلَ بِهَا كَلَامَه إِذَا حَاوَرَ . وختم ذلك بأن قال : ومدار الأمر في ذلك كُلُّهُ على القُطْب وهو العقل وجودة القرينة ؛ فإن القليل معهما بإذن الله تعالى كافٍ، والكثير مع غيرهما مقصر .

وتابعه أبو هلال العسكري في بعض ذلك فقال في بعض أبواب كتابه «الصناعتين» :  
 "يَبْغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكِتَابَةَ تَحْتَاجُ إِلَى آلَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَدَوَاتٍ بَحَّةٍ : مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَصْحِيحِ الْأَفْظَاظِ وَإِصَابَةِ الْمَعْنَى ؛ وَإِلَى الْحِسَابِ ، وَعِلْمِ الْمَسَاحَةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِالْأَزْمِنَةِ وَالشُّهُورِ وَالْأَهْلِةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهِ وَشَرْحِهِ ."

ولا يخفى أن ما ذكره بعض ما ذكره ابن قتيبة، يتواردان فيه في المعنى وإن اختلف اللفظ . وخالف أبو جعفر النحاس في كثير من ذلك فذكر في أول كتابه "صناعة الكتاب" في المرتبة الثانية منه بعد ما يتعلق بالخط : أن من أدوات الكتابة البلاغة، ومعرفة الأضداد مما يقع في الكتب والرسائل والعلم بترتيب أعمال الدواوين، والخبرة ببحار الأعمال، والدربة بوجوه استخراج الأموال، مما يجب ويتمتع . ثم قال : فهذه الآلات ليس لواحد منها تميز بذاته، ولا أفراداً باسم يخصه ؛ وإنما هو بُرْءٌ مِنَ الكِتَابَةِ وَأَصْلٌ مِنْ أَرْكَانِهَا . أما الفقه والفرائض والعلم بالنحو واللغة وصناعة الحساب والمساحة والنجوم، والمعرفة بأجزاء المياه، والعلم بالأنساب فكل

واحد منها منفرد على حديثه وإن كان الكاتب يحتاج إلى أشياء منها نحو ما يكتب بالإنكس والياء، وإلى شيء من المقصور والمدود. ولو كلف الكاتب ما ذكره من ذكره لجعل الأصعب طريقا للأهل والأشقى مفتاحا للأهل وفي طباع الناس التفار عما ألزمهم من جميع هذه الأشياء.

قلت : والتحقيق أن ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها ، فكل نوع من أنواعها يحتاج إلى معرفة فن أو فنون تختص به .

وقد حكى أن عمرو بن مسعدة وزير المعتصم قال : لما خرج المعتصم من بلاد الروم وصار بناحية الرقة ، قال لي ويلك يا عمرو ! لم تزل تخذعني حتى وليت عمر بن الفرج الرحبي الأهواز ، وقد قعد في سرّة الدنيا يأكلها خضما وقصا ! فقلت يا أمير المؤمنين فانا أبعث إليه حتى يؤخذ بالأموال ولو على أجنحة الطير . قال : كلا بل تخرج إليه بنفسك كما أشرت به . فقلت لنفسى : إن هذه منزلة خسيصة ، بعد الوزارة أكون مستعينا لعامل خراج ! ولم أجد بدا من الخروج رضا لأمر المؤمنين . فقلت : ها أنا خارج إليه بنفسى يا أمير المؤمنين ! قال : فضع يدك على رأسك وأحلف أنك لا تقيم ببغداد ، ففعلت وأحدثت عهدا باخواني ومتزلى وأتى إلى بزورق ففرش لي فيه ، ومضيت حتى إذا صرّت بين دير هرقل ودير العاقول إذا شاب على الشط يقول : يا ملاح ! رجل غريب يريد دير العاقول فأحلتى يا جرك الله ! . فقلت : يا غلام

(١) في الأصل عمرو ... الرحبي . والصواب ما أثبتناه فقد قال ياقوت في الكلام على رجب مثال زجج : وينسب إلى الرخج فرج وابنه عمر بن فرج وكانا من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل وكان عبد الصمد بن المذل يبيع عمر بن فرج . فن قوله فيه يخاطب نجاح بن سلمة

أبلغ نجاحا حتى الكتاب مألوكه \* قضى بها الرخج إصدارا وإيرادا

لا يخرج المال عفا من يدى عمر \* أو تتمد السيف في فرديه إعمادا

الرخجيون لا يوفون ما وعدوا \* والرخبيات لا يحققن ميعادا

قَرَّبَ له - فقال : جِئْتُ فِدَاكَ ! يُؤْذِيكَ وَيُضَيِّقُ عَلَيْكَ - فقلت : قَرَّبَ له لا أُمُّ  
لك ! فَنَزَبَ له وحمله على مؤثِّر الزورق . وحضر الطعام ، فهمت أن لا أدعوه  
إلى طعامي ، ثم قلت : هَلُمَّ ياقِي ، فَوَقَّبَ وجلس ، فأكل أَكْلَ جائِعٍ نَهْمٌ إلا أنه  
نظيف الأكل ؛ فلما فرغ من الطعام أَحَبَّبْتُ أن يفعلَ ما يفعلُ العوامُ فينتحى  
ويُفسِلَ يديه ناحية فلم يفعلْ ، فنذره التلبُّانُ ليقومَ فلم يفعلْ ، فتناوَّتَ عمدًا لينهَضَ  
فلم يفعلْ ، فأستويت جالسا وقلت ياقِي ! ما صِناعتك ؟ فقال جعلت فداك !  
أنا حائك . فقلت في نفسي : أنا واقه جَلَبْتُ هذه البلية ، وتغير لوني ، ففطن أنى  
أستثقلته ، فقال : جِئْتُ فِدَاكَ ! انك قد سالتني عن صِناعتي فأجبتك ، فأنت  
ما صِناعتك ؟ فقلت : هذه والله أضرُّ من الأولى ألا ينظر إلى غلباني ونعمتي فيعلمَ  
أن مثل هذا لا يُستل عن الحِرْفة ؟ ولم أجذبْدا من الجواب ، فلم أذهب إلى المرتبة  
العظمى من الوزارة لكنى قَرَّبْتُ عليه ، فقلت : أنا كاتب - فقال : جِئْتُ فِدَاكَ  
الكُتَّابُ خمسة فأيهم أنت ؟ فأورد على ما لم أسمع به قبل - فقلت : بينهم لى - قال  
نعم ، هم كُتَّابُ رسائلٍ يحتاج إلى أن يعرفَ المَفْصُولَ والمَوْصُولَ ، والمَقْصُودَ والمَدْرُودَ ،  
والإِبْتداءَ والجوابَ ، حاذقا بالمَقْودِ والفتوح - قلت : أجل وماذا ؟ قال : كاتب  
نَحْرَاجٍ يحتاج أن يعرفَ السُّطُوحَ<sup>(١)</sup> والمِساحَةَ والتَّقْصِيطَ ، خبيرًا بالحِسابِ والمُقاسَمةِ .  
قلت : وماذا ؟ قال : كاتب قاضٍ يحتاج أن يعرفَ الحَلالَ والحرامَ ، والتأويلَ  
والتزِيلَ - والمتشابهَ والحدودَ الثابتةَ والقراضَ ، والاختلافَ في الأموال والفروج ،  
حافظًا للأحكام ، حاذقًا بالشروط - قلت : وماذا ؟ قال : وكاتبٌ جُنْدٍ يحتاج أن  
يعرفَ الحِلَّ والشَّياتِ - قلت : وماذا ؟ قال : وكاتبٌ شُرطةٍ يحتاج أن يعرفَ  
القصاصَ والجراحاتَ ، وموضعَ الجُنُودِ ، ومواقعَ العَفْوِ في الجنائيات - قلت حسن .  
قال : فأيهم أنت ؟ فكنْتُ مَكْنُوثًا فأستويت جالسًا متعجِّبًا من قوله ، فقلت :

(١) في نسخة السُّجُج - وهو كتنور الناحية ، وربع دائق مرعب اه قاموس

أنا كاتبُ رسائلٍ - قال : فإنَّ أخاَ من إخوانك واجبَ الحقِّ عليك معنياً بأمورك لا ينفصلُ منها عن صغير ولا كبير يكتبك في كل محبوب ومكروه وأنت له على مثل ذلك تروِّجُ أمه كيف تكتب إليه ؟ أُنهيه أم تُعزِّيه ؟ - قلت أُنهيه . قال فهنَّ فلم ينجِّه لي شيء - فقلت : لا أعزِّيه ولا أُنهيه ، فقال : إنك لا تنفصلُ له عن شيء ولا تجدُ بداً من أن تكتب إليه - فقلت : أقفني فأنا كاتبُ نَحَاجٍ - قال : فإنَّ أمير المؤمنين وجهُ بك إلى ناحية من عمله ، وأمرُك بالعدل والإنصاف وأنت لا تدع شيئاً من حقِّ السلطان يذهب ضياعاً ، وحدرك الظلم والجور ، نخرجتَ حقَّ قِدمتِ الناحية فوقفوك على قَرَّاج أرض خطه قابل قسباً كيف تمسحه - قلت : آخذُ وسطه وآخذُ طولَه فأضربه فيه - قال : تختلفُ عليك الخُوف - قلت : آخذُ طولَه وعرضه من ثلاثة مواضع - قال : إن طرْفَه محدودان وفي تحديده تقويس وذلك يختلف فأعياي ذلك - فقلت : أقفني فأنا كاتبُ قاضٍ - قال : فإنَّ رجلاً هلك وخلفَ زوجة حرةً وسريَّة حاملتين فوضعتا في ليلة واحدة وضعتِ الحرة جاريةً ، ووضعتِ السريَّة غلاماً ، فوضعتِ الجارية في مهد السريَّة ، فلما أصبحت السريَّة قالت الغلام لي ، وقالت الحرة بل هولى كيف تحكم بينهما ؟ - قلت : لأدرى فأقفني ، فأنا كاتبُ جندي ، قال : فإنَّ رجلين من أصحاب السلطان أتياك أسمهما واحد ، وأحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة السفلى ، ورزق أحدهما مائة والآخر ألف كيف تُحليهما ؟ - قلت : فلان الأعم وفلان الأعم ، قال : إذن يمي هذا ورزقه مائة فيأخذ الألف ، ويمي هذا ورزقه ألف فيأخذ المائة - قلت أقفني : فأنا كاتبُ شُرطة ، - قال : فإنَّ رجلين توثبا فشج أحدهما صاحبه مَوْضِعةً ، وشجَّ الآخر مامومة كيف يكون الحكم فيهما ؟ - قلت : لأدرى فأقفني ، . قال فقلت : إنك قد سألتني فبين لي - قال نعم .



أما الذى تزوجت أمه فكتب إليه : أما بعد فإن الأمور تجري على غير محاب الخلقين والله يختار لعباده ، نفع الله لك فى قبضه إليه فإن القبور أكرم الأكفاء والسلام .

وأما القراح من الأرض ، فإنك تسمح أعرجاجه حتى تعلم كم قبضة تكون فيه فإذا استوى فى يدك عقد تعرفه ضربت طرفه فى وسطه . وأما الحزة والسرية فيوزن لبيهما فأيهما كان لبنا أخف فالبت لها . وأما المشقوق الشفة العليا فاعلم والمشقوق الشفة السفلى فأفلح . وأما المامومة ففيها ثلث الدية وهى ثلاث وثلاثون من الإبل وثلاث . وأما الموصحة ففيها خمس من الإبل . فقلت : ألسن تزعم أنك حائك ، فقال : أنا حائك كلام لاحائك نساجة . قال عمرو بن مسعدة : فأحسن جائزته وأستصحبته معى حتى مُدت إلى المعتم ، فسألنى عما لقيت فى طريق ، فقصصت عليه القصة فأعجب به وقال : لم يصلح ؟ فقلت : للماثر . ففزره فيها وعلت رتبته ، فكننت ألقاه فى المركب النبيل فيترجل لى فأنهاه ، فيقول : هذه نعمتك وأنت أفدتها .

فقد تبين هذه الحكاية أن لكل نوع من الكتابة مادة يحتاج إليها بمفردها ، وآلة تخصها لا يستغنى عنها

على أن كاتب الإنشاء فى الحقيقة لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن ، فقد قال الوزير ضياء الدين بن الأثير فى "المثل السائر" إن صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما يقوله النادية بين النساء ، والمباشطة عند جلوة العروس ، وإلى ما يقوله المنادى فى السوق على السلعة فما ظنك بما فوق هذا وذلك لأنه مؤهل أن يهيم فى كل واد ، فيحتاج إلى أن يتعلق بكل فن .

بل قد قيل إن كل ذى علم يسوغ أن يُنسب إليه ، فيقال فلان النحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يجوز أن ينسب المتعلق بالكاتب إليها ، فلا يقال فلان الكاتب لما يفترق إليه من الخوض في كل فن .

وأعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان يحتاج إلى التعلق بجميع العلوم والخوض في سائر الفنون فليس احتياجه إلى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج إليه بطريق الذات وهى مواد الإنشاء التى يستمد منها ويقتبس من مقاصدها : كاللغة التى منها استمداد الألفاظ ، والنحو الذى به استقامة الكلام ، وعلوم البلاغة : من المعانى والبيان والبديع التى هى مناط التحقيق والتحسين والتقييد ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى . وعلى هذا أقصر الوزير ضياء الدين بن الأثير فى " المثل السائر " وتبعه على ذلك الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه " حسن التوسل " . ومنها ما يحتاج إليه بطريق العرض كالتبويب والهندسة والهيئة ونحوها من العلوم ؛ فإنه يحتاج إلى معرفة الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، وإلى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه لينظم ذلك فى خلال كلامه فيما يكتب به من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالألفاظ الدائرة بين أهل الطب ومشاهير أهله وكتبه فيما يكتب به لرئيس الطب . ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لمنجم ، ونحوه من الهندسة فيما يكتب به لمهندس . وربما احتاج إلى معرفة ما هو دون ذلك فى الرتبة كعرفة مصطلح رماة البندق فيما يكتب به فى قدمات البندق ، ومعرفة مصطلح التيران فيما يكتب به فى دسكرة فتوة ونحو ذلك ، بل ربما احتاج إلى معرفة مصطلح سفل الناس لكاتبه أمور هزلية : كعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب به لطفيل أقترأها أو آمنحانا للحاطر أو ترويحاً للنفس ، مع معرفة ما يجب عليه من وصف ما يحتاج إلى

وصفه كأوصاف الأبطال والشجعان، والحوارى والعلمان، والخليل والإبل، وجيل  
الوَحش وسائر أصنافه، وجوارح الوَحش والطير، وطير الواجب، والجمام الهدى،  
وسائر أنواع الطير، والسلاح بأنواعه؛ وآلات الحصار، والآلات الملوكة، وآلات  
السفر، وآلات الصَّيد، وآلات المعاملة، وآلات اللُّهو والطَّرَب، وآلات اللعب،  
وآلات الشربة؛ والمدن، والحصون؛ والمساجد، وبيوت العبادات؛ والرياض،  
والأشجار، والأزهار، والثمار؛ والبرارى، والقفار والمفاوز، والجبال، والرمال،  
والأودية؛ والبحار، والأنهار، وسائر المياه؛ والسفن، والكواكب، والعناصر،  
والأزمنة، والأنواء، والرياح، والمطر، والحَر، والبرَد، والثلج، وما يتعلق بكل واحد  
من هذه الأشياء أو يخطر في سلكه؛ ونحو ذلك مما تدعو الحاجة إلى وصفه في حالة  
من حالات الكتابة على ما سيأتى بيانه في آخر الفصل الثانى من هذا الباب إن شاء  
الله تعالى .

## الفصل الثاني

( من الباب الأول من المقالة الأولى )

( فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء، وفيه طرفان )

### الطرف الأول

( فيما يحتاج إليه من الأدوات؛ ويشتمل الفرض منه على خمسة عشر نوعاً )

### النوع الأول

( المعرفة باللغة العربية؛ وفيه أربعة مقاصد )

### المقصد الأول

( في فضلها وما آخضت به على سائر اللغات )

أما فضلها فقد أخرج ابن أبي شَيْبَةَ بسنده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال : ”تَعَلَّمُوا الْفُحْنَ وَالْفَرَائِضَ فَإِنَّهُ مِنْ دِينِكُمْ“ . قال يزيد بن هارون : ”الْفُحْنُ هُوَ اللُّغَةُ“ . ولا خفاء أنها أمّ اللغات وأوصفها بيانا، وأدّلقها لسانا، وأمدّها رُؤفا، وأعدّها مَدَقافاً ومن ثمّ اختارها الله تعالى لأشرف رُسُلِهِ، وخاتمِ أنبيائه، وخيرته من خلقِهِ، وصَفُوته من بَرِيَّتِهِ ؛ وجعلها لغة أهل سَمَاءِهِ وَسُكَّانِ جَنَّتِهِ، وأنزل بها كتابَهُ الْكُبِينَ الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ من يَمِينِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ .

قال في صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ : ”وقد أنقادتِ اللُّغَاتُ كُلُّهَا لِلُّغَةِ الْعَرَبِ، فأَقْبَتِ الْأُمَمُ إِلَيْهَا يَتَعَلَّمُونَهَا“ .

وأما ما آخِضَتْ به على ذِهرها من اللغات، فقد حكى في "صناعة الكتاب" أنها  
 اللُغة الدائمة الحُرُوف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص عنها شئ من الحُرُوف فيشِينها  
 نُقصانُه، ولم يزد فيها شئ فيعيبها زيادته؛ وإن كان لها فروع أخرى من الحُرُوف  
 فهي راجعة إلى الحُرُوف الأصلية؛ وسائر اللغات فيها حُرُوف مَوْلدة، وينقص عنها  
 حُرُوف أصلية: كاللغة الفارسية: تجد فيها زيادةً ونقصاناً. وكذلك يوجد فيها من  
 الأسماء ما لا يوجد في الفارسية وغيرها: كالحقِّ والباطل، والصواب والخطأ، والحلال  
 والحرام، فلا ينطق به أهل تلك اللغة إلا عربياً. قال الفراء: "وجدنا للغة العرب  
 فضلاً على لغة جميع الأمم اختصاصاً من الله تعالى وكرامةً أكرمهم بها؛ ومن خصائصها  
 أنه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات". قال: "ومن الإيجاز  
 الواقع فيها أن للضرب كلمةً واحدةً فتوسَّعوا فيها، فقالوا للضرب في الوجه لطم،  
 وفي القفا صفع، وفي الرأس إذا أدنى شجَّ؛ فكان قولهم لطم أوجز من ضرب على  
 وجهه". قال في "المثل السائر": "حَفَرْتُ مع رجلٍ يهودي عارِفٍ باللغات فجِئْتُ  
 ذكر اسم الجمل فقال: لا شك أن العربية أوجز اللغات، فإن اسمَ الجمل بالعبرانية  
 كومل فسقط منه الواو وحُوِّلَت الكاف إلى الجيم". قال أبو عبيد: وللعرب  
 في كلامها علاماتٌ لا يَشْرِكُهم فيها أحدٌ من الأمم كعلامة إدخالهم الألف واللام  
 في أوّل الاسم، وإزائهم إياه الإعراب في كل وجه مع نقلهم كل ما احتاجوا إليه  
 من كلام العجم إلى كلامهم؛ فقد نُقِلَ ما قَالَتْ حِكْمَةُ العجم والفلاسفة إلى العربية  
 ولم يقدر أحد من الأمم على نقل القرآن إلى لغته لكمال لغة العرب. على أن الكثير  
 من الناس حاولوا ذلك ففسر عليهم نقله، وتعدَّرت عليهم ترجمته؛ بل لم يصلوا  
 إلى ترجمته البسطة إلا بنقل بعيد.

## المقصد الثاني

( في وجه احتياج الكاتب إلى اللغة )

لامرية في أن اللغة هي رأس مال الكاتب، وأُسُّ كلامه، وكَنْزُ إنفاقه؛ من حيث إن الألفاظ قِوَالِبُ المعاني التي يقع التصرف فيها بالكتابة؛ ويحتد محتاج إلى طول الباع فيها، وسعة الخطو، ومعرفة بسائطها: من الأسماء والأفعال والحروف، والتصريف في وجوه دلالتها الظاهرة والخفية: ليقدر بذلك على استعمالها في محاماً، ووضعها في مواضعها اللائقة بها، ويمد السبيل إلى التوسع في العبارة عن الصور القائمة في نفسه فيتسع عليه نطاق النطق، وينفسح له المجال في العبارة، وينفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه، وتدعو الضرورة إلى نعته؛ فيستظهر على ما يشيه، ويحيط علماً بما يذره ويأتيه؛ إذ المعاني وإن كانت كامنة في نفس المعبر عنها فإنما يقوى على إبرازها وإبانتها من توفر حفظه من الألفاظ، واقتداره على التصرف فيها: لئلا من تداخلها وتكريرها المهجّنين المعاني - وناهيك أن ابن قتيبة لم يضمّن كتابه "أدب الكاتب" غير اللغة إلا التزّير اليسير من الهجاء؛ وأبا جعفر النحاس صمّن كتابه "صناعة الكتاب" جزءاً وافراً من اللغة؛ وأبا الفتح كشاجم لم يزد في كتابه "كفر الكاتب" على ذكر الألفاظ وصورة تركيبها.

## المقصد الثالث

( في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من اللغة؛ ويرجع المقصود منه إلى خمسة أصناف )

الصنف الأول - الغريب، وهو ما ليس بمألوف الاستعمال، ولا دائر على الألسنة وذلك أن مدار الكتابة على استخراج المعاني من القراء الكرم، والأحاديث النبوية، والشعر؛ وألفاظها لا تخلو عن الغريب؛ بل ربما غاب الغريب منها في الشعر على

المألوف لاسمياً الشعر الجاهلي، وقد قال الأصمعي "توسلت بالملح ونلت بالغريب". قال صاحب "الريحان والريحان": والغريب وإن لم ينفق منه الكاتب فإنه يجب أن يعلم ويتطلع إليه ويستشرف به فرب لفظة في خلال شعر أو خطبة أو مثل نادر أو حكاية، فإن بقيت مقلدة دون أن تفتح لك، بقي في الصدر منها حرازة تُحوج إلى السؤال، وإن صُنّت وجهك عن السؤال، رضيت بمنزلة الجهال. وقد عاب ابن قتيبة رجلا كتب في وصف رُذَون: "وقد بعثت به أبيض الظهر والشفنتين" فقيل له: هَلَا قُلْتَ في بياض الشفتين أرثم ألمط؟ فقال لهم: فيياض الظهر، قالوا لا تدرى، فقال: إنما جهلت من الشفتين ما جهلت من الظهر. وذم قوما من وجوه الكتاب بأنه اجتمع معهم في مجلس فتذاكروا غيوب الرقيق فلم يكن فيهم من يفترق بين الوسخ والكبر، ولا بين الحنف والفسد<sup>(١)</sup>، ولا بين اللئى واللطع. ثم قال: "وأى مقام أنزى لصاحبه من رجل من الكتاب أصطفاه بعض الخلفاء، وأكرهه لغيره، فقرأ عليه يوماً كتاباً فيه مطراً مطراً كثر عنه الكلام، فقال له الخليفة ممثناه: وما الكلام؟ فتردد في الجواب، وتعثّر لسانه ثم قال: لا أدري، فقال: سل عنه". قال أبو القاسم الزجاجي في شرح مقدمة أدب الكاتب: وهذا الخليفة هو المعتصم والكاتب أحمد بن عمار، وكان يتقلد العرض عليه، وكان المعتصم ضعيف البصر بالعربية، فلما قرأ عليه أحمد بن عمار الكتاب وسأله عن الكلام فلم يعرفه، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! خليفة أُمى، وكاتب عاثر، ثم قال من يقرب منا من كتاب الدار فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات، وكان يقف على قهز الدار فأمر بلتخاصه، فلما مثل بين يديه<sup>(٢)</sup>، قال له ما الكلام؟ قال: النبات كله رطبته

(١) هو بالقاف، والبدال المهملة اعوجاج الرسخ من اليد أو الرجل حتى يقلب الكف أو القدم إلى أنسيا.

فاموس. وفي الأصل القذع بالقاف والبدال المعجمة وهو تصحيف ظاهر ضنه

(٢) هو من باب دخل كما في المختار

ويابسه، فإذا كان رطباً قيل له خَلَا، وإذا كان يابساً قيل له حَشِيش، وأخذ في ذكر النبات من ابتدائه إلى آخيه إلى هَبْجِه، فقال المعتصم "لَيَتَقَلَّدُ هَذَا الْعَرَضَ عَلَيْنَا." ثم خُصَّ به حتى آستوزره .

فقد ظهر أن معرفة الغريب من الأمور الضرورية للكاتب التي هي من أهم شأنه، وأغنى مقاصده. وجُلُّ كتب اللغة المصنَّفة في شأنها راجعة إليه، كصاح الجوهري، ومُحْكَم ابن سيده، ومُجَلَّ ابن فارس وغيرها من المصنَّفات التي لا تكاد تُحصى كثرة والصاح أقربها مأخذاً، والمحكم أمثلها طريقة، وأكثرها جمعا، وأكملها تحقيقا. وقد صرف قوم من المصنِّفين العناية من ذلك إلى الإقتصار على ذكر الأسماء والأوصاف: كأوصاف الرجال والنساء المحمودَةِ والمذمومة، وما يختص من ذلك بالرجال والنساء؛ وأوصاف الخيل، وأعضائها، وألوانها، وشيئاتها، وأسنانها، وسريرها، وصلوها وما ينقص الذكور والإناث منها؛ وأوصاف الوحوش: من السباع والطيَّاء والوُغُول والبَقَر والحُمُر الوحشيِّين؛ وأسماء الطير: من الجوارح الصائدة والطيور المصيدة، وبُعَاث الطير كالرَّحَم، وصِفَارِه كالنحل والجراد؛ وأوصاف الهوام كالخَشَرَات: من الحيات والوَزَغ ونحو ذلك؛ وأوصاف العلويات: من السماء والسحاب والرياح والأمطار؛ والأزمنة كأوقات الليل والنهار، وأوقات الشهر وفصول السنة ونحو ذلك؛ وأسماء النَّبَات: من الشجر البرِّي كالطَّلح والأَرَاك، والبُسْتَانِي كالنخل والعِنَب؛ والنبات البرِّي كالشَّيخ والقَبْصُوم، وأنواع المَرْعَى؛ وأسماء الأُمَاكن: من البراري والقفار، والرمال والجبال والأحجار، والمياه والبحار والأنهار والعيون والسُّيُول، والرياض والمَحَالِّ والأبنية؛ وأسماء جواهر الأرض: من اليواقيت ونحوها؛ وسائر مستخرجات المعادن، كالنحاس والرصاص وما يجري مجراها؛ ومستخرجات البحر: من اللؤلؤ والعنبر والمرجان وغيرها؛ وأسماء المأكولات: من الحبوب، والفواكه، والأطعمة



المصنوعة والأطبخة ؛ وأسماء الأشرية : كالماء، واللبن، والعسل، والخر، وأسماء السّلاح : من السيوف، والريّاح، والقيى، والسّهام، والدروع وغيرها ؛ وأسماء اللباس : من الثياب على اختلافها، وأسماء الأمتعة، والآنية وسائر الآلات ؛ وأسماء الطيب : من المسك، والنّد، والغالية، والزّعفران، وما أشبهها. وكذلك كل مايجرى هذا المجرى . و”كفاية المتحفظ“ لابن الأجدابى، و”المنهبة والمعقبه“ لابن أصبغ كافتان بالكثير من ذلك . وفى ”أدب الكاتب“ لابن قتيبة و”فقه اللغة“ للثعالبي الجزء الوافر من ذلك .

وصرف آخرون عنايتهم إلى التأليف فى الأفعال وتصاريضها كابن درمستويه وغيره . وفى ”فصيح ثعلب“ جزء وافر من ذلك ؛ ولعصريتنا الشيخ مقبل الصّرغتمشى النحوى كتاب زاد فيه عليه جمعا ووضوحا .

الصنف الثانى - الفروع المتشعبة فى المعانى المختلفة، وهى فروع كثيرة متسعة الأرجاء، متباينة المقاصد ؛ لا يكاد يجمعها مصنف، وإن كان الكاتب لا يستغنى عن شئ منها، ولا يحسن به تركه .

منها المتباين والمترادف . فأما المتباين فهو ما دلّ لفظ الكلمة منه على خلاف ما دلت عليه الكلمة الأخرى، كالسواد والبياض، والطول والعرض؛ ويحتاج إليه فى التعبير عن المعانى المختلفة لامتساع نطاق الكلام . وأما المترادف فهو المتوارد الألفاظ على معنى واحد كالأسد والسبع للحيوان المفترس؛ والثنية والقُلوص للناقاة، ونحو ذلك . ويحتاج إلى معرفة ذلك للمخلص عند ضيق الكلام عليه فى موضع لطول لفظة أو قصرها أو اختلاف وزنها فى شعر، أو رعاية الفاصلة آخر الفقرة فى نثر، أو غير ذلك مما يضطر فيه إلى إيراد بعض الألفاظ بدل بعض، كما فى قوله :

وَنَيْسَةٍ جَاوَزَتْهَا بَيْتِيَّةٌ \* حَرَفٌ يُعَارِضُهَا جَنْيَبٌ أَذْهَمُ  
فإنه أراد بالثنية الأولى العقبة ، وبالثنية الثانية الناقة ، والجانب الأدهم استعارة  
لظلمها . فالثنية من حيث وقوعها على الناقة والعقبة أوفق للتجنيس من الناقة ، إذ  
لو ذكر الناقة مع الثنية التي هي الطريق لفاته التجنيس . وعمل الكلام عليهما كتب  
الفقه ونحوها .<sup>(١)</sup>

ومنها الحقيقة والمجاز . والحقيقة هي اللفظ الدال على موضوعه الأصل كالأسد  
للحيوان المفترس ، والجمار للحيوان المعروف . والمجاز هو ما أريد به غير الموضوع له  
في أصل اللغة ، كالأسد للرجل الشجاع بعلاقة الشجاعة في كل منهما ، والجمار للبلد  
بعلاقة الباردة في كل منهما ؛ ويحتاج إليه لنقل الألفاظ من حقائقها إلى الاستعارة  
والتمثيل والكتابة لما بينهما من العلاقة والمناسبة ، كالتد فإنها في أصل اللغة للمارحة  
أُطْلِقَتْ على القوة والنعمة مجازاً ، من حيث إن القوة تظهر في اليد والنعمة تؤتى بها  
وعمل ذكرهما أصول الفقه وما في معناها .

ومنها الألفاظ المتضادة وهي التي تقع كل لفظة منها على ضد ما تقع عليه الأخرى  
كالأمانة والخيانة ، والنصيحة والغش ، والفقه والرتق ، والنقض والإبرام ، ونحو  
ذلك فإن الكلام كثيراً ما يبنى على الأضداد وربما غلط الكاتب فجعل مقابل الشيء  
غير ضده فيلزمه النقص في صناعته ، وفوات ما يقصده من المقابلة والطباق اللذين  
هما من أحسن أنواع البديع . وفي "صناعة الكتاب" لأبي جعفر النحاس جملة  
صالحة من ذلك ، وفي "كثر الكتاب" لأبي الفتح كُشَّاجِمُ جملة جيدة منه أيضاً .  
ومنها تسمية المتضادين باسم واحد كالجئون للأسود والأبيض ، والقرء للطهر  
والحيض ، والصريم ليل والنهار ، ووراء خلف وقدام ، ونحو ذلك . ويحتاج إليه  
للتمييز بين الحقائق التي يقع اللبس فيها . وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

(١) عمله كتب أصول الفقه .

ومنها المقصور والمدود كالندى لجود وتندى الأرض ، والحقا لكلال القدم والحافر والمدود كالسما للقلك وكل ماصلاك ، والبقاء لصد الفناء ، ونحو ذلك ؛ وما يجوز فيه المد والقصر جميعا كالزنا<sup>(١)</sup> والشرأ وما أشبههما . ويحتاج إليه الكاتب من ثلاثة أوجه : أحدها أن الدلالة تختلف باعتبار المد والقصر كلفظ الهوى فإنه إن قصر كان بمعنى هوى النفس ، وإن مد كان بمعنى ما بين السماء والأرض . الثاني أنه إذا أضيف المدود أضيف زيادة واو في الكتابة في حالة الرفع وزيادة ياء في حالة الخفض ، وإذا أضيف المقصور لم يحتاج إلى زيادة واو ولا ياء ؛ ولو كان مما يجوز فيه المد والقصر ، جاز فيه بعض حركاته . ربما يد كالبلاء والقلاء ، فإنه إذا كسر أولها قصرا وكُتِبَ بالياء وإذا فتح مُدًا وكتب بالالف . وكالباقلاء فإنه إذا خفف مُد وإذا شدد قصير ، فحق لم يعرف الكاتب ذلك كان قاصرا في صناعته ، وفي "أدب الكاتب" من ذلك جملة .

ومنها المذكر والمؤنث فإنه تختلف أحواله باعتبار التذكير والتأنيث في كثير من الأمور . وذلك أن المؤنث على ضربين : أحدهما ما فيه علامة من علامات التأنيث الثلاث ؛ وهي الهاء نحو حمزة وطلحة ، والألف المدودة نحو حمراء ، والألف المقصورة نحو حُبلى ، وضرب لا علامة فيه وإنما يؤخذ من السماء ، والأرض ، والقوس ، والحرب ، وما أشبهها . وربما كان منه ما يجوز فيه التذكير والتأنيث كالطريق ، والسبيل ، والموسى ، واللسان ، والسلطان ، وما أشبهها ؛ فإن من العرب من يذكر ذلك ومنهم من يؤنثه . وربما وقع لفظ التأنيث على الذكر والأُنثى جميعا

(١) أهله في الاصل وهو من اسم النسخ .

(٢) قوله ولو كان مما يجوز الخ كذا في الاصل وهو كما ترى غير مفهوم وهو محل الوجه الثالث الذى سقط من قلم النسخ وحاصله أن الداعي إلى معرفتها إما أن يرجع إلى المعنى وهو الاول أو إلى الهمز والكتابة وهو الثانى أو إلى التعلق والهمز وهو الثالث السابق فتأمل .

كالسَّخْلَةِ والحَيَّةِ والحَمَامَةِ والنَّعَامَةِ والبَطَّةِ ونحوها. وأيضاً فإنَّ مِنْ وَصَفِ المؤنِّثِ ما يُحذفُ منه الهاءُ باعتبار تأويل آخر كصِغَةِ فَعِيلٍ : فإنه إن كان بمعنى مفعول كقَتِيلٍ بمعنى مقتول وخَضِيبٍ بمعنى مخضوب ، حُذِفَ الهاءُ مِنْ مؤنَّثِهِ : فيقال امرأةٌ قَتِيلٌ وكَفَّ خَضِيبٌ وما أشبه ذلك، وإن كان بمعنى فاعل كعَلِيمٍ بمعنى عالم ورحيمٍ بمعنى راحم ، تَبَيَّنَ الهاءُ فِي مؤنَّثِهِ : فنقول فِيهِ عَلِيمَةٌ وَرَحِيمَةٌ . وعلى العكس مِنْ ذلك فَعُولٌ فإنه إن كان بمعنى فاعل كان بغير هاء نحو امرأةٌ صَبُورٌ وَشَكُورٌ بمعنى صابرةٌ شاكرةٌ ، وإن كان بمعنى مفعول كان مؤنَّثُهُ بالهاء كالخَلُوبَةُ بمعنى المحلوْبَةُ ، والرَّكُوبَةُ بمعنى المركُوبَةِ ؛ وصِغَةُ مُفْعِلٍ مما لا يُوصَفُ بِهِ الذكورُ تكون بغير هاء كامرأةٌ مُرَضِعٌ ، فإنَّ أَرَادُوا الفَعْلَ قالُوا مُرَضِعَةٌ ؛ وصِغَةُ فاعلٍ مما لا يكون وَصفاً لمذكرٍ تكون بغير هاء أيضاً نحو امرأةٌ طالِقٌ وحاملٌ ، وربما حُذِفَتِ الهاءُ مما يكون للذكر والمؤنَّثِ جميعاً فنقول امرأةٌ عاقِرٌ ورجلٌ عاقِرٌ . وفي "أَدَبُ الْكاتبِ" و"فَصِيحُ نَعَلٍ" جملةٌ مِنْ ذلك . وفي كتب النحو المبسوطة قواعدٌ موصَّلةٌ إلى مقاصده .

ومنها المَهْمُوزُ وَغَيْرُ المَهْمُوزِ فإنَّ المعنى قد يَخْتَلِفُ فِي اللفظ الواحد باعتبار المعزِّ وعَدَمِهِ : كما تقول عَبَّأتُ المتاعَ بالهمز ، وَعَبَّيْتُ الجيشَ بغير همز ، وَبَارَأْتُ الْكَرِيْمَ بالهمز مِنْ الإِبراءِ ، وَبَارَيْتُ فلاناً مِنَ المُفانرةِ بغير همز . وتقول زنى مِنْ الزَّنا بغير همز ، وزَنا فِي الجبلِ إِذا رَقِيَ فِيهِ ونحو ذلك . وربما جاء الهمزُ وعَدَمُهُ فِي الكلمة الواحدة كما تقول شِئْتُ بالهمز وشِيتُ بِإِسكانِ الباءِ مِنْ غَيْرِ همز ونحو ذلك . فمَنْ لم يكن الْكاتبُ عارفاً بالهمز ومواضعه ضَلَّ فِي طريقِ الْكتابةِ . وفي "أَدَبُ الْكاتبِ" بابٌ مَفْرَدٌ لذلك .

ومنها ما ورد مِنْ كلامِ العرب مُزْدَوِجاً كقولهم الطَّمَّ والرَّمَّ ، يريدون بِالطَّمِّ البحرَ وبالرَّمِّ الثرى ، وكقولهم الْحَجَرُ والمَدَرُ ، فالْحَجَرُ معروفٌ والمَدَرُ الترابُ النَّدِيُّ ونحو ذلك .

فاذا عرف الكاتب ذلك تمكن من وضعه في مواضعه لتحسين الكلام وتبينه في الطباق والمقابلة؛ وفي "أدب الكاتب" نبذة من ذلك .

ومنها ما ورد من كلامهم مثني إنا على سبيل التغليب : كقولهم القمران يريدون الشمس والقمر، والعمران يريدون أبا بكر وعمر، وإما على الحقيقة : كقولهم ذهب منه الأطيان، يريدون الأكل والنكاح واختلف عليه الملوان أو الجديان، يريدون الليل والنهار، ونحو ذلك؛ وفي "أدب الكاتب" أيضا طرف منه .

ومنها ما ورد من كلام العرب مرثيا كقولهم أول النوم النعاس، وهو الاحتياج إلى النوم؛ ثم الوسن، وهو ثقل النعاس؛ ثم الكرى والغمض، وهو أن يكون بين النائم واليقظان؛ ثم التغفيق، وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم؛ ثم الإغفاء، وهو النوم الخفيف؛ ثم التهجاع، وهو النوم القليل؛ ثم الرقاد، وهو النوم الطويل؛ ثم الهجوع، وهو النوم الغرق؛ ثم التسبخ، وهو أشد النوم، وما أشبه ذلك، وفي "فقه اللغة" للتحالبي قدر صالح من ذلك .

ومنها ما ورد من كلامهم مؤرد الدعاء : إما على بابه في الدعاء كقولهم "أستأصل الله شأفته" يريدون أذهب الله أثره كما يذهب أثر الشأفة، وهي قرحة تخرج في القدم فتكوى فتذهب؛ وقولهم "أباد الله خضرأهم" أي سوادهم ومُعظمهم. أو لم يقصد به حقيقة الدعاء، كقولهم "تريت يدك" أي ألصقت بالتراب من الفاقة، وقولهم "أرغم الله أنفه" أي ألصقه بالرغام، وهم لا يقصدون به الدعاء . وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

ومنها ماختلف أسماءؤه مع المشابهة في المعنى كالظفر للإنسان، أو الحافر للفرس والبغل والحمار، والظلف للبقرة، والمئتم للبعير، والبرتن للسمك، وما يجري هذا المجرى. وفي "فقه اللغة" جزء وأفر منه.

ومنها ماختلف أسماءؤه وأوصافه باختلاف أحواله كالكأس لا يقال فيه كأس إلا إذا كان فيه شراب وإلا فهو قدح، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام والا فهي خوان، ولا قلم إلا إذا كان مبرياً والا فهو أنبوبة، ولا خاتم إلا وفيه قص وإلا فهو فتحة ونحو ذلك، وفي "فقه اللغة" جملة منه.

ومنها معرفة الأصول التي تُشتق منها الأسماء كتسمية القمر قرراً لبياضه، إذ الأقر هو الأبيض، وكتسمية ليلة الرابع عشر من الشهر ليلة البدر لمبادرة الشمس القمر بالطلع، أو لتمامه وامتلائه حيث إن كل تام يقال له بدر، وكتسمية النجم نجم، أختاً من قولهم نجم إذا طلع ونحو ذلك، وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك.

ومنها ماَنطقت به العجم على وفق لغة العرب، لمدم وجوده في لغتهم<sup>(١)</sup> وهو المغرب كالكتف والساق والدلال والوزان والصراف والجمال والقصاب والبطار وما أشبه ذلك؛ وفي "فقه اللغة" جزء من ذلك كاف.

ومنها ماأشترك فيه العربية والفارسية، كالتنور، والتجير، والدينار، والدرهم، والصباون، وما أشبه ذلك؛ وفي "فقه اللغة" أيضاً نبذة منه.

ومنها مااضطرت العرب إلى تعريبه وأستعماله في لغتهم من اللغة العجمية كالكوز، والإبريق، والطلست، والخوان، والطبق، وغيرها من الآنية؛ والسجاج، والزريراج، والطابع، والجوداب، ونحوها من الأطعمة؛ والللاب، والسكنجيين، ونحوهما

(١) قوله وهو المغرب كذا في الأصل

من الأثرية ؛ والحوْلُجَّان ، والكافُور ، والصَّنْدَل ، وغيرها من الأقاويه ، والطَّيْب ونحو ذلك ؛ وفي "فقه اللغة" من ذلك جملةٌ جيّدة . الى غير ذلك من الأمور التي لا يَسَعُ استيفائها مما في أدب الكاتب وفقه اللغة الكثير منه .

ومنها ما تعددت لغاتُه ؛ وتعلّم أن لغة العرب متعدّدة اللغات متسعة أرجاء الألسن بحيث لا تُساويها في ذلك لغة . فمن ذلك ما فيه لفتان كقولهم رَطْل ورَطْل بكسر الراء وفتحها وسمٌ وسمٌ بفتح السين وضمها ؛ وما فيه ثلاث لغات مثل بَرُق بضم التامف و بَرُق بفتحها و بَرُقوع بضم الباء وزيادة الواو ، وخاتم بكسر التاء وخاتم بفتحها وخَيْتَام ؛ وما فيه أربع لغات مثل تَطْع بكسر النون وفتحها وسكون الطاء ونَطْع بفتح النون والطاء جميعا وكسر النون ، وصدّاق بفتح الصاد وصدّاق بكسرهما وصدّاق بضمهما وصدقة بضم الصاد وسكون الدال ؛ وما فيه خمس لغات كقولهم رِيح الشَّمال بفتح الشين من غير همز ، والشَّمال بالهمز ، والشَّامِل بغير همز ، والشَّمْل بفتح الميم ، والشَّمْل بسكونها ؛ وما فيه ستُّ لغات كقُسطاط بضم الفاء وقُسطاط بكسرهما ، وقُسطَاط بضم الفاء وإبدال الطاء تاء ، وقُسطَاط بكسر الفاء ، وقُسطَاط بضم الفاء وتشديد السين ، وقُسطَاط بكسر الفاء . وما فيه تسع لغات كالأتملة بفتح الهمزة وضمها وكسرهما مع فتح الميم وضمها وكسرهما ؛ وما فيه عشر لغات كالأصبع بفتح الهمزة وضمها وكسرهما مع فتح الباء وضمها وكسرهما والعاشر أَصْبُوع . وفي "أدب الكاتب" جملةٌ من هذا النمط .

الصنف الثالث — الفصيح من اللغة . وأعلم أن اللغة العربية قد تنوعت وأختلفت بحسب تنوع العرب واختلاف ألسنتهم ؛ والذي أعتمدَه حُدّاق اللغة وجهابذة العربية من ذلك مناطق به قُصحاء العرب ، وهم الذين حلّوا أوساط بلاد العرب ، ولم يخاطبهم من مساوهم من الأمم كثير مخالطة ، ولم يُصاقيبوا بلاد العجم

فبقيت ألفاظهم سالمة من التغير والاختلاط بلغة غيرهم : كقريش ، ومُدِيل ،  
وِكَانَة ، وبعض تميم ، وقيس عيلان ، ونحوم من عرب الحجاز ، وأوساط نجد .  
بخلاف الذين حلوا في أطراف بلاد العرب ، وجاوروا الأعاجم فتغيرت ألفاظهم  
بمحالطتهم : كحُمَيْر ، ومُهمَدَان ، وخَوْلَان ، والأزد : لمحاورتهم بلاد الحبشة ، وطِيّ  
ونُصَّان : لمحاورتهم بلاد الروم بالشام ، وبعض تميم ، وعبد القيس : لمحاورتهم أهل  
الجزيرة وفارس .

وأعلم أن التغير يدخل في لغة العرب من عدة وجوه .

منها أن تُبدل كلمة بغيرها : كما يستعمل أهل اللغة الحميرية "نَب" بمعنى "أجلس"،  
وهي في عامة لغة العرب للأمر بالطَّفَرَة . قال القاضي الرشيد في شرح أمينة الألعى  
"وربما غلبت العجمة على أحدهم حتى لا يفهم عنه شيء" .

ومنما أن تُبدل حرفا من الكلمة بحرف آخر : كما تُبدل حير كالف الخطاب شينا  
معجمة فيقولون في قُلْتُ لك قلت لَشْ ؛ وربما أبدلوا التاء أيضا كافا فيقولون  
في قلت قُلُّك ، وكما تُبدل ربيعة الباء الموحدة ميما فيقولون في بكر مكر ونحو ذلك ،  
وكما يُبدل بعض العرب الصاد المهملة بالسين المهملة فيقولون في صابر سابر ، وكما  
يُبدل بعضهم الطاء المهملة بتاء مثناة فوق فيقولون في طال تال وتُسَمَّع من عرب  
أهل الشرق كثيرا ، وكما يبدل قوم التاء المثناة فوق بضاد معجمة فيقولون في أتر أضر .  
ومنما أن يُعاقب بين حرفين في الكلمة كما يقول بعضهم في بَنَح فَنَح ، وفي أَصْبَهَان  
أَصْفَهَان .

ومنما أن يأتي بحرف بين حرفين فيأتون بكاف يحكم فيقولون في كلَّ جمل . قال  
أبن دريد : "وهي لغة في اليمن كثيرة في أهل بغداد" ويأتون بحيم ككاف



على العكس من الأول فيقولون في رَجُل رَكُل يقرَّبونها من الكفاف، ويأتون بشين معجمة بكيم فيقولون في اجتمعوا اشمعوا، ويأتون بصاد مهملة كراى فيقولون في صراط زراط ، ويأتون بيم كراى فيقولون في جابر زابر، ويأتون بقاف بين القاف والكاف المعقودة ، قاله ابن سعيد عن سماعه من العرب ؛ ولا يكاد يوجد منهم من ينطق بها على أصلها الموصوف في كتب النحويين . وقد ذكر الشيخ أنير الدين أبو حيان ذلك جميعه في شرحه على تيسيل ابن مالك .

الصنف الرابع - ما تَحَنَّ فيه العامة وتغيره عن موضعه بأن يكون مفتوح الأول والعامة تكسره : كقولهم في جَفَن العين بفتح الجيم جَفَن بكسرهما ؛ أو مفتوح الأول والعامة تضمه : كقولهم في الْقَبُول الذى هو خلاف الرَدَّ قُبُول بضمها ؛ أو مكسور الأول والعامة تفتحها : كقولهم في دِرْهَم بكسر الدال دَرَّهَم بفتحها ؛ أو مكسور الأول والعامة تضمه : كقولهم في التَّمْسَاح بكسر التاء تَمْسَاح بضمها ؛ أو مضموم الأول والعامة تفتحها : كقولهم في الْمُصْفُور بضم العين عَصْفُور بفتحها ؛ أو مضموم الأول والعامة تكسره : كقولهم في الظُّفْر بضم الظاء ظَفَر بكسرهما ؛ أو مفتوح الوَسَط : كقولهم في القَالِب بفتح اللام قَالِب بكسرهما ؛ أو مكسور الوسط والعامة تفتحها : كقولهم في الرجل المُوسَّوس ، والبرَّ المُسَّوس ، والجن المدوَّد بكسر الواو في الثلاثة : مُوسَّوس ومُوسَّوس ومدوَّد بفتحها ؛ أو مضموم الوسط والعامة تفتحها كقولهم في الجُدُّ جمع جديد جُدَّد بفتحها ؛ أو محزك الوسط والعامة تسكتنه : كقولهم في التُّخْفَة بفتح الحاء تُخْفَة بأسكانها ؛ أو ساكن الوسط والعامة تحركه : كقولهم في الحلقة بأسكان اللام حَلَقَة بفتحها ؛ أو مشددا والعامة تخففه : كقولهم في العارِيَة بتشديد الياء عَارِيَة بتخفيفها ؛ أو غففا والعامة تشدده : كقولهم في الكَرَاهِيَة بتخفيف الياء كَرَاهِيَة بتشديدها ؛ أو مهموزا والعامة تحذف الهمز من أوله : كقولهم في الإِهْلِيلِج بإثبات همزة في أوله

هَلِيجَ بِحَذْفِهَا؛ أَوْ مَهْمُوزِ الْوَسْطِ وَالْعَامَّةُ تَسْهَلُ: كَقَوْلِهِمْ فِي الْمِرْءَةِ بِإِثْبَاتِ الْهَمْزَةِ مِرَاءَ بِحَذْفِهَا، أَوْ غَيْرِ مَهْمُوزِ الْأَوَّلِ وَالْعَامَّةُ تَثْبِتُ الْهَمْزَةَ فِي أَوَّلِهِ: كَقَوْلِهِمْ فِي الْكُرَّةِ، الْكُرَّةُ<sup>(١)</sup>؛ أَوْ كَانَ بِالْظَّاءِ الْمَجْمُوعَةُ بِفَعْلَتِهِ بِالضَّادِ الْمَجْمُوعَةُ كَالْوُطَيْفَةِ وَنَحْوِهَا، أَوْ بِالضَّادِ بِفَعْلَتِهِ بِالظَّاءِ: كَقَوْلِهِمْ فِي الْبَيْضَةِ بَيِّظَةً، أَوْ بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةُ بِفَعْلَتِهِ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ كَالذَّرَاعِ، أَوْ كَانَتْ بِالْجِيمِ بِفَعْلَتِهِ بِالْقَافِ: كَقَوْلِهِمْ فِي مَجَادِيْفِ السَّفِينَةِ مَقَادِيْفٌ؛ أَوْ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ بِفَعْلَتِهِ بِتَاءِ الْمُتَنَاءِ فَوْقَ: كَقَوْلِهِمْ فِي دَخَارِيصِ الْقَمِيصِ تَخَارِيصَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا شَاعَ وَذَاعَ وَفِي "أَدَبِ الْكَاتِبِ" لِأَبْنِ قَتَيْبَةَ نَبْذَةً مِنْ لَحْنِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَكَتَابَ "تَثْقِيفِ اللِّسَانِ" لِأَبْنِ مَكِّي التُّونُسِيِّ مَوْضُوعٌ فِي لَحْنِ أَهْلِ الْغَرْبِ، وَفَصِيحٌ ثَعْلَبٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَقْصِدِ .

الصَّنْفُ الْخَامِسُ - الْأَلْفَاظُ الْكَاتِبِيَّةُ، وَهِيَ الْأَفَاطُ أَنْتَقَبَهَا الْكُتَّابُ وَأَنْتَقَوْهَا مِنَ اللَّغَةِ اسْتَحْسَانًا لَهَا وَتَمَيُّزًا لَهَا فِي الطَّلَاوَةِ وَالرَّشَاقَةِ عَلَى غَيْرِهَا . قَالَ الْجَلَّاحُظُ "مَا رَأَيْتُ أَمَثَلَ طَرِيقَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ، فَإِنَّهُمْ التَّمَسُّوا مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مَتَوَعَّرًا حَوْشِيًّا، وَلَا سَاقِطًا سُوقِيًّا". وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي "الْمَثَلِ السَّائِرِ": أَنَّ الْكُتَّابَ غَرَّبُوا اللَّغَةَ وَأَنْتَقَوْا مِنْهَا أَلْفَاظًا رَاقِعَةً اسْتَعْمَلُوهَا .

ثُمَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ أَسْمَاءُ وَأَفْعَالٌ: فَالْأَسْمَاءُ كَقَوْلِكَ فِي الْمَدْحِ فَلَانٌ غُرَّةُ الْقَبِيلَةِ، وَسَنَامُهَا، وَدُؤَابَتُهَا، وَفِرْوَتُهَا؛ وَهُوَ نَبْعَةُ أَرْوَمَتِهِ وَأَبْلَقُ كَتِيبَتِهِ وَمِذْرَهُ عَشِيرَتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَالْأَفْعَالُ كَقَوْلِكَ فِي إِصْلَاحِ الْفَاسِدِ: أَصْلَحَ الْفَاسِدَ، وَلَمْ تَشْعَثْ، وَرَأَبَ الشَّعْبَ، وَضَمَّ النَّثْرَ، وَرَمَّ الرِّثَّ، وَجَمَعَ الشَّتَاتَ، وَجَبَرَ الْكَسَرَ، وَأَسَا الْكَلِمَ، وَرَفَعَ الْخَرْقَ، وَرَفَّقَ الْفَتَقَ، وَشَعَبَ الصَّدْعَ . وَفِي "كِتَابِ الْأَلْفَاظِ" لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَيْسَى الْكَاتِبِ كِفَايَةٌ مِنْ ذَلِكَ . وَلَهُ مَخْتَصَرٌ أَرَبِيٌّ عَلَيْهِ وَفِي "كَتَرِ الْكُتَّابِ" لِكُشَّاجِمٍ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ .

(١) هِيَ لَفَةٌ كَانَتْ فِي الْقَامُوسِ

## المقصد الرابع

(في كيفية تصرف الكاتب في الألفاظ اللغوية، وتصريفها في وجوه الكتابة)

لاخفاء أنه إذا أَكْثَرَ من حفظ الألفاظ اللغوية، وعَرَفَ الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد والمتقاربة المعاني، تَمَكَّنَ من التعبير عن المعاني التي يُضْطَرُّ إلى الكتابة فيها بالعبارات المختلفة، والألفاظ المتباينة؛ وسَهَّلَ عليه التعبير عن مقصوده، وهَانَ عليه إنشاء الكلام وترتيبه. وفي الأمثلة التي أوردناها كُشِّحَ في "كثر الكتاب" حيث يعبر عن المعنى الواحد بعبارات متعددة ما يُرشد إلى الطريق في ذلك، ويَهْدِي إلى سُلُوكِ الجادة الموصلة إلى القَصْد منه.

وهذه نسخة مكتوبة منه في التهيئة بمولود يُسْتَضَاءُ بها في ذلك، وهي :

قد جَعَلَكَ اللهُ من تَبْعَةٍ طابَتْ مَغَارِسُهَا؛ أَرْوَمَةٌ رَسَخَتْ عُرُوقُهَا؛ شَجَرَةٌ زَكَتْ عُصُوبُهَا؛ فَرَجٌ شُرِفَتْ مَنَائِبُهُ؛ مَعْلِينَ زَكَتْ عِلَالَتُهُ؛ جَوْهَرٌ شَاعَتْ مَكَارِمُهُ؛ عَنْصِرٌ بَسَقَتْ فُرُوعُهُ؛ تَحَدَّ ذَاعَتْ مَحَامِدُهُ؛ أَصْلٌ نَجَّبَتْ مَائِرُهُ؛ سِنَخٌ خَلَصَتْ مَنَائِقُهُ؛ نِصَابٌ صَرُحَتْ مَقَانِرُهُ؛ نَجْمٌ نَمَتْ مَسَاعِيهِ؛ أَصْلٌ فَضَلَتْ مَعَالِمُهُ؛ عَنْصِرٌ نُصِرَتْ مَحَاسِنُهُ؛ مَتَمَّى كَثُرَتْ مَنَائِقُهُ. فالزيادة فيها زيادة في جوهر الكرم، مظهر في نحو ترى الإفضال، ذخيرة قبيسة لنوى الآمال، نعمة كاملة السعادة، غبطة شاملة البهاسة، سرور يواجه الأولياء، حُبور تجنويه الأعداء، غبطة تصل إلى الأحرار، ابتهاج لنوى الأخطار. فتولى الله نِعْمَهُ عندك بالحِراسة الوافية، بالولاية الكافية، الكفاية المتظاهرة، الدِّفاع الكلى، الحِفاظ الداعى، الصُّنْع الجليل، الدِّفاع الحَسَن، العافية المتكاثفة. وبلغنى الخبرُ بيه الله المستجدة، الولد المبارك، الفرع الطيب، السليل الرضى، الولد الصالح، الابن الساز، الثمرة المثمرة، السلالة الزكية، النجل

الميمون ، الذي عَمَرَ أَفْنِيَةَ السِّيَادَةِ . زاد في مواثيق العهد والرياسة ، أرسى قَوَاعِدَ السِّيَادَةِ ، ثَبَّتَ أَسَاسَ الرِّقْعَةِ ، أَوْثَقَ عُرَا المَجْدِ ، مَكَّنَ أَرْكَانَ الفَضْلِ ، وَطَّدَ أَسَاسَ المَكَارِمِ ، أَكْدَّ عِلَاقِقَ الشَّرَفِ ، أَبَدَ أَوَانِيَ الكَرَمِ ، أَرْبَمَ حِبَالَ الجُودِ ، أَمَرَتْ أَسْبَابَ الطُّولِ ، شَسَّدَ بُيُوتَ الكَالِ ، أَحْصَفَ أَيْدِيَ السَّمَاحَةِ ، أَحْكَمَ قُوَى الرَّجَاحَةِ ، أَوْثَقَ عَقْدَ العُلَا ، رَفَعَ دَعَائِمَ الظُّهَارَةِ ، أَنَارَ أَعْلَامَ الْغَارَةِ ، أَظْهَرَ عِلَامَاتِ الْخَيْرِ . فَنَبَاشَرْتُ بِهِ ، ائْتَهَجْتُ ، اجْتَدَلْتُ ، اغْتَبَطْتُ ، فِرِحْتُ ، سُرِرْتُ ، اسْتَبَشَرْتُ . جعله الله بَرًّا نَقِيًّا ، مَيِّدًا ، حَيِّدًا ، تَمِيْنًا ، مُبَارَكًا ، طَيِّبًا ، عَزِيْزًا ، سَعِيْدًا ، ظَهِيْرًا ، عَوْنًا ، نَاصِرًا ، رَاجِحًا ، زَكِيًّا ، وَزَرًا ، مَلَجًا . يَتَّقِي سَلْفَهُ ، وَيَقْتَنِي آثَرَهُ ، يَسْلُكُ مِنْهَا جِهَهُ ، يَسْتَنْ سُنَنَهُمْ ، يَتَّبِعُ قَصْدَهُمْ ، يَسِيرُ سَبِيْلَهُمْ ، يَسْعَى مَسَاعِيْلَهُمْ ، يَتَّخِذُ مِثَالَهُمْ ، يَحْذَرُ حَذْوَهُمْ ، يَخْتَلِقُ بِأَخْلَاقِهِمْ ، يَنْصَرِّ بِصِيْرَتِهِمْ ، يَنْوُطُ أَعْمَالَهُمْ ، يَتَرَسَّمُ رُسُومَهُمْ . وَأَيُّنَ بِهِ عِدْدَكَ ، كَثُرَ بِهِ ذُرِّيَّتُكَ ، أَرَاكَ فِيهِ ذَايَةُ أَمَلِكَ ، شَقَّعَهُ اللهُ بِأَخْوَةِ بَرَّةٍ ، وَفَقَّهَهُ اللهُ لِأَدَاءِ حَقِّكَ ، جَعَلَهُ خَيْرَ خَلْفٍ كَمَا هُوَ خَيْرُ سَلَفٍ . زَيْنَ بِهِ الْعَشِيرَةَ ، وَهَبَ لَهُ النَّمَاءَ ، بَلَغَ بِهِ أَكْثَلَ الْعُمُرِ ، مَكَّنَ لَهُ فِي رَفِيعِ المَرَاتِبِ ، حَقَّقَ فِيهِ فِرَاسَتَكَ ، وَهَبَ لَهُ تَمَامَ الْفَضِيلَةِ ، وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ ، أَجَارَكَ فِيهِ مِنَ التَّكَلُّفِ ، مَرَّكَ بِفَائِدَتِهِ ، أَسْعَدَكَ بِرُؤْيَتِهِ ، أَطَابَ صَيْثَكَ بِهِ ، مَتَّعَكَ بِعَطِيَّتِهِ ، أَلْهَمَكَ شُكْرَ مَاخُولِكَ ، وَاصْلَ لَكَ الْمَزِيْدَ بِرَحْمَتِهِ .

فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْكَاتِبُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْ أَلْفَاظِ هَذَا الْكِتَابِ عِدَّةَ كُتُبٍ بِتَهْنِئَةٍ بُولَدَ ، فَعَلَ ، كَمَا إِذَا قَالَ : قَدْ جَعَلَكَ اللهُ مِنْ تَبْعَةِ طَابَتْ مَغَارِسُهَا ، فَالْزِيَادَةُ فِيهَا زِيَادَةٌ فِي جَوْهَرِ الكَرَمِ ، فَوَلَّى اللهُ نِعْمَهُ عِنْدَكَ بِالْحِرَاسَةِ ؛ وَبَلَّغْنِي الْخَيْرُ بِهَيْبَةِ اللهِ الْجَلِيْدَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ ، الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ الَّذِي عَمَرَ أَفْنِيَةَ السِّيَادَةِ ، فَنَبَاشَرْتُ بِهِ ، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى بَرًّا

تقياً ، يَتَقَبَّلُ سَلَفَهُ ، وَأَيْمَنَ بِهِ عَدَدَكَ ، وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ ، وَوَصَلَ لَكَ الْمَزِيدَ بِرَحْمَتِهِ ، كَانَ ذَلِكَ كِتَاباً كَافِياً فِي هَذَا النُّوعِ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ وَقِسْ عَلَيْهِ .

## النوع الثاني

(المعرفة باللغة العجمية ، وهي كل ما عدا العربية : من التركية ، والفارسية ،  
والرومية ، والفريجية ، والبربرية ، والسودان ، وغيرهم ، وفيه مقصدان)

### المقصد الاول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إلى معرفة اللغات العجمية )

لا يخفى أن الكاتب يحتاج في كماله إلى معرفة لغة الكتب التي تَرِدُ عليه الملكة  
أو أميره لفهمها ويحسب عنها من غير اطلاع تَرْجُمَانُ عليها ، فإنه أصونُ لسرِّ ملكه ،  
وأبلغُ في بلوغ مقاصده .

وقد روى محمد بن عمر المدائني في "كتاب القلم والدواة" بسنده إلى زيد بن ثابت  
رضي الله عنه أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأنه يَرُدُّ عَلَى أَشْيَاءَ  
مِنْ كَلَامِ السَّرْيَانِيَّةِ لَا أَحْسِنُهَا فَتَعَلَّمَ كَلَامَ السَّرْيَانِيَّةِ فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سِتَّةِ عَشْرِ يَوْمًا) وفي رواية  
قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَحْسِنُ السَّرْيَانِيَّةَ ؟) فإنه يَأْتِنِي كُتُبُهَا ،  
قُلْتُ لَا . قَالَ فَتَعَلَّمْتُهَا فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، فَكُنْتُ أَجِيبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرَأُ كُتُبَ يَهُودَ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ ( وفي رواية ، قال : قال لي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَا زَيْدُ تَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودَ فَإِنِّي وَإِلَهُ لَا أَمْنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي  
قَالَ فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ فَمَا مَرَّ لِي سِتُّ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَقَّقْتُهُ فَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ  
إِنَّا كُتُبُهُمْ إِلَيْهِ وَأَجِيبُ إِذَا كُتِبَ) وفي رواية العبرانية بدل السريانية .

قال محمد بن عمر المدائني بل قد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربيا لأن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبيا إلى قوم لا يفهم عنهم ، ولذلك كُلم سَلْمَانُ بِالْفَارْسِيَّةِ . وساق بسنده إلى عكرمة أنه قال : سئل ابن عباس هل تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية قال نعم ، دخل عليه سلمان فقال له درسته وسادته قال محمد بن أميل : أظنه مرحبا وأهلا .  
وحيث ذكرنا فيكون النبي صلى الله عليه وسلم إنما أصر زيدا بتعلم كتابة السريانية أو العبرانية لتحريم الكتابة عليه لا أنه أمره بتعلم لغتهم .

### المقصد الثاني

(في بيان ما تصرف فيه الكاتب من اللغة العجمية)

اعلم أن الذي ينبغي له تعلمه من اللغات العجمية هو ما يتعلق به حاجته في المخاطبة والمكاتبة .

أما المخاطبة فإن يكون لسانُ ملكه بعض الألسن العجمية أو كان الغالب عليه لسانُ عجمي مع معرفته بالعربية : كما غلبت اللغة التركية على ملوك الديار المصرية ، وكما غلبت اللغة الفارسية على ملوك بلاد العراق وفارس ، وكما غلب لسان البربر على ملوك بلاد المغرب مع تبعية عسكر كل ملك في اللسان الغالب عليه له في ذلك فيحتاج الكاتب إلى معرفة لسان السلطان الذي يتكلم به هو وعسكره ليكون أقرب إلى حصول قصده : من فهم الخطاب وتفهمه ، وسرعة إدراك ما يلقي إليه من ذلك ، وتأدية ما يقصد تأديته منه ؛ مع ما يحصل له من الحظوة والتقريب بالموافقة في اللسان ؛ فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لاسيما إذا كان من غير جنسه

كما يميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجندها لمن يتكلم بالتركية : من العلماء والكُتّاب ومن في معناهم على ما هو معلوم مشاهد ،

وأما المكتبة فإن يكون يعرف لسان الكُتُب الواردة على ملكه ليرجمها له ويُجيب عنها بلغتها التي وردت بها فإن في ذلك وقفاً في النفوس ، وأستجلاً للقلوب ، وصونا للسر عن اطلاع ترجمان عليه ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت بتعلم السريانية أو العبرانية على ما تقدم ظاهر في طلب ذلك من الكاتب وحته عليه . ثم اللغات العجمية على ضربين أحدهما ماله قلم يكتب به في تلك اللغة كاللغة الفارسية ، واللغة الرومية ، واللغة الفرنجية ونحوها ، فإن لكل دينا قلماً يخصه يكتب به في تلك اللغة . والثاني ما ليس له قلم يكتب به ، وهي اللغات القوم الذين تغلب عليهم البداءة كالترك والسودان . ولأجل ذلك ترد الكُتُب من القانات ملوك الترك ببلاد الشمال المعروف في القديم ببيت بركة ، والآن بمملكة أذربك باللغة المغلية بالخط العربي . وترد الكتب الصادرة عن ملوك السودان باللفظ العربي والخط العربي . أما اللغات التي لها أقلام تخصها فإن كتبهم ترد بخطهم ولغتهم : كالكتب الواردة من ملوك الروم والفرنج ونحوهما ممن لافته قلم يخصه على اختلاف الألسنة واللغات .

### النوع الثالث

(المعرفة بالنحو؛ وفيه مقصدان)

#### المقصد الأول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إليه )

لا نزاع أن النحو هو قانون اللغة العربية ، وميزان تقويمها ؛ وقد تهتم في النوع الأول أن اللغة العربية هي رأس مال الكاتب ، وأساس مقاله ، وكثر إنفاقه ، وحينئذ

فيحتاج إلى المعرفة بالتحو وطُرُق الإعراب، والأخذ في تعاطي ذلك حتى يجعله دأبه، ويصيره دينه : ليرسم الإعرابُ في فكره، ويدور على لسانه، وينطلق به مقالُ قلمه وكلمه، ويزول به الوهم عن صحبته، ويكونَ على بصيرة من عبارته . فإنه إذا أتى من البلاغة بأعلى رتبة ولحن في كلامه، ذهب محاسن ما أتى به، وأنهضت طبقة كلامه وألغى جميع ما حسنه، ووقف به عند ما جهله . قال في "المثل السائر" : وهو أول ما ينبغي إثبات معرفته ؛ على أنه ليس مختصاً بهذا العلم خاصة بل بكل علم ؛ لا : بل ينبغي معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معزة اللحن . قال صاحب "الريحان والرياحان" : ولم يزل الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحثون على تعلم العربية، وحفظها والرجاء لمعانها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، والمحلل المخصوص . قال عثمان المهرري : «أنا كاتبُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ونحن بأذربيجان يأمرنا بأشياء، ويدكر فيها : "تعلموا العربية فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة" . وكان لخالد بن يزيد بن معاوية أخٌ بجاه يوماً فقال : إن الوليدَ ابن عبد الملك يعبتُ بي ويحتقرني، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال بأمر المؤمنين ! : إن الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله وأستصغره، وعبد الملك مطرق فرجع رأسه وقال : ((إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)) الآية - فقال خالد : ((وإذا أردنا أن نهلك قرية)) الآية - فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ وقد دخل على فما أقام لسانه لحنًا - فقال خالد : أفعلى الوليد تُعول ؟ فقال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان - فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالدٌ في كلام كثير طويل ليس هذا موضع ذكره .

وقال الرشيد يوماً لبنيه : "ماضى أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ؟ أيسر أحدكم أن يكونَ لسانه كلسان عبده وأمته ؟" . ومن كلام مالك بن أنس



”الإعراب على اللسان فلا تمتنعوا لستكم حلياً“ . والله ذو ابى سعيد البصرى !  
حيث يقول :

النحو يسط من لسان الألكني \* والمرء تكرر منه إذا لم يلح  
وإذا طلبت من العلوم أجلها \* فأجلها عندي مقيم الألسن

قال صاحب ”الريحان والريحان“ واللحن قبيح في كبراء الناس وسراهم ، كما أن الإعراب جمال لهم ، وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به إلى مرتبة تليحه بمن كان فوق تخطه وصنفه . قال وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى ، فإن اللحن يغير المعنى واللفظ ويقلبه عن المراد به إلى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه . وقد روى أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجزء من رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال : أو يرى الله من رسوله ؟ ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية . على أن الحسن قد قرأها بالخر على القسم وقد ذهب على الأعرابي فهم ذلك لخفاه . وقرأ آخر ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ برفع الأول ونصب الثاني ، فوقع في الكفر بنقل فصحته إلى ضمة وضمة إلى فصحته فليل : يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحداً ! فقلبه لذلك وتفطن له . وسمع أعرابي رجلاً يقول : أشهد أن محمداً رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا ؟ . وقال رجل لآخر ما شأنك ؟ بالنصب فظن أنه يسأله عن شيء به فقال عظم في وجهي . وقال رجل لأعرابي : كيف أهلك ؟ بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلباً . ودخل رجل على زياد بن أبيه فقال : إن أبونا مات وإن أخينا وبَّ على مال أبانا فأكله . فقال زياد : للذي أضعته من كلامك أضرتك مما أضعته من مالك . وقيل لرجل من أين أقبلت ؟ فقال من عند أهلونا ، فحسده آخر

حين سمعه وظن ذلك فصاحةً فقال أنا والله أعلم من أين أخذها ؟ من قوله ﴿ شَقَّتْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا ﴾ ؟ فأضحك كلُّ منهما من نفسه . قال صاحب "الريحان والريمان" وكان من يؤثِّر عقله من الخلفاء يعاقب على اللحن وينهر من خطأ القول ، ولا يجوز أن يُخاطب به في الرسائل البدائية ، ولا أن يُوقَف به على رءوسهم في الخطب المقامية قال : وهو الوجه . فأنديتهم مطَّلب الكمال ، ومطَّان الصواب في إحكام الأفعال ، فكيف في إحكام الأقوال . قال ابن قادم النحوى : "وجه إلى إسحاق بن إبراهيم المُصعبي وهو أمير فاحضرني فلم أدْرِ ما السبب ، فلما قُرِبت من مجلسه تلقاني كاتبه على الرسائل ميمون بن إبراهيم وهو على غاية الخَلَع والجَرَع ، فقال لي بصوت خفى إنه إسحاق ! ومرة غير متلب حتى رجع إلى إسحاق ، فراعني ما سمعتُ ، فلما مثَّلت بين يديه ، قال كيف يقال وهذا المال مَالٌ أو وهذا المال مَالاً ، فعلمت ما أراد ميمون الكاتبُ فقلتُ له الوجهُ وهذا المال مَالٌ ويجوز وهذا المال مَالاً ، فأقبل إسحاق على ميمون كاتبه بلفظة وفظاظته ثم قال : «الزم الوجهَ في كُتُبك ودَعْ ما يجوز !» ورمى بكاتب كان في يديه ، فسألت عن الخبر فإذا بميمون قد كتب عن إسحاق إلى المأمون وهو ببلاد الروم وذكر ما لا حمله إليه فقال «وهذا المَالُ مالا» ، فخط المأمون على الموضع من الكتاب ووقع بخطه في حاشيته تكميليني بالحن ؟ ويقال إنه لم يتجاوز موضع اللحن في قراءة الكتاب فقامت عند إسحاق ؛ فكان ميمون الكاتبُ بعد ذلك يقول : لا أدري كيف أشكر ابن قادم ببقِّي على رُوحى ونِسْمتى . ووقف بعضُ الخلفاء على كتاب لبعض عماله فيه لحن في لفظة فكتب إلى عامله : قَنع كاتبك هذا سوطاً معاقبةً على لحنه . قال أحمد بن يحيى : كان هذا مقدار أهل العلم ، وبحسبه كانت الرِّغبة في طلبه والحذر من الزَّلَل . قال صاحب "الريحان والريمان" : فكيف لو أبصر بعضُ كُتَّاب زماننا هذا ؟ . قلت قد قال ذلك في زمانه هو وفي الناس بعض الرَّميِّ والعلمُ ظاهر وأهله مُكرِّمون ، وإلا فلو عمَّر إلى زماننا نحن لقال ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ .

ثم المرجع في معرفة النحو إلى التلّقى من أفواه العلماء الماهرين فيه ، والنظر في الكتب المعتمدة في ذلك من كتب المتقدمين والمتأخرين .

وأعلم أن كتب النحو : من المبسوطات والمختصرات والمتوسّطات أكثر من أن يأخذها الحصر . ومن الكتب المعتمدة في زماننا عند أبناء المشرق "المفصل" للزنجشري و"الكافية" لابن الحاجب . وعند المصريين كتب ابن مالك : كالتهليل والكافية الشافية والألفية وغير ذلك من كتب ابن مالك وغيرها .

قال أبو جعفر النحاس : وقد صار أكثر الناس يطلعن على متعلّى العربية جهلاً وتعدياً حتى إنهم يحتجّون بما يزعمون أن القاسم بن عجمرة قال : « النحو أوله شغل وآخره بنى » قال : وهذا كلام لا معنى له لأن أول الفقه شغل وأول الحساب شغل وكذا أوائل العلوم . أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أن أولها شغل ؟ قال وأنا قوله « وآخره بنى » إن كان يريد به أن صاحب النحو إذا حلّقه صار فيه زهو واستحقّار من يلحّن فهذا موجود في غيره من العلوم : من الفقه وغيره في بعض الناس وإن كان مكروهاً . وإن كان يريد بالبنى التجاوز فيما لا يحلّ فهذا كلام محال فإن النحو إنما هو العلم باللغة التي نزل بها القرآن وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم وكلام أهل الجنة وكلام أهل السماء . ثم قال بعد كلام طويل : وقد كان الكتاب فيما مضى أرغب الناس في علم النحو وأكثرهم تعظيماً للعلماء حتى دخل فيهم من لا يستحقّ هذا الاسم فصعب عليه باب العند فعابوا من أعرب الحساب ، وبعث عليهم معرفة الهمزة التي ينضمّ وينفتح ما قبلها ، أو تختلف حركتها وحركة ما قبلها فيكتبون يقرؤه بزيادة ألف لا معنى لها : في كلام آخر يتعلق بالهجاء ليس هذا موضع ذكره . — أما التعمّق في الإحراب والمبالغة فيه فإن حكمه في الاستكراه حكم التقصّر في الغريب ، وقد كانوا يذمّون من يتعاناه ، ويسخّرون من يتعاطاه . قال الأصمعي

خاصم عيسى بن عمر النحوي رجلا إلى بلال بن أبي بردة فجعل عيسى يُسبِّح الإعراب ويتعمق في الألفاظ، وجعل الرجل ينظر إليه - فقال له القاضي: "لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من تركه الإعراب، فلا تتشغل به وأقصِدْ بحجَّتكَ". وخاصم نحوي نحويا آخر عند بعض القضاة في دين عليه فقال: "أصلح الله انقاضي! لي على هذا درهمان" - فقال خصمه: "والله أصلحك الله! إن هي الا ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقه درهما". فهذا وشبهه قد صار مذموما والمتشبه به مملوما؛ ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الإعراب يُعرب كلامه ولا يُحِيل إلى السامع أنه يُعرب، فإن عرض مع التعمق في الإعراب لحن، كان ذلك أبلغ في الشناعة، وأجدر بتوجه اللوم على صاحبه والسخرية من المتكلم به. وقد قال الجاحظ: «إِنَّ أَقْبَحَ اللَّحْنِ لَحْنُ أَصْحَابِ التَّعْمِيرِ وَالتَّشْدِيقِ وَالتَّمْطِيطِ وَالْجَهْورِيَةِ وَالتَّفَخِيمِ». قال «وأقبح من ذلك لَحْنُ الْأَعْرَابِ النَّازِلِينَ عَلَى طَرِيقِ السَّابِلَةِ وَبِقُرْبِ جَمَاعِ الْأَسْوَاقِ». وعلى الجملة فالتحويلا يُستغنى عنه ولا يوجد بُدُّ منه، إذ هو حَتَّى الْكَلَامِ، وهو له كما قيل كالملح في الطعام. قال في "المثل السائر": والجهل بالتحويلا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجهل به نفسه لأنه رُسُومٌ قَوْمٌ تَوَاضَعُوا عَلَيْهِ وَهُمْ النَّاطِقُونَ بِاللُّغَةِ فوجب اتباعهم؛ ولذلك لم ينظم الشاعر شعره وعرضه منه رفعُ الفاعل ونصبُ المفعول أو ما جرى مجراهما وإنما عرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة. قال: ولذلك لم يكن اللحن قادحا في نفس الكلام: لأنه إذا قيل جاء زيد راكباً بالرفع لو لم يكن حسنا الا بأن يقال جاء زيد راكبا بالنصب لكان التحو شرطاً في حسن الكلام وليس كذلك فتبين أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة إعراب كلماته وإنما الغرض أمر وراء ذلك - وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل من المنشور مع

ما حكي أن الحسن وقع لجماعة من الشعراء المتقنين في شعرهم ، كقول أبي نواس في محمد الأمين :

يَا خَيْرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ \* إِلَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ الْمَامُونُ

فرفع المستثنى من الموجب، وكقول المتنبي :

أَرَأَيْتَ هِمَّةَ نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ \* نَقَلَتْ يَدًا سُرْعًا وَخُفًّا مُجَمَّرًا  
تَرَكْتُ دُخَانَ الرَّيْثِ فِي أَوْطَانِهَا \* طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِلُونَ الْعَنَابَ  
وَتَكْرَمْتُ رُكْبَتَهَا عَنْ مَبْرِكٍ \* تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِسْكَ أَذْفَرَا

بجمع في حالة التثنية، لأن الناقاة ليس لها الا رُكبتان وقد قال رُكبتاها.

واعلم أن الحسن قد فشا في الناس، والأليسة قد تغيرت حتى صار التكلم بالإعراب عيباً، والنطق بالكلام الفصيح عيباً . قلت : والذي يقتضيه حال الزمان ، والجرى على منهاج الناس أن يحافظ على الإعراب في القراءان الكريم، والأحاديث النبوية، وفي الشعر والكلام المسجوع، وما يدون من الكلام، ويكتب من المراسلات ونحوها، ويغفر الحسن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ويحاورون به في مخاطبتهم، وعلى ذلك جرت سنة الناس في الكلام مذ فسدت الأليسة، وتغيرت اللغة حتى حكي أن القراء مع جلالة قدره وعلو رتبته في النحو دخل يوماً على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه، فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين إنه قد لحن - فقال الرشيد للقراء أتلحن يا يحيى ؟ فقال يا أمير المؤمنين ! : إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا حفظت أو كتبت لم ألحن وإذا رجعت الى الطبع لحت - فاستحسن الرشيد كلامه . وقد قال الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " «ومتي سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب فإياك أن

تَحْكِيهَا إِلَّا مَعَ إِعْرَابِهَا وَخَارِجِ أَلْفَاظِهَا ؛ فَإِنَّكَ إِنِ غَيَّرْتَهَا بَابَ لَحَنَتْ فِي إِعْرَابِهَا  
أَوْ أُنْجَرِجَتْ خَرَجَ كَلَامُ الْمَوْلَدِينَ وَالْبَلَدِيِّينَ ، خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَعَلَيْكَ فَضْلٌ  
كَبِيرٌ ؛ وَإِنْ سَمِعْتَ نَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الْعَوَامِّ وَمُثَلَّةً مِنْ مُكْتَبِهِمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ لَهَا  
الْإِعْرَابَ أَوْ تُخَيِّرَ لَهَا لَفْظًا حَسَنًا ، فَإِنْ ذَلِكَ يُفْسِدُ الْإِمْتِنَاعَ بِهَا وَيُخْرِجُهَا مِنْ  
صُورَتِهَا الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا وَيُذْهِبُ اسْتَطَابَتَهُمْ لِإِيَّاهَا . قَالَ : «وَاللَّحْنُ مِنَ الْجَوَارِي  
الْقُرَافِ ، وَمِنْ الْكَوَاعِبِ النَّوَهِدِ ، وَمِنْ الشَّوَابِّ الْمَلَّاحِ ، وَمِنْ ذَوَاتِ الْخُدُورِ أَيْسَرُ  
وَرَبَّمَا اسْتَمْلَحَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَا لَمْ تَكُنِ الْجَارِيَةُ صَاحِبَةً تَكْلُفُ » وَلَكِنْ إِذَا كَانَ  
اللَّحْنُ عَلَى بَيْجِيَّةِ سُكَّانِ الْبَلَدِ كَمَا يَسْتَمْلِحُونَ اللَّغْنَ إِذَا كَانَتْ حَدِيثِيَّةَ السَّنِّ إِذَا اسْتَنْتَ  
وَأَكْتَهَلْتَ سُمِّيَ ذَلِكَ الْإِسْتِمْلَاحَ . قَالَ : «وَمَنْ اسْتَمْلَحَ اللَّحْنَ فِي النِّسَاءِ مَا لَكَ بِأَسْمَاءَ  
فَقَالَ فِي بَعْضِ نِسَائِهِ :

أَمْنَعُ عَلَى بَصَرِي لِلْحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْلُ النَّاسِ حُسْنًا ؟  
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا \* تَشْتَبِيهِ الْأَسْمَاعُ يُوزَنُ وَزْنًا  
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّنُ أَحْيَا \* نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا «

وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِحَسَبِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ وَإِنْ تَغَيَّرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ  
بِخَطَاةٍ مِنْ عَدَامِ فَانِهِمْ لَا يَتَحَلَّوْا كَلَامَهُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ الْإِعْرَابِ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ  
وَالْجُرِّيِّ عَلَى قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ خُصُوصًا عَرَبِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنْهُمْ . وَقَدْ قَالَ  
الْجَاهِظُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ «وَلَأَهْلُ الْمَدِينَةِ أَلْسِنَةُ ذَلِيقَةٍ ، وَأَلْفَاظُ حَسَنَةٍ ، وَعِبَارَةٌ جَيِّدَةٌ ؛  
وَاللَّحْنُ فِي عَوَامِّهِمْ فَائِسٌ وَعَلَى مَنْ لَمْ يَنْظُرْ مِنْهُمْ فِي النُّحُوِّ غَالِبٌ »

## المقصد الثاني

( في كيفية تصرف الكاتب في علم العربية )

وأعلم أن أنتفاع الكاتب بالنحو من وجهين . أحدهما الإعراب وما يلحق به . ومن أهم ما يُعنى به من ذلك النَّسَبُ لكثرة استعماله في الألقاب ونحوها ، وكذلك العدد فإنه مما يقع فيه اللبس على المبتدئ ؛ وعمل ذلك كله كتب النحو . الثاني فيما يقع الكاتب فيه بطريق العَرَض ، فيحتاج من ذلك إلى معرفة النحاة ومشاهير أهل العربية كأبي الأسود الدؤلى ، وسيبويه ، والقرطبي ، وأبي علي ، وأبي عثمان المازني وغيرهم من المتقدمين ، وابن عصفور وابن مالك وابن معطى وغيرهم من المتأخرين ؛ وكذلك أسماء كتبهم المشهورة في هذا الفن : من المبسوطات والمختصرات من كتب المتقدمين والمتأخرين ومصطلحاتهم التي اصطلاحوا عليها : من ذكر الاسم ، والفعل ، والمعركة ، والنكرة ، والمبتدأ ، والخبر ، والحال ، والتمييز ، وألقاب الإعراب : من الرفع والنصب والجزم والجزم وغير ذلك مما تجرى به عباراتهم ، ويدور على ألسنتهم في استعمالهم : من قوطم ضرب زيد عمرا ونحو ذلك يُدرج ما عَنَ له من ذلك في خلال كلامه حيث احتاج إليه في التواقيع والمكتبات وغيرها .

قال في «التعريف» في وصية نحوى : وهو زيد الزمان ، الذي يضرب به المثل ، وعمرو الأوان ؛ وقد كثر من سيبويه المثل وما زنى الوقت لكنه لم يستبح الإبل ، وكسائي الدهر الذي لو تقدم لما اختار غيره الرشيد للآمون ، وذو الأسود لأبو الأسود على أنه ذو السابقة والأبجر الممنون . وهو ذو البر المانور ، والقدر المرفوع ولواؤه المنصوب وذيل نخاره المجرور . والمعروف بما لا يُشكر لمثله من الجزم ، والذهاب عمله الصالح بكل العوامل التي لم يبق منها لحسوده إلا الجزم . وهو ذو الأبيّة التي

لا يُفصح عن مثلها الإعراب ، ولا يُعرف أفصح منها فيما أخذ عن الأعراب .  
والذي أصبحت أهدأه فوق عمائم الغائم ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُسكّر  
منه أمسه ويومه وغدّه وانما الكلمات ثلاث . فليتصد للإفاده ، وليعلمهم مثل  
ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة . وليكن للطلبة تجاً به يُهتدى ، ويرفع  
بتعليمه قدر كل حبر يكون خبراً له وهو المبتدا . وليقدم منهم كلّ من صلح للتبريز ،  
وأستحق أن يُنصب إماماً بالتمييز . وليُورد من موارد أذنب النّظاف ، وليجزّ إليه كلّ  
مضاف إليه ومضاف . وليوقفهم على 'حقائق الأسماء' ويعرفهم دقائق البحوث  
حتى اشتقاق الأسم هل هو من السّم أو من السّما . وليبين لهم الأسماء المعجمة  
المنقولة والعربية الخالصة ، ويلهم على أحسن الأفعال لا ما يتشبه بصفات كان  
واخواتها من الأفعال الناقصة ، وليحفظهم المثل وكلمات الشعراء ، ولينصب نفسه لحدّ  
أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء . وليعامل جماعة المستفيدين منه بالمعطف ،  
ومع هذا كله فليترقّق بهم فما بلغ أحدٌ علماً بقوة ولا غايةً بحسب .

وكما قال الشيخ جمال الدين بن تَبَّاتٍ رحمه الله من جملة توقيع مدرّس : « ولأنّه  
في البيان ذو الانتقاد والانتقاء . والعربيّ الذي كان لِرَقَاب الفضلاء ابنَ مالك فإن  
قريبه أبو البقاء .

وكما كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في رسالة اقترحت عليه في هذا  
الباب وهي : « حرس الله نعمة مولاي ! ، ولا زال كلّ السعد من اسمه ، وفعله ،  
وحرف قلبه يألف ، ومناذى جوده لا يُرَخِّم وأحدُ عيشه لا ينصرف . ولا عَدِم  
مستوصل الرّزق من براعته التي لا تقف الوصل <sup>(١)</sup> ولا عَدِمَتْ نُحْاة الجود



من نَوَالِه كُلِّ موزون ومعدود ، ومن فضله وظله كل مقصور وممدود . ولا خاطبت الأيام مُتَمِّسَه إلا بلام التوكيد ، ولا علوه إلا بلام المجود . هذه المفاوضة اليه أعزه الله ! تفهمه أنا بلغنا أن فلانا أضر سيدنا له فعلا غدا به منتصبا للكايد ومعتلا وليس موصولا كالذى بصلة وعائد . وما ذاك إلا لأن معرفتها داخلها التنكير ، وقدرها من الاحتمالات أسوأ التقدير . ونعوت صحتها تكررت . بخاز قطعها بسبب ذلك التكرير . وسيدنا يعلم بالعلمية المذكور<sup>(١)</sup> من الإنافة ، وما لإضافته إلى جلالاته من الائتاء الذى يجب أن يكون لأجله عيشه به خفضا على الإضافة . وكان الظن أن الأشغال التى جمعت له لا تكون جمع تكسير بل جمع سلامة ، وآية لا تكلف تعليم على وصول لأنه فى الديوان كالخرف لا يخبر به ولا عنه والحرف ليست له علامة . وحاش لله ! أن يصبح معرب إحسانه مبدأ ، وأن نزىل كرمه يكون للنكرات بأى محكما أو أن يأتى سيدنا بالماضى من الأفعال فى معنى الاستقبال ، أو أن يعمل بدل غلظه الإبدال للأشمال . أو يدغم من مودته مظهرها ، أو أنه لا يعمل لمبتدا محبة مخبرا ، أو أن لا يكون له من أبنية تدبير سيدنا مصدرا . ولا يرح سيدنا نسيج وحده فى أموره ! ولا زال حاميه يقتاسى الهفوات لا يشتغل مفعوله عن فعله بضميره .

### النوع الرابع

#### المعرفة بالتصريف

ويجب على الكاتب المعرفة به ليعرف أصل الكلمة ، وزايدتها ، وحذفها ، وإبدالها فيتصرف فيها بالجمع والتصغير والنسبة إليها وغير ذلك : لأنه إذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة إليها ولم يعرف الأصل فى حروف الكلمة وزايدتها وحذفها وإبدالها ، ضل حيزه عن السبيل ، ونشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن .

(١) كنا فى الأصل بالبدال المهملة . وذكر المتاع تنزيه بعضه على بعض وهو غير مناسب قلله مصحف عن الزكون بالزاي بمعنى المعلوم فأمل .

قال ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر": وتظهر لك فائدة ذلك ظهورا واضحا  
 فيها إذا قبل للنحوى الجاهل بعلم التصريف كيف تصغر لفظة اضطراب فإنه يقول  
 ضطريب<sup>(١)</sup>، ولا يلام في ذلك لأنه الذى تقتضيه صناعة النحو . لأن النحاة يقولون  
 إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفته منها، نحو  
 قولهم في منطلق مطباق وفي جحمرش جحمرش . ولفظة منطلق على خمسة أحرف  
 وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون ، إلا أن الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم تحذف  
 وحذفت النون . وأما لفظة جحمرش فخاسية لازية زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا .  
 فإذا بنى النحوى على هذا الأصل ، فما أن يحذف من لفظة اضطراب الألف  
 أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء ، وهذه الحروف غير الألف ليست من حروف  
 الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الأصلى فيصغر  
 لفظة اضطراب حينئذ على ضطريب<sup>(٢)</sup>، ولم يعلم النحوى أن الطاء في اضطراب مبدلة  
 من تاء وأنه إذا أريد تصغيرها تعاد إلى الأصل الذى كانت عليه . فيقال ضتريب  
 فإن هذا مما لا يعلمه إلا التصريفى والنحاة أطلقوا ما أطلقوه من ذلك أتكالا منهم  
 على تحقيقه من علم التصريف ، إذ كل من النحو والتصريف علم منفرد برأسه ،  
 فتكليف النحوى الجاهل بعلم التصريف إلى معرفة ذلك كتكليفه ما ليس من علمه .  
 قال : فثبت بما ذكر أن علم التصريف مما يحتاج إليه لئلا يغلط في مثل ذلك .  
 قال : ومن العجب أن يقال إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف وهذا نافع بن أبى نعيم  
 وهو من أكبر القراء السبعة قدرا وأنعمهم شأنا قد قال في معائش معائش بالهمز ،  
 وهذه اللفظة مما لا يجوز همزه بإجماع من علماء العربية : لأن الياء فيها ليست

(١) أى باثبات الياء بعد الراء وهى ياء التصغير وليست مقبلة عن ألف الاتصال كما قد يترجم بل ألف  
 الاتصال مخدرة

(٢) كذا فى الأصل وموابه جحمرش كما تقتضيه القواعد الصرفية . أنظر باب التصغير من الكتاب

مبدلة من همزة وإنما الياء التي تبدل<sup>(١)</sup> من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا يكون عينا نحو سقائن ، ولم يعلم نافع الأصل في ذلك فأخذ عليه وعيب عليه من أجله . وذلك أنه اعتقد أن معيشة على وزن فَعِيلَة تجمع على فَعَائِل ولم ينظر إلى أن الأصل في معيشة معيشة على وزن مَفْعَلَة لأن أصل هذه الكلمة من عاش لكن أصلها عيش على وزن قَل ، ويلزم مضارع فَعَل المعتدل العين يفعل لصح الياء نحو يعيش ثم تنقل حركة العين إلى الفاء فتصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال يعيش به كما يقال مسير به ثم يخفف ذلك بخذف الواو فيقال يعيش به كما يقال مسير به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة . ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف : إن نالها لم يدر ما العربية .

وحكى أبو جعفر النحاس أن حبيد الله بن سليمان نظر في بعض كتب الكتاب فإذا فيه حرف مُصلَع هو : وقد قوت من جباية الخراج ، فاختلط وقال لا يحكمه غيره الحكم فأباحه وقد ألهيت بالياء بدل الواو . قال وحكى عن أحمد بن إسرائيل مع تقدمه في الكتابة أنه قال : وكانت رسومهم مُسائاة ثم صارت مشاهرة ثم صارت مُباومة ثم صارت مُساعة ، فأخطأ ، وكان يجب أن يقول مُساومة . قال في المثل السائر : " وكثيرا ما يقع أهل العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها ؛ وإذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يقع الغلط فيما يوجب قدحا ولا طعنا . قال : وقد وقع الناطل لأبي نواس فيما هو أظهر من ذلك ، وهو قوله في صفة الخمر :

كَانَ صُغْرَى وَتُجْرَى مِنْ قَوَاعِهَا \* حَصْبَاءُ دَرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الدَّهَبِ<sup>(٢)</sup>

(١) أى التي تكون الهمزة بدلا منها .

(٢) لله التي كما يقتضيه السياق .

(٣) المشهور قناعها . انظر شرح الأشتى في باب أفضل التفضيل .

فإن فُعِلَ أفعَلَ لا يجوز حذف الألف واللام منها وإنما يجوز حذفهما من فُعِلَ التي لا أفعَلَ لها نحو حُبِلَ إلا أن تكون فُعِلَ أفعَلَ مضافةً، وهاتان قد عيرت عن الإضافة وعن الألف واللام وكان الصواب أن يقال كأن الصُنْرى والكُبْرى أو كأن صُنْراها وكُبْراها . فانظر كيف وقع أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قُرْبِهِ وسُموْلِهِ . وغلط أبو تمام أيضاً في قوله :

بِالْفَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلَفِ أَطْلَدَتْ \* قَوَاعِدُ الْمُلْكِ مُتَمِّدًا لَهَا الطُّولُ

فقال أطلادت والصواب ائطلدت لأن التاء تُبدَل من الواو في موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع : لأنك إذا بنيت افعَل من الوعد قلت ائعد وكذلك ائطلدت في البيت فإنه من وُعد يَطْد كما يقال وُعد يعد، فإذا بُني منه افعَل قيل ائطلدت ولا يقال أطلاد . وأما غير المقيس فقولهم في وُجاء نُجاء وقالوا تُكَلان وأصله الواو لأنه من وُكِّل فابدلت الواو تاء للاستحسان . ثم قال : إن المخطئ في التصريف أندر وقوعاً من المخطئ في النحو لأنه قلما تقع له كلمة يحتاجُ في استعمالها إلى الإبدال والنقل في حروفها . والمعصوم من عصمه الله، والكلام في تصرف الكاتب في التصريف على ما تقدم في النحو .

## النوع الخامس

المعرفة بعلوم المعاني، والبيان، والبدیع؛ وفيه مقصدان

### المقصد الأول

في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك

اعلم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سبيل الفصاحة واقتفاء سنن

البلاغة، وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة، اضطر الكاتب إلى معرفتها، والإحاطة بمقاصدها : ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب، وإنشاء الجواب، جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب، مع قوة الملكة على إنشاء الأقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء : من الخطب والرسائل والأشعار من جهة بلاغتها وحلّوها عن اللكن، وتأدية المطلوب بها، وتكميل الأقاويل الشعرية نثرا كانت أو نظما، في بلوغها غايتها وتأدية ما هو مطلوب بها، وأنها كيف تتعين بحسب الأغراض لتنفيد ما يحصل بها من التخيل الموجب لانتقال النفس من بسط وقبض، والشئ يذكر بضده، فيذكر المحاسن بالذات والعيوب بالعرض .

قال أبو هلال العسكري : "فإن صاحب العربية إذا أحلّ بطلب هذه العلوم، وفرط في التماسها، فأنته فضيلتها، وعلقت به رذيلة قوتها، وعنى على جميع محاسنها، وعنى سائر فضائله، لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد، وآخر رديء، ولفظ حسن، وآخر قبيح، وشعر نادر، وآخر بارد، بأن جهله، وظهر قصصه، وإذا أراد أن ينشئ رسالة أو يضع قصيدة وقد فاته هذه العلوم، مزج الصقو بالكدر، وخط الغرر بالعرر، فجعل نفسه مهزأة للجاهل، وعبرة للعاقل . وكذلك إذا أراد تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذه، ساء اختياره، وبُحت آثاره؛ فأخذ الرديء المردود، وترك الجيد المقبول؛ فدلّ على قصور فهمه، وتأخر معرفته؛ مع ما في هذه العلوم الثلاثة من الوسيلة إلى فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين منهما يستمدُّ الكاتب شرف المعاني، ويستعير فصيح الألفاظ؛ بل منهما تُستفاد سائر العلوم، وتُقْبَس نفائس الفصائل". قال: "وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتم به، والقاري المتسدى بهديه، والمتكلم المشار إليه في حسن

مناظرته، وتعام آله في مجادلتها، وشدة شكيمة في حجاجه؛ وبالعربي الصليب،  
والقرشي الصريح، أن لا يعرف فهم إعجاز كتاب الله إلا من الجهة التي يعرفها منها  
الزنجي والبطي، وأن يستدل عليه بما يستدل به الجاهل النفي.

على أن الشيخ بهاء الدين السبكي رحمه الله قد ذكر في شرح تلخيص المفتاح أن  
أهل مصر لا يحتاجون إلى هذه العلوم وأنهم يدرونها بالطبع، فقال في أثناء خطبته :  
”أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم،  
والفهم المستقيم، والأذهان التي هي أرق من النسيم، وألطف من ماء الحياة في ألحيا  
الوسيم، أكسبهم النيل تلك الخلاوة، وأشار إليهم بأصابه فظهرت عليهم هذه  
الطلاوة؛ فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الأغمار، الأعمار،  
ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار، خلف الأستار.

والسيف ما لم يلق فيه صيقل \* من طبعه لم يتففع بصقال

(١)  
فيألفا غنيمة لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب، ولم يزحف إليها بعد عيديات  
ولا بلحاق لاحتق وأنسكاب سكاب؛ فلذلك صرفوا همهم إلى العلوم التي هي  
نتيجة أو مادة لعلم البيان، كاللغة والنحو والفقه والحديث وتفسير القرآن. ثم قال :  
”وأما أهل بلاد الشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم، ولا سيما العلوم العقلية  
والمنطق، فاستوفوا همهم الشائعة في تحصيله، واستولوا بجدهم على جمته وتفصيله .  
ووردوا متاهل هذا العلم فصردوا عنها بمل تجلهم، وكيف لا وقد أجبوا عليه  
بجلهم ورجلهم . فلذلك عمروا منه كل دارس، وعبروا من حصونه المشيدة مارقد  
عنه الحارس . وبلغوا عنان السماء في طلبه، ولو كان الدين في الثريا لئال له رجال من

(١) أي فوق نجائب، منسوبة إلى ابن العدي حتى من العرب . ولاحتي وسكاب فرسان للعرب مشهوران .  
انظر اللسان .

فارس . . إلى أن خرج عنهم المفتاح ، فكأن الباب أغلق دُونهم ، وظهر من مشكاة بلاد الغرب المصباح ، فكأنما حيل بينه وبينهم . وأدارت المنون على قُطْبهم الدوائر ، فتعطلت بوفاته من علومه أفواهُ الحابر وبُطون الدفاتر . وأتقطعت زهراهم الطيبة عن المقتطف ، وتسَلط على العَصْد لسان من يعرف "كَيْفَ تُؤْكَلُ الكَيْفَ" . فلم نظفر بعد هؤلاء الأئمة رحمهم الله من أهل تلك البلاد بمن تحض هذا العلم فالق للطالب زُبْدته ، وتحض النصيح فنشر على أعطاف العارى بُدته ، ولا حملت قبول القبول إلينا عنهم بطاقه ، ولا حصلت للتطلعين لهذا العلم على تلك الأبواب طاقه ، ولا رأينا بعد أن أنطمست تلك الشموس المشرقة ، وأندرست طبقه تحوى الفرقه ، ولم يبق إلا رسوم هى من فضائلهم مسترقه . نأطلع غصن قلبه من روض الأذهان زهرة على ورقه ، ولا من علق شنه بطبقته فيقال وافق شن طبقه بل ركدت بينهم فى هذا الزمان ريحه ، وخبت مصابحه ، وناداهم الأدب سواكم أعني : "رب كلمة تقول دعني" .

وما بعض الإقامة في ديار \* يهاب بها الفتى إلا بلاء

فعند ذلك أزمع هذا العلم الترحل ، وأذن بالتحول .

وإذا الكريم رأى الخمول نزله \* في منزل فالرائى أن يتحولا

وفزع إلى مصر فالق بها عصا التسيار ، وأنشد من نادى من تلك الديار .

أفت بارض مضر فلا ورائى \* تحبب بى الركب ولا أمانى

ولقد أحسن رحمه الله في بيان السبب ، والتعويل في انجبال أهل مصر على هذا العلم على علاقة الصبر والنسب . حيث قال في أوائل خطبته في أثناء الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما خفقت للبلاغة راية

تَجِدُ فِي بَنِي غَالِبٍ بِنِ فَهْرٍ، وَتَمَلَّقَتْ بِأَزْمَةِ الْفَصَاحَةِ أَهْلَ مِصْرَ : لِمَا لَمْ مِنْ  
نَسَبٍ وَصِرْ .

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في كتابه "حسن التوسل إلى  
صناعة الترتل": وهذه العلوم وإن لم يُضطرَّ إليها ذو الذَّهن الثاقب، والطبع السليم،  
والقرينة المطاوعة والفكرة المنقحة، والبديهة المحيية، والروية المتصرفة، لكن العالم  
بها متمكِّن من أزمة المعاني، وصناعة الكلام، يقول عن علم، ويتصرف عن معرفة،  
وينتقد بحجة، ويختير بدليل، ويستحسن ببرهان، ويصوغ الكلام بترتيب .

وحقيق ما قاله . فان الأديب والكاتب العارفين عن هذه العلوم قاصران عن  
أدنى رتب الكمال بعيدان، ولا يدرِيان كيف يُجيبان . فلو مثل كل منهما عن علة  
معنى استحسنه أو لفظ استعلاه أو تركيب استجاده، لم يقدر على الإتيان  
بدليل على ذلك .

وقد حكى الإمام عبد القادر الجرجاني قال : " ركب الكندي المتفلسف إلى  
أبي العباس وقال له : إني أجد في كلام العرب حشوا - فقال له أبو العباس في أي  
موضع - قال : وجدت العرب تقول عبد الله قائم ثم يقولون إن عبد الله قائم  
ثم يقولون إن عبد الله قائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد - فقال له أبو العباس :  
لا، بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه،  
وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم إن عبد الله قائم لقائم جواب على  
إنكار منكر قيامه ، فما أحرار المتفلسف جوابا . فإذا ذهب مثل هذا على الكندي  
فما الظنُّ بغيره؟ وإن كان من محاسن الكلام مالا يحكم في أمثاله بالقلوب غير  
الدوق الصحيح كما قال الشاعر :



شئٌ به قُتِبَ الوری غیر الذی • ۛ یُدعی الجمال ولست أدری ما هو  
 لكن الغالب في الكلام أن يعلم سبب تحسينه ، وتعليل مواده تمكينه .  
 ويُجاب عن العلة في انحطاطه وارتفاعه ، ويذكر المعنى في ارتفاعه من حضيض  
 القول إلى يقاعه .

قلت : وهذا العلم وإن شُحِنَ أئمةُ الكتاب <sup>(١)</sup> - كما قال أبو هلال العسكري في كتابه  
 "الصناعتين" والوزير ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر" والشيخ شهاب الدين  
 محمود الحلبي في "حسن التوسل" فإنه ليس مختصا بفن الكتابة بل هو آلة لكل  
 كلامٍ آتقنى البلاغة، كما أن المنطق آلة لكل العلوم العقلية ، التي يُحتاج منها إلى  
 تصحيح الفكر .

وقد أكثر الناس من المصنّفات فيه كالرّماني والجرجاني وغيرهما ، وأكثر اعتماد  
 أهل الزمان فيه على تلخيص المفتاح للقاضي جلال الدين القزويني فأغنى ما وضع  
 فيه عن إيرادِه هنا .

### المقصد الثاني

في كيفية انتفاع الكاتب بهذه العلوم

غير خاف أنه إذا مهر فيها وعرف طُرُقها ، أتى في كلامه بالسَّحر الحلال ؛ وصاغ  
 من ألفاظه ومعانيه ما يقضى له بالفصاحة التامة ، والبلاغة الكاملة ، من وجوه تحقيق  
 الكلام ، وتحسينه وتدبيجه وتيقفه . وإذا فائت هذه العلوم ، أو كان ناقصا فيها ،  
 نقصت حسنة بقدرة ما ينقص من ذلك . ثم كما يحتاج إلى هذه العلوم بطريق  
 الذات ، كذلك يحتاج إليها بطريق المرص من جهة المعرفة باللفاء الذين يضربُ

(١) له وإن شُحِنَ به أئمة الكتاب كتبهم وحرر

بهم المثل في البلاغة كقُسِّ بن ساعدة ، وسَيَّانٍ وائل ، وعمرو بن الأَهم ، ونحوهم من بغية العرب ؛ وآبَن المَقْعَّ ونحوه من المُحدَثين . وكما قيل في عَمِّ باقِل - وهو رجل آتتهى به العِي إلى أنه اشترى ظبيًا بأحد عشر درهما ، فسأله سائل في الطريق ، وهو ممسك الظبي : بكم اشتريته ؟ فلم يُحسن التعبير عن أحد عشر ، ففترق أصابعه العشرة وأخرج لسانه مشيرًا إلى أحد عشر فتفطت الظبي وفر هاربًا . وكعرفة أئمة الصَّناعة : كالجرجاني والرَّمانى . وكذلك المعرفة بالأسماء التي اصطَلَح عليها أهلها : من الفَصْل ، والوَصْل ، والتشبيه كما تقدم ، والمقابلة ، والمطابقة ، وغير ذلك من أنواعها .

أما احتياجه إلى المعرفة بأسماء البُلغاء ولفة أهل الصناعة ، فلأنه ربما احتاج إلى تفضيل بعض مَنْ يكتب له مَنْ يُنسب مثله إلى البلاغة فيفضله بمساوئه ليلبغ من البُلغاء ، أو إمام من أئمة الصنعة : كما كتب الوزير ضياء الدين بن الأثير في ذم كاتب : هَذَا وهو يدعى أنه في الفصاحة أمة وحده ، وَمَنْ قُسَّ إِيَاد وسَيَّانٌ وائل عنده ؛ وكما قال بعضهم يهجو ضيفًا له :

أَنَا وَمَا دَانَاهُ سَيَّانٌ وَائِلٌ \* بَيَاتًا وَعِلْمًا بِالذَى هُوَ قَائِلٌ

فَمَا زَالَ عِنْدَ اللَّقْمِ حَتَّى كَانَهُ \* مِنْ الْعِي لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِاقِلٌ

ومما أتى على ذكر جماعة من أهل هذا الشأن قولِي في كلام قليل جاء ذكره في آخر رسالة كتبتُ بها في تقرير المقتر الفتحى ، صاحب دواوين الإنشاء الشريف ، بالأبواب السلطانية بالديار المصرية - وهو : " على أُنَّى أستقبل من التقصير في إطرابه ، والتعرض في مدحه لما لا أنهض بأعبائه . فلو أن الجاحظ نصيرى ، وآبَن المَقْعَّ ظهيرى ، وقُسَّ بن ساعدة يُسعدنى ، وسَيَّانٌ وائل يُنجِدنى ، وعمرو

أَبْنِ الْأَهْم يُرْشِدُنِي، لَكَانَ اعْتِرَافِي بِالتَّقْصِيرِ أَلْبَغُ مِمَّا آتَيْهِ، وَإِقْرَارِي بِالتَّقْصِيرِ أَوَّلِي، مِمَّا أَخْفِيهِ مِنْ تَوَالِي طَوْلِهِ وَأَيَادِيهِ .

وَأَمَّا أَحْتِيَاجُهُ إِلَى مَعْرِفَةِ أَلْفَاظِ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ، فَلَأَنَّهُ رُبَّمَا وَرَى بِهَا فِي تَفَاصِيلِ كَلَامِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ - كَمَا كَتَبَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَجْمِيِّ عَلَى الْبَدِيعَةِ الَّتِي نَظَّمَهَا عَيْسَى الْغَالِيَةِ الشَّاعِرُ، مَضَاهِيَا بِهَا بِدِيعَةِ الصَّنِئَةِ الْخَلْقِيَّةِ فَقَالَ :

”وَبَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى هَذِهِ الْمَعْجَزَةِ الَّتِي أَحْيَا بِهَا عَيْسَى مَبْتَ بَدِيعٍ، وَجُودَ مَا شَاءَ فِيهَا مِنَ التَّقْصِيرِ وَالتَّرْصِيعِ، وَرَقْمَ لَأَعْطَانَهَا حُلَّ التَّوْشِيحِ وَالتَّوْشِيعِ، وَنَظْمَ لِأَجْيَادِ أَيْبَاتِهَا فَرَائِدَ الْمَعَانِي الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ بَحْرِ فِكْرِهِ عَلَى يَدِ بَرَاعَةِ الْمُرِيعِ، وَقَلَدَهَا مِنْ دُرَرِ لَفْظِهِ بِمَا هُوَ أَزْهَى مِنْ زَهْرِ الزُّهْرِ عَلَى نَهْرِ الْمَجْرَةِ وَهَالَاتِ الْبُسُورِ، وَشَفَّ الْمَسَامِعَ مِنْهَا بِمَا هُوَ أَهْيَى مِنَ النُّورِ فِي الْعُيُونِ وَأَوْقَعَ مِنَ الشِّفَاءِ فِي الصُّدُورِ؛ وَأَوْجَعَ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ بِمَا طَرَسَ بِهِ الطُّرُوسُ، وَأَطْلَعَ فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ مِنْ نَاصِعِ مَعَانِيهِ بِجُودًا تُزِيحُ عَلَى الشَّمْسِ، وَأَوْدَعَ الْمَهَارِقَ شُدُورًا تُزَيِّفُ ذَهَبَ الْأَصَابِلِ؛ وَتُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ حَسَانَ تَفُوقِ ابْتِسَامِ نُفُورِ الْأَزْهَارِ بَيْنَ انْتِمَائِهِ؛ وَسَلَكَ فِي الْبَدِيعِ طَرِيقَةَ مُثْنًى، أَظْهَرَ فِيهَا مِنْ شَهْدِ أَلْفَاظِهِ وَجَوَاهِرِ مَعَانِيهِ مَا حَلَّ وَحَلَّ، وَلَمْ يَدْعُ لِلْحِلِّ فِي بَهْجَتِهَا تَحْلًا؛ وَأَحْسَنَ التَّذْيِيلَ وَالتَّرْشِيحَ وَالتَّهَكُّمَ عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ أَلْفَاتٍ لِمَا أَهْمَلَهُ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ إِلَيْهِ؛ وَعَادَتِ الْمَعَانِي تَأْوِي مِنْ حُسْنِ تَصْرِفِهِ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَتَعْوِي بِشَبَابِ أَقْلَامِهِ كُلِّ مَارَامِهِ مِنْ تَأْيِيدِ التَّأْيِيدِ؛ وَتَلْقِي مَقَالِيدَهَا مِنْهُ إِلَى مَلٍّ بِحَسَنِ التَّحْيِيلِ وَالتَّحْوِيلِ فِي نَظْمِهِ وَتَرْثِهِ، وَتَحْكَمُ لِمَنْ حَكَمَ لَهُ بِكُلِّ وَصْفِهِ وَوَصَفَ كَلِمَةً أَنَّهُ نَسِجٌ وَحِيدٌ وَفَرِيدٌ عَصِيرٌ، وَأَجْرَى فِي حَلَّةِ الْبَدِيعِ جِيَادَ أَقْلَامِهِ فَخَازَ قَصَبَ الرَّهَانِ، وَأَصْفَى لَهَا مَوَارِدَ النَّفْسِ فَآرَتَوَتْ وَاسْتَخْرَجَتْ مِنْ ظُلُمَاتِهِ جَوَاهِرَ الْبَيَانِ؛ وَنَطَقَتْ بِمَا هُوَ

المالوف من غرائب حِكْمِهِ الحسان؛ وتماثلتها فوجدتها قد أجاد فيها براعة المَطْلَع،  
وبالغ في تحسين المَتَرَع والمَقْطَع؛ ودخل جَنَانَ الجناس فأجتنى من قُطوفها الدانية  
ماراق، وأطردت له أنهارها فأستطرد منها في أعلى الطَّبَاق؛ وقابل وجوه حُورِها  
أحسن المقابلة، أمّا فيها من الاشتراك والمماثلة؛ وأوضح الفُروق بين التَّوَرِيَةِ والإِبْهَام،  
والتَّوْجِيهِ والاستخدام؛ وأبان في التتميم نقص أبي تَمَّام، وأوجب في إيهامه  
عقد الخناصر على نظمته، وفوض بزائحه التسليم له وطلب سِلْمِهِ؛ ولم يقنع بما فيه  
الاكتفاء من التذليل والتذنب، بل أتى في الاستدراك على من تقدمه بالعجب  
العجيب؛ معتمداً في تكميل مقاضده الاقتصار والإيجاز، ولو ادعى الإيجاز على  
الحقيقة لا المجاز لجاز؛ وتحققت أن ليس له في هذا الفن مُقَاوٍ ولا مقاوم، ولا مساوٍ  
ولا مساوم؛ فكم جلب من بحر براعته دُرّة أشرقت في ليالي الفترة المسودة، وكَم  
حلب من ثدى براعته دُرّة لها ألف زُبْدَةٍ<sup>(١)</sup>؛ وكَم بلغ الناظر من وصف بيانه مجمع  
البحرين، وسمع ورأى من فصله الجزل وفضله الجزيل ماهو عين المراد ومراد  
العين؛ وكَم جلا من عرائس أفكاره وابتكاره صَبَاحَ الوجوه الصُّباح، وخَفَقَ  
في الخافقين لمقاصده وبصائرُه جَنَاحُ النِّجَاح. قد أصبحت كلماته تُلْصِقُ القرائد  
مناطق، ولبُدُور الفوائد مَشَارِق؛ ولطالبع أسرار المَبَاني، آلات، ولَطَالَع أقمار  
المعاني، هالات؛ وقد وقعت حين وقعت على بديعيته هذه بين داءين كل منهما  
الأخطر، وبين أمرين أمرين كل منهما الأعسر؛ إن لم أكتب عليها شيئاً فقد  
أخللت بالفرض الواجب، وإن كتبت فقد فضحت نفسي وعرضتها للعايب؛  
ولكنني رُحْتُ على ظُلْمِي متعاملاً، وغدوتُ على حسب طاقتي في هذا الباب قائلاً:

(١) الدرة بالفتح المرة وبالكسر هيئة الدر وكثرته - مصباح [وقد أعجم النبال في الأصل وهو من اجمال

الناسخ كما هو ظاهر.]

عَاشَ الْبَدِيعُ وَكَانَ مَيِّتًا وَأَنْتَ \* بَادِيَ الْحَاسِنِ زَاهِيًا عَمْرُوسًا  
أَحْيَاهُ عَيْسَى نَجَلُ حِمَجٍ وَكَمْ \* مِنْ مَيِّتٍ أَحْيَاهُ قَدَمَا عَيْسَى

## النوع السادس

(حفظ كتاب الله العزيز؛ وفيه مقصدان)

### المقصد الأول

(في بيان أحتياج الكاتب إلى ذلك في كتابته)

قال في "حسن التوسل" ولا بد للكاتب من حفظ كتاب الله تعالى، وإدامة قراءته، وملازمة درسه، وتدبر معانيه، حتى لا يزال مصورًا في فكره، دائرًا على لسانه، ممثلًا في قلبه ليكون ذا كراه في كلامه وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها ﴿فَقَدْ أَجَّحْتُ الْبَالِغَةَ﴾ وكفى بذلك مُعِينًا له على قصده، ومُغْنِيًا له عن غيره. قال تعالى ﴿مَا قَرَأْتَ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقال جل وعز ﴿يَبَيِّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. قال في "المثل السائر" كان بعضهم يقول: لو ضاع لي عقل لوجدته في القرآن الكريم. قال في "حسن التوسل" وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم، ومخاطباتهم، مع قصور كل لفظ ومعنى عنه، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بسورة من مثله. كما جكي أن سائلًا سأل بعض العلماء أين تجد في كتاب الله معنى قولهم "الجار قبل الدار"؟ قال في قوله تعالى ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتٌ فِرْعَوْنُ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فطلبت الجار قبل الدار، ونظائر ذلك كثيرة.

وقد اختلفت في جواز الاستشهاد بالقرءان الكريم في المكاتبات ونحوها: فذهب أكثر العلماء إلى جواز ذلك ما لم يُحَلَّ عن لفظه ولم يتغير معناه . فقد ثبت في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ إِلَى هِرَاقْلَ : **قُلْ يَا هَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** . إلى قوله مسلمون ، وروى ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عهده لعمر بن الخطاب : **وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا أَكْتُبَ مِنَ الْإِيمِ . وَسِعِلْمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُتَقَلِّبٍ يَتَقَلَّبُونَ** . على ما سياتي في ذكر عهود الخلفاء عن الخلفاء إن شاء الله تعالى .

وكتب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في آخر كتاب إلى معاوية " وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك وأخيك " **( وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ )** . وقال للغيرة ابن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية **( وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا )** .

وكتب إلى عامل من عماله بعد البسلة **( قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ )** . وقال الحسن بن علي لمعاوية حين نازعه في الخلافة **( وَإِنْ أَذْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ )** . وروى عن ابن عباس مثله . وكتب الحسن إلى معاوية : أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رَسَلاً للعالمين وكافة للناس أجمعين : **( لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ )** .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي إلى المنصور في صدر كتاب **( طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، تَنَزَّلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ مُؤْمِنٍ وَفِرْعَوْنٌ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ )** إلى قوله **( وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ )** . ولم يزل العلماء وفضلاء الكتاب يستشهدون بالقرءان الكريم في مكاتباتهم في القديم والحديث ، من غير تكبر ، وذلك كله دليل الجواز . ونقل عن الحسن البصري ما يدل على كراهة ذلك

حيث بلغه أن الحجاج أنكر على رجل أستشهد بآية فقال : أنسى نفسه حين كتب إلى عبد الملك بن مروان : بلغني أن أمير المؤمنين عَطَسَ فشمته من حضر فودّ عليهم ﴿يَا بَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ، قال في "حسن التوسل" : وإذا صحّت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون إنكاره على الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو ، وذهب بعضهم إلى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز الاستشهاد به إلا فيما يضاف إلى الله سبحانه مثل قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وقوله ﴿يَلَىٰ وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله تعالى .

فأما تغيير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز بحال .

قال في "المثل السائر" وإذا ضُمَّت الآيات في أماكنها اللاحقة بها ، ومواضعها المناسبة لها ، فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والروق . قال في "حسن التوسل" : ومن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجّة ، ولقطع النزاع ، وإدخال الخلع . قال في "حسن التوسل" : وأين قول العرب - القتلُ أهْيُ للقتل - لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ .

وقد روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتنى على ذلك بشاهد من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك فقرأ عليه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَيَسَىٰ﴾ فعيسى ابن بنته فاسكت الحجاج . وأيضا فإن الآية الواحدة تقوم في بلوغ الغرض ، وتوفية المقاصد ، إلا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة .

فمن أخصر ما وقع في ذلك وأبلغ أنه كان على الروم بركة في أيام الرشيد أمرأة منهم ، وكانت تلامف الرشيد ولها ابن صغير ، فلما نشأ فوضت الأمر إليه فعات

وأفسد وخاشن الرشيد؛ فحَافَت على مُلْك الروم فقتلت ولدها، فغضب الروم لذلك، فخرج عليها رجل منهم يقال له يَقْفُور فقتلها وأستولى على المُلْك وكتب إلى الرشيد: أما بعد، فإن هذه المرأة وضعتك موضعَ الشاه، ووضعت نفسها موضعَ الرُّخ، ويبنى أن تعلم أنى أنا الشاه وأنت الرُّخ فأد إلى ما كانت المرأة تؤدى إليك! فلما قرأ الكتاب . قال للكتاب : أجيئوا عنه فأتوا بما لم يرتضه، وكان الرشيد خطيبا شاعرا . فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى يَقْفُور كلب الروم . أما بعد، فقد فهمت كتابك ، والجواب ما تراه لا ماتسمعه ، والسلام على من أتبع الهدى .

ثم خرج في جمع له لم يُسمع بمثله فتوغل في بلاده وقتك وسبى . فأوقد يَقْفُور في طريقه نارا شديدة فغاضها محمد بن يزيد الشيباني، وتبعه الناس حتى صاروا من ورائها؛ فلما رأى يَقْفُور أنه لا قبل له به، صالحه على الجزية . يؤذيها عن رأسه وعن سائر أهل مملكته .

وكتب ملك الروم إلى المعتصم يتوعده وتهذبه فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه فلم يجبه مما كتبوا شيئا فقال لبعضهم اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما ترى لا ماتسمع (وسيعلم الكافر لعن عقبي الدار) . هذا مع ما ينسب إليه المعتصم من ضعف البصر بالعربية كما تقدم في الكلام على اللغة . ولا يستكثر مثل ذلك على الطبع السليم، والرجوع إلى سلامة العنصر وطيب المختد .

ومثل ذلك في الجواب وأخصر منه أسف الأدفونش ملك الفرنج بالأندلس . كتب إلى يعقوب بن عبد المؤمن أمير المسلمين بالأندلس، بخط وزيره يقال له



ابن الفخار : باسمك اللهم فاطر السموات والأرض والصلاة على السيد المسيح  
ابن مريم الفصيح ، أما بعد : فلا يخفى على ذى ذهن ثاقب ، وعقل لازب ، أنى أمير  
الملة النصرانية ، كما أنك أمير الملة الحنيفية ، وقد علمت ما هم عليه رؤساء جزيرة  
الأندلس من التخاذل والتواكل والإخلاد إلى الراحة وأنا أسوهم الخسف وأخلي  
منهم الديار ، وأجوس البلاد ، وأسبي الذراري ، وأقتل الكهول والشبان لا يستطيعون  
دفاعاً ، ولا يطيقون امتناعاً ، فلا عذر لك في التخلف عن نصرهم ، وقد أمكنتك يد  
القدرة ، وأتم تعتقدون أن الله عز وجل فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ،  
والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فلتقاتل عشرة منكم الواحد منا ،  
ثم بلغنى أنك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة الإقبال ، ومما طل نفسك عاماً  
بعد عام ، وأراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، ولست أدري إن كان الجبن أبطاك  
أو التكذيب بما أنزل عليك ربك ، ثم حكي لي أنك لا تجحد إلى الجواز سبيلاً لعله  
لا يجوز لك التضمع به معها <sup>(١)</sup> ، فانا أقول ما فيه الراحة لك ، وأعتذر لك وعنتك ، على  
أن تنفى لي بالعهود والمواثيق والاستنكار من الرهن ، وترسل إلى بحملة من عبيدك  
بالمراكب والشوانى ، وأجوز بجملي إليك ، وأبارزك في أعز الأماكن عليك ، فإن كانت  
لك فغنيمة وجهت إليك ، وهديّة عظيمة مثلت بين يديك . وإن كانت لي كانت  
يدي العليا عليك وأستوجب سيادة الملتين ، والحكم على الدينين ، والله تعالى يسهل  
ما فيه الإرادة ، ويوفق للسعادة ، لأرب غيره ، ولا خير إلا خيره .

فكتب رحمه الله جواباً على أعلى كتابه : « ارجع إليهم فلنأتيهم بمجنود لا قبل لهم بها  
ولنخرجهم منها أدلة وهم صاغرون » .

(١) كذا في الأصل بالقاء والماء المجمة ويظهر أنه تصحيف عن التضمع بالقاف والحاء المهملة  
والتضمع في الشيء الانقياد عليه من غير روية ولا تدبر وتأمل .

ونظير ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كتب إلى الديوان العزيز ببغداد كتابا يعتد فيه موافقه في إقامة دعوة بني العباس بمصر . فكتب جوابه من ديوان الخلافة ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

### المقصد الثاني

(في كيفية استعمال آيات القرآن الكريم)

واعلم أن تضمين الكلام بمض آى القرآن الكريم ينقسم عند أهل البلاغة إلى قسمين

أحدهما - الاستشهاد بالقرآن الكريم، وهو أقلهما وقوعا في الكلام ودورانا في الاستعمال : وهو أن يضمّن الكلام شيئا من القرآن الكريم، وينبه عليه مثل قول الحريري في مقاماته : فقلت وأنت أصدق القائلين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . وقول أبي إسحاق في عهد الملك عن خليفة بعد الأمر بالتقوى والحث عليها : فإذا أطلع الله منه على لقاء جبيه، وطهارة ذيله، وصحة مروءته، واستقامة سيرته، أعانه على حفظ ما استحفظه، وأنهضه بثقل ما حمله؛ وجعل له غلصا من الشبهة، ومخرجا من الحيرة . فقد قال الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وقد قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وقال عز اسمه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إلى آى كثيرة حُصّنها على كرم الخلق، وأسلم الطرق؛ فالسعيد من نصّبها رأى ناظره، والشقى من نبذها وراء ظهره، وأشقى منه من يحث عليها وهو صادق عنها، فأجاب إليها وهو بعيد منها . وله وأمثاله يقول الله عز وجل ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وَتَسُونُ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَأَكْثَرُ مَشَى الصَّابِي فِي كِتَابِهِ عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ مِنَ الِاسْتِشْهَادِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى آيِ الْقُرْآنِ فِي خِلَالِ كَلَامِهِ، دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ ؛ وَالِاِقْتِصَارِ عَلَى اقْتِبَاسِ مَعْنَاهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ غَانِمٍ مِنْ خُطْبَةِ قَدِّمَةِ كَتَبَ بِهَا لِمُظَفَّرِ الدِّينِ مُوسَى بْنِ أَقْوَشٍ وَقَدْ صَرَّحَ لُغَلْفَةً ، وَادَّعَى بِهَا لِلَّهِ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ : نَحْمَدُهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ الَّذِي سَادَ بِهِ مِنْ سَادٍ وَسَمَاءٍ وَأَصَابَ بِتَفْوِيقِهِ بِمَعُونَةِ رَبِّهِ طَيْرَ السَّمَاءِ ، فَحُسْنُ أَنْ يَتْلَى ﴿ وَمَا رَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلِي فِي الْمَقَامَةِ الَّتِي أَنْشَأْتُهَا فِي كِتَابَةِ الْإِنْسَاءِ ، فِي الْكَلَامِ عَلَى فَضْلِ الْكِتَابَةِ : فَقَدْ نَاطَقَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهَا ، وَجَاءَتِ السُّنَّةُ الْغَزَاءُ بِتَقْدِيمِ أَهْلِهَا ، فَقَالَ جَلِ ثَنَائِهِ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ﴿ أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، حَيْثُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْكَرَمِ ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ تَعْلِيمَهَا مِنْ جَزِيلِ نَعْمَةٍ ، وَإِذْنَانَا بِأَنَّ مَنَحَهَا مِنْ أَوْفَرِ جُودِهِ وَفَائِضِ دَيْمِهِ ؛ وَقَالَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ ﴿ زُتْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ فَأَقْسَمَ بِالْقَلَمِ ، وَمَا سَطَرَتِهِ الْأَقْلَامُ ، وَأَتَى بِذَلِكَ فِي أَكْثَرِ قَسَمٍ ، فَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَقْسَامِ . وَقَالَ جَاءَتْ عَظَمَتُهُ ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ : فَعَمِلَ الْكِتَابَةُ مِنْ وَصْفِ الْكَرَامِ ، كَمَا قَدْ جَاءَ فِعْلُهَا عَنْ جَمَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَإِنَّمَا مُنْعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْجَزَةً قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى سَبَبَهَا ، حَيْثُ ذَكَرَ أَخْبَارَهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آسُتَبْهَأَ ﴾ .

وَقَوْلِي مِنْ هَذِهِ الْمَقَامَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُقْتَرِ الْبَدْرِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ :

(١) أَيْ أَنَّ الْخُطْبَةَ عَمِلَتْ لِنِظَالِ نَحْيَةِ الْقُدُومِ الْمُظَفَّرِ بِمَدِّ صَرَعِ الدُّبْرِ الْمَسْحِيِّ لُغَلْفَةً .

قلت حَسْبُكَ قد دلتني عليه عُرْفُهُ ، وأرشدني إليه وَصْفُهُ ، وبان لي مَحْتَدُهُ الْفَاحِرُ وَحَسْبُهُ الصِّمِيمُ ، وعرفت أصلَهُ الزَّاكِيَ وفرعَهُ الْكَرِيمُ ﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وقولي في اختتام هذه المقامة معبراً عن المقر البدوي المشار إليه : فلما تحققت أن قد أثبتت في ديوانه ، وكنت من جملة غُلَامَانِهِ ، رجعتُ القهقري عن طلب الكسب ، وتساوى عندى المحل والخِصْبُ ؛ فاستغنيتُ بنظري إليه عن الطعام والشراب ، وتحققت أن نظرة منه تُرَقِّئِي إلى السحاب ، وتلوثُ لسان الصديق على الملأ وهم يسمعون ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقولي في بيعة خليفة أنشأتها بعد ذكر تخليف أهل البيعة : وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَ الْعَقْدِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ، والشهود والحكَّام ، وجعلوا الله على ما يقولون وكلاء ، فأسحق عليهم الوفاء بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وهم يرغبون إلى الله تعالى أن يُضَاعَفَ لهم بحسن نيتهم الأجور ، ويلجئون إليه أن يجعل أئمتهم ممن أشار تعالى إليه بقوله ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَامُهم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

وقولي في بيعة أخرى : والله يجعل انتقامهم من أدنى إلى أعلى ، ومن يسرى إلى معنى ، ويحقق لهم بمن استخلفه عليهم وعده الصادق بقوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .

الثانى - الاقتباس وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن، ولا ينبه عليه : كقوله فى خطبة "التعريف" : نحمده على فواضل زادت محاسن العلوم . وعرفت تفاوت درجات الأولياء اذ قالوا : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ . وقوله بعد ذلك : وسما الشبية بضحي المشيب قد تجلّت ، والنفس قد ﴿ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَجَلَّتْ ﴾ .

وقول ابن نباة السعدى فى بعض خطبه : فيأبى النغلة المطرقون . أما أنتم بهذا الحديث مُصَدِّقُونَ . ما لكم لا تسمعون . ﴿ فَوَرَبِّ السَّيِّئِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ . وقوله يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ، ويعمل الظالمين لنار جهنم وقودا . يوم تكونوا ﴿ شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . يوم يحسد كل نفس ما عملت من خير مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

وقول غيره : أتظنون أنكم دون غيركم مخلدون ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقول الحريرى : فلم يكن إلا ﴿ كَلِمَةُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ . حتى أنشد فأغرب . وقوله : ﴿ أَنَا أَنبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ . وأميز صحيح القول من عليه .

وقول ضياء الدين بن الأثير فى فصل من كتاب فى مدح الجود ودم البخل : وقد علم أن المسال الذى يُحْتَرَن ، كالماء الذى يُحْتَقَن ، فكأن هذا يَأْجُنُ بتعطيل الأيدى عن امتناح مَشَارِبِهِ . فكذلك يَأْجُنُ هذا بتعطيل الأيدى عن امتناح مَوَاهِبِهِ . وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تُملك به القلوب . وتُقل به الخُطوب . ويُركَّب به ظهر العزم الذى ليس برُكُوب ؛ ومن بسط يده فيه ثم قبضها بمُخْلٍ ، فإنه

(١) فى الضوء . ثم تكونون شهداء الخ

(٢) لعله امتناح بالحاء المهملة .

يقف دون الرجال مغنورا . وقعد عن نيل المعالي محسورا . وإذا أدركته ميتة مضى وكأنه لم يكن شيئا مذكورا . وقوله في وصف كاتب : له بنت فكري ماتمخضت بمعنى إلا نتجته من غير مأهله . ( وأنت به قومها تحمله ) . ولم تعرض على ملا من البلاء إلا ألقوا أعلامهم أيهم يستعيره لا أيهم يكفله .

وقول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي من عهد لسلطان : وجمع بك شمل الأمة بعد أن كاد يزيغ قلوب فريقين منهم ، وعضدك لإقامة إمامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم ، وخصبك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون ( وقلوبك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ) . وقوله من عهد السلطان الملك المنصور لاجين : وجعل عدوه وإن أعرض بجيوش الرعب محسورا . وكفاه بالنصر على الأعداء التوفل في سفك الدماء ( فلم يسرف في القتل إنه كان متصورا ) . وقوله في خطبة صادق في وصف نكاح : وأحيا به الأمم وقد قضى دينهم . وجمع بين متفرقين ( لو اتفقت مافي الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ) . وقوله من توقيع بامامة صلاة : ولعلم أنه في المحراب مناجيا لربه . واقفا بين يدي ( من يحول بين المرء وقلبه ) .

وقولي في خطبة هذا الكتاب في الإشارة إلى فتح الديار المصرية : فتوجهت إليها عزائم الصحابة زمن الفاروق بجاسوا خلال الديار ، وعمرها وسهلها . وأقتطعتها أبدى المسلمين من الكفار ، وكانوا أحق بها وأهلها . وقولي في القامة المتقدمة الذكر : قال إذن قد تعلقت من الصنعة بأسبابها . وأتيت البيوت من أبوابها . وقولي فيها : قلت قد بانت لي علوميها . فأسوهم ؟ قال إن أعباءها لباهظة جحلا . وإنما لكيرة إلا . ولكن سأحدثك لك ذكرا . وأنبئك بما لم يحيط به خبرا .

وقولى فى المفاخرة بين السيف والقلم فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قامت بنصرتهم دولة الإسلام فسمت بهم على  
سائر الدول . وكرعت فى دماء الكفر سيوفهم فعادت بحلوق النصر لا بحجرة الخجل .  
صلاة ينقضى دون أنقضائها تعاقب الأيام . وتكمل السنة الأفلام عن وصفها  
ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام .

وربما أقصر على التلويح والإشارة خاصة : كقول القاضى الفاضل فيما كتب به  
عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الديوان العزيزبيغداد فى الاستصراخ  
وتحويل أمر الفرنج : رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي ، وهاهى فى سبيلك مبدوله ،  
وأنى وقد هاجر إليك هجرة يرجوها مقبولة .

وقول ضياء الدين بن الأثير فى وصف غبار الحرب : وعقد العجاج سقفا فانهقد .  
وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد . غير أنها سماء ثبتت بسنابك الجياد . وزينت  
بجحوم الصعاد . ففيها ما يُوعَد من المنايا لا ما يُوعَد من الأرزاق . ومنها تُقَدَف  
شياطين الحرب لاشياطين الأستراق .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله : ”والطريق فى استنباط المعانى من  
القرآن الكريم وأستعمال الآيات فى خلال الكلام أن تعمد إلى سورة من القرآن ،  
وتأخذ فى تلاوتها وكلما مر بك معنى أثبتته فى ورقة مفردة حتى تنتهى إلى آخرها ،  
ثم تأخذ فى استعمال تلك المعانى التى ظهرت وإدخالها فى خلال الكلام وكلما عاودت  
التلاوة وكررتها ظهر لك من المعانى ما لم يظهر لك فى المرة التى قبلها“ .

ولتعلم أن الآية الواحدة قد تقع فى الاستعمال على عدة وجوه يورده النثر  
فى معنى ثم ينقله لمعنى آخر غيره كما فعل ضياء الدين بن الأثير فى قوله تعالى حكاية

عن يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَايْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ . فقال في دعاء كتاب : وصل كتاب من الحضرة السامية أحسن الله أثرها ، وأعلّ خطرها ، وقضى من العلباء وطرها ، وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها ، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقرها . ثم أبرزه في معنى آخر فقال أكرم النعم ما كان فيه ذكرى للعابدين . وتقديه إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَايْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير . وتجلو ظلمة الخطب بإضاح المنيّر . فأنظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ثم نقله إلى معنى آخر فقال من تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء : وقد علم أن أمير المؤمنين أدنى مجلسه من سمائه ، وآنسه على وحدة الأفراد بحُفْل تَعَاهِهِ . ورفعته حتى ودّت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من قُدمائه . وذلك مقام لا تستطيع الجُدد أن ترقى إلى رتبته . ولا الآمال أن تَطُوفَ حول كعبته ، ولا الشّفاء أن تتشرف بتقبيل تُرْبَتِهِ . فليردّد إعجاباً بما نالته من مواطئ أقدامه ، ولينظر إلى سجد الكواكب له في يَظَنّته لا في منامه .

قال في "حسن التوسل" والناس في استخراج المعاني من القراءات الكريم ، وأستعملها في الكلام على قدر طبقاتهم وتفاوت درجاتهم . ففرط في الحسن ومفرط وفوق كلّ ذى علم عليم .

قلت : ويحتاج الكاتب إلى حفظ كتاب الله تعالى والعلم بتفسيره ليقتبس من معانيه كذلك يحتاج إلى معرفة العلوم المختصّة به كالعلم بالقراءات السبع والشواذ ، ومعرفة رجالها ، ومن أشهر منهم وعرف بجودة القراءة ، ومعرفة أعيان المفسرين ورؤسهم ؛ ليمائل بأفاضلهم ويقايس بأعيانهم ؛ في خلال ما يعرض له من الكلام



مطابقاً لذلك كما قال في "التعريف" في وصية مقرر في القسم الثالث من الكتاب :  
 وليدُم على ما هو عليه من تلاوة القرآن ، فإنه مصباح قلبه . وصلاح قُربه ، وصباح  
 القبول المؤذن له برضا ربه ؛ وليجعل سُوره له أسواراً ، وآياته تظهر بين عينيه  
 أنواراً . وليتل القرآن بحروفه وإذا قرأ استعاذ ، وليجمع طُرقه وهي التي عليها الجمهور  
 ويترك الشواذ . ولا يرتد دون غاية لإقصار ، ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق بحمد الله  
 إحصار ، وليتوسع في مذاهبه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة أئمة الأمصار ، وليذل  
 للطلبة الرغاب ، وليشج فإن ذوى التهمة سخاب . وليُر الناس ما هو به الله من  
 الاقتدار ، فإنه آحضر السبع ودخل الغاب ، وليتم مباني ما أتم ابن عامر وأبو عمرو  
 له التعمير ، ولقه الكسائي في كسائه ولم يقل جدى ابن كثير ، وحم به لحمة أن يعود  
 زاهب الزمان ، وعرف أنه لا عاصم من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان ، وتدقق  
 يتفجر علماً وقد وقفت السيول النوافع ، وضراً كثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم  
 وهو نافع ، وليقل على ذوى الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالتربية فإياهم إلا  
 من هو إليه قد أنتسب . وهو يعلم ما آمن الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النعاه ،  
 ووصل سببه منه بحبل الله المتد من الأرض إلى السماء . فليقدر حق هذه النعمة  
 بحسن إقباله على التعليم ، والإنصاف إذا سئل فعلم الله لا يتأهى وفوق كل ذي علم عليم .

### النوع السابع

(الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام وفيه مقصدان)

### المقصد الأول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

قال في "حسن التوسل" لابد للكاتب من حفظ الكثير من الأحاديث النبوية ،  
 والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم ؛ وخصوصاً في السير ، والمغازي ،

والأحكام ؛ وتأمل فصاحتها ، والنظر في معرفة معانيها وغريبتها ؛ وفقه مالا بد من معرفته من أحكامها ليتفق منها على سعة ، ويستشهد بكل شيء في موضعه ، ويحتج بمكان الحجّة ، ويستدل بموضع الدليل ، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ، ويبني كلامه على أصل لا يزول ، ويسوق مقاصده إلى سبيل لا يضل عنه ، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النص قويت فيه الحجّة ، وسلم له الخصم ، وأدعن له المعاند ؛ والفصاحة والبلاغة إذا طُلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم وقال : ”أنا أفصح من نطق بالصاد“ .

وقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يحتجون بالحديث ، ويستدلون به في مواطن الخلاف والتزاع ، فينقاد الجُوح ويستسهل الصَّعب ، وقد رجع الأنصار يوم السَّيْفَةِ إلى حديث ”الأئمة من قرَّيش“ حيث رواه لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأدعنوا له ، وباعوه بعد ما اجتمعوا إلى سعد بن عبادة وقالوا : ”منا أميرٌ ومنكم أميرٌ“ ، على ما سياتى بيانه في موضعه ان شاء الله . ورجع عمر رضى الله عنه لحديث النہى عن دُخُولِ بلد الطاعون فعاد إلى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه أن به الطاعون . وقال على رضى الله عنه في حق الأنصار : ”لوزأوا لَزْتُهم“ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أزول معكم حيث مأزمتُ“ .

ثم الذى أشار إليه ابن قتيبة في ”أدب الكاتب“ أن الأحاديث التى ينبغى للكاتب حفظها الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه : كقوله صلى الله عليه وسلم : ”الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي . وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ . وَالْخَرَجُ بِالضَّحَّانِ . وَجُرْحُ الْعَجَاءِ جُبَّار . وَلَا

يَتَلَقَّى الرَّهْنُ<sup>(١)</sup> . وَالْمِنْخَةُ مَرْدُودَةٌ . وَالْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ . وَالزَّهْمُ غَارِمٌ . وَلَا وَصِيَّةٌ لَوَارِثٍ . وَلَا قَطْعٌ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرٌ . وَلَا قَوْلٌ إِلَّا بِجَدِيدَةٍ . وَالْمَرْأَةُ تُعَاقَلُ الرَّجُلَ إِلَى ثَلَاثِ دِيْنِيهَا . وَلَا تَعْقِلُ الْعَاقِلَةُ عَمْدًا وَلَا عَبْدًا وَلَا صُلْحًا وَلَا أَعْتَرَا قَا . وَلَا طَلَاَقٌ فِي إِغْلَاقٍ ، وَالْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا . وَالْجَارُ أَحَقُّ بِصَقْبِهِ . وَالطَّلَاقُ بِالرَّجَالِ وَالْعِدَّةُ بِالنِّسَاءِ . وَكَنْهِيهِ فِي الْبَيُوعِ عَنِ الْخُبَارَةِ وَالْحَاقِلَةِ ، وَالْمَزَابِسَةِ ، وَالْمُعَاوَمَةِ ، وَالثَّنْيَا ، وَعَنْ رِيحٍ مَا لَمْ يُضْمَنْ ، وَعَنْ بَيْعٍ مَا لَمْ يُقْبَضْ ، وَعَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ ، وَعَنْ شَرْطَيْنِ فِي بَيْعٍ ، وَعَنْ بَيْعٍ وَسَلَفٍ ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ وَبَيْعِ الْمُوَاصَفَةِ ، وَعَنْ الْكَالِيِّ بِالْكَالِي ، وَعَنْ تَلَقَّى الرِّكَانِ . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِيُغْنِيَ بِحِفْظِهَا وَتَدْبِيرِ مَعَانِيهَا عَنْ إِطَالَاتِ الْفُقَهَاءِ ” .

قلت : والتحقيق أن حاجة الكاتب لاختصاص بأحاديث الأحكام ودلائل الفقه ، بل لتعلق بما هو أعم من ذلك خصوصاً الحكم والأمثال والسير وما أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به في الكتابة والاقتباس من معانيه . قال في ” المثل السائر “ : وينبغي أن يكون أول ما يحفظه من الأخبار ما تضمنه كتاب ” الشهاب في المواعظ والآداب “ للقضاعي ، فإنه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكماً وآداباً ، فإذا حفظته وتدرّبت باستعماله ، حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل ، وعند ذلك تصفّح كتاب صحيح البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، وغيرها من كتب الحديث ، وتأخذ ما تحتاج إليه ، و” أهْلُ مَكَّةَ أَخْبَرُ بِشَعَائِهَا “ . قال : والذي تأخذه إن أمكنك

(١) الحديث في المصباح لا يتلقى الرهن بما فيه . أي لا يستحقه المرتهن باللّبن الذي هو مرهون به .

درسه وحفظه فهو المراد لأن مالا تحفظه فليست منه على ثقة؛ وإن كان لك محفوظات كثيرة : كالقرءان الكريم، ودواوين كثيرة من الشعر، وماورد من الأمثال السائرة، وغير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه وما يأتي ذكره، فعليك بمداومة المطالعة للأخبار، والإكثار من استعمالها في كلامك، حتى ترتقم على خاطرك فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وجدته، وسهل عليك أن تأتي به أرجحاً؛ فتأمل ذلك وأعمل به. ثم قال وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر تدخل كلها في الاستعمال، وما زلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشرين سنة، فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظاً لا يشذ منه عنى شيء.

### المقصد الثاني

( في بيان كيفية استعمال الأحاديث والآثار في الكتابة )

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير "وأعلم أن أكثر الأحاديث تدخل في الاستعمال، ولا يخرج عنه إلا القليل النادر، ولقد دار بيني وبين بعض علماء الأدب في هذا الأسلوب كلام فاستوعره وأستنكره، وقال : هذا لا يتيم إلا في الشيء اليسير من الأخبار النبوية - فقلت لا ؛ بل يتيم في الأكثر منها - فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : "أَنَّهُ اخْتُصِمَ إِلَيْهِ فِي جَنِينٍ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَسْقَطِهِ بَغْزَةً عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ" فأين تستعمل هذا؟ فأفكرت فيما ذكره، ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام، وأودعته فيه وهو : "قد كثُرَ الجَهلُ حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثلُ بياقل وكَم في هذه الصورة المثلثة من باقل، ولو عرف كل إنسان قدره لما مثني بدنٌ إلا تحت رأسه، ولا أنتصب رأسٌ إلا على بدنه، ولكان صاحبُ الهامة

أحقَّ بهامته وصاحب الرن أحقَّ برسنة . وكنت سمعتُ بكتابت من الكُتاب كُلمه إلى غنائه ، وقلمه بغائه لا يستنسر وأى بطش لبغائه . وإذا وجب الوضوء على غيره بالخارج من السبيلين ، وجب عليه من سُبُل ثلاثة . هذا وهو يدعى أنه في الفصاحة أمة وحده ، ومن قُس إيراد أو تحجُّب أوائل عنده ، وإذا كُشف خاطره وجد بليدا لا يخرج عن العمه والكه وإن رام أن يستتبه في حين من الأحيان قضى عليه بقرة عبد أو أمه ، وكثيرا ما يتقدم وتقيصته هذه على الأفاضل من العلماء ، وقد صار الناس إلى زمان يملؤ فيه حضيض الأرض على هام السماء . فلبأ أوردته عليه ، ظهرت أماره الحسد على صفحات وجهه مع إعجابه به واستغرابه فيه إياه .

ثم قال : وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو "لا تدخلُ الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال" فهذا أين يستعمل من المكتبات ؟ فترويت في قوله ترويا يسيرا ثم قلت : هذا يستعمل في كتاب إلى ديوان الخلافة ، وأملت عليه الكُتاب ، بقاء هذا الحديث في فصل منه ، وهو : "إذا أفاض الخادم في وصف ولأته ، نكصتُ همم الأولياء عن مقامه ، وعلموا أنه أخذ الأمر بزمامه ، فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والإيمان ، فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الإعلان ، وما عداهما فإن دخوله إلى قلبه من الأشياء المحظورة ، والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صوره ، فليقول الديوان العزيز منه على سيف من سيوف الله يفرى ، بلا ضارب ، ويترى ، بلا حامل ، ولا يسأل الا بيد حق ، ولا يُقعد إلا في ظهر باطل ، وليعلم أن كرشه وعيته في تفضن الأسرار ، وأنه أحد سعادته إذا علت مواقف الأنصار . فلما رأى هذا الفصل بُيت له وعجب منه . قال : ولم أقنع بإيراد الحديث الذي ذكر حتى أضفتُ إليه حديثا آخر ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : "الأنصار كرشى وعيبي" .

ثم تضمين الكلام شيئاً من الأحاديث على ما تقدم في القرآن الكريم؛ فيقسم إلى الاستشهاد والاقتباس على ما تقدم .

فأما الاستشهاد فهو أن يضمن الكلام شيئاً من الحديث ، وفيه عليه : كقول أبي إسحاق الصابي في وصية عهد من خليفة لسلطان : وأن يقوم بما يعقده الرجل من عَرْض المسلمين ، فإن ذمته ذمة جميع المؤمنين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الْمَسْلُومُونَ يَسْعَىٰ يَنْتَنِمُهُمْ أَذْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ ” .

وكما كتب بعض الكتاب في صدر كتاب لديوان الخلافة : والحمد لله على أن صار إلى أمير المؤمنين ميراث الطاهرين من آبائه ، وخصه بما حازله من جَزِيل الفضل وجبائه ، وحقق للدولة العباسية وعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول لعنه العباس رضوان الله عليه ” أَلَا أُبَشِّرُكُمْ بِأَعْمَ ! بِخُتْمِ النَّبُوَّةِ وَبِوَلَدِكَ تُخْتَمُ الْخِلَافَةُ ” . وكفوله من عهد آخر : وأمره أن يصنع الرصد على من يختار في الحالة من أباقي العبيد ، والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم : إلى أن قال وأن يعرفوا اللقط ويتبعوا أثرها ، ويُسَبِّعُوا خبرها ، فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها ، سلمت إليه ، ولم يُعْتَرَضَ فيها عليه . والله جل وعز يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ” ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقَ النَّارِ ” إلى غير ذلك من الاستشهادات .

وأما الاقتباسات فهو أن يضمن الكلام شيئاً من الحديث ولا يذنه عليه . فمن ذلك ما ذكره الحريري في مقاماته من قوله : وَكَتَبَانِ الْفَقْرَ زَهَادَهُ ، وَانْتَظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَهُ . وقوله : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَقَبِحَ اللَّكْحُ وَمَنْ رَجَّحَهُ . وقد أكثر الوزير ضياء الدين بن الأثير من هذا الباب .

فمن ذلك قوله في دعاء كتاب : "أعاذ الله أيامه من الغير، وبين بخطر مجده نقص كل خطر، وجعل ذكره زاداً لكل ركب، وأنساً لكل سمر. ومنحه من فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف نعيم الجنة "فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" فقله إلى الدعاء .

ومن ذلك ما ذكره في النصر على العدو في مواطن القتال، وهو : "أخذنا بسنة رسول الله في النصر الذي نرجوه ، ونبدنا في وجه العدو كفاً من التراب وقلنا شأه الوجوه، وثبت الله ما نزل من أقدامنا، وأقدم حيزوم فأغى عن إقدامنا" . أخذ المعنى الأول من حديث غزوة حنين وأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ قبضة من التراب وألقى بها في وجوه الكفار وقال : "شأه الوجوه"، وأخذ المعنى الثاني من حديث غزوة بدر : وذلك أن رجلاً من المسلمين لاقى رجلاً من المشركين وأراد أن يضربه فخر على الأرض ميتاً قبل أن يصل إليه، وسمع الرجل المسلم صوتاً من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : "ذلك من مدد الساء الثالثة" .

ومن ذلك ما ذكره في ضيق مجال الحرب، وهو : "وضاق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور، وتصلحت الغرر بالغرر والصدور بالصدور . واستظلل حينئذ بالسيف لأشباك جملها وتبوت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها" . أخذ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم "الجنة تحت ظلال السيف" .

ومن ذلك ما ذكره في وصف بعض البلاد الوعرة ، وهو : "ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينه، مجموع لها بين حر مكة ولأواء المدينة . إلا أنها لم يؤمن

حرّها من الخطّفه، ولا نُقِلْتُ حُمّاهَا إِلَى الجحفة. أخذ المعنى الأول من قوله صلى الله عليه وسلم ”مَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ وَلَأَوَاءِ الْمَدِينَةِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ“. والمعنى الثاني من قوله صلى الله عليه وسلم فِي دُطَائِهِ لِلْمَدِينَةِ : ”اللَّهُمَّ حَبِّبْهَا إِلَيْنَا كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ وَأَنْقِلْ حُمّاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ“. ورشح ذلك بمعنى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آيَةً وَيَخْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ حيث قال إلا أَنَّهُمْ يُؤْمِنُ حَرَمًا مِنَ الْخَلْفَةِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي وَصْفِ كَرِيمٍ، وَهُوَ : ”فَأَغْنِي بِجُودِهِ إِغْنَاءَ الْمَطَرِ، وَسَمِّيَ إِلَى الْمَعَالِي سُمُو الشَّمْسِ وَسَارَ فِي مَنَاظِلِهَا مَسِيرَ الْقَمَرِ . وَتَنَجَّ مِنْ أَبْكَارِ فُضَائِلِهِ مَا إِذَا أَدْعَاهُ غَيْرُهُ قِيلَ لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ“. أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ”الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ“. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقْتَبَسَاتِهِ الْمُسْتَكْثَرَةِ، وَاسْتِنْبَاطَاتِهِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ قَاصِرَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهَةٍ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُهُ أَنَا فِي الْمَفَاخِرَةِ بَيْنَ السَّرِفِ وَالْقَلَمِ، وَهُوَ : ”وَبَدَأَ الْقَلَمُ فَتَكَلَّمَ، وَمَضَى فِي الْكَلَامِ بِصَدَقِ عَزْمٍ فَاتَرَقَّقَ وَلَا تَلَعَّمْ؛ فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى اسْتَفْتَحَ، وَبِحَمْدِهِ أَتَمَّنَّ وَأَسْتَجِجُ؛ أَذْمَنُ شَأْنِي الْحَتَابَةَ، وَمِنْ فَنِّي الْخَطَابَةَ، وَكُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَجْذَمُ، وَكُلُّ كَلَامٍ لَا يُفْتَحُ بِحَمْدِ اللَّهِ فَاسَاسُهُ غَيْرُ مُحْكَمٍ“. أَخَذْتُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ”كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ أَوْ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ“ عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَةِ فِي ذَلِكَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى حِفْظِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ بِطَرِيقِ الذِّاتِ لِلْإِسْتِشْهَادِ بِهَا، وَالْاِقْتِبَاسِ مِنْ مَعَانِيهَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ : كَذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِأَنْوَاعِ الْحَدِيثِ وَأَقْسَامِهَا : كَالصَّحِيحِ، وَالْحَسَنِ، وَالْمُرْسَلِ، وَالْمَرْفُوعِ، وَالْمُسْتَدَّ، وَالْمُنْتَصِلِ، وَالْمُنْقَطِعِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ الْمَعْرِفَةُ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَالْمَشَاهِيرِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ :



كالبحارى، ومسلم، وأبى داود، والنسائى وغيرهم : ليورد ما يحتاج إليه من ذلك فى غُضُون كلامه عند احتياجه إليه فى كتابة ما يتعلق بذلك من توقيع محدث ونحوه كما قال فى " التعريف " فى وصية لمحدث فى قسم الوصايا من الكتاب "وقد أصبح بالسنة النبوية مضطلماً ، وعلى ما جمعه طُرُق أهل الحديث مُطلعا ، وصح الصحيح أن حديثه الحسن ، وأن المُرسَل منه فى الطلب مقطوع عنه كل ذى لَسن . وأن مُسنده هو المأخوذ عن العوالى ، وسماعه هو المرقص منه طول الليالى . وأن مثله لا يوجد فى نسبه المُعرق ، ولا يُعرف مثله للمحافظين : ابن عبد البر بالمغرب وخطيب بغداد بالمشرق . وهو يعرف مقدار طلب الطالب فإنه طال ما شدد له النطاق ، وسعى له سعيه وتجتّم المشاق . ورحل له يشتد به حرصه والمطايا مزموه ، ويُنَبِّه له طلبه والجُفُونُ مَقْفَلَة والعيون مَهمومه . ووقف على الأبواب لا يُضِجِرُه طول الوقوف حتى يؤذَن له فى ولُوجها ، وقعد القُرُفصاء فى المجالس لا يُصَبِّق به فُرُوجها . فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدة معاملة من حرب ، وليبسُط للأقرباء منهم ويؤنس الغرباء فما هو إلا من طلب آوَنَة من قريب وآوَنَة تفزب . وليُسفر لهم صباح قصده عن النجاح ، وليفتق لهم من عُقوده الصراح ، وليوضح لهم الحديث ، وليرخِ خواطرم بتقريبه ما كان يسار إليه السير الحديث ، وليؤتّم مما وسع الله عليه فى المجال ، ويعلمهم ما يجب تعليمه من التُّون والرجال ، ويبصّرهم بمواقع الجرح والتعديل ، والتوجيه والتعليل ، والصحيح والمعتل الذى تتناثر أعضاؤه سَقَمًا كالعليل . وغير ذلك مما لرجال هذا الشأن به عنايه ، وما يُنْقَب فيه عن دراية أويقن فيه يجزّد روايه . ومثله ما يزداد حلما ، ولا يعرف بمن رخص فى حديث موضوع أو كتم علما . وسيأتى ذكر هذه الوصية فى موضعها إن شاء الله تعالى .

وكما قال الشيخ جمال الدين بن نباتة من جملة توقيع لبعض مدرّسي الشام :  
 ”ولأنه الحافظ الذي أحيا ذكر ابن نُقْطَة بعد ما دارت عليه الدوائر، وأغنى وحده  
 دمشق عن آتى في النسب بساكر“ .

### النوع الثامن

(الإكثار من حفظ خُطَب البلاء، والتفنن في أساليب الخطباء، وفيه مقصدان)

### المقصود الأول

( في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

قال أبو جعفر النحاس : ”وهي من آكد ما يحتاج إليه الكاتب، وذلك ان  
 الخطيب من مستودعات سرّ البلاغة، وبجامع الحكم، يبا تفانرت العرب  
 في مشاهدهم، وبها نطق الخلفاء والأمراء على منابرهم، بها يتميز الكلام، وبها  
 يُخاطب الخاضع والعالم، وعلى منوال الخطابة تُسجّت الكتابة، وعلى طريق الخطباء  
 مشيت الكُتّاب . وقد قال أبو هلال العسكري رحمه الله في ”الصناعتين“: والرسائل  
 والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضا  
 من جهة الألفاظ والفواصل، فالفاظ الخطب تشبه ألفاظ الكُتّاب في السهولة  
 والعذوبة؛ وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل“ . قال: ”والفرق بينهما  
 أن الخطبة يُشافه بها بخلاف الرسالة، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة  
 في أيسر كلفة“ .

واعلم أنه كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب ”الريحان  
 والريعان“ : إن ما تكلمت به العرب من أهل المدّر والوبر من جيّد المشهور ومزّذوج

الكلام أكثر مما تكلمت به من الموزون إلا أنه لم يحفظ من المشهور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره. لأن الخطيب إنما كان يحطّب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الملوك، أو الحلات، أو الإصلاح بين العشائر، أو خطبة النكاح، فإذا انقضى المقام حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه. بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد. قال: "ولولا أن خطبة قس بن ساعدة كان سندها مما يتناقضه الأثام، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي رواها عنه فأطارد كرها، ما تميزت عما سواها".

قلت: وليس ما أشار إليه لرفض الثرّ عندهم وقلة اعتنائهم به؛ بل لسهولة حفظ الشعر وشيوعه في حاضرهم وباديهم، وخاصتهم وعائتهم، بخلاف الخطابة فإنه لم يتعاطها منهم إلا القليل النادر من القصاصاء المصّاقيع: فلذلك عزّ حفظها، وقّل عنهم تعلّوها. وقد كانت تقوم بها في الجاهلية سادات العرب، ورؤسائهم من فاز يقبّح الفضل، وسبق إلى ذرى المجد، ويحسون ذلك بالمواقف الكرام، والمشاهد العظام، والمجالس الكريمة، والمجامع الحفيلة، فيقوم الخطيب في قومه فيحمد الله ويثني عليه. ثم يذكر ما سنع له من مطابق قصده وموافق طلبه: من وعظ يذكر أو نحر أو إصلاح أو نكاح، أو غير ذلك مما يقتضيه المقام.

فمن خطبهم في الجاهلية خطبة كعب بن لؤى جدّ النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكره أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل. وهي: اسمعوا وعوا، وتعلموا وتعلموا، وتفهّموا تفهّموا، ليل ساج. ونهاراً صاج<sup>(١)</sup>، والأرض مهاد، والجبال أوتاد، والأقوال كالآخريّن، كلّ ذلك إلى بلاء، فصّلوا أرحامكم، وأصلحوا أموالكم، فهل رأيتم من

(١) لعله ضاح من قولهم ضجّ القوم يضجون إذا صاحرا وجلبوا. وفي الضوء ليل داج ونهار ساج تأمل

هلك رجع، أوميتا تُشير، الدار أمامكم والظن خلاف ماقولون، زينوا حرمكم وعظموه،  
وتعسكوا به ولا تُفارقوه، فسيأتى له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم . ثم قال :  
نَهَارُوَيْلُ وَأَخْتِلَافُ حَوَادِثٍ \* سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا  
يُتَوَبَّانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْوِيَا \* وَبِالنِّعَمِ الضَّائِي عَلَيْنَا سُتُورُهَا  
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلَبُ أَهْلَهَا \* لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا  
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ \* فَيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَيْرُهَا  
ثم قال :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدْتُ خُفْوَاءَ دَعْوَتِهِ ! \* حِينَ الْعَشِيرَةِ تَتَّبِي الْحَقَّ خِذْلَانَا  
ومن ذلك خطبة قُتَيْبِ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيّ، بِسُوقِ عُكَاظٍ فِيمَا ثَقَلَهُ أَصْحَابُ  
السَّيْرِ عَنْ إِبْخَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ وَهِيَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْمَعُوا وَعُوا، مِنْ  
عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ، لَيْلٌ دَاجٍ، وَنَهَارٌ سَاجٍ، وَسَمَاءٌ  
ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَنُجُومٌ تَزْهَرُ، وَبَحَارٌ تَزْهَرُ، وَجِبَالٌ مُرْسَاهُ، وَأَرْضٌ مُدْحَاهُ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاهُ .  
إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَخَبْرًا ! مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ .  
أَرْضُوا فَأَقَامُوا، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . يُقَسِّمُ قُتَيْبٌ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا لِي فِيهِ إِنَّ اللَّهَ دِينًا هُوَ أَرْضِي  
لَهُ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ! . وَيُرْوَى أَنَّ  
قُتَيْبًا أَنْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ  
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا \* لِلْوَيْ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ  
وَرَأَيْتُ قُوًى تَحْشَوْهَا \* تَمْضِي : الْأَكْبَرُ وَالْأَصَاغِرُ  
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَيَّ وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَايِرُ  
أَيَقُنْتُ أَنَّي لَأَمَّا \* لَمْ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ

قال صاحب الأوائيل : و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يُعرض هذا الكلام يوم القيامة على قُس بن ساعدة فإن كان قاله الله فهو من أهل الجنة .

ومن ذلك خطبة أبي طالب حين خطب النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وهى : الحمد لله الذى جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بيتا تحجوجا ، وحرا آمنا . ثم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أختى من لايوازن بأحد إلا ربحه ، ولا يُبدل بأحد إلا فضله ، وإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل ؛ وله فى خديجة رغبة ولها فيه مثلها ؛ وما كان من صداق فى مالى ؛ وله نبي عظيم وخبر شامع .

ومن خطب النبي صلى الله عليه وسلم ” أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى تُسبغ من الأومات سفر عَمَّا قليل إلينا راجعون ، نبؤهم أجداثهم ، ونأكل من ثرايمهم كأننا نخلدون بعدهم ، ونسبنا كل واعظة وأميناً كل جائحة ، طوبى لمن شغل عييه عن عيوب الناس ، طوبى لمن أنفق مالا آكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الثلل والمسكنة ، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته ، وطابت سيرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة ! “

ومن خطب أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيما ذكره أبو جعفر النحاس فى ” صناعة الكتاب “ وهى : ألا إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكة ، الملك إذا ملك زهده الله جل وعز فيما عنده ، ورغبه فيما فى يدي غيره ، وانتقصه شطر اجله ، وأشرب قلبه الإشفاق ، وإذا وجبت نفسه ، ونصب عمره ونحى ظله ،

حاسبه الله جل ثناؤه وأشدَّ حسابه، وأقلَّ عَفْوِهِ؛ وسَتَرُونِ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا،  
وأُمَّةً يَحْتَاكِ، وَدَمًا مُبَاهَا، وَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ زُرُوعٌ، ولأهل الحق جَوْلَةٌ، يَعْبُوَهَا  
الْأَثَرُ وَتَمُوتُ السَّنَنُ، فَالزَّمُوا الْمَسَاجِدَ وَاسْتَشِيرُوا الْقُرَّانَ<sup>(١)</sup>، وَلِيَكُنَ الْإِبْرَامُ بَعْدَ التَّشَاوُرِ،  
وَالصَّفَقَةُ بَعْدَ التَّنَاطُرِ .

ومن خطب عمر رضى الله عنه: أيها الناس! إِنَّهُ أَنَّى عَلَى حِينٍ وَأَنَا أَحْسَبُ  
أَنْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهَ وَمَا عِنْدَهُ؛ أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْوَامًا يَقْرَعُونَ  
الْقُرْآنَ يُرِيدُونَ مَا عِنْدَ النَّاسِ! أَلَا فَايْزِدُوا اللَّهَ بَقَاءَتَكُمْ، وَارْيِدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّمَا  
كَمَا نَعْرِفُكُمْ إِذَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ وَإِذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقَدْ رُفِعَ الرَّحَى  
وَذَهَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ: أَلَا فَمَنْ أَظْهَرْنَا خَيْرًا ظَنَّنَا  
بِهِ خَيْرًا وَأَثَبْنَاهُ بِهِ عَلَيْهِ!، وَمَنْ أَظْهَرْنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ!، أَقْدَعُوا  
هَذِهِ النَّفُوسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا، فَإِنَّهَا لَمَاقَةٌ، وَإِنكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَزْعُجُ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ .  
إِنَّ هَذَا الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَيَسٌّ، وَتَرْكُ الْخَطِيئَةِ خَيْرٌ مِنْ  
مُعَاجَلَةِ التَّوْبَةِ؛ وَرُبَّ نَظْرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً، وَشَهْوَةٌ سَاعَةً أَوْرَثَتْ حُزْنَ طَوِيلًا! .

ومن خطب عثمان رضى الله عنه: وقد أنكروا عليه تقديم نَبِيِّ أُمِّيَّةٍ عَلَى غَيْرِهِمْ:  
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً، وَآفَةُ هَذَا الدِّينِ وَعَاطَةُ هَذِهِ الْمِلَّةِ قَوْمٌ عَيَّابُونَ،  
طَعَّانُونَ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَاتِحِيَّوْنَ، وَيُسِرُّونَ مَاتِكُرْهُوْنَ . أَمَّا وَاللَّهِ يَامُعِشَرَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ! لَقَدْ عَيَّبْتُمْ عَلَى أَشْيَاءَ وَتَقَمَّمْتُمْ مَنَى أُمُورًا قَدْ أَقْرَبْتُمْ لِابْنِ الْخَطَّابِ بِمَثَلِهَا  
وَلَكِنَّهُ وَقَمَكُمْ وَقَمَّا، وَدَمَعَكُمْ<sup>(٢)</sup> حَتَّى لَا يَحْتَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ بَمَلَأُ بَصَرَهُ مِنْهُ وَلَا يُشِيرُ بِطَرَفِهِ

(١) كذا في الأصول بالشين المعجمة ولعله تصحيف عن التاء المطلقة في اللسان وتور القرآن بحث عن معانيه  
وعن عليه . وأورد في ذلك حديث عبد الله أنبأوا القرآن فان فيه خير الأولين والآخرين . وحديث آخر . من  
أراد العلم فليقرء القرآن . (٢) في غير هذا الكتاب وقمكم والقمع والدمع والقهر والإذلال

إلا مُسَارَقَةً إِلَيْهِ ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَأَنَا أَكْثَرُ مِنْ ابْنِ الْخَطَّابِ عَدَا ، وَأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَجْدَرُ  
إِنْ قَالَ هَلُمَّ أَنْ يُجَابَ . هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حَقُوقِكُمْ وَأَعْطِيَاتِكُمْ شَيْئًا فَلَنِي إِلَّا أَفْعَلُ  
فِي الْفَضْلِ مَا أُرِيدُ فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا إِذَنْ ؟ أَمَا وَاللَّهِ مَا عَابَ عَلَى مَنْ عَابَ مِنْكُمْ أَمْرًا  
أَجْهَلُهُ وَلَا أَتَيْتُ الَّذِي أَتَيْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ .

وَمَنْ خَطَبَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ : حِينَ يُرِيعُ بِالْخِلَافَةِ : إِنْ اللَّهُ أَنْزَلَ كِتَابًا  
هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، نَخَذُوا بِالْخَيْرِ وَدَعَوْا الشَّرَّ ؛ الْفَرَائِضُ أَتَوْهَا إِلَى اللَّهِ  
تُؤَدِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حُرْمًا غَيْرَ مَجْهُولَةٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ  
كُلِّهَا ، وَسَدَّدَ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ . فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ  
لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ ؛ لَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ ، فَأَذُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ ، وَخَاصَّةً  
أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ . فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَأَنَا خَلْفُكُمْ السَّاعَةَ تُذَكِّرُكُمْ . تَحَقَّقُوا تَلَحُّقُوا ، فَإِنَّمَا  
يَنْتَظِرُ بِالنَّاسِ أَتْرَاهُمْ . اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مُسْئِلُونَ حَتَّى عَنْ  
الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ؛ أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ . وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ نَخَذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ  
الشَّرَّ فَدَعَوْهُ ، وَادَّكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضَعَّفُونَ فِي الْأَرْضِ .

وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اعْلَمُوا أَنَّ الْحِلْمَ زَيْنٌ ، وَالْوَقَارَ  
مَوَدَّةٌ ، وَالصَّلَاةَ نِعْمَةٌ ، وَالْإِكْثَارَ صَلَفٌ ، وَالْعَجَلَةَ سَفَهٌ ، وَالسَّهْفَ ضَعْفٌ ، وَالْفَلَقَ  
وَرَطَةٌ ، وَمَجَالِسَةُ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَيْنٌ ، وَمَخَالَطَةُ أَهْلِ الْفُسُوقِ رِييَةٌ .

وَمَنْ خَطَبَ مَعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَفَيْنَ : أَيُّهَا النَّاسُ !  
إِنَّ الْحَرْبَ صَعْبَةٌ ، وَإِنْ السَّلَامُ مِنْ مَبْرَةٍ ! أَلَا وَقَدْ زَبَنْتُنَا الْحَرْبُ وَزَبَنَّا

(١) فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَقْنِ إِنَّ قُلْتَ هَلْ أَنْ تَجَابَ دَعْوَتِي مِنْ عَمْرٍ . وَالرَّوَايَاتُ مُتَقَابِرَةٌ .

وَأَلْفَتْنَا وَأَلْفَتَهَا، فَتَحْنِ بَنُوهَا وَهِيَ أُمُّنَا . أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْتَقِيمُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى ،  
وَدَعُوا الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ ، وَالْبَدْعَ الْمُرْدِيَّةَ ، وَاسْتَأْرَاكُمْ تَزَادُودُونَ بَعْدَ الْوَصَاةِ  
إِلَّا اسْتِجْرَاءً ، وَلَنْ أَزْدَادَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْحِجَّةِ عَلَيْكُمْ إِلَّا عَقُوبَةً ! ، وَقَدْ تَقَيَّنَا نَحْنُ  
وَأَنْتُمْ عِنْدَ السَّيْفِ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَتَحَرَّكْ أَوْ يَتَّقَهْقَرْ وَمَا مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسٍ  
ابْنُ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيُّ .

مَنْ يَصَلِّ نَارِي يَلَا ذَنْبٍ وَلَا تَرِيَّةَ \* يَصَلِّيْ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَّارٍ  
أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مَنِيَّ مُجَاهِرَةً \* كُنْ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيٍ وَإِنْ نَذَارِي

وَمِنْ خُطْبِ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ مِصْرَ وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْ أَهْلِهَا  
أُمُورٌ أَنَّ صَعْدَ الْمَنْبَرِ وَقَالَ : يَا حَامِلِي الْأَمِّ أَنْوِفِ رُكْبَتِي بَيْنَ أَصْنِي ! إِنَّمَا قَلْبْتُ  
أَنْظَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَتَى لِمَا كُمْ ، وَسَالَتْكُمْ صَلَاحُكُمْ لَكُمْ إِذَا كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ ؛  
فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَالْعَتَبَ عَلَى السَّلَفِ وَالْخُلَفَاءِ ، فَوَاللَّهِ لَأَقْطَعَنَّ  
بَطُونَ السَّيَاطِ عَلَى ظُهُورِكُمْ ! فَإِنْ حَسَمْتُ مُسْتَشْرِئِي دَائِكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ  
وَرَائِكُمْ . فَكَمْ مِنْ عَظَةٍ لَنَا قَدْ صَمَّتْ عَنْهَا آذَانُكُمْ ، وَزَجَرَةٌ مِنَّا قَدْ جَحَّتْهَا قُلُوبُكُمْ ؛  
وَلَسْتُ أَجْعَلُ عَلَيْكُمْ بِالْعَقُوبَةِ إِذَا جَدْتُمْ عَلَيْنَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا مَوْسَا لَكُمْ مِنَ الْمَرَاةِ  
إِلَى الْحَسَنِ ! إِنْ صَرَمْتُ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبْرُ وَأَتَقِي .

وَمِنْ خُطْبِ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ حِينَ قَدِمَ إِلَى الْبَصْرَةِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهْلَةَ  
الْجَهْلَاءَ ، وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ ، وَالْفِتْنَةَ الْمُؤَفِّيَ بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ مَا فِيهِ سَفْهًا وَكَمْ ، وَيَشْتَمِلُ  
عَلَيْهِ حُلُمًا وَكَمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْهَتْ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَلَا يَتَحَاثَّى عَنْهَا الْكَبِيرُ ؛ كَأَنَّكُمْ  
لَمْ تَقْرَعُوا كِتَابَ اللَّهِ وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ

(١) لعلَّ حَامِلِي أَنْ يَحْذُوفَ وَالْأَصْلُ فَكَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَخْلُ .



الايام لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . إنه ليس منكم إلا مَنْ طُرِفَتْ عينه الدنيا ، وسُتت مسامعه السموات ، واختار الفانية على الباقية ؛ ولا تذكرون أنكم أٌحدِثتم في الإسلام الحَدَث الذي لم تُسَبِّقوا إليه : من ترككم الضعيف يُقَهِّرُ، والضعيفة المسلوبة في النهار لا تُتَصَرَّ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق .

ألم يكن منكم نُهَاءٌ يمنعون الفُؤَادَ عن دَبْحِ الليل وغازة النهار ! قُرَيْبُم القرابة ! وباعدتم الدِّينَ ؛ تستذرون بغير العذر، وتُغَضُّون على النُكْر . كل أمرئ منكم يرد عن سفيحه صُنْعٌ من لا يخاف عقابا ولا يرجو معادا . فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دُونَهُمْ حتَّى آتَهِكُمْ حَرَمُ الإسلام ثم أطرفوا وراءكم كُنُوسا في مكائس الرِّيب ، حرام على الطعام والشراب حتَّى أضع هذه المواخير بالأرض هُدما وإحراقا . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، وإني لأقسم بالله لا أخذنَّ الوليَّ بالمؤلَّى، والمقيم بالطاعن، والمطيع بالعاصي، حتَّى يلقي الرجل أخاه فيقول " انجُ سَعْدُ فقد هَلَكَ سَعِيدٌ " أو تستقيم لى قناتكم . إن كِذْبة الأمير بقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ؛ وقد كان بيني وبين قومٍ مَحَنٌ فجعلتُ ذلك دَبْرَ أذني وتحت قَدَمي . إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السِّلَّ من بُغْضِي لم أكشف له قِنَاعا ، ولم أهتك له سِترا ، حتَّى يُبْدِيَ لى صَفْحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم وراعوا على أنفسكم ، فربَّ مبتئس بقدمنا سيئسِر ، ومسرور بقولنا سيبتئس ! . أيها الناس إنا قد أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً تُسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بغير الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما أولينا ، فاستوجبوا صلنا وقبنا بمناصحتكم لنا ،

(١) في العقد الفريد والصفحة المسلوقة في النهار المبصر . (٢) وقع في الاصل المناخير وهو تصحيف عن المواخير فاضل اللسان والعقد الفريد . (٣) في للعقد الفريد وأعينوا .

فقام إليه عبد الله بن الأَهم قال : " أشهد أيها الأمير لقد أُوتيت الحِكْمَة وفصل الخطاب " قال : " كذبت " ذاك نبي الله داود !

ومن خطب عبد الملك بن مروان ، لما قتل عمر الأَشْدَق بن سعيد بن العاص : إرموا بأبصاركم نحو أهل المعصية ، وأجعلوا سلفكم لمن غبر منكم عظة ، ولا تكونوا أغفالا من حُسن الاعتبار ، فتَنزِلَ بكم جائحة السُّطُوت ، وتَجُوسَ خِلالكم بؤادر النِّمات ، وتطأ رِقابكم بِثقلها للعقوبة فتجعلكم همدا رفاتا ، وتشتمل عليكم بطون الأرض أمواتا . فإيأى من قول قائل ، ورشفة جاهل ! وإنما ينبغي أن أسمع النعوة فأصم<sup>(١)</sup> ، تصميم الحُسام المطرور<sup>(٢)</sup> ، وأصول صيال الحيق الموثور ، وإنما هي المصالحاة والمكافأة بظلمات السيوف وأسننة الرماح ، والمعاهدة لكم بسوء الصِّباح ، فتاب تائب ، وهذل خائب ، والتوب مقبول ، والإحسان مبذول ، لمن عرف رُشده وأبصر حظه . فانظروا لأنفسكم ، وأقبلوا على حظوظكم ، وتكن أهل الطاعة يدا على أهل الجهل من سفهائكم ، وأستديموا النعمة التي ابتدأتم برغيد عيشها ونفيس زيتها ، فإنكم من ذلك بين فضيلتين : عاجل الخفض والدعة ، وأجل الجزاء والثوبة عصمكم الله من الشيطان وفتنه وزغه ، وأمدكم بحسن معزته وحفظه . انهمضوا رحمكم الله إلى قبض أعطياتكم غير مقطوعة عنكم ، ولا مكدرة عليكم .

نفرج القوم من عنده بدارا كلهم يخاف أن تكون السطوة به .

ومن خطب الحجاج بن يوسف الثقفي عند قدومه الكوفة أميرا على العراق : يا أهل العراق أنا الحجاج بن يوسف ! .

(١) كذا في الأصل بالإهمال وهو تصحيف عن المعجمة . والنعوة والنعية أول الخبر قبل أن تستيته .

(٢) الطور بريمن المحدث المشعوز وفي الأصل بالذال المهملة وهو تصحيف .

(٣) في الأصل ناهاء وأعمال الذال وانجم حائب ولله بالمع والنجام الذال بمعنى خبير وخلق وأعمال الحاء من حائب غمر .

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الشَّيَا \* مَنِ أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

والله يا أهل العراق : إني لأرى رموساً قد أينعت وحان قِطافها، وإني لصاحبها !  
والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العامم والفقهي . يا أهل العراق ما يُعَمِّرُ جانبي كَتِفَايَ  
التَّئِينَ، وَلَا يُقَعِّقُ لِي بِالشَّيْثَانِ. وَلَقَدْ فُرِّتْ عَنْ ذِكَا، وَفُتِّشَتْ عَنْ تَجْرِيبَةٍ، وَأَجْرِيَتْ  
مِنَ الْغَايَةِ ؛ وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ شَرَّكَانَتَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَعِمَ عِيدَانَهَا عُدُودَا  
عُدُودَا فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُدُودَا ، وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا ، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ وَرَمَاكُمْ بِي يَا أَهْلَ  
الْكُوفَةِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ : لَأَنْتُمْ طَالِبَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتْنَةِ ،  
وَأَضْطَجَعْتُمْ فِي مَنَامِ الضَّلَالِ ، وَسَنَّتُمْ سُنَنَ النِّفْيِ ، وَأَيَمَ اللَّهُ لِأُحْوَنِكُمْ لَحْوُ الْعُدُودِ ،  
وَلَا قَرَعَكُمْ قَرَعَ الْمَرُوءَةِ ، وَلَا عَصَبَكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ ، وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبَ غَرِيبَةِ  
الْإِبِلِ . إني والله لَا أَحْلِفُ إِلَّا صِدْقًا ، وَلَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتَ . لِيَأَيُّ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتِ ،  
وَقَالَ وَمَا يَقُولُ ، وَكَانَ وَمَا يَكُونُ . وَمَا أَتَمَّ وَذَاكَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ . إِنَّمَا أَنْتُمْ أَهْلُ  
قَرْيَةٍ كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَتَاهَا  
وَعِيدُ الْقُرَى مِنْ رَبِّهَا . فَاسْتَوْتَقُوا وَاعْتَدِلُوا وَلَا تَمِيلُوا ، وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ، وَشَابِعُوا  
وَبَايَعُوا .

واعلموا أن ليس مني الإكثار والإهذار ولا مع ذلك التفار ولا الفِرَارُ ؛ إِنَّمَا هُوَ  
أَنْتِضَاءُ هَذَا السِّيفِ ، ثُمَّ لَا يُغَمَدُ الشِّتَاءُ وَلَا الصَّيْفُ ، حَتَّى يَذِلَّ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
عِزَّكُمْ ، وَيُقِيمَ لَهُ أَوْدَكُمْ وَصَعْرَكُمْ . ثُمَّ إني وَجَدْتُ الصِّدْقَ مِنَ الْبَرِّ ، وَوَجَدْتُ الْبَرَّ  
فِي الْجَنَّةِ ، وَوَجَدْتُ الْكُذِبَ مِنَ الْفُجُورِ ، وَوَجَدْتُ الْفُجُورَ فِي النَّارِ . وَإِنْ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ أُعْطِيَكُمْ أَعْطَيْتُكُمْ ، وَأُتَخِصَّصَكُمْ لِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوَّ أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ وَأَجَلَّتْكُمْ ثَلَاثًا ، وَأَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا بِأُخَاذَنِي بِهِ  
وَبِاسْتَوْفِيهِ مِنِّي : لَنْ تُخْلَفَ مِنْكُمْ بَعْدَ قَبْضِ عَطَائِهِ أَحَدٌ لِأَضْرِبَ عَنْقَهُ وَأَنْهَبَ مَالَهُ .

ثم التفت إلى أهل الشام فقال أتم البطانة والعشيرة ! والله لريحكم أطيب من ريح المسك الأذفر، وإنما أتم كما قال الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ الآية .  
والتفت إلى أهل العراق فقال والله لريحكم أنتم من ريح الأبحر، وإنما أتم كما قال الله ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ الآية .

ومن خطبه لما قدم البصرة يتهتد أهل العراق ويتوعدهم :  
أيها الناس : من أعياه داؤه فعندي دواؤه ! ومن استطال أجله ، فعلى أن أنجله ؛  
ومن ثقل عليه رأسه وضمت عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه . إن الشيطان طيِّفًا ، وللسلطان مَيِّفًا ! ، فمن سَقَمَتْ سريره ، صَحَّتْ عقوبته ؛  
ومن وضعه ذنبه ، رفعه صُلبه ؛ ومن لم تَسْعُه العافية ، لم تَضُقْ عنه الهلكة ؛ ومن سبقته بادرة فمه ، سبقَ بدنه بسفك دمه ؛ إني أنذِرُ ثم لأنظر ، وأحذر ثم لأعذر ؛ وأتوعد ثم لا أعفو . إنما أفسدكم تزنيق ولاتكم ؛ ومن آسرنى ليه ، ساء أدبه . إن الحزم والعزم سكا في وسطى ، وأبدلاني به سبى : فقائمته في يدي ، وبجأده في عنقي ، وذبابه قلادة لمن عصانى ! والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه .

ولعمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن عبد الملك من خلفاء بنى أمية ؛ وأبى جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، وإبنة المأمون من خلفاء بنى العباس وضيهم ، من خلفاء المولتين وأمرائهم خطبٌ فائقة ، وبلاغات معجبة رائقة ، يضيق هذا الكتاب عن إيرادها ، وقد أوردنا من ذلك ما فيه كفاية لليب ، ومقنع للأريب .

ومن خطب أبى بكر بن عبد الله أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ، وقد بلغه عن قوم من أهل المدينة أنهم يتالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُسَعِّفُهُمْ آخرون على ذلك :

أيها الناس ! إني قاتل قولا فمن وعاه وأذاه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم يعه فلا  
يعدن ذمّا لها ، إن قصّرتن عن تفصيله ، فلن تعجزوا عن تحصيله . فأرثوه أبصاركم  
وأوعوه أسماعكم وأشعروه قلوبكم ، فالموعظة حياة ، والمؤمنون إخوة ، وعلى الله  
قصد السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين . فأتوا الهدى تهتدوا ، وأجتنبوا النجى  
ترشدوا . وأنبؤوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون . والله جل جلاله  
وتقدست أسماؤه أسرّكم بالجماعة ورضيها لكم . ونهاكم عن الفرقة وخطئها منكم .  
فأتقوا الله حقّ تقاياه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا  
تفرّقوا وأذكّروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتن بنعمته  
إخوانا وكنتن على شفا حفرة من النار فأقصدن منها . جعلنا الله وإياكم من يتبع  
رضوانه ويحتب خطئه فإنا نحن به وله . وإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم  
بالدين ، وأختاره على العالمين ، وأختاره له أصحابا على الحق وزرّاء دون الخلق .  
اختصهم به واتّخضم له ، فصدّقوه ونصروه وعزّروه ووقّروه فلم يقموا إلا بأمره ،  
ولم ينجحوا إلا عن رأيه ، وكانوا أوعاؤه بهده ، وخلفاءه من بعده . فوصفهم  
فأحسن وصفهم وذكرهم فأتى عليهم فقال وقوله الحق ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ  
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى قوله ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن غاظوه كفر وخاب وبخر  
وخسر . وقال الله جل وعز ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ  
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ إلى قوله ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فمن خالف  
شريعة الله عليه لم وأمره إياه فيهم فلا حق له في النجى ، ولا سهم له في الإسلام  
في أى كثيرة من القرآن ، فرق مارقة من الدين . وفارقوا المساكين وجعلوهم  
عِضِينَ . وحزبوا أحزبا ، أشابات وأوشابا . نخالفوا كتاب الله فيهم فخابوا وخسروا

(١) كذا في الاصل ولكن بإعمال الياء من يهد ولعل مراده فلا يخرج من حرمته أى المقالة

الدنيا والآخرة . ذَلِكْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ . أَقْنَنَّكَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَيْفَ زَيْنَ لَهُ  
سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ . مَا لِي أَرَىٰ عِبُونًا خُرَّاءَ ، وَرِقَابًا صُغْرًا ، وَبَطُونًا يَجْرُونَ<sup>(١)</sup> ،  
تَجَبَّحُوا لِابْنِ سِفْغَةِ الْمَاءِ ، وَدَاءٌ لَا يُشْرَبُ فِيهِ الدَّوَاءُ . أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ  
كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ . كَلَّا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ الْهِنَاءُ وَالطَّلَاءُ حَتَّىٰ يَظْهَرَ الْعُذْرُ ، وَيُبْوَحَ  
السِّرَ ، وَيَضْمَحَ الْعَيْبَ ، وَيُسْوَسَ الْجَلِيبَ . فَإِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عِبْنَا وَلَمْ تَتْرَكُوا سُدَىٰ ،  
وَيَحْتَكُمُنِي لَسْتُ أَتَاوِيًا أَعْلَمَ ، وَلَا بَدَوِيًّا أَفْهَمَ . قَدْ حَبَّبْتُكُمْ اشْطُرًا ، وَقَلَّبْتُكُمْ أَبْطُنًا  
وَأَظْهَرًا . فَعَرَفْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُمْ أَنَّ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ،  
وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
بِبَعْضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَىٰ ذَلِكِ مِنْ أَهْلِ  
الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَهْوَاءًا يَأْذُنُونَ لَهُمْ ، وَيَصِفُونَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا ! قَبْلَ وَقُوعِ  
الْقَوَارِعِ وَطُولِ الرِّوَايَةِ . هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا ، فَلَسْتُ أَعْتَنِي شَأْنًا وَلَا تَائِبًا ، عَفَا اللَّهُ<sup>(٢)</sup>  
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ . فَاسْرَوْا خَيْرًا وَأَظْهَرُوا ،  
وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا . وَطَالِبًا مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَىٰ نَاكِسِينَ . وَلِيَعْلَمَ مِنْ أَدْبَرٍ وَأَصْرٍ  
أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ هَوًى يُتَّبَعُ ، وَلَا إِلَىٰ رَأْيٍ يَتَّبَعُ .  
إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الْمُنْتَهَىٰ ، الَّتِي فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ، فَمَنْ أَجَابَ فَلِي رُشْدُهُ ،  
وَمَنْ عَمِيَ فَمَنْ قَصَصَهُ . فَهَلُمَّ إِلَىٰ الشَّرَائِعِ ، الْجَدَائِعِ ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ أَذَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ (يُنْسِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) . إِيَّاكُمْ وَبُنَيَاتِ  
الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالتَّزْيِيقُ . وَعَلَيْكُمْ بِالْحَادَةِ فَهِيَ أَسَدٌ وَأُورِدَ ، وَدَعُوا الْأَمَانِيَّ

(١) لَهُ مَجْرًا جَمْعُ أَجْمَرٍ وَالْبَجَرُ عَظَمُ الْبِلْتِ .

(٢) الْأَتَاوِيَّ الْغَرِيبَ الَّذِي لَيْسَ فِي وَطْنِهِ .

(٣) أَيْ أَظْلَمَ رَاجِعًا وَلَا تَائِبًا عَمَّا حَصَلَ . وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ أَعِيشَ وَهُوَ تَصْحِيفٌ لِأَمْنَىٰ لَهُ هُنَا .

فقد أودت من كان قبلكم . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . والله الآخرة والأولى .  
ولا تفترؤا على الله الكذب فيسحقكم بعدايب وقد خاب من افترى . ربنا لا ترغ قلوبنا  
بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ومن خطب خالد بن عبد الله أمير البصرة : أيها الناس ! نافسوا في المكارم  
وسارعوا إلى المغام . واشتروا الحمد بالحد ، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا ، ولا تعتدوا  
بالمعروف ما لم تُعجلوه ، ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة فلم يباغ شكرها ، فافقه  
أحسن لها جزاء ، وأجزل عليها عطاء . وأعلموا أن حوائج الناس إليكم ، نعمة من  
الله عليكم ، فلا تملوا النعم فتحوّلوها نفقًا . وأعلموا أن أفضل المال ما كسب أجرة ،  
وأورث ذكرًا . ولو رأيتم المعروف رجلا ، رأيتموه حسنا جميلًا يسر الناظرين .  
ولو رأيتم البخيل رجلا ، رأيتموه مشوهًا قبيحًا تنفر عنه القلوب ، وتفضي عنه الأبصار .  
أيها الناس ! إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وأعظم الناس عفوًا من  
عفا عن قدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ؛ ومن لم يطب حرثه لم يرك  
نبتة ؛ والأصول عن مغارسها تنمو ، وبأصولها تسمو . أقول قولي هذا وأستغفر الله  
لي ولكم .

ومن خطب قطري بن الفجاعة خطبته المشهورة في ذم الدنيا والتحذير  
عنها ، وهي :

أما بعد : فإنني أحذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقَتْ  
بالقليل . وتعبت بالعاجلة ، وحلَّت بالآمال ، وتزينت بالغرور . لا تدوم نضرتها ،  
ولا تؤمن بجمعها . غرارة ، ضرارة . وخائلة ، زائلة . نافذة ، بائنة . أكالة ،  
غزالة . لا تعدوا إذا تاهت إلى أمانة أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال  
الله تعالى ﴿ كَذِبًا أَتْرَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ﴾

الرَّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۖ) مع أن أمرأ لم يكن منها في حبة، إلا أعقبته بعدها عبرة؛ ولم يلق من سرّاها بطنا، إلا منّحت من سرّاها ظهرا . ولم تَصِلْ غِيْثَةً رَخَاءً، إلا هطلت عليه مِرْنَةُ بلاء . وحرية إذا أصبحت له متصرة أن تُمسِّيَ له خاذلة متنكرة . وأى جانب منها أعدوذب وأخلوئى، أمر عليه منها جانب وأوبا . فإن آتت أمرأ من غصونها ورقاً أرهقته من نوائها تعباً . ولم يُمس منها امرؤ في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف، غرارة : غرور ما فيها؛ فانية : فإن من عليها؛ لاخير في شئ من زادها إلا التقوى . من أقل منها استكثر مما يؤمنه . ومن استكثر منها، استكثر مما يُوبقه ويُطيل حُرْته، ويُني عيْته . كم واثق بها قد بَقَعته، وذى حُكم ثبته إليها قد صرَعته ، وذى آخِثال فيها قد خدَعته . وكم ذى أبهة فيها قد صيرته حقيراً، وذى نخوة قد رذته ذليلاً . ومن ذى تاج قد كبته للدين والفم . سلطانها دُول . وعيشها رتق، وعذبها أجاج، وحلؤها صبر، وغذاؤها سِمام، وأسبابها رِمام . قِطافها سَلَع . حبيها بعرض موت، وصحيفها بعرض سُقم . منيعها بعرض اهتضام . ومُلْكها مسلوب، وعزيزها مغلوب . وسليهما منكوب، وجارها محروب . مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المَطْلَع ، والوقوف بين يدي الحَكَمِ العَدْلِ ۖ) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۖ) . أَلستم في مساكين من كان قبلكم أطول منكم أعماراً، وأوضح منكم آثاراً، وأعدّ عبيداً، وأكثف جنوداً . وأشدّ عتوداً . تعبّدوا للدنيا أى تعبّد، وآثروها أى لاثار، وظعنوا عنها بالكره والصغار . فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ، أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطاب بل أرهقتهم بالهوادح، وضععتهم بالنوائب ،

(١) في غير هذا الكتاب ولم تطله من الطل . ويظهر أن غيثة مصحفة عن غيبة . والنية الدفنة من المطر .

(٢) في نسخة وأول .



وَعَقَرْتَهُم بِالْفَجَائِعِ . وقد رأيتُم تَنَكُّرَها لِمَن رادها وآثرها وأخذ إليها، حين ظَنَعُوا عنها  
لِفراقِ إلى الأبد إلى آخر الأمد . هل زودتهم إلا السَّخَبَ ؟ ، وأحلتهم إلا الضنك ،  
أو نورت لهم إلا الظلمة ، أو أعقبتهم إلا الندامة ؟ أفهذه تُؤثرون ، أم على هذه تُحرمون  
أم إليها تطمئنون ؟ . يقول الله جل ذكره ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّاتِهَا نُوفُ  
الْآيِمِ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْفَسُونَ ﴾ . بئست الدارُ إن أقام فيها ! فاعلموا إذ أنتم  
تعالمون أنكم تاركوها للأبد ، فإنما هي كما وصفها الله تعالى باللعب واللغو ، وقد قال  
تعالى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطِشْتُمْ  
بِطِشْتُمْ جِبَارِينَ ﴾ .

إلى غير ذلك من خطب خلفاء الدولتين وأمرائهم مما يطول القول بإيراده ،  
ويخرج الكتاب بذكره عن حده .

### المقصد الثاني

#### في كيفية تصرف الكاتب في الخطب

قد تقدم في أول المقصد الأول من هذا النوع قول أبي هلال العسكري : إن الرسائل  
والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية والمشاكل في الفواصل  
وان الخطب يُسَاقَفُ بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة  
في أيسر كلِّفة . وحينئذ فإذا أراد الكاتب نقل الخطبة إلى الرسالة أمكنه ذلك ، فإذا  
أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الخطب البليغة ، وعلم مقاصد الخطابة وموارد  
الفصاحة ومواقع البلاغة ، وعرف مصابيح الخطباء ومشاهيرهم ، آتسعه له المجال  
في الكلام ونهلته عليه مستوعرات الثمر ، وذلَّت له صعبات المعاني ، وفاض على  
لسانه في وقت الحاجة ما كُنَّ من ذلك بين ضُلُوعه فأودعته في ثمره ، وضمنه في رسائله ،

فَأَسْتَعْنِي عَنْ شَغْلِ الْفِكْرِ فِي اسْتِنبَاطِ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ ، وَمَشَقَّةِ التَّعَبِ فِي تَتَبُّعِ الْأَفْظَافِ  
 الْفَصِيحَةِ ، الَّتِي لَا تَنْهَضُ فِكْرَتُهُ بِمَثَلِهَا وَلَوْ جَهْدًا ، وَلَا يَسْمَحُ خَاطَرُهُ بِنَظِيرِهَا وَلَوْ  
 دَأْبًا . إِنْ اَلْخُطْبُ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْكُتَّابَةِ ، وَنَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِهَا ، يَحْتَاجُ الْكُتَّابُ إِلَيْهَا  
 فِي صُدُورِ بَعْضِ الْمَكَاتِبَاتِ ، وَفِي الْبَيْعَاتِ وَالْعُهُودِ وَالْتِقَالِيدِ وَالتَّفَاوِيضِ وَكِبَارِ  
 التَّوَاتُيْعِ وَالْمُرَاسِمِ ، وَالْمُنَاشِيرِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ،  
 وَمَا لَعَلَّهُ يُنْشِئُهُ مِنْ خُطْبَةٍ صَدَاقٍ أَوْ رِسَالَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَصَافِعَ  
 الْخُطْبَاءِ ، وَمَشَاهِيرَ الْفَصَحَاءِ ، وَالْبَلَاءِ ، كَقُتُسِ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ  
 خُطْبَتُهُ أَنْفَا فِي صَدْرِ الْخُطْبِ . وَتَحَبَّانِ الْوَائِلِيُّ : وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي وَائِلٍ ، كَسَنُ بَلِيغٍ  
 يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَيَانِ ، وَغَيْرُهُمَا مِمَّنْ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَمَنْ  
 يُنْسَبُ إِلَى الْعِيِّ وَالْقَبَاوَةِ كِبَاقِلُ : وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ اشْتَرَى ظُلُمًا بِأَحَدِ عَشَرَ دِرْهَمًا  
 فَقِيلَ لَهُ بِكُمْ اشْتَرَيْتَهُ فَفَتَحَ كَفِيهِ وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ الْعَشْرَةَ وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ ، يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى  
 أَحَدِ عَشَرَ وَلَمْ يَحْسَنْ التَّعْبِيرَ عَنْهَا ، فَأَنْفَلَتْ الظُّلُمُ فَضْرَبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعِيِّ . فَإِذَا  
 عَرَفَ الْبَلِيغُ وَغَيْرُ الْبَلِيغِ ، وَعَالِي الرِّبَةِ وَسَافِلُهَا ، عَرَّضَ حِينَئِذٍ بِذِكْرِ مَنْ أَرَادَ مِنْهُمْ  
 مَقَاسًا لِلْفَاضِلِ بِمَثَلِهِ ، وَلِلْعَمِيِّ بِنَظِيرِهِ : كَمَا قَالَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ فِي بَعْضِ رِسَالَتِهِ ،  
 فِي جَوَابِ كِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِهِ :

فَأَمَّا شَوْقُهُ لِعَبْدِهِ الْفَالْمُولِيِّ قَدْ أَبْقَاهُ اللَّهُ قَدْ أُوتِيَ فَصَاحَةً لِسَانٍ . وَتَحَبَّ ذِيلُ الْعَمِيِّ  
 عَلَى تَحَبَّانِ .

وَكَمَا قَالَ الشَّيْخُ ضِيَاءُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْقُرْطُبِيُّ مِنْ رِسَالَةِ كُتُبِهَا لِلشَّيْخِ تَقِيٍّ الدِّينِ  
 ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، يَصِفُ رِسَالَةً وَرَدَتْ مِنْهُ عَلَيْهِ : إِنَّ كَلِمَهَا يَمِيسُ فِي صُنُورِهَا  
 وَأَعْجَازِهَا ، وَتَنْتَالُ عَلَيْهَا أَعْرَاضُ الْمَعَانِي بَيْنَ إِسْهَابِهَا وَإِيجَازِهَا ، فَهِيَ فَرَائِدُ اسْتَفْتٍ  
 فِي أَبْكَارِ الْوَائِلِيِّ وَالْإِيَادِيِّ .

## النوع التاسع

مما يحتاج إليه الكاتب من حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول ،  
ومحاوراتهم ، ومراجعاتهم ، وما آدعاه كل منهم لنفسه أو لقومه ، والنظر  
في رسائل المتقدمين : من بقاء الكتاب ؛ وفيه ثلاثة مقاصد

### المقصد الأول

في وجه احتياج الكاتب إلى معرفة ذلك

أما حفظ مكاتبات الصدر الأول ورسائلهم فلائها مع <sup>(١)</sup> مبتدع البلاغة  
وكنز الفصاحة غير ملائمة لطريقة الكتاب في أكثر الأمور ؛ فيستعان بحفظها على  
مواقع البلاغة ولا يطمع الخاطر بالانكال على إيراد فصل منها برمتة لمخالفته لأسلوب  
الكتاب في أكثر الأمور .

وأما النظر في رسائل البلقاء من فضلاء الكتاب ، فلما في ذلك من تنقيح القرينة ،  
وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطرق ، والنسج على منوال الحميد ، والاقتداء بطريقة  
المحسن ، واستدراك هافات ، والاحتراز مما أظهره النقد ، ورد ما بهرجه السبك .  
واقْتَصِرَ على النظر فيها دون حفظها لئلا يتكل الخاطر على ما يأتي به بأصله مما ليس  
له فيتشيع بما لم يُعطَ فيكون كلابس قَوْبَى زُور . اللهم إلا أن يريد بحفظها المحاضرة  
دون الإنشاء فإن الاتق به الحفظ دون غيره .

(١) كذا بالأصل بزيادة من وفي الضوء إسقاطها وهو الصواب .

(٢) يياض بالأصل .

## المقصود الثاني

( في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مدخلا إلى معرفة ما يحتاج إلى حفظه من ذلك )

أما مكاتباتهم المشتملة على المحاوراة والمراجعة ، فمنها ما كتب به معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه في زمن<sup>(١)</sup> المشاجرة بينهما ، وهى :

أما بعد ، فإن الله أصطفى عبداً ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واختاره من المسلمين أعواناً أيده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضلهم في الإسلام ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة ، وخليفة الخليفة ، والخليفة الثالث ، فكلهم حسنت ، وعلى كلهم بنيت . عرفنا ذلك في نظرك الشّزر ، وتفسك الصّعداء ، وإبطانك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تُقاد كما يُقاد البعير الخشوش حتى تُباع وأنت كاره ، ولم تكن لأحد منهم أشدّ حسداً منك لأبن عمك عثمان ، وكان أحقهم أن لا تفعل ذلك به ، في قرابته وصهره ، فقطعت رحمة ، وقبحت محاسنه ، وألبت عليه الناس حتى ضربت إليه آباط الإبل ، وشهر عليه السلاح في حرم الرسول ، فقتل معك في الحيلة وأنت تسمع في داره الهائلة ، لا تؤذى عن نفسك في أمره بقول ولا فعل يرّ ، أقسم قسماً صادقا ! لو قت في أمره مقاما واحدا تهنئ الناس عنه ، ما عدل بك ممن قبلنا من الناس أحد ، ولما ذك عنك ما كانوا يعرفونك به : من المجانبة لعثمان والبنى عليه . وأخرى أنت بها عند أولياء

(١) كتاب معاوية يرض له في الأصل فقتلناه من العقد الفريد لابن عبد ربه جزء ٢ صحيفة ٢٨٥

(٢) أى المجهول فيه الخشاش . وهو عود يجمل في عظم أنف البعير . مصباح

(٣) الهائلة الصوت المزعزع

أَبْنِ عَقْبَانَ ضَمِينٍ ، إِيْوَازُكَ قَسْلَةَ عُمَانَ ، فَهَمْ بِطَانَتِكَ ، وَعَضْدُكَ وَأَنْصَارُكَ . قَدْ بَلَغْنِي أَنْكَ تَنْتَنِي مِنْ دَمِهِ فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَتَهُ نَقْتُلْهُمْ بِهِ . ثُمَّ نَحْنُ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ ! وَالَّذِي نَفْسُ مَعَاوِيَةَ بِيَدِهِ لَا تُطْلَبُ قَسْلَةُ عُمَانَ فِي الْجِبَالِ ، وَالرَّمَالِ ، وَالْبَرِّ ، وَالْبَحْرِ ، حَتَّى نَقْتُلْهُمْ أَوْ تُلْحِقَ أَرْوَاحَنَا بِاللَّهِ ! .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَوَابِ ذَلِكَ :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ! تَذَكَّرْتُ فِيهِ أَصْطَفَاءَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ صَلَاحِهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِهِ وَتَأْيِيدِهِ لِإِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَدْ خَبَّرْنَا لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا ! أَفْطَقْتُ تَحْبِرُنَا بِأَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا ، فَكُنْتُ كَقَافِلِ التَّمْرِ إِلَى تَجَرٍّ أَوْ دَائِعِي مَذْرُوعًا إِلَى النَّضَالِ ، وَزَعَمْتُ أَنْ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَانٌ وَفَلَانٌ فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ آمَرْتُكَ كُلَّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يُلْحَقْ قُلُّهُ ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ وَالْمُفْضُولُ وَالسَّائِلُ وَالْمَسْئُولُ ! . وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ ، هِيَآتُ لَقَدْ حَقَّ قِدْحُ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطَلِيقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مِنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرَى عَلَى ظُلْمِكَ ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ، وَتَتَأَنَّرُ حَيْثُ أُنْزِلَ الْقَدَرُ ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ . وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ . وَإِنَّكَ لَنَهَابٌ فِي التَّيِّهِ ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ . أَلَا تَرَى ، غَيْرَ مُخْبِرِكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحْدَثْتُ ، أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ قَضَلٍ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قَبِلَ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ ، أَوَلَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضَلٍّ حَتَّى إِذَا فَعَلَ بَوَاحِدٍ مِنَّا مَا فَعَلَ بَوَاحِدٍ مِنْهُمْ قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ ، وَلَوْلَا مَا نَهَى عَنْ تَرْكِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكَ فُضَائِلَ جَمَّةٍ ،

تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تتجها آذان السامعين . فدع عنك من مالت به الرمية فإننا صنائع ربنا ، والناس بعد صنائع لنا ، لم يمتعنا قديم عزنا ، ومديد طولنا على قومك أن خططناهم بأنفسنا : فنكحنا وأنكحنا ، فعل الأكفاء ولستم هناك ، وأنى يكون ذلك كذلك ! ومنا النبي ومنكم المكذب ، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف ، ومنا سيدا شباب أهل الجنة ، ومنكم صبيبة النار ، ومنا خير نساء العالمين ، ومنكم حمالة الحطب ، فإسلامنا قد جمع وجاهلينا لا تدفع ، كتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة . ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلقجوا عليهم ، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم . وزعمت أنى لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، فإن يك ذلك كذلك فليست الجناية عليك ، فتكون المعذرة إليك \* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها \*

وقأت إلى كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أباع . ولعمري ! لقد أردت أن تدم فحمدت ، وأن تفضح فأقتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكيا في دينه ، ولا مرتابا في يقينه . وهذه حجتي إلى غيرك قصدها ، ولكنى أطلقت لك منها بقدر ماسح لك من ذكرها .

ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمر عثمان ، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله : أمّن بذل له نصرته فاستتبعه واستكفّه أم من استنصره فترانى عنه وبث المنون إليه ، حتى أتى قدره عليه . كلا والله ! لقد علم الله المعرفين منكم والفاين لإخوانهم هلمّ إليّسأ ولا يأتون البأس إلا قليلا . وما كنت أعتر من أنى كنت أقهر عليه

أُسَدَانَا فَإِنْ يَكُنِ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايِي لَهُ «قُرْبٌ مَلُومٌ لِأَذَنْبِهِ لَهُ . وَقَدْ يَسْتَفِيدُ  
الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ» ، وَمَا أُرِدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ  
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

وذكرت أنه ليس لي ولا صحابي إلا السيف فلقد أضحكك بعد استعبار ! متى  
أُفِيَتْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ ؟ أَوْ بِالسُّيُوفِ مَخُوفِينَ .

(ف) لَبِثَ قَلِيلًا يَلْحَقِي الْهَيْجَا حَمَلٌ \* سَيْطَلُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَعْبُدُ ،  
وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوُكَ فِي تَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالْأَنْصَارِ وَالْتَاكِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ  
زَحَامِهِمْ ، سَاطِعٍ قَتَامِهِمْ ، مُسْرِكِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ . أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ .  
قَدْ صَحَبْتَهُمْ ذُرِّيَّةَ بَدْرِيَّةٍ وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ قَدْ عَلِمْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ ،  
وَجَدَكَ ، وَأَهْلَكَ ( وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ) .

وكما كتب «أبو جعفر المنصور» ثاني خلفاء بني العباس ، وهو يومئذ خليفة ،  
إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُتَنِيِّ بْنِ الْحَسَنِ السَّبْطِ ، حِينَ بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ  
وَنُحِرَ عَلَى الْمَنْصُورِ يَرِيدُ اتِّرَاعَهَا مِنْهُ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ  
عَبْدِ اللَّهِ . أَمَا بَعْدُ : ( زَ ) فَأَمَّا جَرَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ  
فَسَادًا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلِّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ  
الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ  
قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) . وَلَكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَعَهْدُهُ وَمِيثَاقُهُ  
وَحَقُّ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ تَبَّتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْكَ أَنْ أَوْثَنَكَ عَلَى  
نَفْسِكَ وَلَوْلَكَ وَإِخْوَتَكَ وَمَنْ بَايَعَكَ وَجَمِيعَ شِيعَتِكَ ، وَأَنْ أُعْطِيَكَ أَلْفَ أَلْفِ  
دِرْهَمٍ ، وَأُتْرِكَ مِنَ الْبِلَادِ حَيْثُ شِئْتَ ، وَأَقْضَى لَكَ مَا شِئْتَ مِنَ الْحَاجَاتِ ، وَأَنْ  
أُطْلِقَ مَنْ فِي سِجْنِي مِنْ أَهْلِ يَتِكَ وَشِيعَتِكَ وَأَنْصَارِكَ ، ثُمَّ لَا أُتْبِعَ أَحَدًا مِنْكُمْ بِمَكْرِهِ ،

وإن شئت أن تتوفى لنفسك فوجهه إلى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والايمن ما أحببت . والسلام .

فاجابه محمد بن عبد الله بما نصه :

من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد . أما بعد . ( طسم ، تلك آيات الكتاب المبين تتلوا عليك من نبأ وهبى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستخفي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمةً يجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض فري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ) . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى أعطيتى ، فقد تعلم أن الحق حقا ، وأنكم إنما أُعطيتموه بنا ، ونهضتم فيه بسعيتنا وحطمتوه بفضلنا ، وأن أبانا عليا عليه السلام ، كان الوصى والإمام ، فكيف وريثوه دوننا ، ونحن أحياء ! وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا ، وإنا بنو أُم أبى رسول الله : فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم ، وبنو ابنته فاطمة في الإسلام من بينكم ، فإنا أوسط بنى هاشم نسباً ، وخيرهم أما وأبا ، لم تلدن العجم ، ولم تُفريق في أمهات الأولاد . وإن الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم : محمد صلى الله عليه وسلم . ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً ، وأوسعهم علماً ، وأكثرهم جهاداً : على بن أبى طالب ، ومن نسائه أفضلهن : خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى إلى القبلة ، ومن بناته أفضلهن ، وسيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . ثم قد علمت أن هاشماً ولد عليا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن والحسين مرتين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم



ولَدْنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قَبْلِ جَدِّي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَمَا زَالَ الْإِلَهُ يُخْتَارُ لِي حَتَّى اخْتَارَ لِي فِي النَّارِ فَوَلَدْنِي أَرْفَعُ النَّاسَ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْوَنُ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَأَنَا ابْنُ خَيْرِ الْأَخْيَارِ، وَابْنُ خَيْرِ الْأَشْرَارِ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ النَّارِ. وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ دَخَلْتَ فِي بَيْعِي أَنْ أَوْثَمَكَ عَلَى نَفْسِكَ وَلَدِكَ وَكُلِّ مَا أَصَبَتْهُ إِلَّا حَتَا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ أَوْ مَعَاهِدٍ. فَقَدْ عَلِمْتَ مَا يَلْزَمُكَ فِي ذَلِكَ فَأَنَا أَوْفَى بِالْعَهْدِ مِنْكَ، وَأَنْتَ أُخْرَى بِقَبُولِ الْأَمَانِ مِنِّي. فَمَا أَمَانُكَ الَّذِي عَرْضْتَ عَلَيَّ فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ هُوَ؟ أَمَانُ ابْنِ هَبِيرَةَ، أَمْ أَمَانُ عَمِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، أَمْ أَمَانُ مُسْلِمٍ وَالسَّلَامُ.

فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَمَا بَعْدَ فَقَدْ آتَانِي كِتَابُكَ، وَبَلَفَنِي كَلَامُكَ، فَإِذَا جُلُّ نَفَرِكَ بِالنِّسَاءِ، تُضَيِّلُ بِهِ الْجُفَاءَ وَالغَوَاضِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ النَّسَاءَ كَالْعُمُومَةِ، وَلَا الْآبَاءَ كَالْعَصْبَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَّ أَبَا، وَبَدَأَ بِهِ عَلَى الْوَالِدِ الْأَدْنَى. فَقَالَ جُلُّ شَاوِهِ عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُمُومَتُهُ أَرْبَعَةٌ فَأَجَابَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبِي، وَكَفَرَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبُوكَ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ النَّسَاءِ وَقَرَابَاتِهِنَّ، فَلَوْ أُعْطِينِ عَلَى قَدْرِ الْأَنْسَابِ، وَحَقِّ الْأَحْسَابِ، لَكَانَ الْخَيْرُ كُلُّهُ لَأَمْنَةِ بِنْتِ وَهْبٍ، وَلَكِنْ اللَّهُ يُخْتَارُ لِمَنِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ أُمِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَأَنْ هَاشِمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ، وَأَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَدَ الْحَسَنَ مَرَّتَيْنِ، نَغِيرَ الْأَوَّلِينَ

والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلِدْه هاشم إلا مرة واحدة ، ولم يَلِدْه عبد المطلب إلا مرة واحدة .

وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قد أبى ذلك فقال ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ولكم قرابة أبنته ، وإنها قرابة ذريته ، غير أنها امرأة لاتبوز الميراث ، ولا يجوز أن تَوِّمَ فكيف تُورَث الإمامة من قبلها ! ولقد ظلمها أبوك من كل وجه فأخرجها مُتَخَصِمٍ ، ومَرَضَهَا سَرًا ، ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا تقديم الشيخين . ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره . ثم أخذ الناس رجالاً فلم يأخذوا أباك فيهم . ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها ، وباع عبد الرحمن عثمانَ وقبلها عثمانُ وحارب أباك طلحةُ والزبيرُ ، ودعا سعدا إلى بيعته فأغلق بابهُ دُونَهُ . ثم بايع معاويةَ بعده ، وأفضى أمر جَدِّكَ إلى أبيك الحسن فسلمه إلى معاوية يَغْرِقُ ودراهم وخرج إلى المدينة ، فدفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذَ مالا من غير حله . فإن كان لكم فيها شيء فقد بستموه .

وأما قولك إن الله اختار لك في الكُفْرِ لَجْعَ أبوك أهونَ أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ، ولا من عذاب الله هَيِّنٌ ، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار . سترِدْ فتعلم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .  
وأما قولك إنه لم تَلِدْكَ المعجم ، ولم تُسْرِقْ فيك أمهاتُ الأولاد ، وإنك أوسطُ بني هاشم نسباً ، وخيرهم أمّاً وأباً ، فقد رأيتك تُفَرِّتُ على بني هاشم طُرّاً ، وقدمتَ نفسك على من هو خير منك أولاً وآخرًا ، وأصلاً وفصلاً . ففَرَّتْ على إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدٍ ولده ، فانظر ويحك أين تكون من الله تعالى غداً وما وُلِدَ فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على

أَبْنُ الْحُسَيْنِ وَهُوَ لِأُمِّ وَلَدٌ، وَلَقَدْ كَانَ خَيْرًا مِنْ جَدِّكَ حَسَنِ بْنِ حُسَيْنٍ . ثُمَّ أَبْنَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ وَجَدَّتُهُ أُمُّ وَلَدٌ . ثُمَّ أَبْنَةُ جَعْفَرٍ وَهُوَ خَيْرُ مَنْكَ وَلَدَتُهُ أُمُّ وَلَدٌ . وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جَدَّكَ عَلِيًّا حَكِيمٌ وَأَعْطَاهُمَا عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ عَلَى الرِّضَا بِمَا حَكََا بِهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى خَلْعِهِ ، ثُمَّ نَخَرَجَ عُمُّكَ الْحُسَيْنُ عَلَى ابْنِ مَرْجَانَةَ وَكَانَ النَّاسُ مَعَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ قَتْلُوهُ ، ثُمَّ اتَّوَا بِكُمْ عَلَى الْأَقْتَابِ مِنْ غَيْرِ أَوْطِيَةٍ كَالسَّبْيِ الْمَجْلُوبِ إِلَى الشَّامِ . ثُمَّ نَخَرَجَ مِنْكُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ فَقَتَلَكُمْ بَنُو أُمِيَّةَ وَحَرَّقُوكُم بِالنَّارِ وَصَلَّبُوكُم عَلَى جَذُوعِ النَّخْلِ حَتَّى نَخْرِجْنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْرَكْنَا بَنَارَكُمْ إِذْ لَمْ تُدْرِكُوهُ ، وَرَفَعْنَا أَقْدَارَكُمْ ، وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَلْعَنُونَ أَبَاكَ فِي أَدْبَارِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَمَا تَلْعَنُ الْكَفَرَةَ فَنَمَتَاهُمْ وَكَفَرْنَا بِهِمْ ، وَبَيْنَا فَضْلُهُ وَأَشَدُّنَا بِذِكْرِهِ ، فَاتَخَفْتُ ذَلِكَ عَلَيْنَا حِجَّةً ، وَظَنَنْتُ أَنَا بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ قَدَمَتَاهُ عَلَى حِمَاةِ الْعَبَّاسِ وَجَعْفَرٍ ، كُلُّ أَوْلَئِكَ مَضُوا سَالِمِينَ سَلَامًا مِنْهُمْ وَأَبْتَلَيْ أَبُوكَ بِالْكَرَمَاءِ . وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَا ثَرْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَقَايَةَ الْحَاجِّ الْأَعْظَمِ ، وَوَلَايَةَ زَمَرِمٍ ، وَكَانَتْ لِلْعَبَّاسِ دُونُ إِخْوَتِهِ فَنَازَعَ فِيهَا أَبُوكَ إِلَى عَمْرِ فَقَضَى لَنَا عَمْرُهَا ، وَتَوَقَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ مِنْ عَمُومَتِهِ أَحَدٌ حَيًّا إِلَّا الْعَبَّاسُ فَكَانَ وَارِثَهُ دُونَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَطَلَبَ الْخِلَافَةَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمْ يَنْتَلِهَا إِلَّا وَلَدُهُ . فَاجْتَمَعَ لِلْعَبَّاسِ أَنَّهُ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبَنُوهُ الْقَادَةُ الْخُلَفَاءُ ، فَقَدْ ذَهَبَ بِفَضْلِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، وَلَوْلَا الْعَبَّاسُ أُتْرِجَ إِلَى بَدْرِكُرْهَا مَاتَ عَمَّاكَ طَالِبٌ وَعَقِيلٌ جُوعًا أَوْ يَتَجَشَّانَ جِحْدَانِ عُبَّةَ وَشَيْبَةَ ، فَاذْهَبَ عَنْهُمَا الْعَارُ وَالشَّتَارُ . وَلَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامَ وَالْعَبَّاسُ يَمُونُ أَبَا طَالِبٍ لِلْأَزْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ . ثُمَّ فَدَى عَقِيلًا يَوْمَ فَقَدْ مُتَّاكُمْ فِي الْكُفْرِ ، وَفَدَيْنَاكُمْ مِنَ الْأَسْرِ ، وَوَرَّثْنَا دُونَكُمْ خَاتِمَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَحَزْنَا شَرَفَ الْأَبَاءِ ، وَأَدْرَكْنَا بَنَارَكُمْ إِذْ عَجِزْتُمْ عَنْهُ وَوَضَعْنَاكُمْ حَيْثُ لَمْ تَضَعُوا أَنْفُسَكُمْ وَالسَّلَامَ .

ومن مكاتبات ملوك الفرس البلقاء ما كتب به ارسطوطاليس إلى الاسكندر :  
 إنه إنما تملك الرعية بالإحسان إليها، وتظفر بالمحبة منها ؛ فإن طلبك ذلك بإحسانك ،  
 هو أدوم بقاء منه باعتسافك بعنفك . وأعلم أنه إنما تملك الأبدان ، فأجمع إليها القلوب  
 بالمحبة . وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل ؛ فاجتهد أن لا تقول  
 تسلم من أن تفعل .

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه بوصيه بالرعية كتابا فيه : ليكن من تختاره  
 لولايتك رجلا كان في وضعية فرقة ، وإذا شرف كان مهملًا فأصطنعته . ولا تجعله  
 أمراً أصبته بعقوبة فأتضع لها ، ولا أحدا ممن يقع بقلبك أن إزالته سلطانك أحب  
 إليه من ثبوته ؛ وإياك أن تستعمله ضريعا ، غمرا ، كثيرا إعجابه بنفسه ، قليلا تجربته  
 في غيره ، ولا كبيرا مديرا ، قد أخذ الدهر من عقله ، كما أخذت السن من جسمه .

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه أيضا : إن كلمة منك تسفك دما ، وأخرى  
 تحقن دما ، وإن سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه ، وإن رضاك بركة مفيدة  
 على من رضيت عنه ، وإن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ، فأحترس في غضبك من  
 قولك أن يخطئ ، ومن لولك أن يتغير ، ومن جسدك أن ينف ؛ فإن الملوك تعاقب  
 جرما ، وتعفو جرما .

ومما كتب به أردشير إلى رعيته : من أردشير المؤيد ، ملك الملوك ، وارث العظماء ،  
 إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حافظة البيضة ، والكتاب  
 الذين هم زينة المملكة ، وذوى الحروب الذين هم عمدة البلد . السلام عليكم ، فإنا نحمد  
 إليكم الله السالمين ، وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأيتنا بها إتواتها الموطقة عليها ، ونحن  
 مع ذلك كاتبون بوصية : لا تستشعروا الحقد فيدّهم العدو ، ولا تحتكروا فيسملكم

القحط، وتزوجوا القرائب فإنه أمس للرحم، وأثبت في النسب، ولا تملأوا هذه الدنيا شيئا، ولا ترفضوها، فإن الآخرة لا تدرك إلا بها .

وأما رسائلهم ومخاطباتهم . فمن ذلك رسالة الصديق رضى الله عنه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين تلقا عن مبايعته، على لسان أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، مع ما أنضم إلى ذلك من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما كان من جواب علي عنها .

قال أبو حيان علي بن محمد التوحيدى البغدادى : سمعنا ليلة عند القاضى أبي حامد أحمد بن بشر المروذى ببغداد ، فتصرف فى الحديث كل متصرف ؛ وكان غزير الرواية ، لطيف الدراية ، بغرى حديث السقيفة ، فركب كل مرثجا ، وقال قولا ، وعرض بشئ ، ونزع إلى فن . فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق ، رضى الله عنه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وجواب علي عنها ، ومبايعته إياه عقيب تلك المناظرة . فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هي والله من نبات الحقائق ، وعنبات الصنادق ؛ ومنذ حفظتها مارويتها إلا لأبي محمد المهلبى فى وزارته ، فكتبها عن يمينه ، وقال : لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أيقن ؛ وإنها لتدل على علم وحلم ، وفصاحة ونبادة ، وبعد غور وشدة غوص . فقال له العبدانى : أيها القاضى فلو أتممت المنة علينا بروايتها ، أسميناها ، فنحن أوعى لك من المهلبى ، وأوجب ذمما عليك ، فاندفع وقال :

”حدثنا الخزاز عجمكة ، عن أبي ميسرة ، قال حدثنا محمد بن أبي فلج عن عيسى بن دؤاب بن المتاح ، قال : سمعت . ولأى أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والأنصار ، بعد فتنه كاد الشيطان بها ، فدفع الله شرها ويسر خيرها ، بلغ أبا بكر عن علي تلکؤ وشماس ، وتهتم ونفاس ،

فكره أن يمتدئ الحائل فنبؤ العورة، وتشتمل الجمرة، وتستغرق ذات اليمين؛ فدعاني بحضرته في خلوة، وكان عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحده فقال : يا أبا عبيدة ما أئمن ناصيتك، وأئمن الخيرين عينيك؛ وطالما أعز الله بك الإسلام وأصلح شأنه على يديك، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحبوط، والمحل المنقبوط؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود "لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة" ولم ترل للدين ملجأ، وللمؤمنين مرجأ، ولأهلك ركا، ولإخوانك ردا. قد أردت لك لأمر خطر مخوف، وإصلاحه من أعظم المعروف، ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ورقفك، ولم تحب حينه برقيتك، وقع اليأس، وأعضل اليأس؛ وأحتج بعد ذلك إلى ما هو أمر منه وأعلق، وأعسر منه وأغلق؛ والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يديك. فتأت له أبا عبيدة وتلطف فيه، وأنصح لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه العصابة غير آل جهدا، ولا قال حمدا، والله كالك وناصرك، وهاديك ومبصرك، ان شاء الله. امض إلى علي وأخفص له جناحك، وأعضض عنده صوتك، وأعلم أنه سلالة أبي طالب، ومكانه ممن فقدناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانه، وقل له البحر مفرقة، والبحر مفرقة، والحقو أكلف، والليل أغدق، والسماء جلواء، والأرض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق عطوف رؤوف، والباطل عنوف عسوف، والعجب قذاحة الشر، والضغن رائد البوار؛ والتعريض شجار الفتنة، والقصة ثقوب العداوة، وهذا الشيطان متكى على شماله، متحيل بيمينه، نافخ خضيه لأهله، ينتظر الشتات والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عناداً لله عز وجل أولاً، ولآدم ثانياً، ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثاً، يوسوس بالفجور، ويدلي بالغرور، ويمني أهل الشرور. يوحى إلى أوليائه زُخرف القول غرورا بالباطل، دأبا له منذ

(١) تأتي ظان للأمر تهيأ له وأتاه من وجهه .

كان على عهد أبينا آدم صلى الله عليه وسلم ، وعادة له منذ أهانته الله تعالى في سالف الدهر لا تمتجى منه إلا بقصّ الناجذ على الحق ، وغضّ الطرف عن الباطل ، ووطء هامة عدو الله بالأشدّ فالأشدّ ، والآكد فالآكد ، وإسلام النفس لله عز وجل في ابتغاء رضاه . ولا بُدّ الآن من قول ينفع إذا ضرّ السكوت وخيف غيبه ؛ ولقد أرشدك من أفاء ضائبك ، وصافاك من أحياء مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من أثر البقاء معك ؛ ما هذا الذي تُسوّل لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه رأيك ، ويتقاوُص دونه طرفك ، ويسرى فيه ظعنك ، ويتراذ معه نفسك ، وتكثر عنده صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك . أتعجّب بعد إفصاح ؟ أتليس بعد إفصاح ؟ أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق القرآن ؟ أهذى غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ، أمثلى "تمشى له الضراء وتلدب له النحر" ، أم مثلك يفيض عليه القضاء ، ويكشف في عينه القمر ، ما هذه القعقة بالسنان ؟ وما هذه الوعوعة باللسان ؟ إنك والله جدّ عارف باستجابتنا لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمخرجنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبتنا ، هجرة إلى الله عز وجل ، ونصرة لدينه في زمان أنت فيه في كنّ الصبا ، وخدر القرارة ، وعُتقوان الشيبية ، غافل عما يُشيب ويريب ، لاتعى ما يُراد ويُشاد ، ولا تحصل ما يُساق ويُقاد ، سوى ما أنت جارٍ عليه إلى غايك التى إليها عدل بك ، وعندها حطّ رحلك ، غير مجهول القدر ولا مجهود الفضل ؛ ونحن في أثناء ذلك نُعاني أحوالاً تُزِيل الرواسى ، وتُقايى أهوالاً تُشيب النواصى ، خافضين غمارها ، راكبين تيارها ، تتجرع صابها ، وتشرج عابها ، ويُحكم آسامها ، ويُبرم أمراسها ، والعيون تُحدج بالحسد ، والأنوف تعطس بالكبر ، والصُدور تستعير بالغيظ ، والأعناق تتطاوّل بالفخر ، والشفاة تُسحذ بالمكر ، والأرض تيمد

بالخوف؛ لا ننتظر عند المساء صباها، ولا عند الصباح مساء، ولا تدفع في نحر  
 امرئ إلا بعد أن نحسو الموت دونه، ولا نبليغ مرادا إلا بعد الإياس من الحياة  
 عنده؛ فإدين في جميع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم، والحال  
 والعلم، والمال والنسب، والسبد والأبد، والهلة والبلة، يطيب أنفس، وقوة  
 أعين، ورحب أعطان، وثبات عزائم، وحمّة عقول، وطلاقة أوجه، ودلافة  
 ألسن؛ هذا مع خفيات أسرار، ومكنونات أخبار، كنت عنها غافلا؛ ولولا سنك  
 لم تكن عن شيء منها ناكلا، كيف وفؤادك مشهور<sup>(١)</sup>؟ وعودك منجوم. والآن  
 قد بلغ الله بك وأنهض الخيل لك، وجعل مرادك بين يديك، وعن علم أقول  
 ماتسمع؛ فارتقب زمانك، وقلص أردائك، ودع التقس والتجسس لمن لا يطلع  
 لك إذا خطأ، ولا يترجح عنك إذا عطا؛ فالأمر غص، والنفوس فيها مض،  
 وإنك أديم هذه الأمة فلا تحلم بلجاجا، وسيقها العصب، فلا تنب أعوجاجا، وماؤها  
 العذب، فلا تحل أجاجا. والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا  
 الأمر، فقال لي يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه لآن يحاحش عليه، ولن يتضاءل عنه  
 لآن ينتفع إليه؛ هو لمن يقال هو لك لآن يقول هو لي.

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر، فذكر فتينا من قريش  
 فقلت أين أنت من علي؛ فقال صلى الله عليه وسلم: إني أكره لفاطمة مئة شبابه،  
 وحداثة سنه. فقلت له متى كنته يلك ورعته عينك، حقت بهما البركة،  
 وأسيفت عليهما النعمة؛ مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك، وما كنت عرفت  
 منك في ذلك لاحوجاء ولا لوجاء، فقلت ماقلت وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة  
 سواك؛ وكنت إذ ذاك خيرا لك منك الآن لي؛ ولئن كان عرض بك رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، فلم يكن معرضا عن غيرك، وإن كان قال فيك

(١) بالسين المحجمة أى ذكرى متوقفة.



فما سكت عن مِوالك؛ وإن تلجلجَ في نفسك شئ، فهُلِّمْ فالْحُكْمَ مَرَضِيّ، والصواب مسموع، والحقُّ مطاع . ولقد قيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، وهو عن هذه العصابة راض وعليها حذر: يسرهُ ماسرها، ويسوءه ماساءها، ويكيده ما كادها، ويُرْضيه ما أرضاها، ويُسَخِّطه ما أسخطها . أما تعلم أنه لم يدع أحدا من أصحابه، وأقاربه، ونُجَرَّائِهِ<sup>(١)</sup>، إلا أبانه بفضيلة، وخصَّه بمزية، وأفرده بمجالة . أنظرن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأئمة سُدًى بَدَأَ، عابِلَ، مَبَاهِلَ، طَلَّاحِ مَفْتُونَةٍ<sup>(٢)</sup> بالباطل، مغبونة عن الحق، لا رائد ولا ذائد، ولا ضابط ولا حائط، ولا ساق ولا واق، ولا هادي ولا حادي كلا ! ، والله ما أشتاقت إلى ربه تعالى ، ولا سأله المصير إلى رضوانه وقربه، إلا بعد أن ضرب المدى، وأوضح الهدى، وأبان الصوى، وأتمن المسالك والمطارج، وسهل المبارك والمعارج، وإلا بعد أن شدخ يافوخ الشرك بأذن الله ، وشَرَّم وجه التفاق لوجه الله سبحانه، وجَدَعَ أُنْفَ الفتنة في ذات الله، وتَفَلَّ في عين الشيطان بعون الله ، وصَدَعَ بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل .

وبعد، فهذه المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة ، ودار جامعة ، إن استقالوني لك، وأشاروا عندى بك، فأنأواضِعْ يَدِي في يديك، وصائرُ إلى ذرايعهم فيك . وإن تكن الأخرى فادْخُلْ فيما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والقائِمَ لمَعَالِفِهِمْ، والمرشد لضايئِهِمْ، والرادع لغوايئِهِمْ . فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، والتناصر على الحق . ودَعْنَا تقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغِلِّ، وتلقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن .

وبعد فالناس ثَمَامَةٌ فارُفِقْ بهم، وأحْنُ عليهم ولين لهم، ولا تُشَقِّقْ نفسك بنا خاصة

(١) بالسَّين المهملة جمع مجير كأمير وهو الصديق .

(٢) بالياء الموحدة في الوزن ومعناها مهمة أنظر اللسان .

فيهم ، وأترك ناجمَ الحقد حصيدا ، وطائرَ الشرِّ واقعا ، وبابَ الفتنة مُغلَقا ، فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تبيح والله على ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه كنْ لدى الباب هُنيئةً فلى معك دُور من القول ، فوفقت وما أدري ما كان بعدى ، إلا أنه لحقنى بوجه يندى تهلا ، وقال لى : قل للى الرقاد حكمة ، والهوى مقحمة ، وامنا إلا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبا ظاهر أو مكتوم ، وإن أكبس الكيس من منح الشارب تألفا ، وقارب البعيد تلطفا ، ووزن كل شئ بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ، ولم يجعل قِتره مكان شبره ، ديناً كان أو دُنْيَا ، ضلالا كان أو هدى . ولا خير فى علم مستعمل فى جهل ، ولا خير فى معرفة مشوبة بشكر . ولستنا بجلدة رُفِعَ البعير بين العجان والذنب ، وكل صالٍ فبناره ، وكل سيل فإلى قَراره . وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لى وشى ، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق . وقد جدد الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كذوب ، فماذا بعد الحق إلا الضلال . ماهذه الخنزروانة التى فى قرأش رأسك ؟ ماهذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك ؟ ماهذه القداة التى تغشت ناظرَكَ ؟ وما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك ؟ وما هذا الذى ليست بسببه جلد النمر ، وأشتملت عليه بالشحانة والنكر ، ولستنا فى كسروية كسرى ، ولا فى قبصرية قيسر ! تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر ! قد جعلهم الله جزرا لسُوفنا ، ودرية لرماحتنا ، ومرمى لطمحنا ، وتبعا لسلطاننا ؛ بل نحن فى نور نبوة ، وضياء رسالة ، وثمره حكمة ، وأثرة رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بين أئمة مهديَّة بالحق والصدق ، مأمونية على الرِّق والفتق ، لها من الله قلب أبى ، وساعد قوى ، ويدٌ ناصرة ، وعينٌ باصرة . أنظن ظنا ياعلى أن أبابكر وثب على هذا الأمر مُفَتنانا على الأمة خادعا لها ،

أو متسلطا عليها؟ أترأه حل عُقُودها وأحال عقولها؟ أترأه جعل نهارها ليلا، ووزنها كيلا، وقيظتها رُقادا، وصَلَحها فسادا، لا والله سلا عنها فوليت له، وتظامن لها فليصقت به، ومال عنها فمالت إليه، وأشماز دونها فأشملت عليه، حَبُوة حباه الله بها، وعاقبة بلغه الله إليها، ونعمة سربله بجمالها، ويدٌ أوجب الله عليه شكرها، وأمةٌ نظر الله به إليها . والله أعلم بخلقها، وأزاف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة . وإنك بحيث لا يُجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ولا يُحصَد حَقُّك فيما آتاك الله، ولكن لك مَنْ يزاحمك بمنكب أخفم من منكبك، وقُرْبِ أَمْسٍ من قرابتك، وسنّ أعلى من سنك، وشيئة أروع من شبيبته، وسيادة لها أصلٌ في الجاهلية، وفرعٌ في الإسلام، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا نافه، ولا تُدْكر منها في مقدمة ولا ساقه، ولا تُضربُ فيها بذراع ولا إصبع، ولا تُخرج منها بإزار ولا هُج . ولم يزل أبو بكر حبة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلاقة نفسه، وعيبة سره، ومقرع رأيه ومشورته، وراحة كفه، ومرمق طرفة . وذلك كله يحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار، شهرته مغنية عن الدليل عليه . ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة، ولكنه أقرب منك قرُبة، والقرابة لحم ودم، والقرية نفس وروح . وهذا فرق عرّفه المؤمنون ولذلك صاروا إليه أجمعون، ومهما شككت في ذلك، فلا تشك أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل الطاعة، فادخل فيما هو خير لك اليوم، وأنفع لك غدا، والفظ من فيك ما يلقى بلهاتك، وانثت سخيمة صدرك عن ثقاتك، فإن يك في الأمد طول، وفي الأجل فسحة، فستأكله مريثا أو غير مريء، وستشربه هنيئا أو غير هنيء، حين لا راد لقولك إلا من كان آتسا منك، ولا تابع لك إلا من كان طامعا فيك، يُمض إهابك، ويعرك أديمك، ويُرزى على هديك . هنالك قَرع السب من ندم،

وتَجَرَّعَ الْمَاءَ مَزْجُوجًا بَدَمَ ، وَحَيْثُذُ تَأْسَى عَلَى مَاضِيٍّ مِنْ عَمَلِكَ ، وَدَارِجَ قَوْلِكَ ، فَتَوَدُّ أَنْ لَوْ سُقِيتَ بِالْكَأْسِ الَّتِي آيَيْتَهَا ، وَرُدِدْتَ إِلَى حَالِكَ الَّتِي اسْتَغْوَيْتَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى فِينَا وَفِيكَ أَمْرٌ هُوَ بِاللَّهِ ، وَغَيْبٌ هُوَ شَاهِدُهُ ، وَعَاقِبَةٌ هُوَ الْمَرْجُو لَسَرَّائِهَا وَضَرَّائِهَا ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ، الْغَفُورُ الْودُودُ .

قال أبو عبيدة ، تَمَشَّيْتُ مَتَرَمَلًا أَنْوَأَ كَأَنَّمَا أَخْطُو عَلَى رَأْسِي ، فَرَقًا مِنَ الْفَرْقَةِ ، وَشَفَقًا عَلَى الْأُمَّةِ ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خَلَاءٍ ، فَأَبْتَثْتُهُ بِحَيِّ كُلِّهِ ، وَبَرْتُ إِلَيْهِ مِنْهُ ، وَرَفَقْتُ بِهِ . فَلَمَّا سَمِعَهَا وَوَعَاها ، وَسَرْتُ فِي مَفَاصِلِهِ حُمَيَّاهَا ، قَالَ : " سَلَّتْ مُعَلَّوْطُهُ ، وَوَلَّتْ مُخْرُوطُهُ " ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِحْدَى لَيْلَا لِكَ فَيَهِيْسِي هَيْسِي \* لَا تَسْعِمِي اللَّيْلَةَ بِالتَّعْرِيسِ

نعم يا أبا عبيدة أَكَلْتُ هَذَا فِي نَفْسِ الْقَوْمِ ، وَيُحْسِنُونَ بِهِ ، وَيَضْطَرُّونَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ أَبُو عبيدة : فَقُلْتُ لَا جَوَابَ لَكَ عِنْدِي إِذَا أَنَا قَاضٍ حَقَّ الدِّينِ ، وَرَاتِقٌ فَتَى الْمُسْلِمِينَ ، وَسَادُّ ثُلَمَةِ الْأُمَّةِ . يَعْلَمُ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ جُلُجُلَانِ قَلْبِي ، وَقَرَارَةِ نَفْسِي .

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَانْتَهَ مَا كَانَ قُعُودِي فِي كَيْفِ هَذَا الْبَيْتِ قَصْدًا لِلْخِلَافِ ، وَلَا إِنْكَارًا لِلْعُرُوفِ ، وَلَا زِيَارَةً عَلَى مُسْلِمٍ ؛ بَلْ لَمَّا قَدْ وَقَّدَنِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِرَاقِهِ ، وَأَوْدَعَنِي مِنَ الْحُزْنِ لِفَقْدِهِ . وَذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ بَعْدَهُ مَشْهَدًا إِلَّا اجْتَدْتُ عَلَى حُزْنَانَا ، وَذَكَّرَنِي بِتَجَنُّا . وَإِنْ الشُّوقَ إِلَى التَّلَاقِ بِهِ كَافٍ عَنِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِهِ . وَقد عَكَفْتُ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ أَنْظُرَ فِيهِ ، وَأَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ ، رَجَاءَ ثَوَابِ مَعْدُنِ مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ ، وَسَلَّمَ لِعَالَمِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ . عَلَى أَنِّي مَاعَلِمْتُ أَنَّ التَّظَاهَرَ عَلَى وَاقِعٍ ، وَلَا عَنِ الْحَقِّ الَّذِي سَبَقَ إِلَى دَافِعٍ ، وَإِذْ قَدْ أَقْعَمَ الْوَادِي بِي ، وَحَشِدَ النَّادِي مِنْ أَجْلِي ، فَلَا مَرَحَبًا بِمَا أَسَاءَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَسَرَّيْ . وَفِي النَّفْسِ كَلَامٌ لَوْلَا

سابق عقد، وسألف عهد، لشفيت غيظي بجنصري وبنصري وخضبت لجنته  
بأنعمي ومقرقي، ولكنني ملجئ إلى أن ألقى الله ربي، وعنده أحسب ما نزل بي .  
وإني غاد إلى جماعتكم، مبيع صاحبكم، صابر على ما ساءني وسركم (لَيَقْضِيَ اللَّهُ  
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) .

قال أبو عبيدة: فعدت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقصصت عليه القول على  
غره، ولم أحتزل شيئا من حلوه ومره، وبكرت غدوة إلى المسجد، فلما كان صباح  
يومئذ وإذا على مخترق الجماعة إلى أبي بكر رضي الله عنهما، فبايعه، وقال خيرا،  
ووصف جيلا، وجلس زميتا<sup>(١)</sup>، وأستاذن للقيام فمضى وتبعه عمر مكرما له، مستاثرا  
لما عنده .

فقال على رضي الله عنه: ما عدت عن صاحبكم كارها، ولا أتيته فرقا، ولا أقول  
ما أقول تلهة . ولإني لأعرف منتهى طرفي ومحط قدمي ومترع قوسي، وموقع  
سهمي؛ ولكن قد آزمت على فأمسى ثقة بربي في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضي الله عنه: كيف غرك، وأستوقف سربك، ودع العصى  
يلحائها، والدلاء على رشاها . فإننا من خلفها ووراثها، إن قدحنا أورينا، وإن متحنا  
أزويننا، وإن قرحنا أديننا، ولقد سمعت أمانيلك التي لغزت بها عن صدر أكل  
بالجوى، ولو شئت لقلت على مقاتلك ما إن سمعته ندمت على ما قلت . وزعمت أنك  
عدت في كن بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقده، فهو  
وقذك ولم يقذ غرك؟ بل مصابه أعظم وأعم من ذلك، وإن من حق مصابه أن  
لا تصدع شمل الجماعة بفرقة لأعصاب لها، ولا يؤمن كيد الشيطان في بقائها . هذه

(١) أى حليبا وغويا .

العرب حولنا، والله لو تداعث علينا في صُبح نهار لم نلتق في مسانه . وزعمت أن الشوق إلى الخاق به كاي عن الطمع في غيره ! فمن علامة الشوق إليه نصرة دينه ، وموازرة أوليائه ، ومعاوتهم . وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ؛ فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبذل ما يصلحون به ، ويرشدون عليه . وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك وأى حق لظ<sup>(١)</sup> دوتك . قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سراً وجهراً ، وتقلب عليه بطناً وظهراً ، فهل ذكرت أو أشارت بك أو وجدت رضاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم بلسانه إنك تصلح لهذا الأمر ؟ أو أوما بعينه أو هم في نفسه ؟ أظن أن الناس ضلوا من أجلك ، وطاؤوا كفاراً زهداً فيك ، وباعوا الله تحاملاً عليك ؟ . لا والله ! لقد جاءني عقيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه ومعهم شريحيل بن يعقوب الخزرجي وقالوا : إن علينا ينتظر الإمامة ، ويزعم أنه أولى بها من غيره ، ويُنكر على من يعقد اختلافاً ، فأنكرت عليهم ، ورددت القول في نحرهم حيث قالوا : إنه ينتظر الوحي ويتوَكَّف مناجاة الملك . فقلت ذاك أمر طواه الله بعد نبهه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر معقوداً بأنشوطه ، أو مشدوداً بأطراف ليطه ؟ كلا ! والله لا عجماء بحمد الله الا أفصحت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت . ومن أعجب شأنك قولك : ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشفيت غيظي ، وهل ترك الدين لأهله أن يشقوا غيظهم بيد أو بلسان ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شائقتها واقتلع جرثومتها ، وهوى ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان . وزعمت أنك ملجئ ولعمري إن من اتقى الله ، وآثر رضاه ، وطالب ما عنده ، أمسك لسانه وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما وراه .

(١) أظن . أي محمد . ووقع في بعض النسخ لك وفي بعضها ليط وكلاماً تصحيف .

فقال على رضى الله عنه : مهلاً يا أبا حفص والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكته ، ولا أقرت ما أقرت وأنا أبتنى حولا عنه . وإن أخسر الناس صفقة عند الله من أثر الشقاق ، وأحتضن الشقاق وفي الله سلوة عن كل حادث ، وعليه التوكل في جميع الحوادث . ارجع يا أبا حفص إلى مجلسك نافع القلب ، مبرود الغليل ، فسيح اللبان ، فصيح اللسان ؛ فليس وراء ما سمعت وقلت إلا ما يشد الأزر ، ويحيط الوزر ، ويضع الإضر ، ويجمع الألفة بمشيئة الله وحسن توفيقه .

قال أبو عبيدة رضى الله عنه : فأنصرف على وعمر رضى الله عنهما . وهذا أصعب ما مرّ على بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك كلام عائشة رضى الله عنها في الانتصار لأبيها .

يروى أنه بلغ عائشة رضى الله عنها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أظفلة من الناس فلما خضروا ، أسدلت أستارها ، وعلت وسادها . ثم قالت أبى وما أبى ! أبى والله لا تمطوه الأيدي ، ذلك طود منيف ، وفرع مديد ، هيأت كذبت الظنون ، أبيض إذا كدّيت ، وسبق إذا وثّيت « سبق الجواد إذا استولى على الأمد » فقى قريش ناشئا ، وكهفها كهلا ، يفلك عانيها ويريش مليفها ، ويرأب شعبها ، ويلم شعبها حتى حليت قلبها ، ثم استشريت في دين الله فما برحت شكيمته في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائها مسجدا يحيى فيه ما أمات المبطون ؛ وكان رحمه الله غزير الدمعة ، وقيد الجوائح ، شجى النسيج ، فانتفضت إليه نسوان مكة وولداها يسخرون منه ويستمزنون به (الله يستزى بهم ويمدحهم في طغيانهم يعمهون) فأكبرت ذلك رجالاً من قريش لحنت قسيماً وفوقت سهامها وأنكثوه غرضاً ، فاقالوا له صفاة ، ولاصفوا له قناة ، ومرّ على سبائه ، حتى إذا ضرب الدين بجوانه ،

ورسّت أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسلانا وأشتانا ، اختار الله لنيّته ما عنده ؛ فلما قبض الله نبيّه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رُواقه ، ومدّ طنبه ، ونصب جباله ، وأجلب بحبله ورجله ، وأضطرب حبل الإسلام ، ومرّج عهده ومآج أهله ، وبني الغوائل ، وظنّت رجال أن قد أكثبت أطاعهم نهرُها ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصديق بين أظهرهم . فقام حاسرا مشعرا ، بجمع حاشيته ورفع قُطْرِيه ، فردّ رسن الإسلام على غربه ، ولمّ شعثه يطبّه ، وانتاش الدين فنسّسه ، فلما أراح الحق على أهله ، وقرّر الرؤوس على كواهلها ، وحقن الدماء في أهدأ ، آتته منيته ، فسدّ ثلّمته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعلّة . ذاك ابن الخطاب لله دَرَأٌ أتمّ حملت به ودرّت عليه ! لقد أوجدت به ، ففتّخ الكفرة وديّتها ، وشرّد الشرك شدّر مدرّه ، وبسج الأرض وبجمها فقامت أكلها ، ولفظت خباها ، ترأّمه ويصّدف عنها ، وتصدّى له وبأباها . ثم وزّع فيها فيها وودّعها كما صحّ بها . فاروئي ماذا ترتئون وأى يومى أبى تقيمون : أيوم إقامته اذ عدل فيكم أم يوم ظنّعه إذ نظر لکم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئا ؟ قالوا اللهم لا .

ومن ذلك كلام أم الخير : بنت الحريش البارقية يوم صّفين في الانتصار لعلى رضى الله عنه .

يروى أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش البارقية برحها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشرّ شرّا . فلما ورد

(١) في بعض النسخ فردّ نشر الدين على غره ولمّ شعثه بطيه .



عليه كتابه، ركب إليها فأقرأها الكتاب، فقالت أما أنا فغير زائفة عن طاعة ولا معتلة بكذب! ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تخرج في صدرى. فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها يأم الخير: إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه يجازى بقولك في يانخير خيرا وبالشر شرا، فما عندك؟ قالت يا هذا لا يطعمنك ركبى أن أسرك بباطل، ولا تؤنسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق. فسارت خبر مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع حريمه، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع، وعنده جلسائه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال لها وعليك السلام يا أم الخير، وبالرغم منك دعوتى بهذا الاسم. قالت مه يا أمير المؤمنين! فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب عليه ((ولكل أجل كتاب)). قال صدقت. فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت في مسيرك؟ قالت لم أزل في عافية وسلامة حتى صرت إليك فأنا في مجلس أتيق، عند ملك رقيق - قال معاوية بحسن نيتي ظفرت بكم - قالت يا أمير المؤمنين أعيذك بالله من دحض المقال وما تردى عاقبته قال ليس هذا أردنا. أخبرنى كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر؟ قالت لم أكن والله زورته قبل ولا رويته بعد. وإنما كانت كلمات نفثن لسانى حين الصدمة فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت - قال لا أشاء ذلك. ثم التفت إلى أصحابه فقال أيكم يحفظ كلام أم الخير فقال رجل من القوم أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظى سورة الحمد - قال هاته - قال: نعم كأتى بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها برد زبيدى كثيف الحاشية، وهى على جبل أزمك وقد أحيط حولها، ويدها سوط منتشر الظفر، وهى كالफल يهدر فى شقيقته تقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ! إن الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، وتور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يترك في عبياء مُبْهَمَةً ! ولا سوداء مدْهِمَةً فإلى أين تريدون رحمكم الله . أفرارا عن أمير المؤمنين ، أم فرارا من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتدادا عن الحق . أما سمعتم الله عز وجل يقول : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

ثم دفعت رأسها إلى السماء وهي تقول .

قد عيل الصبر ، وضُعف اليقين ، وانتشرت الرغبة ، وبِيدِكَ يارب أُرِيمة القلوب جامع الكلمة على التقوى ، وألَّف القلوب على الهدى ، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل ، والوصي الوفي ، والصدِّيق الأكبر ! إنما إحنٌ بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أُحديّة ، وثب بها معاوية حين الغفلة ليُدرِك بها ثارات بنى عبد شمس .

ثم قالت ﴿ قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ؟ ﴾ . صبرا معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، وكأني بكم غداً قد لقيتم أهل الشام حُكْمُ مستنفرة ، فرث من قسورة . لا تدرى أين يُسَلِّكُ بها من بَهاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى وعمّا قليل يُصَيِّحُ نادمين ، حين تحلّ بهم الندامة فيطلبون الإقالة ! لأنه والله مَنْ ضَلَّ عن الحق وقع في الباطل ، ومن لم يسكن الجنة نزل في النار . أيها الناس إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرقصوها واستبطئوا مدة الآخرة فسعوا لها . والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، لما آخترنا ورود المنايا على خَفَض العيش وطيبه ؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وأبي آبنه ؟ خلق

من طَيْبَتِهِ ، وتفرّج عن نَبْتِهِ ، وخصَّه بِسِرِّهِ ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين . فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعونته ويمضي على سَنَنِ استقامته ؛ لا يعترج لراحة اللذات ؛ وهو مُفَلِّقُ الهام ، ومَكْشَرُ الأصنام إذ صِلَى والناس مشركون ، وأطاع والناس مرتابون . فلم يزل كذلك حتى قتل مُبارِزِي بدر ، وأفنى أهل أحد ، وفَرَّقَ جمع هوازن ؛ فبالها وقائع ! زرعت في قلوب قوم نفاقا ، وريّة وشقاقا ، وقد أجتهدت في القول ، وبالفت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : والله يألم الخير ما أردت بهذا الإقتل ! والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك .

قالت : والله ما يسوعنى يابن هند أن يُجرى الله ذلك على يديّ من يُسعدنى الله بشقاقه . قال هيهات يا كثيرة الفضول ، ماتقولين في عثمان بن عفان ؟ - قالت وما عسيت أن أقول فيه : استخلفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون - فقال ليمها يا أم الخير هذا والله أصلك الذي تبينين عليه - قالت لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت عثمان نقصا ، ولقد كان سبأقا إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة - قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ - قالت وما عسى أن أقول في طلحة أغتيل من مأمنه ، وإني من حيث لم يحتر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة - قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت يا هذا لا تدعنى كرجيع الضبُع يعرك في المِرْكَن - قال حقا لتقولن ذلك وقد عزمتم عليك - قالت وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخواريّة ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سبأقا إلى كلِّ مكرمة في الإسلام . وإنى أسألك بحق الله يا معاوية فإن قریشا تحت أنك من أحلمها أن تسعني بفضل حلمك ،

وأنت تُغفني من هذه المسائل ، وأمض لما شئت من غيرها - قال نعم وكرامة قد أعفيتك ، وردّها مكرمة إلى بلدها .

ونحو ذلك كلام الزرقاء بنت عدى بن قيس الحمدانية يوم صفين أيضا .  
 يروى أنها ذُكرت عند معاوية يوما ، فقال جلسائه أيكم يحفظ كلامها ؟ - قال بعضهم نحن نحفظه يا أمير المؤمنين - قال فأشيروا عليّ في أمرها فأشار بعضهم بقتلها - فقال بنس الرأي أيحسُن بمثل أن يقتل امرأة ؟ . ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقيّة من ذوى سحرٍها وعدّة من فُرسان قومها ، وأن يمهّد لها وطاء لينا ، ويسرّها بستر خَصِيف ، ويوسع لها في الثفّة . فلما دخلت على معاوية ، قال مرحبا بك وأهلا ! قَدِمْتِ خير مقدم قَدِمه وافد ، كيف حالك ؟ - قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة ! - قال كيف كنتِ في مَسِيرِكِ ؟ قالت ربيّة بيتٍ أو طفلًا مُمهّدا - قال بذلك أمرناهم . أتدريين فيم بعثت إليك - قالت وأتّى لى بعلم ما لم أعلم ؟ وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل - قال أَلستِ الزاكية الجمّل الأحرّة ، والواقفة بين الصّفيّين بصفّين تحضّين الناس على القتال ، وتوقدين الحرب ؟ فما حلك على ذلك ؟ - قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس ، ومُبر الدّنب ، ولن يعود ماذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر - قال لها معاوية أمّحفظين كلامك يومئذ ؟ - قالت : لا والله ولقد أنسيته - قال لكنّي أحفظه لله أبوك حين تقولين :

أيها الناس ارجعوا وارجعوا ! إنكم أصبحتم في فتنه غَشَّتكم جلايب الظلم ، وجارث بكم عن قَصْد المحبّة . فيالها فتنه عمياء ، صماء ، بكاء لا تسمع لنا عقها ، ولا تسلس لقائدها . إن المصباح لا يضيء في الشمس ، والكواكب لا تير مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشد أرشدناه ، ومن سالت أخبرناه .

أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ! فصبرا يا معاشر المهاجرين والأَنْصار على الغُصَصْ ؛ فكأن قد اندمل شَعْبُ الشَّتات ، والتأمت كلمة التقوى ، ودَمَعَ الحقُّ باطله ! فلا يجهَلَنَّ أحدٌ فيقول كيف العدل وأنى : ليقضى اللهُ أمراً كان مفعولاً . ألا وإن خِضَابَ النساءِ الحِثَاءِ ، وخِضَابَ الرجالِ الدِّماءِ ! ولهذا اليوم ما بعده ، والصبر خيرٌ في عواقب الأمور . أيها الحرب قُدُّما غيرنا كصبيين ، ولا متشاكسين .

ثم قال لها يازرقاء لقد شَرَّكتُ علياً في كل دم مَفَكه - قالت أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامك ؛ فثلك من بشرٍ بخير وسرٍ جليسه - قال ويسرك ذلك ؟ - قالت : نعم سِررتُ بالخبر فأنى لي بتصديق الفعل ؟ فضحك معاوية وقال : لوفاؤكم له بعد موته أعجبُ عندي من حُبِّكم له في حياته ! اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسي أن لا أسأل أميراً أعنتُ عليه أبداً ، ومثلك من أعطى من غير مسألة ، وجاد من غير طلبة - قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائزٍ وكُسا .

وقرب من ذلك كلام عكرشة بنت الأَطْرَش يوم صَفَّين أيضاً .  
يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لها فسألت عليه بالخلافة ، ثم جلست - فقال لها معاوية : الآن صرتُ عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إذ لا علىّ حق ! - قال ألسيتِ المتقلدة حائل السيف بصَفَّين ؟ وأنت واقفة بين الصفيين تقولين : أيها الناس ! عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . إن الجنة لا يحرز من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ؛ فأتبعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تصرم هُمومها . وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهريين على حقهم ؛ إن معاوية دَلَفَ إليكم بحجم العرب ، لا يَقْفَهُونَ الإيمان ، ولا يدرون ما الحِكمة . دعاهم إلى الباطل فأجابوه ، وأستدعاهم إلى الدنيا فلبَّوه .

فَاللَّهُ اللَّهُ عباد الله في دين الله ! وإياكم والتواكُل فإن ذلك ينقض عُرَى الإسلام ،  
ويطفئ نور الحق . هذه بئر الصغرى ، والعقبة الأخرى ، يامعشر المهاجرين والأنصار  
أمضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم . فكأنني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام  
كالحجر الناهقة تقصع قصع البعر :

ثم قال : فكأنني أراك على عصاك هذه قد أنكفأ عليك العسكران يقولون هذه  
عكرشة بنت الأطرش فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله وكان أمر الله قدرا  
مقتدورا ، فما حملك على ذلك ؟ - قالت يا أمير المؤمنين يقول الله جل ذكره ﴿ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ الآية ، وإن اللبيب إذا ذكره  
أمرا لا يجب إعادته - قال صدقت فاذكري حاجتك - قالت كانت صدقاتنا تؤخذ  
من أغنيائنا فترد على فقرائنا وقد فقدنا ذلك ، فما يُجبر لنا كسيرا ، ولا يُنمَس لنا فقيرا .  
فإن كان عن رأيك فتلك من أنتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير  
رأيك فما مثلك من استعان بالحنونة ولا استعمل الظلمة - قال معاوية : يا هذه ،  
إنه ينبؤنا من أمور رعيننا نغور نتفتق ، وبحُور نتدفق . - قالت سبحان الله ! والله  
ما فرض الله لنا حقا بفعل فيه ضررا لغيرنا وهو علام الغيوب - قال معاوية هيات  
يا أهل العراق تبهمكم على فلان تطاقوا . ثم أمر برده صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

والشاهد في هذه الحكايات كلام هؤلاء النسوة مع ما فيها : من المراجعات ،  
والمخاطبات ، والمقاولات ، والمحاورات ، الصالحة للاستشهاد للفصل المتقدم قبل  
ذلك . وهذا باب متسع لا يسع استيفاءه ، ولا يمكن استيعابه وفيما ذكرنا مفتح .

ومن ذلك ما روى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! أرسل إلى معاوية  
بالشام كتابا صحبة صمصعة بن صوحان ، فسار به حتى أتى دمشق ، فأتى باب معاوية  
فقال لأذنه : آستأذن لرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وبالباب جماعة

من بنى أمية، فأخذته النعال والأيدى لقوله : "أمير المؤمنين"، وكثرت عليه  
الجلبة، فأتصل ذلك بمعوية فأذن له، فدخل عليه، فقال السلام عليك يا بن  
أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين - فقال معاوية أما إنه لو كانت الرسل تُقتل  
في جاهلية أو إسلام، لقتلتك، ثم اعترضه معاوية في الكلام، وأراد أن يستخبره ليعرف  
طبعاً أم تكلفاً - فقال له ممن الرجل - قال من زيار - قال وما كان زيار قال كان  
إذا غزا انكش، وإذا لقي اقترش، وإذا أنصرف اقترش. قال فمن أى أولاده أنت؟ -  
قال من ربيعة - قال وما كان ربيعة؟ - قال : كان يطيل النجاد، ويعول العباد،  
ويضرب ببقاع الأرض العباد - قال : فمن أى أولاده أنت؟ - قال من جديلة -  
قال وما كان جديلة؟ - قال كان في الحرب سيفاً قاطعاً، وفي المكرّمات غيثاً نافعاً،  
وفي اللقاء هباً ساطعاً - قال فمن أى أولاده أنت؟ - قال : من عبد القيس - قال  
وما كان عبد القيس؟ - قال كان حسناً أبيض وهاجاً، يقيم لضيفه ما وجد،  
ولا يسأل عما فقد، كثير المرق، طيب العرق، يقوم للناس مقام الغيث من العمام -  
قال ويحك يا بن صُوحان! فارتكت لهذا الحى من قريش مجداً ولا فخراً، - قال بلى  
والله يا بن أبي سفيان! تركت لهم ما لا يصلح إلا لهم، تركت لهم الأحمر والأبيض  
والأصفر، والسريّر والمنبر، والملك إلى المحشر، ففرح معاوية وظن أن كلامه  
يشتمل على قريش كلها، قال صدقت يا بن صُوحان إن ذلك لكذلك ففرف صمصة  
ما أراد، فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد. بعدتم عن أنف  
المرعى، وعلوتم عن عذب الماء - قال ولم ذلك ويحك يا بن صُوحان! فقال الويل  
لأهل النار، ذلك لبنى هاشم - قال قم فأخرجوه - فقال : صمصة الوعد بنفى

(١) أى جنة - الأصمى انكش في أمره وانشر رجة بمعنى واحد - وقوله اقترش أى صرع - يقال لى فلان  
فلانا فاقترشه إذا صرعه وهو مناسب هنا - وقوله اقترش أى كسب أو صاد -

وبينك لا الوعيد مَنْ أراد المناجزة يَقْبَلُ <sup>(١)</sup> المناجزة - فقال معاوية لشيءٍ مما سؤده قومه  
وَوَدِدْتُ أَنِّي مِنْ صُلْبِهِ ؛ ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةِ فَقَالَ : هَكَذَا فَلْتَكُنَّ الرِّجَالُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ  
وَابْنُهُ يُزَيْدُ إِلَى جَانِبِهِ فَقَالَ لَهُ : ائْتَمَّكَ أَبِي ، وَأَصْلَحَتْكَ حَتَّى بَلَغْتَكَ بِأَصْطِنَاعِهِ لِيَاكَ  
الْمَدَى الَّذِي لَا يَجَارِي ، وَالْغَايَةَ الَّتِي لَا تُسَامَى ؛ فَمَا جَازَيْتَ أَبِي بِآلَائِهِ حَتَّى قَدِمْتَ  
هَذَا عَلَيَّ ؛ وَجَعَلْتَ لَهُ الْأَمْرَ دُونِي . ” وَأَوْمَأَ إِلَى يُزَيْدٍ ” وَاللَّهُ لِلْأَبِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّي  
خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ وَلَا نَا خَيْرَ مِنْهُ ! - فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ . أَمَّا مَا ذَكَرْتَ يَا بَنَ أُنْثَى مِنْ تَوَاتُرِ  
الْأَلَمِّ عَلَيْكَ ، وَتَقَاطُرِ نَعْمَاتِكَ لَدَيْ ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَجِبَ عَلَى الْمَكَافَاةِ وَالْمُجَازَاةِ ،  
وَكَانَ مِنْ شُكْرِي لِيَاكُ أَنْ طَلَبْتُ بِدَمِهِ حَتَّى كَابَدْتَ أَهْوَالَ الْبَلَاءِ ، وَغَشِيَتْ عَسَاكِرُ  
الْمَنَآيَا إِلَى أَنْ شَفِيتَ حَرَازَاتِ الصُّدُورِ وَتَجَلَّتْ تِلْكَ الْأُمُورُ . وَلَسْتُ لِنَفْسِي بِالْإِلَاحِ  
فِي التَّشْمِيرِ ، وَلَا الزَّارِي عَلَيْهَا فِي التَّقْصِيرِ .

وَذَكَرْتُ أَنَّ أَبَاكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي هَذَا ” وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يُزَيْدٍ ” فَصَدَقْتَ  
لَعَنَ اللَّهُ لَعْنَانِ خَيْرٍ مِنْ مُعَاوِيَةَ ! أَكْرَمَ كَرِيماً ، وَأَفْضَلَ قَدِيمَا ، وَأَقْرَبُ إِلَى عَمَدِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِمَا . وَذَكَرْتُ أَنَّ أَمَّاكَ خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ فَلَعَمْرِي إِنَّ أَمْرَأَةً مِنْ  
قُرَيْشٍ خَيْرٌ مِنْ أَمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كَلْبٍ . وَذَكَرْتُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ يُزَيْدٍ فَوَاللَّهِ يَا بَنَ أُنْثَى  
مَا يَسُرُّنِي أَنْ الْقَوَاطِلُ عَلَيْهَا رِجَالٌ مِثْلُ يُزَيْدٍ . فَقَالَ لَهُ يُزَيْدٌ ” مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !  
أَبْنُ أَخِيكَ اسْتَعْمَلَ الدَّالَّةَ عَلَيْكَ ، وَاسْتَعْتَبَكَ لِنَفْسِهِ ، وَاسْتَرَادَ مِنْكَ فَرْدَهُ وَأَجْمَلَ لَهُ  
فِي رَدِّكَ ، وَأَحْمَلَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَوَلَّهُ حُرَاسَانَ بِشِفَاعَتِي وَأَعْنَهُ بِمَا لِي يَظْهَرُ بِهِ مَوْرُوثُهُ ”  
فَوَلَّاهُ مُعَاوِيَةَ حُرَاسَانَ ، وَأَجَازَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ أَعْجَبَ مَا ظَهَرَ  
مِنْ حِلْمِ يُزَيْدٍ .

(١) الذي في المثل من أراد المناجزة قبل المناجزة - ولعل ما هنا تصحيف ان لم يكن من تصرف المثنى



ومن ذلك ما يروى أن زيد بن منه قدم على معاوية فشكا إليه ديناً لزمه فأعطاه ستين ألف درهم، وكان عتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة عليّ أخى زيد بن منه، وهو يومئذ عامل بمصر - فقال له معاوية : الحق بصرك "يعنى عتبة" فقدم عليه مصر فقال : "إني سرت إليك شهرين أخوض فيهما المتألف : ألبس أردية الليل مرة وأخوض في بلج السراب أخرى، مؤقراً من حسن الظن بك، وهاربا من دهر قَليم، ودَيْنٍ أَرِمْ، بعد غنى جَدَعْنَا به أنوفَ الحاسدين، فلم أجداً إلا إليك مهراً وعليك معولاً - فقال عتبة : مرحباً بك وأهلاً! إن الدهر أعاركم غنى وخذلكم بنا ثم استرد وأخذ ما أمكنه أخذه، وقد أبقى لكم منا مالا ضيقة معه وأتارفع إليك يدى يدا الله" فأعطاه ستين ألفاً كما أعطاه معاوية .

ومن ذلك ما يمكن أن عبد العزى بن زُرارة وفد على معاوية وهو سيد أهل الوبر، فلما أذن له وقف بين يديه وقال يا أمير المؤمنين لم أزل أهرُ ذنائب الرجاء إليك، ولم أجِد معولاً إلا عليك، أَمَطَ الليل بعد النهار، وأَسِمُ الجاهل بالآثار، يقودنى إليك أمل، ويسوقنى إليك بلوى، والمجتهد يُعَدَّر، وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية فأحططُ عن راحلتك رَحَلَهَا .

ونخرج عبد العزى هذا مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة وأبوه زُرارة عند معاوية فهلك هناك . فكتب يزيد إلى أبيه معاوية بذلك - فقال معاوية لزُرارة : أتانى اليوم نعى سيد شباب العرب - قال زُرارة يا أمير المؤمنين هو ابنى أو ابنك؟ - قال بل ابنك فقال "للوت ما تلد الوالدة" . أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وَلِلْمَوْتِ تَغْنُو الْوَالِدَاتُ بِمَخَالِهَا \* كَمَا لِحَرَابِ الدَّهْرِ تَغْنُو الْمَسَاكِينُ

ومن ذلك ما يروى، أن مروان بن الحكم، وهو والى على المدينة في خلافة معاوية حبس غلاماً من بني ليث في جناية جناها بالمدينة، فأنته جنة الغلام "وهى أم

سِنَانٍ بِنْتُ جَشْمِيَّةَ بْنِ خُرَيْشَةَ الْمَذْحِجِيَّةِ ، فَكَلَّمَتْهُ فِي الْغَلَامِ ، فَأَغْلَظَ لَهَا مِرْوَانَ ، فَفَرَجَتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَأَنْتَسِبَتْ لَهُ فَعَرَفَهَا ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِابْنَةِ جَشْمِيَّةَ مَا أَقْدَمَكَ أَرْضَنَا ؟ وَقَدْ عَهْدُتُكَ نَسْتُمِينَا ، وَنُحَضِّبُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا ، قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنْ لَبِئْتُ عَبْدَ مَنْأَفٍ أَخْلَاقًا طَاهِرَةً ، وَأَعْلَامًا ظَاهِرَةً ، لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ ، وَلَا يَسْفَهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ ، وَلَا يَسْتُمُونَ بَعْدَ عَفْوٍ ، وَإِنْ أَوَّلَى النَّاسِ بِاتِّبَاعِ مَا سَنَّ آبَاؤُهُ لَأَنْتَ ، قَالَ : «صَدَقْتَ نَحْنُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ قَوْلُكَ :

عَزَبَ الرِّقَادُ فُفْقَلْتِي لَا تَرْقُدُ \* وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ  
بِالْآلِ مَذْحِجَ لَا مُقَامَ فَشَمِّرُوا \* إِنْ الْعَدُوُّ لَأَلٍ مَذْحِجَ يَقْصِدُ  
هَذَا عَلِيٌّ كَالْهَلَالِ تَحْفُهُ \* وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ  
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ \* إِنْ يَهْدِيَهُمُ النُّورُ مِنْهُ هَتَدُوا  
مَا زَالَ مُدَّ شِهَادِ الْحُرُوبِ مَقْفَرًا \* وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ»

قَالَتْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا خَلْفًا بَعْدَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَهِيَ الْفَائِلَةُ :

إِنَّمَا هَلَكْتَ يَا الْحُسَيْنَ فَلَمْ تَزَلْ \* بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا  
فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ \* فَوْقَ الْخُصُونِ حَمَامَةٌ مُقْرِيًا  
قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا لَنَا \* أَوْصَى إِلَيْكَ بَنَا وَكُنْتَ وَفِيًا  
وَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ يُؤْمَلُ بَعْدَهُ \* هِيَئَاتِ نَأْمَلُ بَعْدَهُ إِنْ سَيَا

قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : لَسَانُ نَطَقَ ، وَقَوْلٌ صَدَقَ ، وَلَيْثُنَ تَحَقَّقَ فِيكَ مَا ظَنَّنَاهُ ، فَظَلُّكَ الْأَوْفَرُ ، وَاللَّهُ مَا أَوْرَثَكَ الشَّيْئَانَ ، فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَؤُلَاءَ ، فَأَذْهَبَ

مَقَاتِلَهُمْ ، وَأَبْعَدَ مَنَازِلَهُمْ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَطَلْتَ ذَلِكَ تَزِدُّهُ مِنْ اللَّهِ قُرْبًا ، وَمِنْ الْمُسْلِمِينَ حُبًّا . قَالَ وَإِنَّكَ لَتَقُولِينَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ مِنْ مُدِّحٍ بِيَاطِلٍ ، وَلَا أَعْتَدُ إِلَيْهِ بِكَذِبٍ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا ، وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا . كَانَ عَلَى اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ ، وَأَنْتِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِكَ . قَالَ مِمَّنْ ؟ قَالَتْ مِنْ مِرْوَانَ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ . قَالَ وَبِمِ اسْتَحَقَّقْتَ ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟ - قَالَتْ بِسَبْعَةِ حَامِلِكِ ، وَكَرِيمِ عَقْلِكَ - قَالَ وَإِنْهُمَا يَطْمَعَانِ فِي ذَلِكَ - قَالَتْ هُمَا وَاللَّهِ مِنَ الرَّأْيِ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - قَالَ لَقَدْ قَارَبْتَ فَمَا حَاجَتُكَ ؟ - قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنْ مِرْوَانَ تَبَنَّى فِي الْمَدِينَةِ تَبَنَّىكَ مِنْ لَا يَرِيدُ مِنْهَا الْبَرَّاحَ ، لَا يَحْكُمُ بَعْدَهُ ، وَلَا يَقْضِي بَسْئَةً ؛ يَتَّبِعُ عَوْرَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَبَسَ ابْنَ أَبِي فَاتِيحَةَ فَقَالَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَأَمْسَمَتْهُ أَخْشَنَ مِنَ الْحِجْرِ ، وَأَلْقَمَتْهُ أَمْرَةً مِنَ الصَّبْرِ ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى نَفْسِهَا بِالْأَلَمَةِ ، وَقُلْتُ لِمَ لَا أَصْرِفُ ذَلِكَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالْعَفْوِ مِنْهُ ؛ فَأَتَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَتَكُونَ فِي أَمْرِي نَظِيرًا ، وَعَلَيْهِ مُعْدِيَا - قَالَ صَدَقْتَ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ ذَنْبِهِ ، وَالْقِيَامُ بِحُجَّتِهِ ، أَكْتَبُوا لَهَا بِإِطْلَاقِهِ - قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَتَى بِالرَّجْعَةِ وَقَدْ نَفَذَ زَادِي ، وَكَلَّتْ رَاغِلَتِي ، فَأَمَرَ لَهَا بِرَاغِلَةٍ مُوْطَأَةٍ وَنَحْمَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ خَجَّ فَسَالَ عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كَثَّانَةَ كَانَتْ تَنْزِلُ الْمُجُحُونَ يُقَالُ لَهَا الدَّارِمِيَّةُ ، وَكَانَتْ سُودَاءَ كَثِيرَةِ الْعِلْمِ ، فَأَخْبَرَ بِسَلَامَتِهَا بِخِيءِهَا ، فَقَالَ مَا حَالُكِ يَا ابْنَةَ حَارِمٍ ؟ - قَالَتْ لَسْتُ لِحَارِمٍ أَدْعَى ، إِنْ عَيَّنْتِي أَنَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي كَثَّانَةَ - قَالَ : صَدَقْتَ أَتَدْرِينَ لِمَ أُرْسِلَتْ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ - قَالَ : بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عِلَامَ أَحَبِّتِ عَلَيَا وَأَبْغَضْتِنِي ، وَوَالَيْتِيهِ وَعَادَتَيْنِي ؟ - قَالَتْ أَوْ تُغْفِرْنِي

يا أمير المؤمنين - قال لا أعفك - قالت أما إذ آيت ، فإنى أحببت عليا على عدله  
 في الرعية ، وقسمه بالسوية ؛ وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك ، وطلبك  
 ما ليس لك بحق ؛ وواليت عليا على ما عقد له من الولاية ، وعلى حبه المساكين ،  
 وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك  
 بالهوى - قال ولذلك آتنتخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك - قالت ياهذا بهند  
 كانت تضرب الأمثال ، لاي - قال ياهذه أربعي - فإنما لم تقل الا خبرا إنه اذا انتفخ  
 بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن  
 مجلسها فرجعت وسكنت - قال لها فهل رأيت عليا ؟ قالت لقد كنت رأيته -  
 قال كيف كنت رأيته ، قالت رأيته لم يفتنه المُلْك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة  
 التي شغلتك - قال لها : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم ، والله كان يحلو القلوب من  
 المعى ، كما يحلو الزيت الطلس من الصدا - قال : صدقت فهل لك من حاجة ؟  
 قالت : وفعل اذا سألتك ؟ - قال نعم - قالت : تعطيني مائة ناقة حراء فيها خلها وراعيا -  
 قال تصنعين بها ماذا ؟ - قالت أغدئ بالبانها الصغار ، وأستحي بها الكبار ، وأصلح  
 بها بين العشائر - قال فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي ؟ - قالت ماء  
 ولا كصدا ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفقى ولا كالك ، ياسبحان الله أودونه ، فأنشأ  
 معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم مني إليكم \* فمن ذا الذي بعدى يومئذٍ للحلم ؟

خذيها هينئا وأذكرى فعل ماجد \* جزاك على حرب العداوة بالسلم .

ثم قال : أما والله ! لو كان عليا ما أعطاك منها شيئا - قالت والله ولا وبرة واحدة  
 من مال المسلمين .

ومن ذلك ما يروى أن أم البراء بنت صفوان استأذنت علي معاوية فأذن لها  
فدخلت عليه، وعليها ثلاثة دروع برود تسحبها ذراعا، قد لاثت علي رأسها كورا  
كالمنسف فسلمت وجلست؛ فقال لها معاوية كيف أنت يا ابنة صفوان؟ - قالت  
بخير يا أمير المؤمنين - قال كيف حالك؟ - قالت كسلت بعد نشاط - قال شتان بينك  
اليوم وحين تقولين :

بَارِئِدٌ دُونَكَ صَارِمًا ذَا رَوْنَقٍ \* عَضِبَ الْمَهْزَةِ لَيْسَ بِالْخَوَارِ  
أَسْرَجَ جَوَادِكَ مُنِيرًا وَمُسْمَرًا \* لِلْخَوْبِ غَيْرَ مَعُودٍ لِفِرَارِ  
أَجِبِ الْإِمَامَ وَدُبَّ تَحْتِ لَوَائِهِ \* وَالْقِ الْعَدُوَّ بِصَارِمٍ بَتَّارِ  
يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ لَسْتُ قَبِيْدَةً \* فَأَذْبَ عَنْهُ عَسَاكِرَ الْفُجَّارِ

قالت قد كان ذلك، ومثلك من عفا عما سلف ((وَمَنْ عَادَ فَيَنْتِمْ إِلَهُ مِنْهُ)) . قال  
هيئات، أما والله لو عاد لعدت، ولكنه اختُرم منك - قالت أجل! والله إني لعلي  
بينة من ربي وهدي من أمري - قال كيف كان قولك حين قتل؟ - قالت أنسيته؛  
قال بعض جلسائه هو والله حين تقول :

يَا لَرِّجَالٍ لِعُظْمِ هَوْلِ مُصِيبَةٍ \* فَدَحَتْ فَلَيْسَ مُصَابَهَا بِالْحَائِلِ  
الشَّمْسُ كَأَسْفَةٍ لَقَدْ إِمَامَنَا \* خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَالْإِمَامِ الْعَادِلِ  
حَاشَى النَّبِيِّ لَقَدْ هَدَدْتُ قَوَاءَنَا \* فَالْحَقُّ أَصْبَحَ خَاضِعًا لِلْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>

فقال معاوية : فأتلك الله فما تركت مقالا لقائل، أذكركي حاجتك - قالت  
أما الآن فلا، وقامت فعدت، فقالت تيس شاني علي! فقال زعمت أن لا؛  
قالت هو كما علمت؛ فلما كان من الغد بعث إليها بجائزة، وقال إذا ضيعت الحلم  
فمن يحفظه؟

(١) جمع القزة قري مقصور وأما مد للضرورة .

ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدى بن أرطاة : أن أجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فولّ القضاء أنفذهما ، فجعل بينهما ، وكانا غير راغبين في القضاء . فقال إياس : أيها الرجل سلّ عني وعن القاسم فقهيّ مصر الحسن وأبن سيرين ، وكان القاسم يأتي الحسن وأبن سيرين ، وإياس لا يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألها عنه أشارا به ، فقال له : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء ، فإن كنت كاذبا فما أشير عليك أن توليني وأنا كاذب ، وإن كنت صادقا فينبني لك أن تقبل قولي - قال له إياس إنك جئت برجل فوقفت به على شفير جهنم فتجّى نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها ويخو مما كان - قال له عدى : أما إذ فهمتها فأنت لها فاستقضاه ،

ومن ذلك : ما حكاه صاحب العقد عن زياد عن مالك بن أنس ، قال "خطب أبو جعفر المنصور، حمد الله، وأثنى عليه؛ ثم قال: أيها الناس اتقوا الله، فقام إليه رجل من عرّض الناس، فقال أذكرك الذي ذكرتنا به . فأجابه أبو جعفر بلا فكر ولا روية : سمعنا سمعنا لمن ذكر بالله ، وأعوذ بالله أن أذكرك به وأنساه فتأخذني العزة بالاسم ؟ لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين؛ وأما أنت فوالله ما الله أردت بهذا ، ولكن ليقال قام فقال ، فحُوب فصبر ، وأهون بها لو كانت ؛ وأنا أنذركم أيها الناس أختها ، فإن الموعظة علينا نزلت ، وفيها انبثت . ثم رجع إلى مكانه من الخطبة .

ومن ذلك : ما يحكى عن الربيع قال : كنا وقفا على رأس المنصور ، وقد طُرحت للهدى بن المنصور وسادة إذ أقبل صالح بن المنصور ، وكان قد رتّحه أن يولّيه بعض أمره ، فقام بين السّماطين والناس على قدر أنسابهم ومواضعهم ، فتكلم فأجاد ، ثم

المنصور يده إليه، ثم قال يابني! وأعتقه، ونظر في وجه أصحابه هل فيهم أحد يذكر مقامه ويصف فضله، فكلهم كره ذلك وهاب المهدي، فقام شبة بن عقال التيمي، فقال: "لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين! ما أفصح لسانه! وأحسن بياناً! وأمضى جناته! وأبل ريقه! وأسهل طريقه! وكيف لا يكون كذلك وأمر المؤمنين أبوه، والمهدي أخوه، وهو كما قال زهير بن أبي سلمى:

يَطْلُبُ شَاوَأْمَرًا يَنْقَدِمًا حَسَنًا \* بَدَأَ الْمُلُوكَ وَبَنَّا هَذِهِ السُّوْقَا  
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوَاهِمَا \* عَلَى تَكَالُفِهِ فَتَلَهُ لِحَقَا  
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ \* فَتَلَّ مَاقِدْمًا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

قال الربيع: فأقبل على بعض من حضر، وقال والله ما رأيت مثل هذا تخلصاً (١) أرضى أمير المؤمنين، ومدح الغلام، وسلم من المهدي. فالتفت إلى المنصور، وقال: يا ربيع لا ينصرف التيمي إلا بثلاثين ألف درهم.

ومن ذلك ما حكى أن رجلاً دخل على المهدي ولّى عهد المنصور، فقال يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين المنصور شتمني وقذف أمي، فأما أمرتني أن أحلله، وإما عوضتني فأستغفرت له - قال ولم شتمك؟ - قال شتمت عدوه بحضرته، فغضب - فقال ومن عدوه الذي غضب لشتمه - قال إبراهيم بن عبد الله بن حسن - قال إن إبراهيم أمس به رجلاً، وأوجب عليه حقاً، فإن كان شتمك كما زعمت فعن رجحه ذب، وعن عرضه دفع، وما أساء من أنتصر لأبن عمه - قال فإنه كان عدوه - قال فلم ينتصر للعداوة، إنما أنتصر للرحم، فأُسكِت الرجل، فلما ذهب ليولي قال: لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعةً عندك أبلغ من هذه الدعوى؟ - قال نعم، فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم.

ومن ذلك ما حكى : أن المنصور قال لبعض قواده : صدق الذى قال <sup>(١)</sup> «أَجْعَلْكَ يَبْعَكَ» فقال له أبو العباس الطومى : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يلوح له غيرك رغيفا فيتبعه ويدّلك .

ومن ذلك ما يحكى : أنه وفد أهل الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفيهم محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوى ، وكان أعظمهم قدرا ، وأكبرهم سنا ؛ فقال - أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك ، وأقلت وأكثرت وأطنبت ، وما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى مُطنبهم فضلك ؛ وإن أذنت في القول قلت - قال قُلْ وأوجز - قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالقوى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ! إن لى حوائج أفادكرها ، قال هاتها - قال كبرت سنّى ، ودقّ عظمى ، ونال الدهر منى ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ، وينفى قفرى - قال : وما الذى ينفى فقرك ويجبر كسرك ؟ - قال ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار . فأطرق هشام طويلا ، ثم قال : هيئات يابن أبي الجهم ، بيت المال لا يحتمل مأسالت - فقال : أما إن الأمر لواحد ، ولكن الله أكرمك لمجلسك فإن تعطنا فحقنا أدبت ، وإن تمنعنا نسال الذى بيده ماحويت ؛ إن الله جعل الغطاء محبة ، والمنع مبغضة ، ولأن أحب<sup>(١)</sup> إليك أحب<sup>(١)</sup> إلى من أن أنقضك - قال : فألف دينار لما ذا ؟ - قال أقضى بها دينا قد حُمّ قضاؤه ، وحناني حمله ، وأضربي أهله - قال : فلا بأس تنفس كربة ، وتؤدّى أمانة ؛ وألف دينار لما ذا ؟ - قال أزوّج بها من يلع من ولدى - قال : نعم المسلك سلكت ، أغضضت بصرا ، وأعققت ذكرا ، ورؤجت نسلا ؛ وألف دينار لما ذا ؟ - قال

(١) فى الاصل . ولئن وهو خطأ فى الرسم .



أشترى بها أرضاً يعيش بها ولدى ، وأستمعين بفضلها على نواثب دهرى ، وتكون  
 دُخْرًا لمن بعدى ؛ قال : فإننا قد أمرنا لك بما سألت - قال فالمحمودُ الله على ذلك ،  
 ونخرج - فقال هشام : ما رأيت رجلاً أوجز في مقال ، ولا أبلغ في بيان منه ، وإنما لتعرف  
 الحق إذا نزل ، ونكره الاسراف والبخل ، وما نُعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقسيراً ، وما  
 نحن إلا خُرَّان الله في بلاده ، وأماؤه على عباده ، فإن أذن أعطينا ، وإذا منع أيننا ،  
 ولو كان كل قائل يصدق ، وكل سائل يستحق ، ما جئنا قائلًا ، ولا ردّدنا سائلًا ؛  
 فنسأل الذى بيده ما استحققنا أن يُجرىه على أيدينا فإنه يسقط الرزق لمن يشاء  
 ويُقدر ، إنّه كان يعباده خيرًا بصيرا . فقالوا يا أمير المؤمنين لقد تكلمت فابلسنا ،  
 وما بلغ في كلامه ما قصصت ، فقال إنه مبتدى ، وليس المبتدى كالمفتدى .

والحكايات والأخبار في ذلك كثيرة ، والإطنا ب يُخرج عن المقصود ، ويُؤدى  
 إلى الملل ، وفيما ذكرنا من ذلك مقتنع ، والله أعلم .

### المقصود الثالث

( فى كيفية تصريف الكاتب فى مثل هذه المكاتبات والرسائل )

غير خاف على من تعاطى صناعة النثر والنظم أنه لا يستقل أحد باستخراج جميع  
 المعانى بنفسه ، ولا يستغنى عن النظر فى كلام من تقدمه : لاقتباس ما فيه من المعانى  
 الرائقة ، والألفاظ الفاتحة ، مع معرفة ترتيب أهل كل زمن وأصطلحهم ، فينسج  
 على منوالهم ، أو يقترح طريقة تحالفهم ؛ وتوارد الكتاب والشعراء على المعانى غير  
 مجهول ، فإن التوارد يقع فى الشعر الذى هو مبنى على أصل واحد من وزن وقافية ،  
 فإنه إذا وقف على المعنى وترتيب الكلام ، عرف كيف ينسج الكلام ، مثل أن

يكتب في تهته بمولود: قد جعلك الله من نعمة طابث مغارسها، ورحمت عروقها، فالزيادة فيها زيادة في جوهر الكرم، وذخيرة نفيسة لذوى الإقبال، فتولى الله نعمه عندك بالحراسة الوافية، والولاية الكافية. وقد بلغني الخبر بمحدث الولد المبارك، والقرع الطيب، الذى عمر أفنية السيادة، وأضحك مطلع السعادة، فتباشرت بذلك وأبتهجت به، بفعله الله براً تقياً، سعيداً حميداً، يتقيل سلفه، ويقتفى أثرهم؛ وأيمن به عندك، وكثر به ذريتك، وأوزمك الشكر عليه، وأجارك فيه من التكل برحمته.

فياخذ آخر المعنى، ويورده بالفاظ أخرى، فيقول: قد جعلك الله من شجرة زكت غصونها، وفرع شرفت متابته، فالتوى فيها نعمة كاملة السعادة، وغبطة شاملة المرور، فتولى الله فضله عليك بالحفاظ الراعى، والدفاع الكاظم؛ وقد اتصل بى خبر السليل الرضى، والولد الصالح الذى جدد فوائد السيادة، وثبت أساس الرفعة، فاعتبطت به وأستبشرت، جعله الله تعالى ولداً ميموناً، ونجلاً سعيداً، يسلك مناهج سلفه، ويحذو فى المحاسن حذوهم، وزاد به فى ثروتك، وأراك فيه غاية أملك، وسرتك بوجوده، وأسعدك برؤيته.

فاللعنى والفصل واحد، والألفاظ مختلفة. وكذلك مايمجرى هذا المجرى وما فى معناه.

قلت: ولا ينهض بمثل ذلك إلا من رتخت فى صنعة الكتابة قدمه، وأمتزج بأجزاء الفصاحة والبلاغة لجه ودمه؛ وهذا المنهج هو أحد أنواع الإعجاز فى القرآن الكريم، فإن القصة الواحدة تكرر فيه مراراً فى سور متعددة، ترد فى كل سورة بلفظ وتركيب غير الذى وردت به فى الأخرى، مع استيفاء حد البلاغة ونهاية أمد الفصاحة؛ ولذلك قل من سلك هذا المنهج، أو ارتقى هذه الذروة، وقد أنى على بن

حمزة بن طلحة في كتابه "الاقتداء بالأفاضل" من ذلك بالعجب العجيب، فإنه قد استحسّن كلام الخطيب ابن نباتة الفارقي، والأمير قابوس الخراساني، والوزير أبي القاسم المقرئ، والصاحب ابن عباد، وأبي إسحاق الصابي، الذين هم رؤساء الكتابة، وأئمة الخطابة، من الرسائل والمعهود البديعة، والخطب الموجزة الرائقة، بفرد معانيها من ألفاظها، وأخترع لها ألفاظا غير ألفاظها، مع زيادة تنميق، ومراعاة ترصيف، على أتم نظام، وأحسن التتام.

وهاتان نسختا كتابين، الأولى منهما كتب بها أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة ابن بويه جوابا عن كتاب وصل إليه عن أخيه عضد الدولة يخبره بمولود ولده .  
والثانية عارض بها علي بن حمزة المذكور أبا إسحاق الصابي في ذلك بالفاظ أخرى مع اتحاد المعنى .

فأما التي كتب بها أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة إلى عضد الدولة فهي :

"وصل كتاب سيدي الأمير عضد الدولة أطال الله بقاءه بالخبر السار للأولياء،  
الكاتب للأعداء، في الولد الحبيب الأثير، والسيد المقيّل الخطير، الذي زاد الله به  
في عددنا، وجدد نعمه عندنا، وحقق فيه آمالنا وآمال لنا، فأخذ ذلك مني مأخذ  
الاعتباط ونزل عندي أعلى منازل الأتباع، وسألت الله تعالى أن يختصه بالبقاء الطويل،  
والعمر المديد، وأن يجعل مواهبه لسيدى الأمير نامية بنموه، ناشية بنشوّه : ليكون  
كل يوم من أيامه مُجِداً له من فضله عاده، وواعداً له من غده بزياده، ومُجِداً لديه  
منحة تتضاعف إلى ماسبق من أمثاله، ومجّداً له عازمة تتلو ماسلف من أشكاله،  
وأن يريه إياه غزوة في وجه دولته، ووارثاً بعد سالفه البقاء لمترته، قائماً لللك قيامه،  
وساداً منه مكانه، ويهب له بعد الأكابر النجباء السابقين، أتراباً من الإخوة لاحقين،

تابع منهم من مباراة المتبوع، وشافع من مجارة المشفوع، في فائدة تقدم بتقديمه، وعائدة ترد بمورده؛ ويمرس هذه السعادة من خلل يعترض اتصالها، وأفترة تختزم زعائها، أوزائبة تشوبها، أوتغصها، أوزيزية تتلها، أوتقصها، إلا أنها الأمد الأبعد والعمر الأطول؛ ثم تُقضى به غصارة هذه الدار الدنيا، إلى قرارة الدار الأخرى، مبرأ أوفى مراتبها، مبلغاً أقصى مبالغها، حالاً أرفع درجاتها، غنصاً بأعيمها، متهجاً بها، مستثمراً ماقدمه لصالح سعيه، ومستوفياً ما أفاءه عليه متجّره الرابح، وآثاره البادية لا نفاقه في أيام نظري التي استشعرت نورا من سنائه، وأنست جلالاً من بهائه، وثابتت مصالحها ببركته، وتوافت خيراتها بيمينه؛ واعتقدت أن السعادات طالعة على بطلعه، وأسبابها ناجحة إلى بمنجحه؛ فلواستطعت أن أكون مكان كتابي هذا مشافها بالتهنئة لسيدى الأمير عضد الدولة أطال الله بقاءه ومقبلاً لبساطه، لكنت أولى عبيده بالمسارعة إلى بابه، وأحقهم بالمبادرة إلى فنائه: لأخني معوق عن تلك الخدمة بخدمة أنافيا من قبله، ومقيم بهذه الحضرة، إقامة المتصرفين تحت أمره، وقد وفيت نعمة الله تعالى، الواهب منه أيده الله تعالى مايقصرين الولي، ويقضى عين العدو ويطرفها، حقها من الشكر الممتري للقام والمزيد، بدوام العز والتأييد؛ وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك مقبولا عنه، ونافعاً له، وعائداً عليه، وعلينا بطول العمر وببهاى النشوء والنماء، وأن يعترف سيدى الأمير عضد الدولة أيده الله بركة مولده، ويؤمن مورده، ويبيقيه حتى يراه والأمراء السابقين أيدهم الله تعالى آباء أمثالهم، وأشيخ ذريتهم، مبلغاً في كل منهم أفضل ما رتخته له أمانيه، وأعلى ما أنبسطت آماله فيه، بقدرته.

وأنا أتوقع الكتاب بما يقرر عليه اسم الأمير السيد وكنيته، أعلاها الله تعالى لأستأنف إقامة الرسم في مكاتبته، وتأدية الفرض في خدمته؛ وسيدى عضد الدولة،

(١) لله الى إتيانها، كما يفيد السياق . (٢) كذا في الأصول ويحمر .

أطال الله بقاءه ، أعلّٰ عينا فإيا يراه بمطالقي بذلك وبكل ما يؤليه الله من مستأنف  
نعمه ، ويمتدده له في حادث مواهبه له ، لأخذ بحظي منهما ، فأضرب بسهمي فيها ،  
وتصرفي بين أمره ونهيه ، وتشرفي بعوارض خدمته ، أن شاء الله تعالى .

وأما التي عارضها بها علي بن حمزة بن طلحة فهي :

وصلني كتاب سيدي الأمير عضد الدولة ، أطال الله بقاءه ، بالبشرى المتبسمة  
عن ناجذ السعد الآنف ، والتنعى المتسمة عن صبا المجد المتضاعف ؛ التي أشرقت  
مطالع الإقبال عن محياها ، وتضوّعت نقعات درك الآمال عن ربّاه ، وصلتت  
من الأولياء ظنونهم المرتبة ، وأتخبت من الأعداء عيونهم المرتبة ؛ بالولد النجيب  
الخطير ، الأمير الحبيب الظهير ، المجيد العمر ، المقليل المؤمر ، الذي كثرا الله به عددنا  
معشر أهليه ، وعددنا بما نرتقبه منه وزاعيه ، وهو تكملة مُحقق ظنونا بماله زعيمه ،  
وما تؤمّله من السعادة المقبلة فيه ؛ فاستغزنى غبطة استحوذت على جوامع لي ،  
وتملكنتي بهجة ثوت في مرابع قلبي ؛ وطفقت مبتلا ، وتضرعت متوسلا ، إلى ذي  
العرش المجيد ، الفعّال لما يُريد ، أن يجمع له بين العمر المديد ، والحد السعيد كفاء  
ماقرن له بين المجد العتيد ، والملوك الوطيد ؛ وأن يجعل تحيات أياديه لدى سيدي  
الأمير متضاعفة الأعداد ، مترادفة الأمداد ، مبشرة بنبأ الأولاد ، يري آفئها على  
السالف بسعده ، ويُلهى عن تالدها الطارف بعلو مجده ؛ وأن يريه لُياه على مفرق  
دولته ، وغرة تُشرق في نجهة ذريته ، وناهضا بأعباء مملكته ، وقائما بنصرة دعوته ،  
حتى يرى أولاد أولاده جُودا ، مظفرا سعيدا ؛ وأن يتبعه أترابا من الإخوة النجباء ؛  
الأمجاد السعداء ؛ متجارين في حلّيات طوقهم ، متبارين في مزيّات إبلاء النعم ؛  
ليترادّ أزدحام وفود السعادة في عتبات بابه ، ويتراقد اقتحام جنود الإقبال رحيب  
جَنّابه ؛ ويمرّس لديه ماخوله من مواهبه وأياديه ، ويحفظ عليه مابه فضله من مناقبه

ومعاليه ؛ وبقية من كيد عائد إذا عند ، ويحيه من شر حاسد إذا حسد ؛ وأن يؤتبه  
عائذ العاجلة والعقبي ، ويحظيه بسعادتي الآخرة والأولى ؛ وأن يجعل سعيه في مصالح  
عباده مشكوراً ، ونظرة في مناج بلاده مبره را ؛ وأن يغادر متآخربه وتقواه رابحه ،  
كما جعل خواطر سره ، ونجواه صالحه ؛ فرياض الأيام بعذله نواضر ، ونواظر الأثام  
إلى فضله نواظر ؛ ومصالحهم يثمنه وبركته موافيه ، وبراعتهم بهمته وسعاده  
مواتييه ؛ وإني لأعتقد أن مقيل في أفياء السعاده ، ونيل كل مأمول وإرادته ، وتوفيق  
فيا أوفق فيه ؛ بما أعتمده وآتبه ، جئول من تيار فضله وسعاده ، منوط العرى  
بسمو همته ؛ وأود أن أكون عوضاً عن كتابي هذا إليه ، وخطابي الوارد أنفا عليه ؛  
لأسعد بللاء عثرته ، وأحظى بالأشرف من خدمته ؛ أدام الله أيام دولته ؛ لأنني  
أجدر عبده بالمهاجرة إلى بابه ، وأولى خدمه بالمبادرة إلى جنبه ؛ ولولا تحلى أعباء  
خدمته التي طوقتها ، وكوني نائبه لدى هذه الحضرة فيها ، ثاوباً بأوامره ونواهي  
في معانيها ، لما شق غباري من أتم ذراه ، ولا اتبع آثارى مسرع رام لثيابه . ولقد  
قلت بالواجب على للنعمة أيده الله المنزلة إلى ، والموهبة بقدمه كلاه الله المكلمة  
لدى ، التي أضحيت بها نواجد المخلص ضاحكة مستبشرة ، وأمسست بسببها وجوه  
الكاشحين عابسة مستبشرة : من وافر شكر يترى المزيد ، وعتق الإمام والعبيد ،  
والصدقة الدائرة على التأييد ؛ وأنا أرغب إلى الله تعالى رغبة متوسل إليه ، أمل بما  
لديه ، أن يجعل بركة كل خير دزت به أخلافه ، وكزت لأجله أخلافه ، عائدة عليه ،  
وميامنه ثابتة إليه ، مؤذنة بتعميره ملكاً حلالاً ، لا يلقي مؤملوه ليم فضله ساحلاً ؛  
وأن يمد لسيدى عضيد الدولة في البقاء ، ويمتعه به وبسابقه من إخوته الأمراء ؛  
ويريه فيهم وفيه ، قصوى ما تسمو إليه همه وأمانيه . وإني لتوكلت لما يصلي  
من كتاب ينبي عن اسمه الكريم وكنيته ، لأعتمد ما أستوجبه في خدمته ومكاتبته ؛

وسيدى عضد الدولة أدام الله علاه، ولّى ما يستصوبه ويراه: من الأمر بمكانتى  
بذلك وبمتجدات النعم، وأوانف المواهب الغالية القسم، لآخذ وافر سهمى من  
الدور، وجزيل قسّمى من الجحدل والحبور، وتصرفى بين أمره الممثل المطاع،  
ونبيه المقابل بالاتباع، إن شاء الله تعالى.

### النوع العاشر

الاستكثار من حفظ الأشعار الرائعة، خصوصا أشعار العرب وما توفرت دواعى  
العلماء بها على اختياره: كالحماسة، والمفضليات، والأصمعيات، وديوان هذيل،  
وما أشبه ذلك؛ وفهم معانيها واستكشاف غوامضها، والتوفر على مطالعة شروحها؛  
ويلتحق بذلك شعر المولدين من العرب، وهم الذين كانوا فى أول الإسلام: بكرير  
والفرزدق، والأخطل وغيرهم؛ وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المفلّحين من  
المحدثين: كأبي تمام، ومسلم بن الوليد، والبحتري، وابن الرومى، والمتنبي ونحوهم.  
وفيه مقصدان.

### المقصد الأول

( فى بيان احتياج الكاتب إلى ذلك )

أما شعر العرب والمولدين فلما فى ذلك من غزارة المواد، وصحة الاستشهاد، وكثرة  
النقل، وصقل مِرْأَة العقل، وانتزاع الأمثال، والاحتذاء فى اختراع المعانى على أصح  
مثال؛ والأطلاع على أصول اللغة وشواهداها، والاضطلاع من نواذر العربية  
وشواردها. وقد كان الصدر الأول يعتنون بذلك غاية الاعتناء. قال محمد بن سلام  
عن بعض مشايخه: "كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد

فيه بيت شعر". وذكر صاحب "الريحان والريحان" عن سعيد بن المسيب أنه قال : كان أبو بكر وعمر وعليّ يحدون الشعر وعلىّ أشعر الثلاثة . قال : وكان عمر بن الخطاب يقول أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها بين يدي حاجته يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم . وقد ذكر عن الشافعيّ رضى الله عنه أؤذيره من بعض الأئمة الأربعة : أنه كان يحفظ ديوان هذيل ، وأما قول الشافعي رضى الله عنه .

وَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرَى \* لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَيْدٍ

فانه يريد منّ صرف همته إلى الشعر، بحيث صار شأنه وديده، وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم "لَأَنْ يَمْلَأَ أَحَدُكُمْ جَوْفَهُ قَيْحًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْلَأَهُ شِعْرًا" أى أراد صرف همته إليه حتى يملأ جوفه منه . وقد قال صلى الله عليه وسلم "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً" . وكان عمر رضى الله عنه يسمع البيت يُعْجِبُهُ فيكره مراراً كما ذكره الجاحظ وغيره . وقد ذكر أبو البركات بن الانباري في كتاب "طبقات الأدباء" في ترجمة أبي جعفر أحمد بن إسحاق البهلول بن حسان الأنباري : أنه كان فقيهاً، عالماً، واسع الأدب وتقلد القضاء لعدة من الخلفاء . ثم حكى عن ولده أبي طالب أنه قال كنت مع والدى في جنازة بعض أهل بغداد من وجوه الناس وإلى جانبه أبو جعفر الطبري ، فأخذ أبى يعظ صاحب المصيبة ويُسَلِّيه، ويُشْده أشعاراً، ويروى له أخباراً، فداخله الطبري في ذلك، ثم أسمع الأمر بينهما في المذاكرة، ونرجا إلى فتون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون وأُعْجِبُوا بها ، وتعالى النهار وأفرقنا، فقال لى أبى يَأْتِيَنَّ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ الَّذِى دَخَلْنَا فِي الْمَذَاكِرَةِ ؟ فقلت : ياسيدى كأنك لم تعرفه، فقال لا، فقلت : هذا أبو جعفر الطبري، فقال إنا لله ! ما أَحْسَنْتُ عَشْرَتِي مَعَهُ ؟ فقلت كيف ياسيدى ؟ قال : أَلَا تَبْهَتْنِي فِي الْحَالِ،



فكنت أذاكره بغير تلك المذاكرة؟ هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع في صنوف العلوم، ما ذا كرت به بحسبها، ومضت على ذلك مدة فحضرنا في حق آخر وجلسنا، وإذا بالطبري قد دخل إلى الحق . فقلت له : أيها القاضي هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلا، فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه وجلس إلى جانبه، وأخذ يحاربه، فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتا، قال أبي : هاتها يا أبا جعفر إلى آخرها فيتلعثم الطبري فينشدها أبي إلى آخرها، وكلما ذكر شيئا من السير، قال أبي هذا كان في قصة فلان، ويوم بنى فلان، مرة يا أبا جعفر فيه فربما مر فيه، وربما تلثم، فيمر أبي في جميعه . ثم قمنا، فقال لي أبي : الآن شفيت صدري .

وأما أشعار المحدثين، فللطف مأخذهم، ودوران الصناعة في كلامهم، ودقة توليد المعاني في أشعارهم، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة، والكتابة، وخصوصا المتنبي، الذي كأنه ينطق عن ألسنة الناس في محاوراتهم، وكثر الاستشهاد بشعره حتى قل من يجهله؛ فإذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ الأشعار وتدبر معانيها، ساقه الكلام إلى إبراز ذخيرة ما في حفظه منها، فاستعملها في عملها، ووضعها في أماكنها، على حسب ما يقتضيه الحال في إيرادها واقتباس معانيها .

### المقصد الثاني

(في كيفية استعمال الشعر في صناعة الكتابة)

اعلم أن للكاتب في استعمال الشعر في كتابته ثلاث حالات

## الحالة الأولى

## الاستشهاد

وهو أن يُورد البيت من الشعر، أو البيتين، أو أكثر في خلال الكلام المنشور مطابقا لمعنى ما تقدم من الثرب ولا يشترط فيه أن ينبه عليه بقال ونحوه كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن والأحاديث النبوية، فإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من أنواع الكلام، فلا يحتاج إلى التنبيه عليه، وأكثر ما يكون ذلك في المكتبات الإخوانيات : مثل ما كتب به القاضي الفاضل إلى بعض إخوانه يستوحش منه ، ويشوق إليه :

فياربَّ إنَّ البينَ أصحَّتْ صُروُفُهُ \* علىّ، ومالي من مُعينٍ فكنْ معي

على قُربِ عُدائي وبُعدِ أحبي \* وأمواءٍ أجفائي ويرانٍ أضلّي !

هذه نحية القلب المكدب، وسريرة الصبر المندبب، وظلامه عزم السلوك المكذب، أصدرتها إلى المجلس وقد وقَد في الحشا نأرها، الزفير أوارها، والدُّموع شرارها، والشوق آثارها، وفي الفؤاد ثأرها :

لوزاريني مِنْكُمْ خيالٌ هاجرٌ \* لهدته في ظلماته أنوارها

أسفا على أيام الاجتماع التي كانت مواسم السرور والأسرار، ومباسم الثغور والأوطار، وتذكرا لأوقات عذب مذاقها، وأمتد بالأنس رواقها، وزوجت بكرها، ودوبع ذكرها :

وانته ما نسييت نفسي حلاوتها ! \* فكيف أذكر أني اليوم أذكرها ؟

ومذ فارقت الجناب، لازال جنا جنايه نصيرا، وسنا سنائه مستطيرا، ومُلكه في الخافقين خافق الأعلام، وعزّه على الحديدين جندد الأيام، لم أقف منه على

كَلَاب تَحْتَفُطُ سَطَوْرُهُ مَاغْبِلُ الدَّمْعُ مِنْ سَوَادِ نَاطِرِي ، وَيُقَدِّمُ بِيَاضِ مَنْظُومِهِ  
وَمَشْهُورِهِ مَاوَزَّهَ الْبَيْنِ مِنْ سُودِاءِ خَاطِرِي

وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَحْشَاءِ إِلَّا صُبَابَةٌ \* مِنَ الصَّبْرِ تَجْرِي فِي الدَّمُوعِ الْبَوَادِرُ  
وَأَسْأَلُهُ الْمَتَابَ ، بِشَرِيفِ الْجَنَابِ ، وَأَدَاءَ فَرَضِ ، تَقْبِيلِ الْأَرْضِ ، حَيْثُ تَلْتَقِي  
وَفُودِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتَعْمُرُ الْبُيُوتَ الْعَامِرَةَ الْمُنَى الْغَامِرَةَ ، وَفَضْلِ الظِّلِّ غَيْرِ  
مَسْخُوحِ هَجِيرِهِ ، وَيُشَرِّحُ الْمَجْدُ بِشَخْصٍ لَا تَسْمَحُ الدُّنْيَا بِنَظِيرِهِ :

تَظَاهَرُ فِي الدُّنْيَا بِأَشْرَفِ ظَاهِرٍ \* فَلَمْ تَرَ أَتَقَى مِنْهُ غَيْرَ صَمِيرِهِ !  
كَفَانِي خِفَا أَنْ أُسَمِّيَ بِعَبْدِهِ \* وَحَسْبِيَ هَدْيًا أَنْ أُسِيرَ بِثَوْرِهِ !  
فَأَيُّ أَمِيرٍ لَيْسَ يَشْرَفُ قَدْرُهُ \* إِذَا مَا دَعَاهُ صَادِقًا بِأَمِيرِهِ ؟  
وَإِنِّي فِي السُّؤَالِ بِكُتُبِهِ أَنْ يَوْصِلَهَا لِيُوصِلَ بَهَا لَدَى نَهَائِي تَمَلَّأَ يَدَيَّ ، وَيُودِعَ بَهَا  
عِنْدِي مَسْرَّةً تَقْدَحُ فِي الشُّكْرِ زَنْدِي ،

عَهْدُكَذَا عَهْدٌ هُوَ الْوَرْدُ نَفْرَةٌ \* وَمَا هُوَ مِثْلُ الْوَرْدِ فِي قِصْرِ الْعَهْدِ  
وَأَنَا أَتَرَقَّبُ كِتَابَهُ أَرْتَقَابَ الْمَلَالِ : لَتُقَطِّرَ عَيْنَ الْكَرَى صَائِغُهُ ، وَتَرْدَنَ نَفْسُ  
عَنْ مَوَارِدِ الْمَاءِ حَائِغُهُ اهـ

بَلْ رُبَّمَا كَانَ كُلُّ الْمَكْتُبَةِ أَوْ جُلُهَا شِعْرًا ، وَقَدْ يَكُونُ صَدْرُ الْمَكْتُبَةِ شِعْرًا وَذَيْلُهَا  
نَثْرًا ، وَبِالْعَكْسِ . وَقَدْ يَكُونُ طَرَفَاها نَثْرًا وَأَوْسَطُهَا شِعْرًا ، وَعَكْسُ ذَلِكَ بِحَسَبِ  
مَا يِقْتَضِيهِ التَّرْتِيبُ ، وَيَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرْكِيبُ ، وَرُبَّمَا أَكْتَفَى بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ مِنَ الشُّعْرِ  
فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصِدِ وَبَلُوغِ الْغَرَضِ فِي الْمَكْتُبَةِ : كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْغَرْبِ  
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتُبَهُ وَرَسَلَهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

وَلَا تُكْتُبْ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةَ عَنْدَهُ \* وَلَا تُرْسِلْ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمَرَمُ

إلى غير ذلك من المكاتبات المتضمنة للأشعار . أما مكاتبات الملوك الآن فقل  
أن تستعمل فيها الأشعار ، أو يستشهد فيها بالمنظوم والمشور ، وقد تجيء التلخيصات  
بآيات الشعر في غير المكاتبات من الرسائل الموضوعية لرياضة الذهن ، وتنقيح الفكر  
كالرسائل الموضوعية في صيد ملك أو فتح بلد أو نحو ذلك ؛ وقد أودعت المقامة التي  
أنشأتها في كتابة الإنشاء جملة من الآيات الشعرية ، وأوردتها مورد الاستشهاد على  
ما يقتضيه المقام ، ويسوقُ إليه سياقُ الكلام ، على ما سلف ذكره عند الكلام على  
فضل الكتابة فيما تقدم . وعند مطالعة كلامهم ، والوقوف على رسائلهم ، ترى من  
أصناف الاستشهادات ما يروك نظره ، ويُطربك سمعه .

### الحالة الثانية

#### التضمين

وهو أن يضم البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة . أما  
تضمين البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة فمثل ما كتب به  
الفاضل القاضى :

وصل من الحضرة

كأب به ماء الحياة ونقعه السحيا فكأنى إذ ظفرت به الحضر

فوقفت عنده منه على

عقود ، هي الدر الذي أنت بحره \* وذلك ما لا يدعى مثله البحر

ورفعت منه في

رياض يد تجنى وعين وخاطر \* تسابق فيها النور والزهر والنمر

وكرعت منه في حياض

تسربانيتها إذا ما جرى الظل \* وتروى مجاريها إذا بجل القطر

ومازلت منه أنشد

كأنى سار في سريرة ليلتي \* فلما بدا كبرت إذ طلع الفجر

ووافى على ما كنت أعهد

نقلت بأن العين من محب كفه \* فمن ذا ومن ذا فيه ينثر الدر

وأسترجع فأت الدماء من موره

وما كان عندي بعد ذنب فراقه \* بأنى أرى يوماً به بعد الدهر

ونفس عن النفس بأبيض أعماده وعين العين بأسود أعمده

به كلما أصبح طويلاً فهذه \* على خاطر برد، وفي خاطر بدر

وجئت إليه أشواقاً جليدها

يمز به توب الجديدين دائماً \* فيبلى ولا يبلى وإن بلى الدهر

ودكر أياً لا يزال يستعدها :

وهيات أن يأتي من الأمر فأت \* فدع عنك هذا الأمر قد قضى الأمر

وأما تضمين نصف البيت فمثل قول القاضى الفاضل :

وصل كتاب مولاي بعدما ... \* أجاب المنادى للصلاة فاعتما

فلما استقر لدى ... \* تجلى الذى من جانب البدر أطلما

فقراته ... \* بعين إذا استمطرها أنطرت دما

وساءلته ... \* فسألت مصروفاً عن النطقي أعجا

(١) في نسخة ميم، وفي أخرى يح، وكلاهما تصحيف كاهو ظاهر، إذ يشير إلى الآية الكريمة (إنك في النار سحاً طويلاً).

ولم يرد جواباً، ... \* وَمَا ذَا عَلَيْهِ لَوْ أَجَابَ التُّنْيَا؟  
 ورددته قراءة، ... \* فَعُوجِلْتُ دُونَ الْحِلْمِ أَنْ أَتَحَلَّمَ  
 وحفظته، ... \* كَمَا يَحْفَظُ الْحَزْرُ الْحَدِيثَ الْمُكْتَمًا  
 وكثرته، ... \* فَمَنْ حَيْثُ مَا وَاجَهْتُهُ قَدْ تَبَسَّما  
 وقبَلته، ... \* فَقَبَلْتُ دُرًّا فِي الْعُقُودِ مُنْظَمًا  
 وقُتِلَ له، ... \* فَكُنْتُ بِمَقْرُوضِ الْحَبَّةِ قِيَمًا  
 وأخلصْتُ لكتابه، ... \* وَلَيْسَ عَلَى حُكْمِ الْحَوَادِثِ عَمَّا  
 ولم أصبغه! ... \* وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ النَّحْمَ وَالذَّمَّ  
 وأزخت وصوله، ... \* فَكَانَ لَا يَدَى الْوَسَائِمِ مَوْسِمًا<sup>(١)</sup>  
 وشغيتُ به غليل ... \* فَوَادٍ أُمْنِيهِ وَقَدْ بَلَغَ الظُّلْمَا  
 ودأويت طيل ... \* حَشًّا ضَرَّمَا فِيهِ مِنَ النَّارِ ضَرْمًا  
 فاما تلك الأيام التي ... \* حَمَاهَا عَلَى اللَّوْمِ الْمُقَامُ عَلَى الْحِمَا  
 والليالي العذاب التي ... \* مَلَأَتْ بِحُورِ اللَّيْلِ بَيْضًا وَأُنْجَمًا  
 وأرسلتُ الزفرة ... \* فَلَوْ صَالَحْتَ رَضْوَى لَرَضُ وَهْدَمَا  
 وأسبلتُ العبرة ... \* كَمَا أُنْشَأُ الْأَفُقُ السَّحَابَ الْمُدَيِّمًا  
 وخطبتُ السَّلْوَةَ ... \* فَأَسْأَلُ مَعْدُومًا وَأَسْأَلُ مُعْدِمًا  
 فاما الشكر فإنما ... \* أَفْضُ بِهِ سِكًَا عَلَيْهِ مُحْتَمًا  
 وأقوم منه بفرض ... \* أَرَأَيْي بِهِ دُونَ الْبَرِّيَّةِ أَقْوَمًا  
 وأوفى واجب فرض ... \* وَكَيْفَ تَوْفَى الْأَرْضُ فَرَضًا مِنَ السَّمَاءِ

(١) كذا في الأصل ولعله جمع يد وأضيف للتكلم.

- وربما ركبت القرينة الكاملة على البيت أو نصف البيت كما كتب به الفاضل  
الفاضل أيضا :

ورد كتاب الحضرة بعد أن عدت { وقد عشت دهرًا لا أعدُّ الليالي  
البالي ليلة بمديلة لطلوع صديعه  
وبعد أن أنتظرت القبط والشتاء { فما للنوى ترمي بليلى المرامي؟  
لفصل ربيع ... ..  
وأستروحت إلى نسيم تحره ... \* إذا الصيف ألقى في الديار المراسبا  
ومددت يدي لأقتطاف ثمره ... \* فله ما أحلى وأحلى المجايبا  
ووقفت على شكواه من زمانه ... \* فبت لشكواه من الدهر شيكًا  
وعجبت لعمى الخبط عن مكانه ... \* وقد جمع الرحمن فيه المعايبا  
وتوقعت له دولة يعلوها الفضل ... \* إذا هزمت من تلك الرياح عواليا  
ورتبة يرتقي صهوتها بحكم العدل ... \* فرب مراق يعتدّن مهاويا  
وإلى الله أرغب في إطلاع سموده ... \* زواهر في أفق الملا زواهي  
وفي إنهاض عثرات جدوده ... \* فقد عثرت بعد النهوض العواليا

وربما ركب نصف البيت على نصف القرينة؛ كما ذكرت في المفارقة بين  
السيف والقلم في الكلام على لسان السيف في مخاطبته للقلم . وهو : وأنت وإن  
ذكرت في التزليل ، وتمسكت من الامتنان بك في قوله ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ بشبهة التفضيل ،  
فقد حرم الله تعالى تعلم خطك على رسوله ، وحرمك من مس أنامله الشريفة ما يؤسى  
على فوته ويُسر بحصوله ؛ لكنني قد نلت من هذه الرتبة أسنى المقاصد ، وشهدت  
معه من الوقائع ما لم تُشاهد ، وحلاني من كفه شرًا لا يزول حليته أبدا ، وقت بنصره

في كل مُعْتَرَك . ، \* فَسَلَّ حَتِيئًا وَمَسَلَ بِدُرٍّ وَسَلَّ أَحَدًا \* ؛ فَرَكِبْتَ نَصْفَ يَتِ  
البردة على نصف قرينة . وما ذكرته في الرسالة التي كتبها لمقرر الفتحي صاحب  
ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية بالديار المصرية . وهو : قد ليس شرفا  
لا نطعم الأيام في خلعه ، ولا يتطعم الزمان إلى نزع ، وأتتهى إليه المجد فوقف ،  
وعرف الكرم مكانه فانحاز إليه وعطف ، وحلت الرئاسة بفنائها فاستغنت به عن  
السوى ، وأناخت السيادة بفنائها \* فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَوَى \*

وقد ينضمّن الكاتب بعض القرينة نصف يَتِ ، ثم يستطرد فيذكر أبياتاً كاملة  
الأجزاء على نمط أنصاف الأبيات التي يوردها ، كما فعل الشيخ ضياء الدين أحمد بن  
عمر بن يوسف القرطبي في رسالته للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد تغمدهما الله  
برحمته في قوله :

وينهى ورود عذرائه التي ... \* لَهَا الشَّمْسُ خِذْنُهَا وَالْجُومُ وَلَا تَدُ  
وحسنائه التي ... \* لَهَا الدَّرُّ لَفْظُهَا وَالْدَّرَارِيُّ قَلَامُهَا  
ومشرفته التي ... \* لَهَا مِنْ بَرَاهِينِ الْيَكَّانِ شَوَاهِدُ  
وكريمته التي ... \* لَهَا الْفَضْلُ وَرَدُهَا وَالْمَعَالِي مَوَارِدُ  
وآيتها الكبرى التي دلّ فضلها \* عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ الْفَضْلَ جَاحِدُ  
وَأَنْتَ سَيِّفٌ سَلَّهُ اللَّهُ لِلْهَدْيِ \* وَلَيْسَ لَسَيْفٍ سَلَّهُ اللَّهُ ظَامِدُ

وقد يخالف بين قوافي أنصاف الأبيات التي يمزجها ببعض القرائن كما يخالف بين

فواصل القرائن : كما في قول البديع الهمداني

أنا لقرب دار مولاي ... \* كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخُمْرُ  
ومن الارتياح إلى لقائه ... \* كَمَا انْتَفَضَى الْعُصْفُورُ بِلَهْلَه الْقَطْرِ



ومن الامتراج بولائه ... \* كما التقت الصبأ والبارد العلب  
ومن الابتهاج بمزاره ... \* كما اهترتحت البارح الفصن الرطب  
إلى غير ذلك من فنون الامتراج التي يزاوج فيها بين المتنور والمنظوم، وينتهى فيها  
الكاتب إلى ما يبلغ به القدر المحتوم .

أما تضمين بعض أبيات العرب في بعض قصائد المحدثين كما فعل القاضي  
الأزجاني في قوله من قصيدة مدح بها بعض الوزراء :

وأهد إلى الوزير المدح يحمل \* لك المرباع منها والصفايا  
ورأيت رقة رحلوا إليه \* فأبوا بالنهاب والسبايا  
وقل للراحلين إلى ذراه \* ألتئم خير من ركب المطايا  
ولا تسلك سوى طريقي فاني \* أنا ابن جلا وطلاع النبايا

فإن ذلك من وظيفة الشاعر لا الكاتب، وإن كان الشيخ شهاب الدين محمود  
الخطي رحمه الله قد أشار في كتابه "حسن التوسل" إلى التمثيل بذلك لما نحن بصدده

### الحالة الثالثة

#### الحل

وهو أن يعيد الكاتب إلى الأبيات من الشعر ذوات المعاني فيجعلها من عقل  
الشعر، ويسبكها في كلامه المتنور، فإن الشعر هو المادة الثالثة للكتابة بعد القرائن  
الكرام والاخبار النبوية، على قائلها أفضل الصلاة والسلام، وخصوصا أشعار  
العرب فإنها ديوان أدبهم، ومستودع حكيمهم، وأنفس علومهم في الجاهلية؛ به  
يفتخرون، وإليه يحتكمون . فإذا أكثر من حفظ الشعر وفهم معانيه، غررت لديه  
المواد، وتراذفت إليه المعاني، وتواردت على فكره، فسهل عليه حينئذ حلها، ووضعها

في مكانها اللائق بما بحسب مقتضيات الكتابة . قال صاحب "الريحان والريمان" :  
 وهو شأنُ حُذَّاقِ الكُتَّابِ في زماننا ، وفيه من الجمال فنون .  
 منها أنه يدل على حَفَالة أدب المُجِيسِد ، واتِّساع الحفظ ، والتيسير والتأني لسُنْبكِ  
 اللفظ .

ومنها أنه ليس يُشهر منها إلا النادر للغاية في الحُسن ، فهي إذا حُلَّت يحاورها  
 المنشئ بما يناسب حسنًا في البراعة ، وهذا كثير في هذه الصناعة . قال في "المثل  
 السائر" وإنما جعل المنظوم مادةً للتشور بخلاف العكس لأن الأشار أكثر ،  
 والمعاني فيها أغزر ، قال : وسبب ذلك أن العرب الذين هم أهل الفصاحة كان  
 جُلُّ كلامهم شعرا ، ولا يوجد الكلام المشور في كلامهم إلا يسيرا ، ولو كثُر فإنه لم  
 يُنقل عنهم بل المنقول عنهم الشعر فأودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال الله تعالى  
 ﴿ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَدْعُونَ ﴾ . ثم جاء الطراز الأول من المُخَضَّرين فلم يكن لهم إلا  
 الشعر . ثم أَسْتَمَرَ الحال على ذلك فكان الشعر هو الأَكْثَر ، والكلامُ المشور بالنسبة  
 إليه قطرةٌ من بحر ، فلذلك صارت المعاني كلها مُودعة في الأشعار . قال في "حسن  
 التوسل" والحلُّ باب متسع على المجيد مجَّاله ، وتصرَّف في كلام العارف به رويته  
 وأرتجَّاله .

قال "صاحب الريحان والريمان" وأول من فك رِقَابَ الشعر ، وسرَّح مَقِيدَهُ إلى  
 النثر ، عبد الحميد الأكبر : كاتب بنى أُمِيَّة إلى آتقضاء خلاقهم . قال : وربما رame  
 غير المطبوع المتصرِّف فعقده وأفسده كما قال القائل : وبعضهم يحلُّ فيه قد . قال :  
 وكيفية الحل أن يتوَّخى هذا البيت المنظوم وحلَّ فرائده من سلكه . ثم ترتيب  
 تلك الفرائد وما شابهها ترتيبَ ممكَّن لم يحظَّره الوزن ولا أضطَّرتَّه القافية ، ويبرزها

في احسن سلك، وأجمل قالب وأصح سبك، ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع إذا أمكن ذلك من غير كلفة، ويتخير لها القرائن. وإذا تم معه المعنى المحلول في قرينة واحدة يفرض له من حاصل فكره، أو من ذخيرة حفظه، ما يناسبه. وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده إلى ما شاء؛ فإن كان نسيباً وتأثي له أن يجعله مديحاً فليفعل؛ وكذلك غيره من الأنواع. وإذا أراد الحل بالمعنى فليكن ألفاظه مناسبة لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها، فتي قصرت ولو بلفظة واحدة، فسد ذلك الحل وعُدّ معيباً. وإذا حل اللفظ فلا يتصرف بتقديم وتأخير ولا تبديل، إلا مع مراعاة تدوير الفصاحة، واجتناب ما ينقص المعنى أو يحط رتبته.

قال: وهذا الباب لا يتحصر المقاصد فيه، ولا يجبر على المتصرف فيه.  
ثم حل الأبيات الشعرية وأستعملها في الشعر على ثلاثة أضرب.

### الضرب الأول

أن يأخذ الناثر البيت من الشعر فيشره بلفظه، وهو أدنى مراتب الحل  
قال في "المثل السائر" وهو عيب فاحش إذ لم يزد في ثره على أنه أزال رونق الوزن وطلّاة النظم لا غير. قال ومثله كن أخذ عقداً قد أيقن نظمته، وأحسن تأليفه، فأوهاه وبدده؛ وكان يقوم عذره في ذلك لو ثقله عن كونه عقداً إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه. وأيضاً فإنه إذا تثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرفة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء.  
وبالجملة فحل الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين.

الحال الأول - أن يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها، وله في حله طريقتان.

الطريق الاول - أن يحمله بالتقديم والتأخير من غير زيادة في لفظه : كما ذكر صاحب "الصناعين" عن بعض الكتاب أنه حل قول البحرى :

أَطْلُ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينَ شَأْنَهَا \* فَا الْقَاغِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ  
يَرْجَى الْخُلُودَ مَعَشَرَ ضَلَّ سَعِيمُهُ \* وَدُونَ الَّذِي يَرْجُونَ غَوْلَ الْغَوَائِلِ  
إِذَا مَا حَرِيْزُ الْقَسُومِ بَاتَ وَمَا لَهُ \* مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ

فقال في ثرها : أَطْلُ تَهْوِينَ شَأْنِ الدُّنْيَا وَجَفْوَتَهَا ، فَا الْمَغْرُورُ الْغَاغِلُ فِيهَا بِعَاقِلٍ .  
وَيَرْجُو مَعَشَرَ ضَلَّ سَعِيمُهُ الْخُلُودَ ، وَغَوْلُ الْغَوَائِلِ دُونَ مَا يَرْجُونَ . وَإِذَا بَاتَ حَرِيْزُ  
الْقَوْمِ وَمَا لَهُ مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ . فلم يزد في ألفاظها شيئا .

الطريق الثانى - أن يحمله بزيادة على لفظه كما حكى الجاحظ عن قليب المعتزلى  
أَنَّهُ سَمِعَ مَنْشِدًا يُنْشِدُ لِلْعَتَّى .

أَقْلَتُ بَطَّائِنُهُ وَرَاجَعُهُ \* حِلْمٌ وَأَعْقَبُهُ الْهَوَى نَدْمًا  
الْبَقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كُلُّكَلَهُ \* وَأَعَارَهُ الْإِقْسَارُ وَالْعَدَمَا  
فَإِذَا الْمَتُّ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ \* غَضَّ الْجُفُونَ وَجَمَّجَ الْكَلِمَا

فثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من أهله : جعلنى الله فِدَاكَ  
ليس هو اليوم كما كان ، إنه وحياتك أَقْلَتُ بَطَّائِنَهُ ، إى والله وراجعه حلمه ، وأعقبه  
وحقك الهوى ندما . أخى الدهر طيه والله بكلكله ، فهو اليوم إذا رأى أخا ثِقَةٍ  
غَضَّ بصره وجمجج كلامه . فزاد في ثره ألفاظا على ألفاظ الشعر .

ونحو ذلك ما حكاه ضياء الدين بن الاثير عن بعض العراقيين أنه ثر قول بعض  
شُعراء الحماسة :

وَالَّذِي حَنَنِي عَلَى كَأَمَّا \* تَغْلِي عَدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ  
أَرْجِيئِهِ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ \* وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاطِرِ مِنْ عَلِ  
قَالَ فِي ثَره : فَكَمْ لِيَ الَّذِي حَنَنِي كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْكَوَاكِبِ مِنْ عَلٍ وَتَغْلِي  
عَدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ فَكَوَاهُ فَوْقَ نَاطِرِيهِ ، وَأَكْبَهُ لِقَمِهِ وَيَدِيهِ .

الحال الثاني - أن يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها ، فيحتاج في ثره إلى الزيادة فيه ، والنقص منه ، وتغيير بعض ألفاظه حتى يستقيم كقول الشاعر :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ \* فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ الْحَمِّ وَالْدَمِّ

فإن المصراع الثاني من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير لأنك تقول في المصراع الأول : فُؤَادُ الْفَتَى نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ وَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي الْمِصْرَاعِ الثاني حتى تريد فيه أو تنقص منه فتقول مثلا فُؤَادُ الْفَتَى نِصْفٌ وَلِسَانُهُ نِصْفٌ عَلَى ما تقدم . ثم تقول وصورته من اللحم والدم فضلة لا غناء بها دونهما ، ولا معول عليها إلا معهما .

قال في " الصنائع " : وزيادة الألفاظ التي تحصل فيه ليست بضائرة لأن بسط الألفاظ في أنواع المتنور شائع ؛ ألا ترى أنها تحتاج إلى الأزواج ؛ ومن الأزواج ما يكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحد وليس ذلك بقبيح ؛ إلا إذا أُنْفِقَ لفظاهما ؛ إلا أن أكثر ما يحسن فيه إيراد المعنى على غاية ما يمكن من الإيجاز ، ومعنى قوله فلم يبق إلا صورة اللحم والدم داخل في قوله \* لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ \* والمصراع الثاني تذييل للمصراع الأول . قال : فإذا أردت أن تحمله حلا مقتصرًا بغير لفظه ، قلت الإنسان شَطْرَانِ : لسان وجنان ؛ وقريب من ذلك قول أبي نُؤَاسَ .

الْأَيَّابِينَ الَّذِينَ قَتَلُوا وَبَادُوا \* أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَعَبُوا لَتَبْقَى

فإن المصراع الأول يمكن حله بأن تقول الأيَّابين الذين بادوا وقتلوا فيكون مستقيماً . أما المصراع الثاني فإنه إن قُدم فيه أو أُنحر بأن قيل ما ذعبوا لتبقى أَمَا وَاللَّهِ فإنه لا يستقيم فتحْتَاج في ثره إلى تغيير وزيادة فتقول : الْأَيَّابِينَ الَّذِينَ مَاتُوا وَمَضَوْا وَظَعْنُوا وَنَأَوْا أَمَا وَاللَّهِ مَا ظَعْنُوا لَتَقِيمَ ، وَلَا رَامُوا لَتَرِيمَ ، وَلَا مَوْتُوا لَتَحْيَا ، وَلَا قَتَلُوا لَتَبْقَى . قال في "الصناعتين" وفي هذه الألفاظ طول وليس بضائر على ما تقدم . قال : وإن أردت اختصاره قلت أَمَا وَاللَّهِ إِنْ الْمَوْتُ لَمْ يَصْبِكَ فِي أَبِيكَ إِلَّا يُصِيبُكَ فِيكَ .

### الضرب الثاني

(وهو أعلى من الضرب الأول أن ينثر المنظوم ببعض ألفاظه ويغرم عن البعض ألفاظاً أُنحر . ويحسن ذلك في حالين)

الحال الأول - أن يكون في الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الألفاظ مقامها بأن تكون مثلاً سائراً أو جارية مجرى المثل : كقول بعض شعراء الحماسة :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِينَ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي \* بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ دُهِلِ بْنِ شَيْبَانَ

فإن لفظ بنى اللقطة لا يقوم غيره من الألفاظ مقامه لكونه علماً على قوم مخصوصين فيحتاج الناثر أن يقيه بلفظه ، كما فعل "ضياء الدين بن الأثير" في قوله في نثر البيت المذكور : لست بمن تستببح إبلة بنو اللقطة ، ولا الذي إذا هم بأمر كانت الآمال إليه وسيطة ، ولكنني أحيى الحمل ، وأفوت الأمل ، وأقول سبق السيف العذل . وكذلك كل ما جرى هذا المجرى ونحوه .

الحال الثاني - أن يكون في البيت لفظ رائق ، قد أخذ من الفصاحة بزمامها ، وأحاط من البلاغة بجوانبها ، فيبقى على حاله ، ويقرنه بلفظ يماثله ويوازنه ، قال في . " المثل السائر " : وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشاكله ، ومؤاخذة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة ، فإنه إذا أخذ لفظا لشاعر مجيد ، قد تقحه وصححه ، فقرنه بمالا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ، ولا خفاء بما في ذلك من الانتصاب للقدح ، والاستهداف للطعن . قال : وهو عندى أصعب مثالا من نثر الشعر بغير لفظه ؛ لأنه يسلك مضيقا ، لما فيه من التعرض للمماثلة ماهو في غاية الحسن والجودة . بخلاف نثر الشعر بغير لفظه فإن نثره يتصرف فيه على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر إلى مؤاخذاته ، ومثل لذلك بقول أبي تمام في وصف قصيدته له :

هَذَا تَمَلُّ كُلِّ أَذُنٍ حِكْمَةٌ \* وَبَلَاغَةٌ وَتَدَرُّ كُلِّ وَرِيدٍ

ثم قال : فقولته تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن ، وهو أحسن ما في البيت وأشهر ، فلو قال قائل لمن هذا ؟ قيل وهل يخفى القمر ، وإذا عُرِفَ الكلام صارت المعرفة له علامة ، ولم يُحَسَّ عليه سرقة إذ لو سُرِقَ لدلت عليه الوسامة ، ومن خصائص صفاته أنه يملأ كل أذن حكمة ، ويجعل فصاحة كل لسان مُجَمَّة . فبقى لفظ تملأ كل أذن حكمة وأتى معها بما يناسبها من الألفاظ الحسنة الراضية . ونحو ذلك ما ذكره الشيخ شهاب الدين عمود الحلبي : أنه يؤاخذ القرينة المحلولة بمثلها من عنده كما فعل هو في تقليد من التقاليد فقال : \* فَكَمْ مَلَّ ضَبُوءُ الصُّبْحِ مِمَّا يُغَيِّرُهُ \* ثم قال : وظلامُ اللَّعَمِ مِمَّا يُبَيِّرُهُ . وقال أيضا : وَقُلْ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا يَلَاظِمُهُ \* ثم قال : والأجل مما يساقه إلى قبض النفوس وزأجه . والقرينتان الأوليان نصفان يتبين للتبني فاضاف إلى كل قرينة ما يناسبها . قال : وهذا من أكثر ما يستعمل في الكتابة .

## الضرب الثالث

(وهو أعلى من الضربين الأولين أن يأخذ المعنى فيكسوه ألفاظا من عنده

ويصوغه بالفاظ غير ألفاظه)

قال في "المثل السائر" : وثمَّ يتبينُ حِذْقُ الصائغِ في صياغته ؛ فإنَّ استطاع  
الزيادة على المعنى فذلك الدرجة العالية ، وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ؛  
ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

ولتعلم أن الأبيات الشعرية في حلها بالمعنى لها حالان .

الحال الأول : أن يكون البيت الشعر مما يتسع المجال لتأثره في ثمره فيورده  
بضروب من العبارات . قال ابن الأثير : "وذلك عندي شبيه بالمسائل السيالة  
في الحساب التي يجاب عنها بعبارة من الأجوبة" . فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :  
لَا تَعْدِلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ \* حَتَّى تَكُونَ حَسَاكَ فِي أَحْشَائِهِ  
فهذا البيت يُصَرَّفُ في ثمره في وجوه من المعاني . وقد أثر ابن الأثير هذا البيت  
فقال : "لَا تَعْدِلُ الْمَحَبَّ فِيمَا يَهْوَاهُ ، حَتَّى تَطْوِيَ الْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَاهُ" . وثره على وجه  
آخر فقال : "إذا آخفت العَيْنَانِ فِي النَّظَرِ ، فَالْعَيْنُ ضَرْبٌ مِنَ الْهَدَرِ" . وكذلك قول  
المتنبي أيضا :

إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ \* مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ

ثره ابن الأثير فقال : "القتيل بسيف العيون ، كالقتيل بسيف المُنُونِ ، غير أن ذلك  
لا يُجَرَّدُ من غمِّه ، ولا يُقَادُ صاحبه بعمده" . فزاد على المعنى الذي تضمنه البيت  
عدم القود بالعمد . وثره على وجه آخر فقال : "دُمُ الْحُبِّ وَدَمُ الْقَتِيلِ ، مُتَّفَقَانِ  
فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ ؛ وَلَا تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا ، سِوَى أَنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ لَوْنًا" . قال وهذا أحسن  
من الأول .



وعلى هذا النهج يجرى قول ابن الرومي في وصف الحديث :

وَحَدِيثُهَا سَحَرُ الْحَلَالِ لَوَّاهُ \* لَمْ يَحْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ

ثمة الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في وصف السيوف فقال : وكفى السيوف  
غفرا أنها لجنّة ظلال ، وإلى النصر مآل ، وإذا كان من بيان الحديث يحمر ، فإن بيان  
حديثها عن كلمته هو السحر الحلال . ثم نقله إلى وصف الأمانة فقال : حسب  
ألسنة الأمانة شرفا أن كشف خبايا القلوب يذم إلا منها ، وأن بث أسرار الضمائر  
تكره روايته إلا عنها ، فكرر حديثها في ذلك لا يفضى إلى ملال ، وإذا لم يكن  
حسن حديثها الذي يسحر الأبواب مما يحل ، فليس في الحديث سحر حلال .  
ثم نقله إلى وصف البلاغة فقال : البلاغة تسحر الأبواب حتى تخيل العرض جوهرها  
وتجمل الهواء المدرك بالسمع لأنسجامة وعذوبته في النوق نهرا ، لكنه سر لم يح  
قتل المسلم المتحرز ، فيتأول في حله ، وإذا كان في الحديث ماهو عقلة للسوفيز ،  
فهذا أنشودة نشاط البليغ وحل عقال عقلة . ونقله إلى وصف الكتابة . فقال :  
خطه شرك العقول ، وفننه تشغل المطمئن بملاحة المرقى المكتوب ، عن فصاحة  
المسموع المقول ؛ ولو لم يكن البيان سحرا ، لما تجسدت منه في طرسه هذه الدرر ،  
ولو لم يكن بعض السحر حللا ، لما انجلى ظلام القس عما يهتدى به من هذه  
الأوضح والغرر .

الحال الثاني - أن يكون البيت الشعر مما يضيق المجال فيه فيعبر على الناظر  
تبديل ألفاظه ، وذلك قليل بالنسبة إلى ما يتسع في حله المجال . قال في "المثل السائر"  
وسببه أن المعنى يخصص في مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتي إلا فذا . فن ذلك  
قول أبي تمام الطائي من قصيدة :

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُرًّا فَمَا أَتَى \* بِهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرِ  
فإن أبا تمام قصد المؤاخاة في ذكر لون الثياب بين الأحمر والأخضر، وجاء  
ذلك واقعا على المعنى الذى أراده : من لون ثياب القتلى وثياب الجنة ؛ فإن ثياب  
القتلى حمراء وثياب الجنة خضر .

قال ابن الأثير : فإذا فكَّ نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لم يمكن ؛  
فيجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فكِّ نظامه ؛ لأنه يتصدى لشعره بالفاظه ، فإن  
كان عنده قوَّةٌ تصرف ، وبَسْطَةُ عبارة ، فإنه يأتى به حسنا رائقا . وقد نثر هذا  
البيت فقال : لم تكسه المنايا نَسَجَ شِفَارَهَا ، حتَّى كسَّته الجنة نَسَجَ شِعَارَهَا : فبدل  
أمرئوبه بأخضره ، وكأس حماته بكأس كوثره . قال : وهذا من الحُسن على  
غاية يكون كدَحْشودها ، من جملة سُودها . ومن ذلك قول أبي الطيب :

وَكَاَنَّ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَاصْبَحَتْ \* وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَسَامُ

فإن أبا الطيب بنى بيته على واقعة مخصوصة . وذلك أن حصنا من حصون  
سيف الدولة قصده الروم ، وأنزعه ، وخربوه ، فهد سيف الدولة إليه وأسترجعه ،  
وجدد بناءه ، وهزم الروم ، ونصب جملة من جثث القتلى على السور ، فنظم أبو الطيب  
في هذا قصيدا أوله .

\* عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ \*

ولما انتهى إلى ذكر الحصن ، جاء بهذا البيت في جملة أبيات ، فشرح صورة  
الحال ، في آرتجاع الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه ؛ وأبرز ذلك في معنى التثيل  
بالجنون والتمائم . وهذا لا يمكن تبديل لفظه ؛ فيجب على الناثر حسن الصنعة  
في حله ونثره . وقد نثر ابن الأثير أيضا فقال : سرى إلى حصن كذا مستعيذا منه  
سَيِّئَةٌ نزعها العدو اختلاسا ، وأخذها مُحَادَّةً لا أقراسا ؛ فما نزلها حتَّى أَسْتَقَادَهَا ،

ولا نازلها حتى أستعدها؛ فكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائم عزائم، وعلق عليها من رءوس القتلى تمام؛ ثم قال : وفي هذا من الحسن ما لا خفاء فيه . فمن شاء أن يتثر شعرا فليثر هكذا ولا فليترك . ثم نقله إلى معنى آخر، وأبرزه في صورة أخرى فأضاف إليه البيت الذى قبله من القصيدة فصار على هذه الصورة .

بَنَاهَا فاعلى والقنا تَقَرَّعُ القَنَا \* وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَهَا مُتَسَلِّطُ  
وَكأن بِهَا مِثْلُ الجُنُونِ فأصَبَحَتْ \* وَمِنْ جُثِّ القَتْلِ عليها تَمَامُ

ثم نثرهما فقال : بناها والأسنة في بنائها متخاصمه، وأمواج المنايا فوق أيدي البائين متلاطمة؛ وما أجملت الحرب عنها حتى زُلزِلَتْ أقطارها برقص الجياد، وأصيبت بمثل الجنون فعلقَت عليها تمام من الرءوس والأجساد . ولا شك أن الحرب تُعَرِّدُ عن عز جانب، وتقول ألا هكذا فليكتب الحمد كاسبه . قال وهذا أحسن من الأقول وأتم معنى . ثم تصرف فيه بزيادة على هذا المعنى فقال : بناها، ودُونَ ذاك البناء شَوْكُ الأَسَلِ، وطُوفَانُ المنايا الذى لا يقال سَأوى منه إلى جبل؛ ولم يكن بناؤها إلا بعد أن هُدِمت رءوس عن أعناق، وكأنما أصيبت بجنون فعلقَت القتلى عليها مكان التمام أو شِيتت بَطَل فعلقَت مكان الأطواق . قال وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذى قبله .

قلت : وكأى ينبنى الإيماء من حفظ الأشعار على ما تقدم ليوردتها في خلال كلامه استشهادا وتضمينا أو يحلها ويقتبس معانيها في نثره على ما تقدم بيانه كذلك ينبنى له معرفة المشاهير من الشعراء الطائرى السمعة : من شعراء الجاهلية كاهرى القيس ابن هجر، والنابعة الذبياني، وطرفة بن العبد، وأوس بن حجر، وزهير بن أبى سلمى، والأفوه الأودى، والمتلمس، والأعشى، وعلقمة بن عبدة، وعمرو

أَبْنُ كُثُومٍ، وَالْمَرْقَشُ، وَالنَّوْبَرِيُّ، وَتَوَلَّبَ، وَمُهَلِّهْلٌ، وَطُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ، وَعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ،  
وَقَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ، وَالشَّامُخُ بْنُ ضِرَارٍ، وَعَنْتَرَةُ، وَالسَّمُومَلُ بْنُ عَادِيَا، وَمِنْ  
جَرَى بَجْرَاهِمَ .

وَمِنْ الْمُخَضْرَمِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ جَمِيعًا : كَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَيْيَدُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ، وَكَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ الطَّائِيُّ، وَالنَّابِغَةُ  
الْجَعْدِيُّ، وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، وَالْحُطَيْثَةُ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرْبِ، وَالزُّرَّافَانُ  
أَبْنُ بَدْرِ التَّمِيمِيِّ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسِ السُّلَمِيِّ، وَالْحَنْسَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ،  
وَمِنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

وَمِنْ الْمَوْلَدِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ وَلِدُوا مِنَ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ : كَالْفَرَزْدَقِ، وَبَجْرِيرِ  
وَالْأَخْطَلِ، وَالْقَطَّاعِيِّ، وَالْكَيْثُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ، وَالْمُسَاوِرُ بْنُ هَنْدٍ، وَعَدَى بْنُ  
الرَّقَاعِ، وَكُثَيْرُ عَزَّةَ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ، وَالرَّاعِي، وَأَبْنُ مُقَيْلٍ، وَأَبْنُ مُفَرَّغٍ، وَلَيْلَى  
الْأَخِيلِيَّةُ، وَمَنْ أَنْخَرَطَ فِي سُلُوكِهِمْ .

وَمِنْ الْمُتَحَدِّثِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ أَتَوْا بَعْدَ الْمَوْلَدِينَ كَأَبِرَاهِيمَ بْنِ هِرْمَةَ، وَأَبْنِ أَذْيَنَةَ، وَأَبِي  
نُؤَاسٍ، وَأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ، وَطُفَيْلِ الْكَثَّانِيِّ، وَسَلْمُ الْخَاسِرِ، وَأَبْنُ مَيَّادَةَ، وَصَالِحُ بْنُ  
عَبْدِ الْقُدُّوسِ، وَأَبِي عَيْنَةَ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ، وَالْعَتَّابِيُّ، وَأَشْجَعُ السُّلَمِيِّ،  
وَالْمَكْوَكُ، وَأَبْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيِّ، وَأَبِي الشَّيْخِ، وَالْجَدُونِيُّ، وَالْعَتَبِيُّ، وَدُعَيْلُ  
الْخَزَاعِيِّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيِّ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقِ الْمُوَصِّلِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ  
الْبَصِيرِ، وَأَبِي تَمَّامِ الطَّائِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ الْبُحْتَرِيِّ، وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَهَبِيِّ، وَأَبْنُ  
بَسَّامٍ، وَالسَّرِيُّ الْمُوَصِّلِيُّ، وَأَبِي الْفَتْحِ كُشَّاجِمٍ، وَأَبِي الْفَتْحِ الْعَبَّاسِيِّ، وَأَبِي الْفَرَجِ  
الْبَيْهَقِيِّ، وَأَبْنُ السَّاعَتِيِّ، وَأَبْنُ قَلَاقِصٍ، وَالْوَاوِيُّ الدَّمَشْقِيُّ، وَالْعَفِيفُ التَّلَمِسَانِيُّ، وَابْنُهُ،  
وَابْنُ سَنَّا الْمَلِكِ، وَأَبْنُ شَمْسِ الْخَلَّافَةِ، وَأَبْنُ النَّبِيهِ، وَالصَّفِيُّ الْحَلِيُّ وَنَحْوُهُمْ .

ومعرفة الفرسان منهم : كامرئ القيس، وخُفَّاف بن نُدْبَة، والزَّرْقَان بن بدر وعَتْرَة، وعمرو بن معدى كرب، ودُرَيْد بن الصَّمَّة .

ومن كان منهم راجلا يسعى على رجليه كسَلَيْك بن السَّلَكَة، وأَبْن بَرَّاقَة، وتَابِط شَرًّا، والسَّنْفَرَى وغيرهم .

ومن تقدم منهم في نوع من الشعر، كمعرفة طفيل الغنوى بوصف الخيل، وأمّية بن أبى الصلت في أمر الآخرة وذكر الحرب، وعمر بن أبى ربيعة في وصف النساء، وعُتَيْبَة بن مِرْدَاس بمراكب الإبل، وكُثَيْب في الأمثال، والفرزدق في الأخيار، وجرير في المعاني .

ومعرفة من هو أكثرهم حفظا : كالأغلب الشاعر : قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة، ومعرفة أى القبائل كانت الشعراء فيها أكثر كهُذَيْل، فقد قيل إنه كان فيها أربعون شاعرا مُقلِّقا كلهم يَعدُّو على رجليه، ليس فيهم فارس، وأى قبيلة كان الشعر فيها أقل : كَثِيَّان، وكتب؛ فقد قيل إنه ليس في الدنيا قبيلة أقل شعرا منها وإنه ليس لكتب في الجاهلية شاعر قديم على أنها مثل شيان أربع مرات .

وقد ذكر ابن رشيق في "عمدته" عن عبد الله بن سلام الجُمَحِيّ وغيره : أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة فكان منهم مُهَاجِل بن ربيعة، وهو خال امرئ القيس بن حُجْر، ويقال إنه أول من قصَّد القصائد والمُرَقَّشَان الأكبر والأصغر، وطَرْفَة بن العبد، وعمرو بن قَيْثَة، والحارث بن حِزَّة، والمتلمس، والأعشى، والمسبِّب بن عَلس وغيرهم؛ ثم تحول الشعر إلى قيس فكان منهم النابغتان الذُبْيَانِيّ والجعديّ، وزُهَيْر بن أبى سُلَيْم، وابْنُه كعب، ولبيد، والحطيئة، والشَّهَّاح . ثم استقر الشعر في تميم فكان منهم أَوْس بن حَجْر، ولم يتقدّمه أحد حتى كان النابغة وزهير فأجملاه ؛

قلت : والمراد أن الشعر غلب في هذه القبائل وظهر فيها ، وكان فيها الشعراء المحيّدون ، وإلا فالشعر موجود في قبائل العرب قبل ذلك : كحِمير وكهلان من اليمن ؛ بل في عادٍ وثمودٍ على ما تشهد به كتب السير والأخبار . فإذا عرف الكاتب ذلك ، استعان به في المساواة بمن شاء منهم في التقرّيزات والتفضيل عليه كما كتبت في تقرّيط شاعر : فامرؤ القيس يَغرق في مِقياس معانيه ، والناطقة الذبيانيُّ يقصّر عن أن يبلغ مدى شأوه أو يدانيه ، وزُهَيْر يقتطف زَهَرَات البلاغة من أفانينه ، وأوس بن حجر يَتَسج على مِثواله ويأتمُّ بقوانينه ، وطُفيل الغنوى يتطّفل على موائد شعره ، وطرفة بن العبد يقصّر عنه في شيوخ ذِكره ، والأعشى يعيش إلى ضوء ناره ، وعمر بن كلثوم يسعى إلى بابه ويقف بفناء داره ، وكثير في أمثاله لا يعدّ من أمثاله ، وجرير في مقارحه يتمسك من الفَخار بأذياله ، والفرزدق في أوصافه يقلبه ما بين يمينه وشماله ؛ فلوراء عبد الملك بن مروان لأختاره على الأخطل ، أو اجتمع مع أبي نُوَاس لدى الأمين لقال هذا هو المقدم الأفضل ؛ أو أدركه أبو تمام ، لأعترف له بالتمام ؛ أو بصُربه أبو عبّادة لقال أنا له عبد و غلام ؛ أو عاصره المتنبي لأعترف بفضله ، أو ابن الساعاتي لقال لا يأتي الزمان دون قيام الساعة بمثله . ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى .

وكذلك ينبغي أن يعرف مصطلح أهل العروض الذي هو ميزان الشعر مثل الوَيد ، والسبب ، والفاصلة ، والعروض ، والضرب ؛ وأسماء البحور : من الطويل ، والمديد ، والبسيط ، وأخواتها ؛ وألقاب الزحاف : كالخَبْن ، والخَبْل ، والقبض وغيرها : ليدخلها تضاعيف كلامه عند احتياجه إلى ذلك كما قال صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في أوّل ألفيته في العروض .

الحمد لله المليك النافر \* ذى الطول والفضل المديد الوافر  
سبعائه ماذا يقول البارئ \* فى كامل ليس له مضارع  
ورزقه فى عتله بسيط \* وعلمه بخلفه محيط  
ونما يخرط فى هذا السلك من الكلام المشور أيضا .

### النوع الحادى عشر (الإكثار من حفظ الأمثال؛ وفيه مقصدان)

#### المقصد الأول

(فى وجه احتياج الكاتب إلى ذلك)

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى النظر فى كتب الأمثال الواردة عن العرب نثرا ونظما والنظر فى الكتب المصنفة فى ذلك : كأمثال الميدانى، والمفصل بن سامة الضبي، وحمزة الأصبهاني، وغيرهم . وكذلك أمثال المولدين الواردة فى أشعارهم : كالأمثال الواردة فى شعر جرير، والفرزدق ونحوهما، إلى غير ذلك من الأمثال الواردة نثرا ونظما، والنظر فى أمثال المحدثين الواردة فى أشعارهم : كأبي العتاهية، وأبي تمام، والمتنبي، فحكم ماورد من الأمثال فى شعر المولدين والمحدثين حكم أمثال العرب الشعرية؛ أما فى شعر المولدين فلجرهم على أسلوب العرب، وركوب جاذبتهم؛ وأما المحدثين فللطافة مأخذهم، وأستطراف ما يأتون به مما يجرى مجرى النثر والنظم : من الأمثال الموضوعة على ألسنة الحيوان عن العرب وغيرهم؛ فيستشهد به فى موضعه، ويورده فى مكانه عارفا بأصل ذلك وما بُنى عليه، وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت، وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم؛ وهذه

الإلفاظ الواردة في المثل دالة عليها، معبرة عن المراد بها، بأخصر لفظ وأوجز، ولولا تلك المقدمات المعلومة، والأسباب المعروفة، لما فهم من هذه الألفاظ الصلائل تلك الوقائع المطولات؛ وأما الأمثال الواردة ثرا، فإنها كلمات مختصرة، تورد للدلالة على أمور كلية مبسطة، كما تقدمت الإشارة إليه، وليس في كلامهم أوجز منها. ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يلوح بها على المعاني تلويحا، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا. وحيث كانت بهذه المكانة لا ينبغي الإخلال بمعرفتها، قال صاحب العقد "والأمثال هي وثى الكلام، وجوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تختبرها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شئ كسيرها، ولا عم عمومها، حتى قالوا: أسير من مثل، قال الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر ۝ يعرفه الجاهل والخائر

وقد ضرب الله تعالى الأمثال في كتابه فقال ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وقال تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رِزْقَانَا مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ الآية، وقال ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْمَنًا يُوَجِّهُهُ لَأَيَّاتٍ يُخَيِّرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ الآية، وقال ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الآية وقال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ إلى غير ذلك من آي القرآن.

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال فقال "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مَفْتَحَةٌ، وعلى الأبواب سُتُورٌ مُرَحَّاةٌ، وعلى رأس الصراط داج يقول ادخلوا الصراط ولا تُعرَّجُوا: فالصراط الإسلام، والسُّتُور



حُدودُ الله ، والأبوابُ محارِمُ الله ، والداعى القرآنُ“ إلى غير ذلك من الأمثال التي ضربها صلى الله عليه وسلم . وعمل الكلام على أمثال القرآن وأمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما تقدم من الكلام على القرآن الكريم والأخبار .

ثم هى على ضربين : قريب الفهم بظهور معناه ، وكثرة دورانه بين الناس ؛ وبعيد الفهم لخفائه ، وقلة دورانه بين الناس . فالقريب من الفهم الكثير الدوران على الألسنة مثل قولهم ، ”عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى“ ، وهو مثل يُضْرَبُ للترغيب فى السير فى الليل ، والحث عليه ؛ وأوّل من أرسله مثلاً خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قاله فى صبح ليلة قطع فيها مفازة كانت فى طريقه من العراق إلى الشام ؛ وقولهم ”سَاءَ سَمْعًا فَاسَاءَ إِجَابَةً“ . وأوّل من قال ذلك سهيل بن عمرو وكان تزوج صَفِيَّةَ بنتِ أبى جهل فولدت له ابنة أنسا ، فراه الأخنس بن شريق التقيُّ معه فقال من هذا ؟ فقال سهيل ابنى . فقال الأخنس حيّاك الله يابنى ! أين أمك ؟ فقال : لا والله ما أبى ثم ، أنطلقت إلى بيتِ أُمِّ حَنْظَلَةَ تطحن دقيقا - فقال أبوه ساء سمعًا فاساء إجابة - فلما رجعا قال أبوه فضحنى أبك اليوم قال كذا وكذا - فقالت إنما أبى صبي وأنت لا تحبّه - فقال ”أشبه أمرؤ بعض بزه“ فأرسلها مثلاً . والبعيد من الفهم ، مثل قولهم ”إِنْ يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ“ . وهو مثل يضرب لمن ينكر الأمر الظاهر عنادا . والأصل فى ذلك كما ذكره المفضل بن سامة الضبي أن بنى ثعلبة بن ساعد بن ضبة فى الجاهلية تراهنوا على الشمس ، فقالت طائفة : تطلّع الشمس والقمر يُرى ، وقالت طائفة : يغيّب القمر قبل أن تطلّع الشمس ، فتراضوا برجل جعلوه بينهم حَكَمًا ، فقال واحد منهم : إن قوى يبغيون على ، فقال الحكم : إن يَبِغْ عليك قومك لا يَبِغْ عليك القمر ، بغرت مثلاً . ومن المعلوم أن قول التائل إن يَبِغْ عليك قومك لا يَبِغْ عليك القمر ، إذا أخذ على حقيقته

من غير نظر إلى القرائن المنوطة به ، والأسباب التي قيل من أجلها ، لا يعطى من المعنى ما قد أعطاه المثل ، بل ما كان يفهم من هذا القول معنى يفيد لأن البنى هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحدا ، فكان يصير معنى المثل - إن كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر - وهو كلام مختل المعنى ليس بمستقيم .

وقد أكثر الناس في تصنيف كتب الأمثال ، فمن ذلك الأمثال لأبي عبيد ، وهو مرتب على ترتيب الوقائع التي تقع فيها الأمثال . ومن ذلك أمثال الميداني ، وهي مرتبة على حروف المعجم وفي آخرها جملة من أيام حروب العرب ، إلى غير ذلك من كتب الأمثال المصنفة في هذا الباب : كأمثال الضبي ، والقمي ، وغيرها .

وأما الأمثال الواردة نظما ، فهي كلمات استحسن في الشعر . وطابقت وقائع عامة جارية بين الناس ، فتداولها الناس ، وأجروها مجرى الأمثال الثرية . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يتمثل بقول طرفة .

﴿ وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ ﴾

وهو نصف بيت مجموعته :

سَتَبْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ﴿ وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

ويرد أنه صلى الله عليه وسلم كان يُخْرِجُهُ عن الوزن ، ويُجِله عن طريق الشعر فكان يقول : ” وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ ” فوارا من قول الشعر المنزه عنه مقامه العلي ، وشرفه الرفيع ، لكن ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : ” أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَيْدٍ :

﴿ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ ﴾

والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم، إنما هو نظم الشعر دون إنشاده وسماعه. وقد بسطت القول على ذلك في كتابي المسمى "بالغيوث الهوامع في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع" في الفقه فراجعه هناك، ويروى أن عمر رضى الله عنه تمثل بقول النابغة :

وَلَسْتَ بِمُسْتَنَقٍّ أَخَا لَا تَلْمِئْهُ \* عَلَى شَعَثِ أَى الرَّجَالِ الْمُهْدَبِ

ثم قال : لمن هذا؟ فقل له للنابغة، فقال : ذاك أشعر شعرائكم؛ والمثل السائر فيه في قوله : أَى الرَّجَالِ الْمُهْدَبِ، وأمثال ذلك مما تمثل به الصحابة رضوان الله عليهم كثير، ولذلك وقع في أمثال المحدثين الواردة في أشعارهم ما يستظرف ويستحل كقول القاضي الأرجاني :

تَأْمَلْ مِنْهُ تَحْتَ الصَّدُغِ خَالَا \* لِيَتَسَلَّمَ كَمْ خَبَايَا فِي الرِّوَايَا

يشير بذلك إلى المثل الجارى على ألسنة الناس في قولهم "في الرِّوَايَا خَبَايَا" وهو من الأمثلة المستفيضة على ألسنة العامة الشائعة بينهم، وقول ابن عبد ربه .  
قَالُوا شَبَابُكَ قَدْ وُلِيَ فَقُلْتُ لَهُمْ : \* هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ ؟  
صَلِّ مِنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبْدَى مُعَاتِبَةً \* فَأَطِيبُ الْعَيْشَ وَصَلِّ بَيْنَ الْفَيْنِ !  
وَأَقْطَعْ حَبَابِلَ خِنْدٍ لَا تُلَامُهُ \* فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِإِثْنَيْنِ .  
وقول الآخر :

وَعَادَ مَنْ أَهْوَاهُ بَعْدَ الْقَلْبِ \* شَفِيقَ رُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ  
وَأَصْبَحَ الدَّاخِلُ مَا بَيْنَنَا \* كَسَاقِطٍ بَيْنَ فِرَاشَيْنِ  
قَدْ أُلِيسَ الْبَفْضَاءُ مِنْ ذَا وَذَا \* لَا يَصْلُحُ الْغَمْدُ لِسَيْفَيْنِ  
مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ \* يَكُونُ أَفْأَى يَنْ عَيْنَيْنِ ؟

قال الاصمعي : ولم أجد في شعر شاعرينا أوله مثل وآخره مثل ، إلا ثلاثة أبيات : بيت الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَدَامَ جَوَازِيَهُ \* لَا يَنْهَبُ الْعُرْفَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
وبينا أمرى القيس :

وَأَفْلَتَنِي عِلَاءُ جَرِيضًا \* وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ صَفَرَ الْوَطَابِ  
وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنَى أَبِيهِمْ \* وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ

قال صاحب العقد : "ومثل هذا كثير في القديم والحديث، ولا أدري كيف أغفل القديم منه الاصمعي، ومنه

\* سَتَبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا \*

البيت المتقدم ؟ وهو من أشرف الأبيات وأعظمها بابا .

وأما الأمثال الموضوعة على السنة الحيوانات، فكما روى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حين رأى خلاف أصحابه وتخاذلهم، تمثل بقولهم "إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ" يعني إنما خذلت يوم خذل عثمان ؛ وحكاية هذا المثل أنهم قالوا : أصطحب أسد، وثور أحمر، وثور أبيض، وثور أسود في أجمه ؛ فقال الأسد للأحمر والأسود : هذا الأبيض يفضحنا بلونه ، ويطلع فينا من يقصدنا ! فلو تركتاني آكله ، أينما فضيحة لونه ، فأذنا له في ذلك فأكله ؛ ثم قال للأحمر : هذا الأسود يخالف لوني ولونك ولو بقيت أنا وأنت ، ظنك من يراك أسدا مثلي فدعني آكله ، فسكت عنه فأكله ؛ ثم قال للثور الأحمر : لم يبق إلا أنا وأنت ، وأريد أن أكلك ! فقال : إن كنت فاعلا ولا بد ، فدعني أصعد تلك الحُضْبَةَ ، وأصيحُ ثلاثة أصوات ، فقال : أفعل ما تريد ، فصعد وصاح ثلاثة أصوات : "أَلَا إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّوْرُ الْأَبْيَضُ" فخرّب مثلاً ؛

ويحكى أن عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة ، فقال على المنبر : يا أهل  
المدينة إنكم قُتلَ عثمانُ بين أظهركم فنحن لانحبكم ! وأرسلنا مسامة بن عُبَبة فقتلكم  
في وَفْعة الحرة ، فاتم لاتبجونا ، فثلنا ومثلكم كما قال النابغة :

كَلَيْتَ ذَاتَ الصُّفَا مِنْ حَلِيفِهَا \* وَكَانَتْ تُرِيهِ الْمَالَ غِبَاً وَظَاهِرَهُ  
فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ تَنَمَّرَ مَالُهُ \* وَأَثَلُ مَوْجُودًا وَسَدَّ مَقَافِرَهُ  
أَكْبَّ عَلَى فَاثٍ يَحْدُ غُرَابَهَا \* مُدَّ كَرَّةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بَايَرَهُ  
فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَأَسِهُ \* وَفَقَّ عَيْنٌ لَا تُغْمَضُ نَاطِرَهُ  
فَقَالَ تَعَالَى تَجْعَلِ اللَّهُ بَيْنَنَا \* عَلَى مَالِنَا أَوْ تُخْجِزِي لِي آحِرَهُ  
فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهُ أَفْعَلْ إِنِّي \* رَأَيْتُكَ تُخْجِرِيَا يَمِينَكَ فَاجِرَهُ  
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي \* وَضَرْبَةُ فَاثٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

وهذه الحكاية مشهورة في الموضوعات على السُّنن الحيوان ؛ وهي أن أخوين هبطا  
بغضمهما وادياً يرعيان فيه ، فخرجت حية من تحت الصُّفا وفي فيها دينار فالتفته  
إليهما وأقامت كذلك أياما ؛ فقال أحدهما لابتد من قتل هذه الحية وأخذ هذا  
الكنز ! فنهاه أخوه فلم يقبل ، فخرجت فضربها بفأس في يده ، فشجها وشدَّت عليه  
فقتلته ، فدفنه أخوه مُقابِلَها ؛ فلما خرجت قال لها هل لك أن تتعاهد على الموتة وعدم  
الأذية ، وتعطيني ذلك الدينار كل يوم ؟ فقالت : لا ! - قال ولم ؟ - قالت لأتلك كلما  
نظرت إلى قبر أخيك لاتصفولي ، وكلما ذكرتُ الشجرة التي في رأسي لأصفوك .

### المقصد الثاني

( في كيفية استعمال الأمثال في الكتابة )

فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال الساتع استعمالها ، آتت  
إليه معانيها ، وسبقت إليه ألفاظها ، في وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع

والأحوال، فأودعها في مكانها، وأستشهد بها في موضعها. والطريق في استعمالها في الشر، كما في حل الأشعار واستعمالها، إلا أن الأمثال لا يجوز تبديل ألفاظها، ولا تغيير أوضاعها : لأنها بذلك قد عُرِفَتْ واشتهرت .

فما أستعمله أهل الصناعة من الأمثال المشورة وأوردوه في كلامهم قول المقر الشهابي ابن فضل الله في " التعريف " وفي وصية أمير مكة المعظمة " ولأنه أحقُّ بنِي الزَّهْرَاءِ بما أبْقَتْهُ لَهُ آبَاؤُهُ ، وألْقَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ قُصَى جَدِّهِ الْأَقْصَى أَبْنَاؤُهُ ؛ وَهُوَ أَجْدَرُ مَنْ طَهَّرَ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ أَشْيَاءَ تَنَزَّهَ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ فَحُشُّ عَالِمِهَا ، وَشَنْعَاءُ هُوَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَتَّبِعُهَا " وَأَهْلُ مَكَّةَ أَخْبَرُوا بِشُعَابِهَا " ، فَاسْتَعْمَلَ الْمَثَلُ السَّائِرُ فِي قَوْلِهِ : وَأَهْلُ مَكَّةَ أَخْبَرُوا بِشُعَابِهَا ؛ وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الْمَثَلُ فِي كَلَامِهِ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ ، وَجَاءَ عَلَى أَجَلٍ نَظَامٍ : لِأَنَّهُ قَدْ أَتَى بِهِ فِي مَكَانِهِ اللَّائِقُ بِهِ ، وَعَمَلُهُ الْمَخْصُوصُ بِوصفه ؛ وَقَدْ نَقَلَهُ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَاسْتَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى ، بِجَاءِ مَنْحَطًا عَنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، وَقَاصِرًا عَنْ رَتَبَتِهَا ، فَقَالَ فِي وَصِيَّةِ خَطِيبٍ ، : وَوَصَايَا هَذِهِ الرِّتَبَةِ مَتَشَعِبَةٌ ، وَهُوَ كَأَهْلِ مَكَّةَ أَخْبَرُوا بِشُعَابِهَا ، وَأَحْوَالُهَا مَتَرْتَبَةٌ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَدْرَبُ وَأَدْرَى بِهَا ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ طُرِفَ بِذِكْرِ الْخَنَاسِ الْأَشْتَقَاقِ فِي قَوْلِهِ مَتَشَعِبَةٌ مَعَ قَوْلِهِ بِشُعَابِهَا .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ الْحَلَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي خُطْبَةٍ تَقْلِيدَ بَفْتَوَةٍ عَنْ مَلِكٍ : " وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " ، الَّذِي نُورُ شَرِيعَتِهِ جَلَّى ، وَجَاهُ شَفَاعَتِهِ مَلَّى ، وَبَسِيفُهُ وَبِهِ جَاءَ النَّصْرُ وَالشَّرَفُ مِنْ انْتِمَائِنَا إِلَيْهِ ، فَلَا سَيْفٌ إِلَّا نُوُ الْقَقَارُ وَلَا قَتَى إِلَّا عَلَى . وَهَذَا عَلَى مَا هُوَ شَائِعٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ قِيلَ فِي يَوْمٍ ضَرَبَ عَلَى رَضَى عَنْهُ كَافِرًا أَسْمُهُ مَرْحَبٌ ، فَشَقَّ الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ نَصْفَيْنِ ، وَتَمَادَى السَّيْفُ فِيهِ وَفِي جَوَادِهِ فَشَقَّهُمَا كَذَلِكَ وَخَلَّصَ السَّيْفُ بَيْنَهُمَا فَنَاصَ فِي الْأَرْضِ شَبْرَيْنِ ؛ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ وَأَصْحَابِ السَّيَرَانِ ذَا الْقَقَارِ أَسْمُ سَيْفٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم ، أعطاه من خير نفسه حين أعطى صفيّة بنت حُيٍّ بن أخطب رضى الله عنها ، ولعله صلى الله عليه وسلم ، أعطاه على رضى الله عنه بعد ذلك .

ومن ذلك ما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم في الكلام على لسان القلم : وهو "أنا جديّ لها المحكك ، وعدّيقها المرجب ؛ وكريمها المبجل ، وعالمها المهذب" .

فالقرينة الأولى فيها مثلان ، وأول من قالهما الحباب بن المنذر الأنصارى يوم السقيفة ، حين أجمع الأنصار إلى سعد بن عبادة ، يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بنى ساعدة ؛ وأرادوا تأميره فذهب إليهم أبو بكر وعمر ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وقال الحباب بن المنذر : "منا أمير ومنكم أمير ، إلى أن كان من كلامه هذان المثلان . والجديّ تصغير جديّ ، واحد الأجناد ، وهى أصول الشجر العظام ، وكانت العرب إذا جريت الإبل نصبت لها جذلا في باطن الوادى تحسك فيه ، فلذلك قال جديّ لها المحكك ، أراد أنه يستشفى برأيه ، كما تستشفى الإبل بالحك في ذلك الجدل ، والعدّيق بفتح العين النخلة بجمعها ، وكان من عادتهم أن النخلة الكريمة ينبت حولها بناء يمتنعها من السقوط ، فلذلك هو المرجب ؛ أراد أنه كريم في قومه عزيز عليهم . وما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم أيضا على لسان السيف وهو : "فالشمس من شعاعى في تجل ، والليل من ضوى في وجل ؛ وما أسرع في طلب نار الإقبال فأت ما ذبح ، وسبق السيف البذل" .

ففى القرينة الأخيرة مثلان أحدهما "فات ما ذبح" وهو مثل يضرب لمن طلب الشئ بعد قوّاته ، وأصله أن بعض الملوك رأى مع أعرابى بازيا ، فأعجبه فأرسل في طلبه قاصدا ، فأتى الأعرابى ولم يكن عنده ما يضيفه به ، فدبج البازى وطبخه وقدمه إليه ، غير عالم بقصده ، فلما فرغ من أكله ذكر للأعرابى

(١) فى الأصل هذين المثلين ولعله سبق قلم من النسخ .

أمرَ البازي وما كان من طلب الملك له ، فقال ” فات ماذبح “ إنك أتيتني ولم يكن عندي ماأضيفك به ، فنبجت البازي وطبخته ؛ وهو الذي قدمته إليك .  
والمثل الثاني ” سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ “ وهو مثل لمن يلوم على فعل شيء بعد وقوعه وفوات أمره .

وبما حُلَّ من الأمثال الواردة فظها ، وأستعمل في النثر ، قول القاضي شهاب الدين ابن فضل الله في ” التعريف “ في وصية أمير مكة المعظمة أيضا في الوصية على وفود الحجيج : ” وكل هؤلاء إنما يأتون في ذِمَامِ اللَّهِ بيته الذي من دخله كان آمنا ، وإلى محل ابن بنت نبيه الذي يلزمه من طريق ير الضيف مأخذاً لهم ، وإن لم يكن ضامنا ؛ فليأخذ بمن أطاع من عصى ، وليردع كل مفسد ولا سيما العبيد ، فإن العبد لا يردعه إلا العصا ، فقله فإن العبد لا يردعه إلا العصا يشير به إلى قول ابن دريد في مقصوده .

وَاللَّوْمُ لِلْخُرْمِ قِيمٌ رَادِعٌ \* وَالْعَبْدُ لَا يَرُدُّهُ إِلَّا الْعَصَا

وقد أشتهر النصف الثاني من هذا البيت حتى جرى مجرى المثل ، ولعله كان مثلاً سائراً قبل أن ينظمه ابن دريد .

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن تَبَّاتٍ رحمه الله من توقيع بنظر مدرسة بعد أن قدم أحد أهلها رفعوا قصصهم في طلب ذلك الناظر : ” وكيف لا وهو نيم الناظر والإنسان ، وفي مصالح القول والعمل ذو اليمين واللسان ، وذو العزائم الذي تهديت في حبه الرُتَب ، ومن وجد الإحسان . “ يريد البيت المشهور :

\* مِمَّنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قِيدًا تَهَيَّأَ \*

وقد أتى فيه بالاكْتفاء ، فزاد في كلامه حُسْناً وطلاوة .

وأعلى منه وأوقع في النفوس قوله بعد ذلك في التوقيع المذكور ” فاقضني علو الرأي أن يجاب في طلبه إليهم سؤال القوم ، وأن يتصل أمس الإقبال باليوم ؛ وأن



تبلغ هذه الوظيفة أملاً فيها ، بعد ما مضت عليها من الدهر مَلَاوه ، وهذه المدرسة لولا تداركه لكانت كما قال الخزاعي "مَدَارَسَ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوِهِ" .

ومن ذلك قول المولى علاء الدين بن غانم في قَدَمَةٍ باسم مظفر الدين غانم ، وقد صَرَحَ لفلسفة ، وأدعى بها لملك المؤيد صاحب حماء "الحمد لله الذى ظَفَّرَ المظفرَ بإصابة الواجب من الطير ، ووَفَّرَ من السعادة حظَّ مَنْ أَصَابَ ووافق الصواب فيمن آتَى إِذْ تُشْرَفُ به وتميز على الغير ، وخَفَّرَ من أسراه ، إِلَى مَنْ يُجَدُّ لديه صُبْحُ سُراه إِذْ يصبحه من بشره وبرِّه كل خير" . أشار في القرينة الأخيرة إلى المثل السائر من قولهم "عِنْدَ الصَّبَاحِ يَجِدُّ القَوْمُ السُّرَى" وقد تَهَدَّم أن أول من قال ذلك خالد ابن الوليد رضى الله عنه .

وما أستمع له أهل الصناعة من أمثال المُحدِّثين نَرا قولَ الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله في وصف خطيب من جملة توقيع : " وَمَنْ إِذَا قامَ فريداً عَدَّ بِألفٍ من فرائد الرجال تُتَقَطَّمُ ، وَإِذَا أَقْبِلَ في سَوَادٍ طيلسانه ، قيل جاء السَّوَادُ الأعظمُ " فاستعمل المثل السائر في قولهم السَّوَادُ الأعظمُ ، يريدون الجَمَّ الغفير ، وهو من أمثال المُحدِّثين ، وحسُن ذلك لمناسبة بُس الخطيب السَّوَاد على ما جرت به العادة ، وإن كان خلاف السنة : كما صرح به الشيخ محي الدين النوى رحمه الله من أصحابنا الشافعية .

ومن ذلك ما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم ، وهو : " وَأُظْهِرَ كلَّ منهما ما كان يُخْفِيهِ ، فَكُتِبَ وأُمِّلَ ، وِإِباحَ بما يَكُنُّهُ صدره ، والمؤمنُ لا يَكُونُ حُبْلَى " . فاستعملت المثل في قولهم "المؤمن لا يكون حُبْلَى" وهو من أمثال المحدثين إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى . وقد تستعمل أمثال المحدثين في الشعر أيضاً فتحلو ويروق موقعها ويستظرف ، كما قال القاضي الأثرجاني :

تَأْمَلُ مِنْهُ تَحْتَ الصُّدُغِ خَالَا \* لَتَعْلَمَ كَمْ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا

## النوع الثاني عشر

(معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم)

ويحتاج إليه الكاتب في المكتبات : لأنه بصدد أن يكتب عن ملكه إلى أمير قبيلة من العرب، أو ملك أمة من الأمم؛ فما لم يكن عارفاً بأنسابها، كان قاصراً فيما يكتبه من ذلك . ومن غريب ما وقع في ذلك أن ملك البترو من ملوك السودان كتب كتاباً إلى الأبواب السلطانية ، بالديار المصرية في الدولة الظاهرية برقوق يذكر فيه أن المجاورين لهم من عرب جُذام قد أغاروا عليهم وسبوا جماعة من نساءهم وذراريهم وباعوهم بالديار المصرية وما حولها ، ثم قال ونحن من ذرية سيف بن ذي يزن العربي القرشي ، نخلط القحطانية بالعدنانية ، لأن سيف بن ذي يزن من بقايا التباعة من حمير من القحطانية ، وقريش من العدنانية ، وناهيك بذلك عيا أن لو وقع من كاتب معتبر .

ويشتمل الغرض منه على ثلاثة مقاصد .

## المقصود الأول

(معرفة عمود النسب النبوي من النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم، من حيث

إن سائر الأنساب تتعلق به وترجع في القرب والبعد إليه)

وهأنا أوردته على ما أورده ابن اسحاق في "السيرة النبوية" على صاحبها أفضل . الصلاة والسلام ، وتبعه عليه ابن هشام في سيرته إذ كانا عمدة في هذا الباب .

فأقول : "هو محمد" رسول الله ، بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان ، بن أدد ، بن مقوم ، بن ناحور ، بن تيرح ، بن

يعرب ، بن يَشْجَب ، بن ثابت ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم الخليل عليهما السلام  
 ابن تارح ، وهو آزر ، بن أرغو ، بن فالغ ، بن عابر ، بن أَرْشَد ، بن سام ، بن نوح عليه  
 السلام ، ابن يرد ، بن مهليل ، بن قَيْن<sup>(١)</sup> ، بن تاتش ، بن شيث ، بن آدم عليه السلام  
 قال النووي : "والإتفاق على هذا النسب الشريف إلى عدنان ، وليس فيما بعده  
 إلى آدم طريق صحيح" وفيما بعد عدنان ، إلى إسماعيل عليه السلام خلاف كثير ،  
 قال القضاعى فى "عيون المعارف فى أحكام الخلائف" وقد روى أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال "لأَنْجَارُ زَوْا مَعَدَّ بَنَ عَدْنَانَ ، كَذَبَ النَّسَابُونَ ، ثُمَّ قَرَأُوا قُرْآنًا بَيْنَ ذَلِكَ  
 كَثِيرًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَعْلَمَهُ لَعَلَّمَهُ" قال : والصحيح أنه من قول ابن مسعود رضى  
 الله عنه .

## المقصود الثانى

(فى أنساب العرب وفيه مهيعان)

## المهيع الأول

(فى أمور نجب معرفتها قبل الخوض فى النسب)

وأول ما نجب معرفته من ذلك مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِ لَفْظُ الْعَرَبِ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ "الْعَرَبُ  
 جِيلٌ مِنَ النَّاسِ وَهُمْ أَهْلُ الْأَمْصَارِ ، وَالْأَعْرَابُ مُكَّانُ الْبَادِيَةِ ، وَالنَّسَبَةُ إِلَى الْعَرَبِ  
 عَرَبِيٌّ ، وَإِلَى الْأَعْرَابِ أَعْرَابِيٌّ" والتحقق إطلاق لفظ العرب على الجميع ، وأن  
 الأعْرَابَ نوع من العرب ، ثم اتفقوا على تنويع العرب إلى نوعين عَرَابَةٌ وَمُسْتَعْرَبَةٌ .  
 فالعَرَابَةُ هم العرب الأول الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداءً فتكلموا بها . قال

(١) فى القاموس قَيْنان بن أنوش بن شيث .

الجوهرى "وقد يقال فيهم العرب العرباء". والمستعربة هم الداخلون في العربية بعد العجمية. قال الجوهرى "وربما قيل لهم المتعربة". وقد اختلف في العاربة والمستعربة فذهب ابن إسحاق والطبرى إلى أن العاربة هى عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعييل والعائلة وعبد شحيم وجرهم الأولى، ومن في معناهم. والمستعربة بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وبنو إسماعيل عليه السلام لأن لغة عابر وإسماعيل كانت سريانية أو عبرانية، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة من كان في زمانهم كعاد ونحوهم، وتعلم إسماعيل العربية من جرهم من بنى قحطان النازلين على إسماعيل وأمه بمكة. وذهب آخرون منهم المؤيد صاحب حماء إلى أن بنى قحطان هم العاربة، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل فقط، والذي رجحه صاحب العبر الأول.

ثم قد قسم المؤرخون العرب أيضا إلى بائدة وغيرها، فالبائدة هم الذين بادوا ودرست آثارهم كعاد، وثمود، وطسم، وجديس، وغير البائدة هم الباقون في القرون المتأخرة بعد ذلك من القحطانية: كهلبي، ونلثم، وجذام ونحوهم، ومن العدنانية كقزارة وسليم وقريش، ومن في معناهم. ثم قد عدّ الماوردى وغيره طبقات أنساب العرب ست طبقات.

الطبقة الأولى - الشعب بفتح الشين، وهو النسب الأبدي الذى تُنسب إليه القبائل كعدنان، ويجمع على شعوب؛ وسمى شعبا لأن القبائل تُشعب منه.

الطبقة الثانية - القبيلة، وهى ما أقسم فيه الشعب كربيعة ومضر، وتجمع على قبائل، وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، وربما سميت القبائل جماعيم.

الطبقة الثالثة - العمارة بكسر العين، وهى ما أقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع على عمائر وعمارات.

الطبقة الرابعة - البطن وهي ما أقسم فيه أنساب العمارة كبنى عبد مناف، وبنى مخزوم وتجمع على بطون وأبطن .

الطبقة الخامسة - الفخذ، وهي ما أقسم فيه أنساب البطن : كبنى هاشم، وبنى أمية، ويجمع على أنفاذ .

الطبقة السادسة - الفصيلة - بالصاد المهملة - وهي ما أقسم فيه أنساب الفخذ كبنى البأس وبنى أبي طالب، ويجمع على فصائل؛ فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأنفاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العائر، والشعب يجمع القبائل. قال النوى وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة، قال الجوهرى "وعشيرة الرجل رَهطه الأدنون" وحكى أبو عبيدة عن ابن الكلبي عن أبيه تقديم الشعب على القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمارة، ثم الفخذ، فأقام الفصيلة مقام العمارة في ذكرها بعد القبيلة والعمارة مقام الفصيلة في ذكرها قبل الفخذ . وبالجملة فأكثر ما يدور على الألسنة من الطبقات الست المذكورة القبيلة، ثم البطن، وقيل أن تذكر العمارة والفخذ والفصيلة، وربما عبروا عن كل من الطبقات الست بالحنى، إما بالعموم مثل أن يقال حنى من العرب، وإما على الخصوص مثل أن يقال حنى من بنى فلان .  
ومما يجب على الناظر في الأنساب أن يعرف عشرة أمور .

الأول - قال الماوردى إذا تباعدت الأنساب، صارت القبائل شعوبا، والعائر قبائل؛ يعنى وتصير البطون عمار، والأنفاذ بطونا، والفصائل أنفاذا، والحادث من النسب بعد ذلك فصائل .

الثانى - قد ذكر الجوهرى أن القبيلة هم بنو أب واحد، وقال ابن خزم جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل: وهى تَخْخ، والعُتْق، وِغْسان

فإن كل قبيلة منهم مجتمعة من عدة بطون ، وذلك أن تَنُوخا اسم لعشر قبائل  
اجتمعوا وأقاموا بالبحرين ، فُسُومُوا بِتَنُوخٍ أَخْذاً مِنَ التَّنُوخِ وَهُوَ الْمَقَامُ ، وَالْعَتَقُ جَمْعُ  
اجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم فُسُومُوا بِذَلِكَ . وَغَسَّانُ  
عدة بطون من الأزد نزلوا على ماء يسمى غَسَّانُ فُسُومُوا بِهِ .

الثالث - تخصيص الرجل من رجال العرب بانتساب القبيلة إليه دون غيره من  
قومه بأن يُشْتَهَرُ اسْمُهُ بِهَمِّ لِرِياسَةٍ ، أَوْ شِجَابَةٍ ، أَوْ كَثْرَةِ وَلَدٍ ، أَوْ غَيْرِهِ فَيُنْسَبُ بِئُوهُ  
وسائر أعقابه إليه ؛ وربما أنضم إلى النسبة إليه غير أعقابه من عشيرته كإخوته  
ونحوهم ، فيقال فلان الطائي ، فإذا أتى من عقبه من أشهر منهم أيضاً بسبب من  
الأسباب المتقدمتة نُسِبَتْ إِلَيْهِ بِئُوهُ ، وجعلت قبيلة ثانية ؛ فإذا أشتمل النسب على  
طبقتين فأكثر كهاشم ، وقريش ، ومُضَرَ ، وعدنان ، جاز لمن في الدرجة الأخيرة من  
النسب أن يُنْسَبَ إِلَى الْجَمِيعِ : فيجوز لبني هاشم أن يُنْسَبُوا إِلَى هَاشِمٍ ، وَإِلَى  
قريش ، وإلى مُضَرَ ، وإلى عدنان : فيقال في أحدهم الهاشمي ، والقُرَشِيُّ ، والمُضَرِّي ،  
والعدناني ؛ بل قال الجوهري : إن النسبة إلى الأعلى تغني عن النسبة إلى الأسفل  
فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وبرة الكَلْبِيُّ استغنيت أن تنسبه إلى شيء من  
أصوله . وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى .  
ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى : مثل أن يقال القرشي العدوي وبعضهم  
يرى تهديم السفلى على العليا ، فيقال العدوي القرشي .

الرابع - قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والمؤالة فينسب إليهم : فيقال  
فلان حليف بني فلان أو مولاهم .

الخامس - إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى ، جاز أن ينسب

إلى قبيلته الأولى، وأن ينسب إلى القبيلة الثانية التي دخل فيها ، وأن ينسب إليهما جميعا مثل أن يقال التيمي ثم الوائلي، أو الوائلي ثم التيمي وما أشبه ذلك .

السادس - القبائل في الغالب تسمى باسم أبي القبيلة : كربيعة ومضر، والأوس والخزرج، وما أشبه ذلك؛ وقد تسمى القبيلة باسم الأم : كحندف، وبجيلة ونحوهما؛ وقد تسمى باسم خاصة خَصَّتْ أصل تلك القبيلة ونحو ذلك . وربما وقع النسب على القبيلة لحدوث سبب كغسان<sup>(١)</sup> ، حيث تزلوا على ماء باليمن كسعد والحارث وغيرهما .

السابع - أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب .  
أولها - أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد، وحمود، ومدين، ومن شاكلهم؛ وبذلك ورد القرآن الكريم (وإلى عاد . وإلى حمود . وإلى مدين) يريد بنى عاد، وبنى حمود، وبنى مدين ، ونحو ذلك؛ وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام بخلاف البطون والأنفاد ونحو ذلك .

وثانيها - أن يطلق على القبيلة لفظ البتوة : فيقال بنو فلان ؛ وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأنفاد .

وثالثها - أن يرد ذكر القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين والجماعرة . ونحوهما ؛ وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم .

ورابعها - أن يعبر عنها بال فلان : كال ربيعة، وآل فضل، وآل مرة، وآل علي، وما أشبه ذلك؛ وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخرة، لاسيما في عرب الشام في زماننا . والمراد بالآل الأهل .

(١) كذا في الأصل ويظهر أن فيه سقطا .

وخامسها - أن يعبر عنها بأولاد فلان، ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أخذ العرب على قلة : كقولهم أولاد زطاع، وأولاد قُرَيْش ونحو ذلك .

الثامن - أسماء غالب العرب متقولة عمّا يدور في خزّانة خيالهم مما يُخالطونه ويُجاورونه ؛ إما من الحيوان المفترس كأسيد، وتَمِر ؛ وإما من النبات كنبت، وحَنْظَلَة ؛ وإما من الحشرات كحَيَّة، وحَنْش ؛ وإما من أجزاء الأرض كقَهْر، وصَحْفَر ونحو ذلك .

التاسع - الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء : ككَلْب ، وحَنْظَلَة ، ومُرَّة ، وضَرَّار، وحَرْب، وما أشبه ذلك ؛ وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء : ككَفَّالَح ونَجَّاح، ونحوهما . والمعنى في ذلك ما حكى أنه قيل لأبي الدُّقَيْش الكلابي <sup>(١)</sup> : لِمَ تُسَمُّون أبناءكم بِسَرِّ الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق وربّاح؟ فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا (يريد أن الأبناء معدّة للأعداء فاختاروا لهم سَرِّ الأسماء، والعبيد معدّة لأنفسهم فاختاروا لأنفسهم خير الأسماء) .

العاشر - إذا كان في القبيلة آسمان متوافقان : كالخارث والحارث ، وأحدهما من ولد الآخر أو بعده في الوجود عبّروا عن الوالد أو السابق منهما بالأكبر، وعن الولد أو المتأخر منهما بالأصغر؛ وربما وقع ذلك في الأخوين إذا كان أحدهما أكبر من الآخر .

## المهيع الثاني

(في معرفة تفاصيل أنساب العرب)

وأعلم أن العرب على قسمين .

(١) أمهله في الأصل وصوابه الإعجام .



## القسم الأول

## (العرب البائدة)

وهم الذين بادؤا ، ودرست آثارهم ، وأقطعت تفاصيل أخبارهم إلا القليل ؛  
والمشهور منهم قبائل .

القبيلة الأولى - عاد ؛ وهم بنو عاد بن عوص بن آرم بن سام بن نوح عليه  
السلام ، وكانت منازلهم بالأحقاف بين اليمن وعمان : من البحرين إلى حضرموت  
والشعر ؛ وهم الذين بعث الله تعالى إليهم هودا عليه السلام فلم يؤمنوا فاهلكهم  
بالريح كما ورد به القرآن الكريم .

القبيلة الثانية - ثمود ، وهم بنو ثمود بن جابر ، (ويقال كاذر بالكاف بدل الجيم)  
آبن آرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم بالجفر ووادي القرى ، بين  
الحجاز والشام ؛ وكانوا يتحنون بيوتهم من الجبال مرادة لطول أعمارهم . بعث الله  
تعالى إليهم صالحا عليه السلام فلم يؤمنوا ، فاهلك الله بصيعة من السماء كما ورد به  
القرآن الكريم .

القبيلة الثالثة - العَمَلقة ، وهم بنو عَمَلِيق ، (ويقال عَمَلِاق) بن لاوذ بن آرم بن  
سام بن نوح ؛ وهم أمة عظيمة يضرب بهم المثل في الطول والحيثان . قال الطبري  
وتفرقت منهم أُمم في البلاد ، فكان منهم أهل عُمان ، والبحرين ، والحجاز ، وملوك  
العراق ، والجزيرة ، وجبابة الشام ، وفراعنة مصر .

القبيلة الرابعة - طسم ، وهم بنو طَسم . قال آبن الكلبي وهم بنو طسم  
آبن لاوذ بن آرم بن سام بن نوح عليه السلام . وذكر الجوهري أنهم من عاد ،

قال : وكانت منازلهم الأحقاف باليمن . وذكروا في "العبر" أن ديارهم كانت باليامة ؛ وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين إخوانهم جدس الآق ذكروهم .

القبيلة الخامسة - جدس ، وهم بنو جدس بن إرم بن سام بن نوح . وقال الطبري جدس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت مساكنهم بجوار طسم المقدم ذكروهم ؛ وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين المذكورين أيضا .

القبيلة السادسة - عبد تخم ، وهم بنو عبد تخم بن إرم بن سام بن نوح . قال في "العبر" : كانوا يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك . قال : ويقال إنهم أول من كتب بالخط العربي .

القبيلة السابعة - جرهم الأولى . قال ابن سعيد : وهم قبيلة من العرب كانوا على عهد عاد فبادوا .

القبيلة الثامنة - مدّين ، وهم بنو مدّين بن إبراهيم عليه السلام ؛ وهم أمة كبيرة قبائل وشُعوب ؛ وكانت ديارهم ديار عاد وأرض مَعان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريبا من عشيرة قوم لوط<sup>(١)</sup> بعث الله إليهم شُعيبا فلم يؤمنوا .

### القسم الثاني

(من العرب الباقية أعقابهم على تعاقب الزمان)

وأكثر من تدعو حاجة الكاتب إلى معرفته من بقى أعقابهم منهم متفرقة في أقطار الأرض إلى الآن ، وهم على ثلاثة أصرب .

(١) في سبائك الذهب من أرض قوم لوط فتنبه .

## الضرب الأول

(العرب العاربة)

قال الجوهري: ويقال فيهم العرب العاربة، وهم بنو قحطان، بن عابر، بن شالخ  
ابن أرفخشذ، بن سام، بن نوح عليه السلام، وهم عرب اليمن. والمشهور منهم شعبان.  
الشعب الأول - جرهم (بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء) وهم بنو جرهم بن  
قحطان، وهم غير جرهم الأولى المقدم ذكرها في جملة العرب البائدة.

وكانت منازلهم أولاً اليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز فتلوه، فأقاموا به حتى كان من  
نزول إسماعيل عليه السلام مع أبيه مكة ما كان، فتلوا عليه بمكة، وأستوطنوا على  
ما سيأتي ذكره في الكلام على العرب المستعربة إن شاء الله تعالى.

الشعب الثاني - يعرب، وهم بنو يعرب بن قحطان المقدم ذكره. ويقال إن  
العرب إنما سُميت عرباً به، وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومنه تأسلوا  
فولد له يشجب، وولد يشجب سبأ، ومنه تفزعت جميع قبائلهم،  
ومرجع المشهور فيه إلى قبيلتين.

القبيلة الأولى - حمير، وهم حمير بن سبيل (بكسر الحاء وأسمه العرنيج). وقد ذكر  
ابن الكلبي: أنه كان لخمير عشرة أولاد من عقبه وكان غالب وبل قبائل حمير من  
آبئيه: الهميسع، ومالك ملوك اليمن، وكانت بلادهم مشارف اليمن فظفأروما  
حولها. ولخمير بقايا موجودون إلى الآن، ومنه غالب قبائل قضاة، ومنه غالب  
قبائل حمير، وهو قضاة، بن مالك، بن عمرو، بن مرة، بن زيد، بن مالك، بن حمير،  
وقيل قضاة بن مالك بن حمير. وذهب بعض النسابة إلى أن قضاة من العدنانية  
الآتي ذكرهم. قال السهلي: والصحيح أن أم قضاة (وهي جكرة) مات عنها مالك

ابن حمير وهى حامل، فترجها معد بن عدنان، فولدت قضاة على فراشه فتبناه فنُسب إليه. قال المؤيد صاحب حماء: "وكان قضاة مالكا لبلاد الشحر وقبره يجبل الشحر موجود". ولقضاة بقايا إلى الآن ينسب إليهم، وإليهم ينسب القضاة المصرى صاحب كتاب "الشهاب فى المواعظ والآداب" فى الحديث، وخطط مصر وغيرهما.

والمشهور من قضاة سبعة أحياء .

الحى الأول - بلى (فتح الباء)، وهم بنو بلى، بن عمرو، بن الحافى، بن قضاة، ولم يبقأ بالديار المصرية بصعيدها الأعلى، منهم بنوناب وغيرهم، وبقايا بالحجاز وغيرهما، والنسبة إليهم بلوى بزيادة واو مكسورة قبل ياء النسب .

الحى الثانى - جهينة (بضم الجيم وفتح الهاء والنون)، وهم بنو جهينة، بن زيد، ابن ليث، بن سود، بن أسلم، بن الحافى، بن قضاة، وهى قبيلة عظيمة، ولم يبقأ ببلاد الصعيد من الديار المصرية وبالحجاز وغيرهما . والنسبة إليهم جهنى بمحذف الياء بعد الهاء .

الحى الثالث - كلب، وهم بنو كلب، بن وبرة، بن ثعلبة، بن حُلوان، بن عمران، ابن الحافى، بن قضاة، ومنهم حارثة الكلبي أبو زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال صاحب حماء : وكان بنو كلب فى الجاهلية ينزلون دومة الجندل، وتبوك، وأطراف الشام . قال ابن سعيد : ومنهم الآن خلق عظيم على خليج القسطنطينية مسلمون . قال فى «مسالك الأبصار» : وبشيزر، وحب، وبلادها، وتدمر، والمنابر أقوام منهم؛ والنسبة إليهم كلبي .

الحى الرابع - عذرة (بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة) وهم بنو عذرة

(١١) ابن سعيد، بن هذيم، بن زيد، بن ليث، بن سود، بن أسلم، بن الحافي، بن قضاة، وإلى عُدرة هؤلاء ينسب العشق والتيمُّ، ومنهم عُروة بن حزام صاحب عَفراء أحد التميميين وحميل صاحب بُثينة . ومن أحسن ما يحكى أنه قيل لرجلٍ منهم : ما بال العشق يقتلكم يا بني عُدرة ؟ قال لأن فينا جمالا وعِفَّة : وقيل لآخر منهم : ما بال الرجل منكم يموتُ في هوئِ امرأة ؟ إنما ذلك ضَعْف فيكم يا بني عُدرة - فقال : أما والله ! لو رأيتم النواظر الدُّعج، تحبَّ المَباسِمُ القُلُج، فوقها الحَوَاجِبُ الرَّجُج، لا تخذلونها اللَّاتَ والعُزَّى، ولم يبقا بالثَّقَلَيْنِ والمُرَاحِيَةِ من الديار المصرية، وبقايا بالشام أيضا .

الحلى الخامس - بهراء (يفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وألف بعد الراء المهمل)، وهم بنو بهراء، بن عمرو، بن الحافي، بن قضاة، ومنهم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، منهم المقداد بن الأسود، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقال : إن خالد بن برمك من آل بهراء . قال في العبر : وكانت منازلهم شمالي منازل بني من الينع إلى عقبة أيلة، ثم جاور بحر القلزم منهم خلق كثير، وأنشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر، وكثروا هناك، وغلبوا على بلاد النوبة، وهم يحاربون الحبشة إلى الآن .

الحلى السادس - بنو تهذ، بن زيد، بن ليث، بن سود، بن أسلم، بن الحافي، بن قضاة، وكانت منازلهم باليمن، وإليهم كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابه المشهور، وكان منهم طائفة بالشام أيضا فيما ذكره أبو عبيد . ومن مشاهير تهذ الصَّقْعَب : قال صاحب حماه : وكان رئيسا في الإسلام .

(١) في القاموس سعد بن هذيم بدون ياء وهو الصواب وهذيم عبد حبشي حضن سعدا قسب إليه وإلا

فهو سعد بن زيد بن ليث فليس زيد جدًا له كما قد يتوهم من العبارة فتهب .

الحى السابع - جرم، وهم بنو جرم وأسمه عَلاف، بن زَبَّان، بن حُلوان، بن عمران،  
 ابن الحاق، بن قُضَاعَة. قال الحمداوى: ومنهم بنو جُثَم، وبنو قُدَامَة، وبنو عَوْف.  
 قلل في العبر: ومنهم جماعة من الصحابة رضى الله عنهم. قلت وهم القاضى ولى  
 الدين بن خلدون فجعلهم هم الذين ببلاد غَزَّة، وقد تقسّم أن أولئك هم جرم طيى  
 لا جرم قُضَاعَة. وعد صاحب حماه في تاريخه منهم تَنُوخ (بفتح التاء المثناة فوق  
 وضم النون وخاء معجمة فى الآخر) قال الجوهرى: ولا تشدد نونه، والتحقيق  
 ما قاله أبو عبيد: أنهم ثلاثة أبطن من القحطانية زَرَار، والأحلاف.<sup>(١)</sup> قال: وسموا بذلك  
 لأنهم حلفوا على المقام بمكان بالشام والتَنُوخ المقام. قال ابن سعيد: ومن الناس  
 من يطلق تَنُوخ على الضَّجَاعَة، ودوس الذين تَنُوخوا بالبحرين. قال صاحب  
 حماه: وكان بينهم وبين التَّحَمِيين ملوك الحيرة حروب، ولتنوخ بقايا بالمعرة من بلاد  
 الشام فيما ذكره الحمداوى.

القبيلة الثانية - من القحطانية كَهْلَان (يفتح الكاف وسكون الهاء)، وهم بنو  
 كَهْلَان بن سببا. قال أبو عبيد: وشعوبهم كلها متشعبة من زيد بن كَهْلَان،  
 وكانوا متداولين الملك باليمن مع بنى حمير، انفرد بنو حمير بالملك، وبقيت بطون كهلان  
 على كثرتها تحت ملكهم. قال فى العبر: ثم تقاصر مُلْك حمير وبقيت الرئاسة على  
 العرب بالبادية لبني كَهْلَان، وهم أحياء كثيرة.  
 والمشهور منهم أحد عشر حياً.

الحى الأول - الأزد (يفتح الهمزة وسكون الزاى وبالذال المهملة)، قال  
 أبو عبيد: ويقال بالسين بدل الزاى. قال الجوهرى: بالزاى أفصح، وهم بنو  
 الأزد، بن النَوَث، بن نَبْت، بن مالك، بن أَدَد، بن زيد، بن كهلان، وهم من أعظم  
 الأحياء وأكثرهم بطونا. وقد قسّم الجوهرى الأزد إلى ثلاثة أقسام.

(١) أى أسد وضفان فهما اثنان وزرار الثالث

أحدها - أزدُ شَتْوَة، وهم بنو نَصْر بن الأزد، وشَتْوَة لقب لنَصْر غلب على بنيّه .  
 الثانى - أزد السَّراة ، بإضافة أزد إلى السَّراة ( بالسین المهملة ) ، وهو موضع  
 بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فَعْرِفُوا به .

الثالث - أزدُ عَمَّان بإضافة أزد إلى عَمَّان ( يفتح العين المهملة وتشديد الميم )<sup>(١)</sup>،  
 وهى مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم فَعْرِفُوا بها . وللازد بقايا ببلاد الشام بزرع  
 وبُصْرَى فيما قاله فى "مسالك الأبصار" .

ثم الأزد بطون كثيرة . منها عَسَّان ( يفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة  
 ونون فى الآخر )، قال أبو عبيد : وهم بنو جَفْنَة ، والحارث وهو مُحَرَّق ، وثلْبة وهو  
 العَنَاء ، وحارثة ، ومالك ، وكعب ، وخارجة ، وعوف بن عمرو ، بن عامر ماء السماء ، بن  
 حارثة الغَطْرِيف ، بن امرئ القيس الطِّريق ويقال البهلُول ، ابن ثعلبة ، بن مازن ،  
 ابن الأزد ؛ وإنما سُموا عَسَّان لماء نزلوا عليه اسمه عَسَّان فَنَزَرُوا منه فسموا به .  
 قال فى العبر : وهو على القرب من بلاد اليمن . قال أبو عبيد : وفى ذلك يقول  
 بعض الأنصار :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعَشَرٌ مُّجِبُّ \* الأزدُ نَسَبُنا والماءُ عَسَّانُ

ولفسان هؤلاء كان ملك العرب بالشام بعد سَليح المقدّم ذكرهم إلى أن كان  
 آحَرَم جَبَلَة بن الأيهم الذى أسلم فى زمن عمر ثم آرتد، ولحق ببلاد الكُفَر . وقد  
 ذكر فى "مسالك الأبصار" أن لهم بقايا ببلاد الشام بالبَلقاء واليَمُوك وَجَحْص . ومنها  
 الأوس وانخَرَج أبنا حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو مُزَقِيًا ، بن عامر ماء السماء ، بن حارثة  
 الغَطْرِيف ، بن امرئ القيس الطِّريق ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الأزد ؛ وكانت منازلهم

(١) هذا الضبط يخالف لما ضبطه الجوهري بالقلم والقاموس أيضا وضبطه شارحه بالعبارة . فقال :  
 كغراب بلد بالبحرين وكذا ياقوت وفيه أيضا أن المقترح المشدّد بلد بأطراف الشام حرره .

(٢) لقب بذلك لطلول عتقه ووقع فى الأصل بالثناة وهو تصحيف .

يَرْبَبَ؛ ومنهم كانت أنصارُ النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يَهايَا كثيرة متفرقة بالمشرق والغرب. وقد ذكر الحمداني: أن منهم جماعةً يَمْتَلُوط من صعيد مصر من عَقِب حَسَّانَ بن ثابت، وسعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنهما.

الحى الثاني - من كهلان طَيِّئ (بفتح الطاء وتشديد الياء بهمزة فى الآخر) أخذوا من الطاعة على وزن الطاعة: وهى الإيغال فى المِرْعَى، وهم بنو طيئ، بن أَدَدَ ابن زيد، بن يَشْجُب، بن عَرِيب، بن زيد، بن كَهْلان، والنسبة اليهم طائى، واليهم ينسب حاتم الطائى المشهور بالكرم، وأبو تمام الطائى الشاعر المشهور، وهم كثير. قال فى العبر: وكانت منازلهم باليمن نخرجوا منها على لاثُرُجُوج الأزد عند تفرقهم بسيل العرم، فزلوا يَحْجِد والحجاز على القُرْب من بنى أسد؛ ثم ظلبوا بنى أسد على جَبَلٍ أَجَا وسأى من بلاد تَجْد، فزلوها فعرفا بجبلى طيئ إلى الآن؛ ثم افترقوا فى أول الإسلام زمن الفتوحات فى الأقطار، ولم يطلون كثيرة. منهم ثعل (بضم التاء المثناة وفتح العين المهملة ولام فى الآخر) وهم بنو ثعل، بن عمرو، بن القوث، بن طيئ. قال أبو عبيد: ومنهم البيت والعدد. قال صاحب حماه: ومنهم زيد الخليل.

ومنها جَدِيلَةُ (بفتح الجيم وكسر الدال وسكون الياء وفتح اللام وهاء فى الآخر)، ذكرهم الجوهري ولم يرفع نسبهم؛ ثم قال: وجَدِيلَةُ أمهم عرفوا بها: وهى جَدِيلَةُ بنت سُبَيْع بن عمرو من حمير.

ومنها تَبَّان (بفتح التون وسكون الباء الموحدة ونون بعد الألف)، وهم بنو تَبَّان، وأسمه سُدَّان، بن عمرو، بن القوث، بن طيئ.

ومنها بَوْلَان (بفتح الباء الموحدة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف) وهم بنو بَوْلَان، وأسمه غُصَيْن، بن عمرو، بن القوث، بن طيئ. ومنهم الثلاثة نفر الذين يقال



لأنهم وضعوا الخط العربى على ما سبأى ذكره فى الكلام على الخط فيما بعد  
إن شاء الله .

ومنها هِئَاء ، وهم بنو هِئَاء ، بن عمرو ، بن القَوْث ، بن طي .

وممنهم إِيَّاس بن قَبِيصَةَ الذى ملك بعد النُّعْمَان بن المنذر .

ومنها سُئُوس (بضم السين والبدال المهملتين وسين مهملة فى الآخر) ، وهم بنو  
سُئُوس بن أَصَمَّع من بنى سعد ، بن تَهَّان ، بن عمرو ، بن القَوْث ، بن طي .

وممنهم جَعْفَر بن عَطِيَّة الذى يقول :

مَدَحْتُ نَسِيبِي جَعْفَرًا إِنْ جَعْفَرًا \* مُحَابُّ كَنَاءِ النَّدَى وَأَنَامِلُهُ

ومنها سَلَامَانُ (يفتح السين المهملة ونون فى الآخر) ، وهم بنو سَلَامَانَ ، بن ثَعْل ،  
أَبْنِ القَوْث ، بن طي .

ومنها بُجُثْر (بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة فوق وراء  
مهملة فى الآخر) ، وهم بنو بُجُثْر ، بن عَتُود ، بن عُنَيْنٍ ، بن سَلَامَانَ ، بن ثَعْل ،  
أَبْنِ عمرو ، بن القَوْث ، بن طي ، منهم أَبُو عُبَادَةَ البَحْرِيُّ الشاعر الإسلامى المشهور .

ومنها زُبَيْد (بضم الزاى وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وodal مهملة  
فى الآخر) ، وهم بنو زُبَيْد ، بن مَعْن ، بن عمرو ، بن عُنَيْنٍ ، بن سَلَامَانَ ، بن عمرو ، بن  
القَوْث ، أبن طي . قال أَبْنِ سعيد : وزُبَيْد هؤلاء هم الذين يبرية سَنُجَار من الجزيرة  
الْقُرَاتِيَّة ، وهم الذين ذكرهم المقرئ الشهابى بن فضل الله ، وسماه زُبَيْد الأَحْلَاف .

ومنها سُبَيْس (بضم السين المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسين مهملة<sup>(١)</sup>  
فى الآخر) ، وهم بنو سُبَيْس بن معاوية ، بن جَرُول ، بن ثَعْل ، بن عمرو ، بن القَوْث ، بن

(١) ضبطه السويدي فى سبائك الذهب فقال ففتح السين وذكر فى القاموس أنه بالكسر وكذلك هو  
فى الصحاح واللسان بصيغ القلم فتنبه .

طيئ . وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بشُرْدِمِيَاط ، وأنه كان لهم شأن أيام الخلفاء الفاطميين ، وعدّ منهم ثلاثة بطون : وهم الخزاعلة ، وعيسد ، وجموح . والإمرة في زماننا هذا فيهم ، في الخزاعلة ، في بنى يوسف بمدينة سحنا من الأعمال الغربية . قال الحمداني : ومنهم طائفة بالبطائح من بلاد العراق .

ومنها جرم (يفتح الجيم وسكون الراء وميم في الآخر) ، وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث ، بن طيئ . وقال الحمداني جَرَمَ أَسَمُ أمه غلب عليه : وهى جرم بنت الغوث ابن طيئ ؛ وهؤلاء هم جرم الذين ببلاد غَزَّة من البلاد الشامية . قال الحمداني : وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على تدافع الفرنج عن المسلمين ، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد ، دخلت طائفة منهم مصر ، وبقي بقاياهم بمكانهم ببلاد غَزَّة . وقد ذكر الحمداني منهم ثلاثة بطون : وهم شمجان ، وقران ، وجيآن . ثم قال : والمشهور من جَرَمَ الآن جَذِيمَة ؛ ويقال إن لهم نسبا في قریش ؛ وزعم بعضهم أنها ترجع إلى حُزُوم ، وقيل بل من جذيمة بن مالك ، بن حنبل ، بن عامر ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فيهر . ثم قال وجَذِيمَة هؤلاء هم آل عَوَّجَة ، وآل أحمد ، وآل محمود . ثم قال : ومنهم أسلم ، وشبل ، ورضيعة ، ونيور ، والقذرة ، والآحامدة ، والرفعة ، وكور ، وموقع . ومنهم من بنى غوث العاجلة ، والعبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ، وبنو مقدم ، وآل نادر . ومنهم من بنى غوث بنو بها ، وبنو خولة ، وبنو هرماس ، وبنو عيسى ، وبنو سهيل ، وأرضهم الداروم ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببني فheid . ثم اختلطوا بهم .

ومنها ثعلبة ، وضيطة معروف ، وهم بنو ثعلبة بن سلامان ، بن ثعل ، بن عمرو بن الغوث ، بن طيئ ، وهم رعيان دَرَمَا وزيق ، ابني عَوْف بن ثعلبة ، وقيل أبنا ثعلبة وأسَمَ دَرَمَا عمرو ، ودَرمَا اسم أمه غلب عليه . قال الحمداني : وكانوا مع جرم بالشام يدا مع

الفرنج على المسلمين، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد آنتقلت طائفة منهم إلى مصر ونزلوا أطراف بلاد الشرقية؛ فمن بطون درما سلامة، والأحمر، وعمرو، وقصير، وأويس، وشبل، والحنايلة، والمرانة، والحسيانيون؛ ومن بطون زريق بها بنو وهم والطليحيون؛ ومن الطليحيين آل حجاج، وآل عمران، وآل حفصان، والمصالحفة، ومن بني زريق أيضا الصبيحيون، ومن الصبيحيين الغيوث، والزيموت، والروايات، والثورة، والشمخين، والسعالي، والرمالي، والمعاصرة، والسنديون، والبجاجة، والعقيليون، والمساهرة، والمعافرة؛ ومنهم أيضا العليميون. قال الحمداني: "وكان مقدمهم قديما عمرو بن عسيلة أممر بالبوق والعلم. ومن العليمين القمعة، والرياحين، والغوفة. قال الحمداني: "وكان فيهم رجال ذو ذكر ونباهة، خدموا الدول، وعضدوا الملوك، وقاموا ونصروا. ومنهم من أمر بالبوق والعلم. ومن بطون ثعلبة هؤلاء أيضا الجواهرية."

ومنها غزية (بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي وتشديد الياء المثناة تحت وهاء في الآخر)، وهم بنو غزية، بن أفلت، بن ثعل، بن عمرو، بن سلمان، بن ثعل، بن عمرو، بن القوث، بن طي. قال الحمداني: "وهم بالشام والعراق والحجاز، وفيما بين العراق والحجاز. قال في العبر: وفيهم الإمارة في العراق إلى الآن ولهم صولة عظيمة. وهم بطون كثيرة؛ فمن بطونهم البطين، وأتلفهم، آل دعيج، وآل روق، وآل رفيع، وآل سرية، وآل مسعود، وآل تميم، وآل شروء. ومن بطونهم الأجود وأتلفهم آل منيع، وآل سنيد، وآل منال، وآل أبي الحزم، وآل علي، وآل عقيل، وآل مسافر. وهذا ما ذكره الحمداني. وزاد في مسالك الألبصار عن نصر بن برجس المشرق، وأولاد الكافرة، ربيعة، وبني جميل، وآل أبي مالك. قال في "المسالك": "وذياد

آل أجود منهم الرخيمية، والرقبي، والفردوس، ولينه، والحلق، وديار آل عمرو بالحوف. وديار بقاياهم النضيف، والكن، واليصوم، والأُم، والمعينة. ويلهم ساعدة وديارهم من الحضرة إلى بركة زروود، إلى سقارة، إلى البقاء، إلى التيب، إلى الساسة، إلى الحضرة.

ومنها لام. وهم بنو لام بن عمرو بن طريف، بن عمرو بن بَيْمِلَة، بن مالك، بن جَدْعَاء، بن دُهل، بن رُومان، بن جُنْتَب، بن خَارجة، بن سعد، بن قَطْرَة، بن طي. قال ابن سعيد: ومساكنهم المدينة النبوية وما حولها. وقال الحمداني: ديارهم جبل أجأ وسلمى. ثم قال وظفير من لام، ومنازلهم الظعن قبالة المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ومنها آل ربيعة، عرب الشام. وهم بنو ربيعة، بن حازم، بن علي، بن مفرج، بن دَغْغَل، بن جراح، بن شبيب، بن مسعود، بن سعيد، بن حرب، بن السَّكَن، بن ربيع، ابن عُلُق، بن حَوْط، بن عمرو، بن خالد، بن مَعْبِد، بن عدى، بن أَفْلَت، بن سلسلة، بن غنم، بن ثوب، بن مَعْن، بن عَتُود، بن عُنَيْز، بن سَلَامان، بن ثَعْل، بن عمرو، بن القَوْث، ابن طي. قال في «مسالك الأبصار»: وتقول بنو ربيعة الآن إنهم من ولد جعفر ابن يحيى، بن خالد، بن برمك من العباسة بنت المهدي، أخت الرشيد، ويعزّعون أنه كان يحضر مع الرشيد مجلسه الخاص وأنه كلمه في تزويجها ليحلّ له نظرها لاجتماعهما بمجلسه فعقد له عليها بشرط أن لا يطأها، فعاقبها على حين غفلة من الرشيد، فحملت منه بولد كان ربيعة هذا من ولده. قال: ويقولون في نسبه إنه ربيعة بن سالم، ابن شبيب، بن حازم، بن علي، بن جعفر، بن يحيى، بن خالد، بن برمك، ويعزّعون أن نكبة البرامكة كانت بسبب ذلك. ثم قال: وأصلهم إذا نسبوا إليه أشرف لهم:

(١) في الأصل ابن مَعْبِد بن عمرو.

لأنهم من سلسلة بن عتير، بن سلمان، بن طيء، وهم كرام العرب وأهل البأس  
والجدة، والبرامكة، وإن كانوا قوما كراما فإنهم قوم عجم وشتان بين العرب والعجم،  
وقد شرف الله تعالى العرب أن بعث منهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وأُنزل فيهم كتابه،  
وجعل فيهم الخلافة والملك، وأبتر لهم ملك فارس والروم، ونزع بأسهم تاج كسرى  
وقبصر، وكفى بذلك شرفا لا يُطاول، ونفرا لا يُتناول. وذكر في "التعريف" نحوه  
قال في العبر: وكانت رياسة طيء في أيام الفاطميين لبني الجراح، ثم صارت لآل  
ربيعة. قال الحمداني: وكان ربيعة هنا قد نشأ في أيام الأتابك زنكي وابنه نور  
الدين الشهيد صاحب الشام ونبي بين العرب وولد له أربعة أولاد: وهم فضل، ومرا،  
وثابت، ودغفل، ومنهم تفرعت بطون آل ربيعة. ثم المشهور من آل ربيعة الان  
ثلاثة بطون: وهم آل فضل، وآل مرا، وآل علي. قال فضل هم بنو فضل بن ربيعة  
وآل مرا بنو مرا بن ربيعة. وأما آل علي فمن آل فضل، وهم بنو علي بن حديشة، بن  
عقبة بن فضل المتقدم ذكره؛ وقد صارت آل فضل أيضا بعد ذلك بيوتا أرفعها قدرا  
بيت عيسى بن مهنا، بن مائع، بن حديشة، بن عقبة، بن فضل. قال في "مسالك  
الأبصار" وفيهم الإمرة دون سائر آل فضل. قال: ثم صار آل عيسى بيوتا، بيت  
مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وبيت حارث بن عيسى، وبيت محمد  
ابن عيسى، وبيت هبة بن عيسى. وسبأ في الكلام على تقسيم الإمرة فيهم في الكلام  
على عرب الشام في المسالك والممالك إن شاء الله.

الحق الثالث - من كهلان مَنجج (بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء  
المهملة وجيم في الآخر)، وهم بنو مَنجج وأسمه مالك، بن أدد، بن زيد، بن يَسْجُب،  
ابن عريب، بن زيد، بن كهلان هكذا قاله أبو عبيد، وقال الجوهري: مَنجج

أَبْنُ يُحَايِرَ، بن مالك، بن زيد، بن كهلان . وقد ذكر الحمداني: أنهم إنما سموا مَذْحِجَ لشجرة تحالفوا عندها أسمها مَذْحِج، فسمُّوا باسمها . ثم للمذحج بطون كثيرة :

منها خَوْلَان، (يفتح انحاء المعجمة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف)، وهم بنو خَوْلَانَ بن مالك، وهو مَذْحِج وإليهم ينسب أبو إدريس الخولاني . قال في العبر: وبلاد خَوْلَانَ في بلاد اليمن من شرقيه، قال: وقد أفرقوا في الفتوحات، وليس منهم اليوم ذرية إلا باليمن، ثم قال وهم غالبون على أهله .

ومنها جَنْب (يفتح الجيم وسكون النون وباء موحدة في الآخر)، وهم بنو مُنْبَه، والحارث، والفلى، وسبحان، وشمران، وهفان بن يزيد، بن حرب، بن عِلَّة، أَبْن جَلْد، بن مَذْحِج . قال أبو عبيد: وسمُّوا بجانب لأنهم جانبوا عنهم صُدَاء، وحالفوا سعد العشيرة، وحالفت صُدَاءُ بنى الحارث بن كعب . ومن جَنْب معاوية الخليل الجنبى صاحب لواء مَذْحِج في حرب بنى وائل .

ومنها سعد العشيرة، وهم بنو سعد العشيرة بن مَذْحِج، وسمي بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولده ثلثمائة رجل، فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي دفعا للعين عنهم، فقليل له <sup>(١)</sup> سعد العشيرة . ثم من بطون سعد العشيرة أَوْذ (يفتح الهمزة وسكون الواو وذال معجمة في الآخر)، وهم بنو أَوْذ بن صَعْب بن سعد العشيرة، وإليهم ينسب الأقوه الأوذى الشاعر المشهور . ومن بطون سعد العشيرة أيضا جُعْفَى (يضم الجيم وسكون العين المهملة وكسر الفاء وياء مثناة تحت في الآخر) وهم بنو جُعْفَى بن سعد العشيرة والنسبة إليهم جُعْفَى على مثل لفظه، وإليهم ينسب الإمام البخارى بالمؤالاة، فيقال الجُعْفَى مولاهم . ومن بطون سعد

(١) صوابه ودال مهمله انظر القاموس وشرحه في مادة أود على أنه لم توجد مادة أود بالمعجمة فما بأيدينا من المعاجم فنه .

العشيرة زُبَيْدٌ (بضم الزاي وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وodal مهمله في الآخر)، وهم بنو مُتَبِّه بن صَعْب بن سعد العشيرة، وتُعرفُ زَيْدٌ هَؤُلاءِ زُبَيْدُ الأكبر، وهم زَيْدُ الحجاز. قال في مسالك الأبصار: وعليهم ذلك الحاج المصري من الصُّفراء إلى الجحفة ورايف. ومن زُبَيْدِ هَؤُلاءِ بطنٌ تعرفُ بِزُبَيْدِ الأصغر، وهم بنو مُتَبِّه الأصغر بن ربيعة بن سَلَمَة بن مازن بن ربيعة بن مُتَبِّه الأكبر. قال أبو عبيد ومن زُبَيْدِ هَؤُلاءِ عمرو بن معدى كرب.

ومنها النَّضْعُ (بفتح النون وسكون الخاء المعجمة وعين مهمله في الآخر)، وهم بنو النَّضْع وأسمه جَسْر بن عمرو بن عَلَّة بن جَلْد بن مَذْجج. قال أبو عبيد: وسمى النَّضْعُ لأنه انتفع عن قومه أى بعد، ومنهم الأشتر النَّضْعِيُّ أحد تابعي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي ولاه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مِصْرَ، وكتب له بها عهداً على ماسياني ذكره في الكلام على اليهود عند ذكر الولايات فيما بعد إن شاء الله تعالى. وإليهم ينسب إبراهيم النَّضْعِيُّ الإمام الكبير المشهور.

ومنها عُلَسُ (بفتح العين المهمله وسكون النون وسين مهمله في الآخر)، وهم بنو عُلَس بن مَذْجج، منهم عَمَّار بن يامر الصباحي المشهور، وإليهم ينسب الأسود العنسي الكذاب، الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجه فادعى النبوة باليمن بعد ذلك.

ومنها بنو الحارث، ويقال بلحارث بن كعب، وهم بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن عَلَّة بن جَلْد بن مَذْجج. قال في "العبر": وديارهم بنواحي تَجْران من اليمن مجاورون لبني دُهل بن مُزَيْقياء، منهم بشير الحارثي الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ما أسمك قال: أكبر، قال: بل أنت بشير.

(١) الذي في القاموس النضج بالتحريك فية وفي المصباح والنضج بفتحين فية من مَذْجج لليلظر.

الحى الرابع - من بني كهلان همدان (يفتح الهاء وسكون الميم ودال المهملة ثم ألف ونون)، وهم بنو همدان، بن مالك، بن زيد، بن أوسلة، بن ربيعة، بن الحيار، بن زيد، بن كهلان، . قال في "العبر": وكانت ديارهم باليمن من شرقه، ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق منهم، وبقى من بقي باليمن . قال : وكانت همدانُ شيعَةً لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة؛ وفيهم يقول رضى الله عنه :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ \* لَقُلْتُ لَهْمَدَانَ أَدْخُلِي بِسَلَامٍ :

قال في "مسالك الأبصار": وبالجلبل المعروف بالطيبين من الشام فرقة من همدان .  
الحى الخامس - من بني كهلان كندة (بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر)، وهم بنو كندة، وأسمه ثور، بن عفير، بن عدي، بن الحارث، بن مرة، بن أدد، بن زيد، بن شجوب، بن عريب، بن زيد، بن كهلان . قال صاحب حماة : وسمى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته . قال : وبلادهم باليمن قبلى حضرموت، وكان لهم ملك بالحجاز واليمن ؛ ومنهم الأشعث بن قيس الصحابى المشهور؛ ومنهم أيضا القاضى شريح قاضى على رضى الله عنه . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن باللوى من بلاد الشام قوما ينسبون إلى كندة، ولهم بطون منها السكون (بضم السين المهملة والكاف ونون بعد الواو)، وهم بنو السكون ابن أشرس بن كندة؛ ومنهم معاوية بن حديج قاتل محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما؛ وعد منها صاحب حماة السكاسك أيضا (بفتح السين الأولى وكسر الثانية)، والذي ذكره أبو عبيد أنه من حير، وقال : هم بنو السكاسك بن وائلة بن حير . قال الجوهري : والنسبة إلى السكاسك سكسكى ردأ له إلى أصله كما ينسب إلى مساجد مسجدى .



الحى السادس - من بنى كهلان مُراد (بضم الميم وفتح الراء المهملة وodal مهملة بعد الألف)، وهم بنو مراد، بن مالك، بن أدد، بن زيد، بن يشجب، بن عريب، ابن زيد، بن كهلان، قال الجوهري: ويقال إن اسمه يُحارب فتزود فسمى مُرادا . وجعلهم في العبر بطنًا من مذحج ، فقال مراد بن مذحج . قال صاحب حماء : وبلادهم إلى جانب زبيد من بلاد اليمن، قال : وإلى مراد هذا ينسب كل مُرادى من عرب اليمن .

الحى السابع - من بنى كهلان أنمار (بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وراء مهملة بعد الألف)، وهم بنو أنمار، بن أراش، بن عمرو، بن القوث، بن تبت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان . ولهم بطنان - الأولى بجيلة (بفتح الباء الموحدة وكسر الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر)، وهم بنو عبقر، والقوث، وصهبية، وحريرة بن أنمار، بن أراش . قال أبو عبيد : وبجيلة أهمهم، عُرفوا بها - وهى بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، قال في العبر : وكانت بلادهم في سروات اليمن والجزاز إلى تبالة . ثم أفرقوا أيام الفتح الإسلامى في الأفاق، فلم يبق منهم في مواطنهم إلا القليل ، قال الجوهري : ويقال إنهم من المدنانية، لأن نزار بن معد بن عدنان وُلِدَ له مَضْرُ وريعة وإياد وأنمار ، وولد لأنمار بجيلة وخثعم فصاروا إلى اليمن ، وإلى بجيلة هؤلاء ينسب جرير بن عبد الله البجلي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جملا فائق الجمال، حتى إنه كان يقال له يُوسُفُ الأمة، وفيه يقول بعض الشعراء يملحه :

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِجِيلِهِ \* نَعِمَ الْفَقِيْ وَيُسْتِ الْقَيْلِهِ

الثانية - خثعم (بفتح الخاء المعجمة وسكون التاء المثناة وفتح العين المهملة وميم في الآخر)، وهم بنو خثعم بن أنمار بن أراش الملقبم ذكره ابن هند بنت مالك

(١) بفتح الخاء المهملة وكسر الزاى كما ضبطه كذلك في سائر النسخ .

ابن الفائق بن الشاهد بن عد، وفيهم مثل ما تقدم من كلام الجوهرى فى الكلام على بَيْعِلَة أنهم من العدنانية : لأن خَنَمَ وبَيْعِلَة يرجعون إلى أنمار . وكانت مساكنهم مع إخوانهم بَيْعِلَة بَسْرَات اليمَن فاقترقوا فى الفتوحات الإسلامية، فلم يبق منهم فى مواطنهم إلا القليل . ومن خَنَم هؤلاء أَكْلَب (بفتح الهمزة وسكون الكاف وضم اللام وباء موحدة فى الآخر)، وهم بنو أَكْلَب، بن عُفَيْر، بن خَلَف، بن خَنَم . قال أبو عبيد : ويقال إن أَكْلَب من ربيعة بن نزار. قال الحمداني : وهم بطون كثيرة، ومنازلهم بِيشَة، شرقى مكة المشرفة . ومن خَنَم أيضا بنو مُنَبِّه والقرع، وبنو أَضَلَّة ومعاوية، وآل مهدى، وبنو نصر، وبنو حام، والورد، ونادر، وآل الصغافير، والشاء، وبلوس، قال الحمداني : ومنازلهم على القرب من بِيشَة شرقى مكة أيضا .

الحى الثامن - من بنى كهلان جُدَام (بضم الجيم وفتح الذال المعجمة وألف ثم ميم) ، وهم بنو جُدَام، بن عَدَى، بن الحارث، بن مُرَّة، بن أَدَد، بن زيد، ابن يَسْجُب، ابن عَرِيب، بن زيد، بن كهلان، هذا ما ذكره أبو عبيد : وجعلهم صاحب حماء فى تاريخه من ولد عمرو بن سبيل . قال الجوهرى : وتزعم نسبة مُضَر أنهم من مُضَر يعنى من العدنانية، وأنهم آتقلوا إلى اليمَن فزَلَوْها، فحَسِبُوا من اليمَن، وأستشهد له بقول الكُتَيْب يَذْكُر آتقلهم إلى اليمَن بأنسابهم فيهم :  
نَعَاءُ جُدَامَا غَيْر مَوْتٍ وَلَا قَتْلٍ \* وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلنَّعَامِ وَالْأَصْل !

وأستشهد له الحمداني أيضا بقول جُنَادَة بن خَشْرَم الجُدَامِي :

وَمَا حَقَّكَ أَنْ لِي بِأَبٍ وَأُمٍّ \* وَلَا تَصْطَادُنِي شُبُهَةُ الضَّلَالِ

وَلَيْسَ إِلَيْهِمْ نَسَبِي وَلَكِنْ \* مَعْدِيًّا وَجَعَلْتُ أُنَى وَخَالِي

(١) أجمعه فى الأصل . وقال فى سبائك الذهب «حلف بفتح الحاء الهملة بنوه بطن من خَنَم» .

قال الحمداني : ويقال إنهم من ولد أعصر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ،  
 وأستشهد لذلك بما رواه محمد بن السائب أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وفد جُدَام ، فقال " مَرَجَا بِقَوْمِ شُعَيْبٍ وَأَصْهَارِ مُوسَى " . قال صاحب حماء :  
 وكان فيهم العُدُدُ والشَّرَفُ . قال الحمداني : وهو أول من سكن مصر من العرب حين  
 جاءوا في الفتح مع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأقَطِعُوا فيها بلاداً بعضها بأيدي  
 بنينهم إلى الآن . وكان لجُدَام ولدان : هما حِشْم ( يكسر الحاء المهملة وسكون الشين  
 المعجمة وميم في الآخر ) ، وحَرَام ( يفتح الحاء والراء المهملتين وألف ثم ميم ) ، ومن  
 ولد حِشْم عَتِيت ( يفتح العين المهملة وكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت  
 وتاء مثناة فوق في الآخر ) ، وهم بنو عَتِيت بن أسلم ، بن مالك ، بن شُوْعة ، بن تَدِيل ،  
 ابن حِشْم بن جُدَام . قال أبو عبيد : وهم اليوم ينتسبون في بني شَيْبان ، ويقولون  
 عَتِيت بن عَوْف بن شَيْبان . قال وإليهم تنسب حُفْرة عَتِيت بالبصرة ، قال  
 الجوهري : أغار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال ، فكانوا يقولون إذا كثر صبياننا  
 لم يتركونا ، حتى يفتكُونَا ، فلم يزالوا عنده حتى هلكوا ففُضِرَ لم العرب مثلاً  
 فقالوا : أودى عَتِيت ، وفي ذلك يقول الشاعر :

تُرْجِيهَا وقد وَقَعَتْ بُقْرٌ \* كما تَرِجُو أصَاغِرَهَا عَتِيتُ<sup>(٢)</sup>

ثم لجُدَام الآن بطون كثيرة متفرقة في الأقطار ، منهم بالشرقية من الديار  
 المصرية من بني زيد بن حَرَام بن جُدَام ، وبني حَمْرمة بن زيد بن حَرَام بن جُدَام ،  
 فأما بنو زيد فمنهم بنو سُويد ، وبسجة ، وبرذعة ، ورفاعة ونائل ، من بني زيد بن  
 حَرَام بن جُدَام ، فمن ولد سُويد هَلْبَا سُويد ، وهم بنو هَلْبَا بن سُويد بن زيد بن حَرَام  
 ابن جُدَام . قال الحمداني . ومنهم العَطَوِيُّون ، والخابريُّون ، والقنَّاور ، وحمدان ،

(١) في سبائك الذهب - يفر - (٢) كذا رسم في السبائك أيضاً وهو بالياء الموحدة في الصحاح والقاموس  
 وأنشد الأول البيت بالياء الموحدة ومثله في يانغوت خنبة .

ورؤمان، وصمران، وأسود. والحديدون، ومن الحميديين، أولاد راشد، ومنهم البراجسة، وأولاد يبرين والجرأشنة، والكهوك، وأولاد غاتم، وآل حمود، والأخيوه، والزرقان، والأساورة، والحساريون. ومن بني راشد أيضا الحراقيص، والخنأفيس، وأولاد غالي، وأولاد جوال، وآل زيد، ومن النجابية أولاد نجيب وبنو فضيل.

ومن هلبا سويد أيضا بنو الوليد، وهم بنو الوليد بن سويد المقدم ذكره. ومنهم الحبادرة، وهم بنو حيدرة، بن يعرب، بن حبيب، بن الوليد، بن سويد. قال الحمداني: وهم طائفة كبيرة، ومنهم بنو عمارة، وهو عمارة بن الوليد. ومنهم عدد، والحييون: وهم بنو حجة بن راشد بن الوليد. ومن ولد الوليد بن سويد المذكور طريف بن بكتوت الملقب زين الدولة، كان من أكرم العرب، وكان في مضيقته أيام الغلاء اثنا عشر ألفا تأكل عنده كل يوم، وكان يهشم الثريد في المراكب، ومن أولاده من أمر بالوق والعلم، وعد من أحلافهم أولاد الطوبرية، والردالين، والحليفين، والحضينين، والربيعين، وهم أولاد شريف النجابين، وذكر الحمداني أن لهم نسبا في قریش إلى عبد مناف، بن قصي. ومن هلبا سويد هؤلاء هلبا مالك، وهم بنو مالك بن سويد، ومن هلبا مالك بنو عبيد، وهم بنو عبيد بن مالك، ومن بنو عبيد المذكور الحسينيون، وهم بنو الحسن بن أبي بكر بن موهوب بن عبيد، والفوارنة، وهم بنو القور بن أبي بكر بن موهوب بن عبيد، وبنو أسير، وهم بنو أسير بن عبيد، ومن هلبا مالك أيضا اللبيديون، والبكريون، والعقيليون، وهم بنو عقيل بن قرة بن موهوب بن عبيد. ومنهم بنو رديني، وهم بنو رديني بن زياد، بن حسين، بن مسعود، بن مالك، بن سويد. ومن ولد بعة هلبا بعة، وهم بنو هلبا، ومنظور، وردا، ونائل بن بعة بن زيد بن سويد بن بعة، فن ولد هلبا بعة مفرج بن سالم، أمره المعز أيبك بالوق والعلم، ثم خلفه على إمرته ولده

حَسَّان . ومنهم أولاد الهَرِيم من بنى غياث بن عَصْمَة بن نَجَاد بن هَلْبَان بن بَجْعَة .  
ومنهم جَوْشَن بن منظور بن بَجْعَة ، وهو صاحب السَّرَاة المضروب به المشل  
فى الكرم والشجاعة .

ومن ولد نائل مُهَتَّا بن عُلوَان بن عَلِيّ بن زَيْر بن حَيْب بن نائل ، كان  
جَوَاداً كريماً طرقتَه ضَبُوفٌ فى شتاء ولم يكن عنده حَطَبٌ لَطْعَامُهُمْ فَأَوْقَدَ أَحْمَالَ  
بُرْكَاتٍ عنده . ومن بنى حَرَام بن جُذَام أيضاً بنو سَعْد . قال الحمداني : وفى جُذَامَ  
نَحْسٌ سَعُودٌ آخِطَلَطَ بِمِصْرَ ، وهم سَعْد بن إِيَّاس بن حَرَام بن جُذَام . وسَعْد  
أَبْنُ مَالِك بن أَقْصَى بن سَعْد بن إِيَّاس بن حَرَام بن جُذَام ، وإليه ينسب أَكْثَرُ  
السَّعْدِيِّينَ . وسعد بن مالك بن حَرَام بن جُذَام ، وسعد بن سَامَة بن عَنَس بن  
عَطْفَان بن سعد بن مالك بن حَرَام بن جُذَام ، وهم عشائر كثيرة منهم بنو قُضَيْل ،  
وَالسَّلَاحِمَة ، وَبِرْشَاس ، وَجَوْشَن ، وَعَدْلَان ، وَفَزَارَة . قال وأكْثَرُهُمْ مِشَاجِخَ بِلَادِ  
وِخْفَرَاء ، ولهم مزارع ومأكَل ، وفسادهم كثير ، وسكنهم مِئْيةَ عَمْرٍ إِلَى رِفْهَاء .  
ومنهم شَاوَرُ وَزَيْرُ الْعَاضِدِ الْفَاعِطِي ، وإليه تنسب أولاد شَاوَرِ بَكَارِ مِئْيةَ عَمْرٍ  
وِخْفَرَاءُهَا ، عَلَى أَنَّ ابْنَ خُلْكَانٍ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ سَعْدِ الَّذِينَ أُرْضِعَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وأما بنو محرمة فمنهم الشَّوْأَكَر ، وهم بنو شَاكِر بن راشد . ومنهم أولاد  
العجَارِ أَدِلَاءُ الْحَاجِّ مِنْ زَمَنِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ وَهَلَمَّ جَرًّا .

ومن جُذَامَ أيضاً بالشرقية العائِد ، وهم بطن من جُذَامَ عليهم دَرَكُ الْحَاجِّ إِلَى  
الْعَقْبَة . ومنهم أيضاً بالشرقية بنو حَرَام . وقال الحمداني : وَقُلْ فى عَرَبٍ مِصْرَ مَنْ  
يَعْرِفُهَا . ومنهم بالدقهلية عمرو وَزُهَيْر ، صَدٌّ مِنْهُمْ الْحَمْدَانِي الْحَضِيذِي ، وَرِدَالَة ،

(١) فى الأصل الخط تَكَرَّرَ فى الأسماء وقص من العدد ويؤخذ من السبائك أن الساقط هو سعد

ابن دَيْل بن إِيَّاس بن حَرَام بن جُذَام فتنبه .

والأحامدة ، والخارنة ، وهم بنو حمران . قال الحمداني : وفي زهير هؤلاء من  
بنو عَريين ، وبنو شبيب ، وبنو عبد الرحمن ، وبنو مالك ، وبنو عبيد ،  
وبنو عبد القوي ، وبنو شاكر ، وبنو حسن ، وبنو سمان ، وهم يتواردون  
في أسماء بعض البطون مع غيرهم .

ومن جذام أيضا بلاد الشام بنو صخر بالكرك ، وبنو مهدي بالبقاء ، وبنو عتبة ،  
وبنو زهير بالشوبك . ومنهم بنو سعيد بصرحند ، وحوذان ، ومنهم جماعة ببلاد  
الفر ، وجماعة ببلاد البربر من بلاد السودان .

الحى التاسع - من بني كهلان نلّم ( بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم  
في الآخر ) ، وهم بنو نلّم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن  
عريب ، بن زيد ، بن كهلان ، ونلّم أخو جذام المقدم ذكره ، وكل منهما عم لكندة  
المقدم ذكره أيضا . وعدّ صاحب حماة نلّم من بني عمرو بن سبيل كما عدّ جذاما إذ  
كانا أخوين كما تقدم . وقد كان لفاويزة من الغنمين ملك بالبحيرة من بلاد العراق ،  
ثم كان لبني عبّاد من بقاياهم بالأندلس ملك باشبيلية . وذكر القضاى أنهم حضروا  
فتح مصر ، وأختلطوا بها ، هم ومنّ خالطهم من جذام . قال الحمداني : وبصعيد الديار  
المصرية منهم قوم يسكنون بالبر الشرقى ، ذكر منهم الحمداني سبع أبطن . الأولى  
سمالك ، وهم المعروفون بالسماكيين ، وبنو مرة ، وبنو ملج ، وبنو نهبان ، وبنو عبس ،  
وبنو كريم ، وبنو بكيّر ، وديارهم من طارف بيا بالهنسا إلى مُنَحَلَدِير الجيزة  
في البر الشرقى . الثانية بنو حدان ، وهم بنو محمد ، وبنو على ، وبنو سالم ، وبنو  
مُدْجَل ، وبنو رعيش ، وديارهم من دير الجيزة ، إلى ترعة صول . الثالثة بنو راشد ،  
وهم بنو معمر ، وبنو واصل ، وبنو مرّاء ، وبنو حيّان ، وبنو معاد ، وبنو البيض ،  
وبنو حُجْرَة ، وبنو شَنُوءَة . وديارهم من مسجد موسى إلى أسكر ، ونصف بلاد

إطفيح . ولبنى البيض الحلى الصغير، ولبنى شبنوة من رعة شريف إلى معصرة  
 يوش . الزابعة بنو جعد، وهم بنو مسعود، وبنو حدير، وهم المعروفون بالخديريين،  
 وبنو زبير، وبنو ثمال، وبنو نصار . ومسكنهم ساحل إطفح . الخامسة بنو  
 عدى، وهم بنو موسى، وبنو محرب، ومسكنهم بالقرب منهم . السادسة بنو  
 بحر، وهم بنو سهل، وبنو مطار، وبنو قهم، وهم المعروفون بالفهميين، وبنو  
 عسير، وبنو مسند، وبنو سباع، ومسكنهم الحلى الكبير . السابعة قيس، وهم  
 بنو غنيم، وبنو عمرو، وبنو حجرة، ولبنى غنيم منهم اللدوية، وذير الطين إلى  
 جسر مصر، ولبنى عمرو الرستق ولهم نصف حلوان، ولبنى حجرة النصف الثاني،  
 ونصف طرا .

ومن بطون نحم بنو الدار رَهط . تميم الدار بن صاحب النبي صلى الله عليه وسلم،  
 وهم بنو الدار بن هاني، بن حبيب، بن نمارة، بن نحم . قال الحمداني وولد الخليل  
 عليه السلام معمور من بني تميم الدار بن رضى الله عنه، ويبد بن تميم هؤلاء الرقعة  
 التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لقيم وإخوته بإقطاعهم بيت حبرون التي هي بلد  
 الخليل عليه السلام وبعض بلادها . ويقال إنها مكتوبة في قطعة من آدم من خف  
 أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وبخطه .

الحلى العاشر - من بني كهلان الأشعريون . وهم بنو الأشعر بن أدد، بن  
 زيد، بن إسحج، بن عريب، بن زيد، بن كهلان . قال وسمى الأشعر لأن أمه ولدته  
 وهو أشعر . وجعله صاحب حماء من بني أشعر بن سبيل، وهم رَهط أبي موسى  
 الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحلى الحادى عشر - من بني كهلان عاملة . وهم بنو عاملة، وأسمه الحارث، بن  
 عقير، بن عدى، بن الحارث، بن وبرة، بن أدد، بن زيد، بن إسحج، بن

عريب، بن زيد، بن كهلان، وذكر أبو عبيد أن بنى عاملة هم بنو الحارث بن مالك؛  
يعنى ابن الحارث بن مرة بن أدد، وأنه كان تحتها عاملة بنت مالك بن وداعة بن عفير،  
ابن عدى، بن الحارث، بن مرة بن أدد فعرفوا بها . وذكر صاحب حماه أنهم من  
ولد عاملة بن سببا، وقد ذكر الحمداني أن بجبال عاملة من بلاد الشام منهم الجهم الغفير.

### الضرب الثاني

(من العرب الباقيين على ممر الزمان العرب المستعربة)

قال الجوهري : ويقال لهم المتعربة أيضا، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما  
السلام، سُموا بذلك لأن لسان إسماعيل عليه السلام كان العبرانية أو السريانية، فلما  
نزل جرهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة المشرفة، تزوج منهم، وتعلم هو وبنوه  
العربية من جرهم المذكورين فسُموا لذلك المستعربة . وأعلم أن الموجودين من  
العرب من ولد إسماعيل عليه السلام كلهم من بنى عدنان بن أدد المقدم ذكره في عمود  
النسب على خلاف في نسبه إلى إسماعيل يطول ذكره . قال في العبر: ومن عدا عدنان  
من ولد إسماعيل قد انقرضوا، ولم يبق لهم عقب، ولذلك عرفت هذه العرب بالعَدَنَانِيَّة  
ثم العدنانية صنفان .

الصنف الأول - من فوق قريش؛ ولقبائلهم المتفرعة من عمود النسب ستة أصول .  
الأصل الأول - زيار بن معد بن عدنان؛ والمتفرع منه على حاشية عمود  
النسب ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى - إياد (بكر الهمة ودال مهملة في الآخر) وهم بنو إياد بن زيار  
المقدم ذكره : قال المؤيد صاحب حماه وفارق إياد الجحاز وسار بأهله إلى أطراف  
العراف فأقام به .



ومن إداد قُس بن ساعدة الإيادي، وكعب بن مامة الذي يضرب به المثل في الكرم؛ يقال إنه كان معه ماء لا يفضل عنه وله رفيق فسقاه رفيقه ومات عطشا .

القبيلة الثانية - أنمار (بفتح الهمة وراء مهملة في الآخر) وهم بنو أنمار بن نزار المقدم ذكره؛ وقد اختلف في تسميته، فذهب ذاهبون إلى أنه ذهب إلى اليمن ونزل بالسروات من مشارق اليمن، وتنازل بنوه بها فعدوا في اليمنية؛ وذهب آخرون إلى أنه لا عقب له إلا من بنت له زوجها لأراش. من اليمنية، فولدت له أنمار بن أراش المقدم ذكره في اليمنية؛ فبنو أنمار المعدادون في اليمنية هم بنو أنمار بن أراش المقدم ذكره في اليمنية من بنت أنمار بن زرار؛ ولذلك وقع اللبس فيهما، قاله السهيلي .

القبيلة الثالثة - ربيعة، وهم بنو ربيعة بن زرار ويعرف بربيعة القرس : لأن أباه زراراً أوصى له من ماله بالخليل . قال في "مسالك الأبصار" وبالرجبة قوم منهم . ولربيعة بطنان . وهما أسد، وضبيعة ابنا ربيعة، ولكل منهما عتة أنخاد، وديارهم إلى الآن بالجزيرة الفراتية تُعرف بديار ربيعة . أما أسد فأكثروا أنخاداً .

فبن أسد بنوعزة (بفتح العين المهملة والنون والزاي وهاء في الآخر) وهم بنوعزة ابن أسد المقدم ذكره؛ وكانت منازلهم خير من ضواحي المدينة . وجديلة (بفتح الجيم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر) وهم بنو جديلة بن أسد المقدم ذكره، والنسبة إليهم جلدت بحذف الياء بعد الدال .

ومن جديلة عبد القيس؛ وهم بنو عبد القيس، بن أفضى، بن دثمي، بن جديلة . قال في العبر : وكانت ديارهم بهامة حتى خرجوا إلى البحرين وزاحموا من بها من بكر بن وائل وتميم، وقاسموهم الموطن، والنسبة إليهم عبدي، ومنهم من ينسب إليهم عبدي قيسى، وبعضهم يقول عبقي .

ومن عبد القيس هؤلاء الأئمة الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>٢٢</sup> إنَّ  
فِيكَ تَلَخَّصَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ .

ومن جديلة أيضا بنو التمر (يفتح النون وكسر الميم) وهم بنو التمر بن قاسط بن هنب  
أبن دُعْمَى بن جَدِيلَة . قال في العبر وديارهم رأس العين من أعمال الجزيرة القُرَاتِيَّة .  
ومن جديلة أيضا بنو وائل (بالياء المثناة تَحْتُ) وهم بنو وائل بن قاسط بن هنب  
أبن أَفْصَى ، بن دُعْمَى ، بن جديلة المقدم ذكره .

ومن وائل بَكْر (يفتح الباء الموحدة وسكون الكاف) وتَقْلِب (بالياء المثناة في أوله  
والعين الساكنة المعجمة وكسر اللام وياء موحدة) وهم بنو بكر وتقلب أبى وائل  
المقدم ذكره .

ومن تغلب بن وائل كليب ملك بنى وائل الذى قتله جَسَّاس ، وهاجَتْ بسببه  
الحرب المعروفة بالسُّوس أربعين سنة .

ومن تغلب أقوام بَزْرَج ، وبُصْرَى ، وبالقريتين منهم نفر .  
ومن بكر أقوام بِحَيْنَيْنَ وبلادها ، وبالرحبة قوم منهم .  
ومن بنى تغلب كانت بنو حمدان ملوك حَلَبَ قديما .

ومن بكر بن وائل شَيْيَانُ ، وهم بنو شَيْيَانَ بن ثعلبة ، بن عُكَّابَة ، بن صَعْب ، بن  
عَلَى ، بن بكر .

ومن بنى شَيْيَانَ هؤلاء مَرَّةً وأبْنُهُ جَسَّاس قاتل كُليب المذكور . ومنهم طَرْفَة  
أبن العبد الشاعر .

ومن بنى شِيَّان أيضا سَدُوس (يفتح السين المهملة في أوله وسين ثانية في آخره)  
وهم بنو سَدُوس بن ذُهَل بن شِيَّان .

ومن بكر بن وائل أيضا بنو حَنِيفَةَ رَهْطُ مَسِيلَةَ الكَذَابِ الذِي تَلَّيَا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقُتِلَ فِي خِلَافَةِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُمْ بَنُو حَنِيفَةَ بْنِ الْحَيِّمِ، بْنِ صَعْبٍ، بْنِ عَلِيٍّ، بْنِ بَكْرِ، بْنِ وَائِلٍ .

ومن بكر أيضا بنو عَجَلٍ، بْنِ الْحَيِّمِ، بْنِ صَعْبٍ، بْنِ عَلِيٍّ، بْنِ بَكْرِ، بْنِ وَائِلٍ . قَالَ فِي الْعَبْرِ: وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ؛ قَالَ ثُمَّ خَلَفَهُمُ الْإِنْسُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ بَنُو عَامِرِ الْمُتَنَفِّقِ، بْنِ عَقِيلٍ، بْنِ عَامِرٍ، بْنِ صَعْصَعَةَ . وَذَكَرَ الْجَدَائِدُ أَنَّ بِلَادَهُمْ فِي زَمَانِهِ الْجَزِيرَةُ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ وَأَنَّهُ كَانَ لَهُمْ دَوْلَةٌ بِالْعِرَاقِ .

وَأَمَّا ضُبَيْعَةُ بْنُ رَيْبَعَةَ (فَبِضْمِ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ تَصْغِيرُ ضُبَيْعَةَ) وَهِيَ قَبِيلَةٌ لَمْ تَكُنْ بَطُونًا . وَمِنْهُمْ الْمَتَامِسُ الشَّاعِرُ الْبَاهِلِيُّ الْمَشْهُورُ .

الأصل الثاني - مَضْرُ (بِضْمِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الضَّادِ الْمَعْجَمَةِ) وَهُوَ مُضَرٌّ بْنُ زُرَّارٍ الْمُقْتَمِ ذَكَرَهُ، وَيُعْرَفُ بِمُضَرِّ الْحَمْرَاءِ: لِأَنَّ أَبَاهُ أَوْصَى لَهُ مِنْ مَالِهِ بِالذَّهَبِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ؛ وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَهَا أَنْدَجَ فِيمَا بَعْدَهَا لَكُونِهَا عَلَى عُمُودِ النِّسْبِ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" أَنَّ بَنَاءُ بُلُسَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ بَقِيَّةٌ مِنْ مُضَرٍّ، وَبِالرَّحْبَةِ رِجَالُ مِنْهُمْ، وَلَهُ عَلَى حَاشِيَةِ عُمُودِ النِّسْبِ فَرْعٌ وَاحِدٌ قَدْ جَمَعَ عِدَّةَ قَبَائِلَ، وَهُوَ قَيْسُ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي نِسْبِهِ فَقِيلَ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ (بِالْمِيمِ الْمُهْمَلَةِ) وَاسْمُهُ النَّاسُ (بِالنُّونِ) ابْنُ مَضْرٍ، وَقِيلَ هُوَ قَيْسُ بْنُ مَضْرٍ لَصْلِهِ، وَعِيلَانُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ قِيلَ فُورَسُهُ وَقِيلَ كَلْبُهُ . قَالَ صَاحِبُ حِمَاةٍ: وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَقَيْسٍ مِنْ الْكَثْرَةِ أَمْرًا عَظِيمًا، وَلَكَثْرَةِ بَطُونِهِ غَلَبَ عَلَى سَائِرِ الْعَدَنَانِيَّةِ حَتَّى جَعَلَ فِي الْمَثَلِ فِي مُقَابَلِ عَرَبِ الْيَمَنِ قَاطِبَةً فَيَقَالُ قَيْسُ وَيَمَنُ .

فبن قباثل قيس هَوازَن، وهم بنو هَوازَن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس عِيلان، وهم الذين أغار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، وسباهم .

ومن هوازَن بنو سَعْد الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضيعاً فيهم، وهم بنو سَعْد بن بكر بن هَوازَن . قال في العبر: وقد أَفترق بنو سَعْد هؤلاء في الإسلام ولم يبق لهم حثٌّ فيطَرَق إلا أن منهم فِرقةً بإفريقية من بلاد المغرب بنواحي باجة يصيرون مع جُند السلطان .

وقد ذكر ابن خلكان أن شاور السعدي وزير العاضد الفاطمي خليفة مصر منهم وإن كان الحمداني قد ذكر أنه من سَعْد جُذام من القَحطانية بالشرقية من الديار المصرية على ما سبق ذكره هناك .

ومن هوازَن أيضاً بنو عامر بن صَعَصعة . وهم بنو عامر بن صَعَصعة بن معاوية ابن بكر بن هَوازَن ؛ وإليهم يُنسَب مجنون بن عامر الشاعر الذي كان يُسَبَّب بليل . ومن بنى عامر بن صَعَصعة بنو كِلاب ، وهم بنو كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصعة . قال في العبر : وكان لهم في الإسلام دولة بالبحامة، وكانت ديارهم حمى ضَرِيَّةً وهو حمى كَلِيب ، وحمى الرَبْدَة في جهات المدينة النبوية ، وَقَدْكَ والعوالى ، ثم أَنتقلوا بعد ذلك إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صِيْتُ وملكوا حَلَب ونواحيها، وكثيراً من مدن الشام، ثم ضَعُفُوا . قال، وهم الآن تحت خِفارة الأمراء من آل ربيعة من عرب الشام .

وذكر في "مسالك الأبصار" أنهم يُنسَبون إلى عبد الوهاب المذكور في سيرة البَطَّال وذكر أن اسمه عبد الوهاب بن نُوبَحْت .

ثم قال، وهم بأطراف حلب ، وهم عرب غُثَّ يتكلمون بالتركية ، ويركبون

الأكاديش، ولهم غارات عظيمة؛ وأبناء الروم وبنائهم لا يزالون يباعون من سباياهم .  
وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بحلب وبلادها طائفة من بني كلاب .

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا بنو هلال ، وهم بنو هلال بن عامر بن  
صعصعة . قال الحمداني وكان لهم بلادٌ صعيد مصر كلها؛ وذكرهم ابن سعيد في عرب  
برقة؛ وقال منازلهم فيما بين مصر وإفريقية . قال في العبر: وكانت رياستهم أيام الحاكم  
العبيدي لماضي بن مقرب، ولما بايعوا لأبي ركوّة بالمغرب وقتله الحاكم، سلط  
عليهم الجبوش والعرب فافناهم؛ وأنتقل من بقي منهم إلى المغرب الأقصى فهم مع بني  
جشم هناك . وذكر الحمداني أن بحلب طائفة منهم، ثم صار لهم بلاد أسوان وما تحتها .  
ثم قال: وبالحيم منهم بنو قرة، إلى عيذاب؛ وبساقية قلعة منهم بنو عمرو وبطونهم،  
وهم بنو رفاعه، وبنو حجير، وبنو عزيز . وبأصفون وإسنا منهم بنو عقبة ، وبنو  
جميلة .

ومن بني هلال حرب فيما ذكره ابن سعيد . قال الحمداني، وهم ثلاث بطون بنو  
مسروح، وبنو سالم، وبنو عبيد الله . قال: ومساكنهم الحجاز ومن حرب زبيد الحجاز  
فيما ذكره الحمداني، وذكر أن منهم بنو عمرو . ثم قال : ومن بني عامر ميم بن عامر  
ابن صعصعة . قال في العبر : وكانت منازلهم الجزيرة الفراتية والشام بعدنوي  
الفرات . قال وهم إحدى بجمرات العرب، وكان لهم كثرة وعدة في الجاهلية والإسلام،  
ودخلوا الجزيرة الفراتية وملكوا حران وغيرها، ثم غلبهم عليها خلفاء بني العباس أيام  
المعتز بالله فهلكوا بعد ذلك وبأدوا .

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا بنو عقيل (بضم العين المهملة وفتح القاف)  
وهم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال في العبر : وكانت

مساكنهم بالبحرين في كثير من قبائل العرب، وكان أعظم القبائل هناك بنو عَقِيل هؤلاء، وبنو ثَغَلِبَ وبنو سُلَيْم، وكان أظهرهم في الكثرة والثَلَب بنو ثَغَلِبَ؛ ثم اجتمع بنو عَقِيل وبنو ثَغَلِبَ على بنى سُلَيْم فأنخرجوهم من البحرين؛ ثم اختلف بنو عَقِيل وبنو ثَغَلِبَ بعد مدة فغلب بنو ثَغَلِبَ على بنى عَقِيل فطردوهم عن البحرين، فصاروا إلى العراق، وملكوا الكوفة والبلاد الفُراتية وتغلبوا على الجزيرة والموصل، وملكوا تلك البلاد؛ وكان منهم المقلد وقُرواش وقُريش وابنه مسلم ملوك الموصل، وبقيت بأيديهم حتى ظلمهم عليها ملوك بنى سلجوق، فتحوّلوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولاً فوجدوا بنى ثَغَلِبَ قد ضَمَف أمرهم فغلبوهم على البحرين، وصار الأمر بالبحرين لبنى عَقِيل .

ومن بنى عَقِيل هؤلاء آل عامر، وهم بنو عامر بن عَقِيل المذكور، وهم الذين يديهم بلاد البحرين . قال ابن سعيد : سألت أهل البحرين في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا : المملكة بها لبنى عامر بن عَقِيل، وبنو ثَغَلِبَ من جملة رطايهم؛ على أن الحمداني قد وهبهم فقال : وهم غير عامر المُتَنَفِق، وعامر بن صعضة، وتبعه على ذلك في "مسالك الأبصار" . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بحلب وبلادها طائفة من بنى عَقِيل .

ومن بنى عَقِيل أيضا بنو عُبَادَة (بضم العين المهملة وبالياء الموحدة والذال المهملة) وهم بنو عُبَادَة بن عَقِيل . قال ابن سعيد : ومنازلهم بالجزيرة الفُراتية مما إلى العراق لهم عدد وكثرة . قال : ومنهم الآن بقية بين الخازر والزَّاب، يقال لهم عرب شرف الدولة في تَجَمُّل وعدد، ولهم إحسان من صاحب الموصل . ثم قال : وهم عدد قليل نحو المائة فارس .

ومن بنى عَقِيلَ أيضا خَفَّاجَةً ( بفتح الخاء المعجمة وفتح الفاء وجيم مفتوحة بعد  
الالف وهاء في الآخر ) وهم بنو خَفَّاجَةَ بن عمرو بن عَقِيلَ ، وفيهم الإمرة بالعراق  
إلى الآن .

ومن بطون هوازن أيضا بنو جُثَمَ ( يضم الجيم وفتح الشين المعجمة وميم في الآخر )  
وهم بنو جُثَمَ بن معاوية بن بكر بن هَوَازَنَ . قال في العبر : وكانت مساكنهم  
بالسَّروَاتِ ، وهي تلال فِصَلِينَ يَهَامَةُ ونجد ، متصلةٌ من البحرين إلى الشام  
كسَّروَاتِ الجبل . قال : وسَّروَاتِ جُثَمَ متصلة بسَّراة هُذَيْلَ . ثم قال : وقد  
أنتقل بعضهم إلى المغرب ، وهم الآثَ به ، ولم يبق بالسَّراة منهم إلا من ليس له  
صولة . قال صاحب سماء : ومن جُثَمَ هؤلاء دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ .

ومن بطون هوازن أيضا ثَقِيفٌ ( بفتح التاء المثناة وكسر القاف وسكون الياء وفاء  
في الآخر ) وهم رَهْطُ الجحاجِ بن يوسُفَ : وهم بنو ثَقِيفَ وأسمه قَيْسُ بن مُنَبِّهَ بن  
بكر بن هَوَازَنَ ، ويقال إنهم من إِيَادِ بن زُرَّارِ المَقْدَمِ ذَكَرَهُ . وعن بعض النسابة  
أن ثَقِيفًا من بقايا ثَمُودَ ، وكان الجحاج ينكره ويقول كذبوا ، قال الله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ  
فَمَا أَتْبَعُ ﴾ أى أهلكهم ولم يبق منهم أحدا . قال في العبر : وَثَقِيفُ بطن واسع ،  
وكانت منازلهم بالطائف : وهي مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة  
في شرقها وشمالها كانت في القديم للعائلة ، ثم نزحوا ثَمُودُ قبل وادى القُرَى : ويقال  
إن الذى سكنها بعد الْعَالِقَةِ عَدْنَانُ . ثم ظلمهم عليها ثَقِيفٌ فهمى الآن دارهم .

ومن قبائل قيس أيضا بَاهِلَةُ ، وهم بنو سَعْدِ مَنَاءَ بن مالك بن أَعْصَرِ ، وأسمه مُنَبِّهَ  
أَبْنِ سَعْدِ بن قَيْسِ عِيْلَانِ ، وجعلهم في العبر بنى مالك بن أَعْصَرِ . وباهلة أم سَعْدِ  
مَنَاءَ عُرِفُوا بها : وهي بَاهِلَةُ بنت صَعْبِ بن سَعْدِ العنيزة من مَذْحِجٍ ، منهم أبو أَمَامَةَ  
الباهلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن قبائل قيس بنو مازن ، وهم بنو مازن بن منصور بن خَصَفة بن قيس عيلان . قال في العبر : وعددهم قليل .

ومن قبائل قيس أيضا بنو غطفان بن قيس عيلان . قال في العبر : وهم بطن متسع كثير الشعوب والبطون . قال : وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلى طي<sup>(١)</sup> أجا وسلمى ، ثم هزقوا في الفتوحات الإسلامية ، وأستولوا على مواطنهم هناك قبائل طي .

ومن بطون غطفان بنو عيس (بفتح العين ومسكون الباء الموحدة وسين مهملة في الآخر) وهم بنو عيس بن ربيعة بن ريث بن غطفان . منهم زهير بن قيس صاحب حرب داحس والغبراء . وهما فرسان كانت إحداهما وهي داحس لعيس والأخرى وهي الغبراء لفزارة فاجريتا فوقع الحرب بسببهما .

ومن عيس هؤلاء عترة بن شداد الشاعر الفارس المشهور .

ومن غطفان أشجع (بفتح الهمزة ومسكون الشين المعجمة وفتح الجيم وسين مهملة في الآخر) وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان . قال في العبر : وكانوا هم عرب المدينة النبوية ، وكان سيدهم معقل بن سنان الصحابي . قال : ولم يبق أحد منهم بنجد إلا بقايا حول المدينة . ثم قال : وبالمغرب الأقصى منهم حتى عظيم يظعنون مع عرب معقل بجبهات صحاباسة ولم يحد وذكر .

ومن غطفان أيضا ذبيان ، قال الجوهرى (بكسر الذال يعنى المعجمة وضمها) وهم بنو ذبيان بن ريث بن غطفان ومنهم النابغة الذبياني الشاعر المشهور .

ومن ذبيان فزارة (بفتح الفاء والزاى والراء المهملة وهاء في الآخر) وهم بنو فزارة

(١) أنت الفرس المسى بداحس ومقتضى القاموس تذكره وقد صرح فيه طبرجور .



أَبْنُ دُبْيَان. قَالَ فِي الْعَرَبِ : وَكَانَتْ فِزَارَةُ بَنُجْدَ وَوَادِي الْقُرَى ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَنُجْدٌ أَحَدٌ وَنَزَلَ جَبَانُهُمْ مِنْ طَيِّئٍ مَكَانَهُمْ . وَذَكَرَ أَنَّ بَارِضَ بَرْقَةَ إِلَى طَرَائِيسِ الْغَرْبِ مِنْهُمْ قِبَائِلُ : رَوَاحَةَ ، وَهَيْتَ ، وَفَزَانَ . قَالَ : وَبِافْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ مِنْهُمْ الْآنَ أَحْيَاءُ كَثِيرَةٌ ، اخْتَلَطُوا مَعَ أَهْلِهِ يَحْتَاجُ الْمَعْقِلَ مِنْ عَرَبِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى إِلَى الْأَسْطِظْهَارِ بِهِمْ . قَالَ . وَمِنْهُمْ مَعَ سُلَيْمٍ بِافْرِيقِيَّةِ طَائِفَةٌ أُخْرَى أَحْلَافَ لِلْأَوْلَادِ أَبِي اللَّيْلِ مِنْ شُعُوبِ بَنِي سُلَيْمٍ ، يَسْتَظْهِرُونَ بِهِمْ فِي مَوَاقِفِ الْحَرْبِ ، وَيَقِيمُونَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مَقَامَ الْوُزَرَاءِ لِلْمُلُوكِ . ثُمَّ قَالَ وَفِي بَرْقَةَ بِلَادِ هَيْتَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ نَازِلُونَ بِهَا ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ بِصَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ . قَالَ الْحَمْدَانِيُّ : وَمِنْهُمْ بِالْأُيُودِيِّ جَمَاعَةٌ بِالْمَصْبَعِ ، وَجَمَاعَةٌ بِضَوَايِ الْقَاهِرَةِ فِي قَلْيُوبٍ وَمَا حَوْلَهَا ، وَبِهِمْ عُرِفَتِ الْقَرْيَةُ الْمَسْمَاةُ بِحَرَّابِ فِزَارَةَ هُنَاكَ . وَمِنْ فِزَارَةَ بَنُو مَازِينَ ، وَبَنُو بَدْرِ ، فَأَمَّا بَنُو مَازِينَ فَهُمْ بَنُو مَازِينَ بْنِ فِزَارَةَ ، وَأَمَّا بَنُو بَدْرِ فَهُمْ بَنُو بَدْرِ بْنِ حَدِيٍّ بْنِ فِزَارَةَ : قَالَ فِي الْعَرَبِ ، وَفِيهِمْ كَانَتْ رِيَاسَةُ بَنِي فِزَارَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، يَرَأْسُونَ جَمِيعَ غَطَفَانَ وَتَدِينُهُمْ قَيْسٌ وَإِخْوَانُهُمْ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ حَدِيٍّ ، وَمِنْهُمْ كَانَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرِ صَاحِبَ الْقَرْسِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْغُبَرَاءِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهَا ، وَمِنْ بَنِي بَدْرِ هَؤُلَاءِ وَبَنِي عَمِّهِمْ بَنِي مَازِينَ جَمَاعَةٌ بِالْقَلْيُوبِيَّةِ مِنَ الْأُيُودِيِّ الْمَصْرِيَّةِ .

قُلْتُ : وَبَنُو بَدْرِ هُمْ قَبِيلَتُنَا الَّتِي إِلَيْهَا نَعْتَرِي ، وَفِيهَا نَنْتَسِبُ ، وَأَهْلُ بَلَدِنَا قَلْقَشَنَدَةُ نَصَفُهُمْ مِنْ بَنِي بَدْرِ وَنَصَفُهُمْ مِنْ بَنِي مَازِينَ .

وَمِنْ قِبَائِلِ قَيْسٍ أَيْضًا بَنُو سُلَيْمٍ (بِضْمِ السَّيْنِ وَفَتْحِ اللَّامِ) وَهُمْ بَنُو سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ أَبْنِ عِكْرَمَةَ بْنِ خَصَّصَةَ بْنِ قَيْسِ عِيلَانَ . قَالَ الْحَمْدَانِيُّ : وَهُمْ أَكْبَرُ قِبَائِلِ قَيْسٍ . وَكَانَ سُلَيْمٌ مِنَ الْوَلَدِ بُهْتَهُ (بِضْمِ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ فِي أَوَّلِهِ وَفَتْحِ الْمَثْنَاءِ بَعْدَ الْهَاءِ)

(١) ذَكَرَهُ فِي الْقَامُوسِ فِي بَابِ الْإِسْمِ الْمُنْتَظَّةِ وَقَالَ وَهِيَ رَجُلٌ مِنْ سُلَيْمٍ خُذِبَ .

ومنه جميع أولاده . قال في العبر : وكانت منازلهم في سالية تجدد بالقرب من خير .  
ومن منازلهم حرّة سليم ، وحرّة الناريين وادى القرى وتيمّا . قال : وليس لهم  
الآن بنجد صدد ولا بقية . ثم قال : وبإفريقية منهم حتى عظيم ، وقد تقدم أنه كان  
منهم جماعة بالبحرين فغلّبهم عليها بنو عقيل بن كعب وبنو تغلب . وقال الحمداني :  
ومساكنهم برقة مما إلى المغرب ومما إلى مصر . قال : وفيهم الأبطال الأتجاد ،  
واخليل الحباد . قال في العبر : وقد استولوا على برقة ، وهي إقليم طويل واسع  
الأطراف ، ونهبوا مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة إلا لما يشيخهم . قال  
في "ممالك الأبصار" : والإمرة الآن فيهم في بني عزازة وهي الآن في زماننا  
لبنى عريف .

ومن سليم هؤلاء كيد يبرقة ، وهم بطون كثيرة العدد .

ومن قبائل قيس عدوان ( بفتح العين وسكون الدال المهملة ونون في الآخر )  
وهم بنو عدوان وأسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان . قال أبو عبيد : وسمى  
عدوان لأنه عدا على أخيه فهم فقتله . قال في العبر : وهم بطون متسع ، وكانت منازلهم  
بالطائف من أرض نجد نزولها بعد إباد والمالقة ، ثم غلبهم عليها ثقيف ، فخرجوا إلى  
نهامة ، وبإفريقية الآن منهم أحياء بادية . وقد عد الحمداني عدوان من عرب بركة  
الحجاز من أعراف آل فضل من عرب الشام ، فيحتمل أنهم هؤلاء وأنهم غيرهم .

الأصل الثالث - إلياس ( بكسر الهمزة وسكون اليا وسكون اللام وفتح الياء المشنة تحت  
وسين بعد الألف ) وهو إلياس بن مضر المقدم ذكره ، وكانت تحته خندف ( بكسر  
الخاء وسكون النون وكسر الدال المهملة وفاء في الآخر ) وهي خندف بنت حلوآن  
ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فعرف بنوه بها فقبل لهم خندف : لأن زوجها

إلياس رآها يوما مشى ، فقال لها : مالك تُخْذِلِينَ ؟ واخْتَدَفَ أَنْ يَقْلِبَ ظَهْرَ قَدَمِهِ إِلَى الْأَرْضِ عِنْدَ مَشْيِهِ . وَلَهُ فِرْعَانٌ عَلَى حَاشِيَةِ عَمُودِ النَّسَبِ .

الفرع الأول - طابخة ( بفتح الطاء المهملة وكسر الباء الموحدة بعد الألف وفتح الخاء المعجمة وهاء في الآخر ) وهم بنو طابخة ، وأسمه عمرو بن إلياس بن مُضَرٍّ ، وسُمِّيَ طابخةً لِأَنَّهُ كَانَ هُوَ وَأَخُوهُ مَدْرَكَةً الْآتَى ذَكَرَهُ عَلَى عَمُودِ النَّسَبِ ، وَكَانَ أَسْمُهُ عَامِرًا ، فِي إِبِلٍ لَهَا فِصَادَا صَيِّدًا ، وَقَعْدًا يَطْبُخَانَهُ فَعَدَّتْ عَادِيَةُ عَلَى إِبِلِهِمَا فَاسْتَاقَتَا ، فَقَالَ عَامِرٌ لِعَمْرُو أَتَتَرَكُ الْإِبِلَ أَمْ تَطْبِخُ الصَّيْدَ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : بَلِ أَطْبِخُ الصَّيْدَ ، فَطَحِقَ عَامِرُ الْإِبِلَ بُخَاءً بِهَا فَلَمَّا عَجَا أُولَاهَا أَخْبَرَاهُ الْخَبِيرَ ، فَقَالَ لِعَامِرٍ : أَنْتَ مَدْرَكَةٌ . وَقَالَ لِعَمْرُو : أَنْتَ طَابِخَةٌ لِمَسْمِيَا بِذَلِكَ ، وَيَفْتَرِخُ عَنْ طَابِخَةٍ قِبَائِلُ كَثِيرَةٍ .

فمن قبائل طابخة تميم ( بفتح التاء المثناة فوق وكسر الميم ) سكنوا البياض المثناة تحت فميم في الآخر ) وهم بنو تميم بن مَرَادٍ بن طابخة ، قَالَ فِي الْعَبْرِ : وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ بِأَرْضِ نَجْدٍ دَائِرَةً مِنْ هُنَاكَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْجَمَامَةِ ، وَأَمْتَدَّتْ إِلَى الْعُدَيْبِ مِنْ أَرْضِ الْكَوْفَةِ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْحَوَاضِرِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بِأَدْيَةٍ ، وَوَرِثَ مَسَاكِنَهُمْ غَزِيَّةٌ مِنْ طَيْئٍ وَخَفَاجَةٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ بْنِ كَعْبٍ .

ومن بطون تميم بنو العنبر ، وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم ، وَإِلَيْهِمْ يُنْسَبُ جَدِيدَةُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيُّ الصَّحَابِيُّ .

ومن بطون تميم بنو حَنْظَلَةَ وَضَبِطَهُ ، مَعْرُوفٌ ، وَهُمْ بَنُو حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ حَنْظَلَةُ الْأَكْرَمُونَ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَهُمْ أَكْبَرُ قَبِيلَةٍ فِي تَمِيمٍ .

ومن حنظلة بنو يربوع (بفتح الياء المثناة تَحْتُ وسكون الراء المهملة وضم الباء الموحدة وسكون الواو وعين مهملة في الآخر)؛ وهم بنو يَرْبُوع بن حنظلة .

ومن بنى يربوع بنو العبر بن يربوع؛ ومنهم يَنْجَاحُ التي تنبأت في زمن مسيلة الكذاب وهم غير بنى العبر المقدم ذكرهم .

ومن قبائل طابخة بنو صَبَّة (بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء) . قال في العبر : وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من نجد بجوار بنى تميم ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق، وهم الذين قتلوا المتنبي الشاعر .

ومن قبائل طابخة أيضاً مَرْزِينَة (بضم الميم وفتح الزاى وسكون الياء المثناة تحت وفتح النون وهاء في الآخر) وهم بنو عثمان وأوس، أبى عمرو، بن أد بن طابخة، ومَرْزِينَة أمهما عُرِفوا بها؛ وهى مَرْزِينَة بنت كَلْب بن وَرَة . ومنهم كعب بن زهير ناظم القصيدة المعروفة ببائت سعاد ، وإليهم يُنسب الإمام إسماعيل بن إبراهيم المزني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه .

الفرع الثاني - قَمْعَة (بفتح القاف والميم والعين المهملة وهاء في الآخر) وهم بنو قَمْعَة بن إلياس بن مضر . قال الجوهري إن أباه سماه قَمْعَة لما أقمعه في بيته أى اتقهر وذُل ولم يشتهر عقبه .

الأصل الرابع - مُدْرَكَة (بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الراء المهملة وفتح الكاف وهاء في الآخر) وهم بنو مدركة بن إلياس بن مضر؛ وقد تقدم سبب تسميته مُدْرَكَة . وله فرع واحد على حاشية عمود النسب وهو هُذَيْل (بضم الهاء وفتح الدال المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ولام في الآخر) وهم بنو هُذَيْل بن

مدركة . وهى قبيلة متسعة لها بطون كثيرة والنسبة إليها هَذَلَى بحذف الياء بعد الذال، وإليهم يُنسَب عبد الله بن مسعود الصباحى رضى الله عنه .

الأصل الخامس - نُزَيْمَة (بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى ومكون الياء المثناة تحت وفتح الميم وهاء فى الآخر) وهو نُزَيْمَة بن مُدْرِكَة . وله فرعان على حاشية عمود النسب، وهما الهون وأسد .

فأما الهون (فبضم الهاء ومكون الواو ونون فى الآخر) وهو الهون بن نُزَيْمَة، وهى قبيلة مشهورة .

ومن بطون الهون عَضَد (بفتح العين المهملة والضاد المعجمة ودال مهملة فى الآخر)، وهم بنو عَضَد بن الهون .

ومن بطون الهون أيضا الديش (بكسر الدال المهملة ومكون الياء المثناة تحت وشين معجمة فى الآخر) وهم بنو الديش بن مُلَيْح بن الهون، ويقال لهاتين القبيلتين وهما عَضَد والديش القارة . قال أبو عبيد : وُسِمُوا بذلك لأن الشداخ اللبى أراد أن يفرقهم فى بطون كأنه فقال بعضهم : دعونا قارة لا تتفرق فُسِمُوا القارة .

وأما أسد وضبطه معروف، فهم بطن كبير متسع . قال فى العبر : ومنازلهم مما على الكرخ من أرض تجرد فى مجاورة طي . قال : ويقال إن بلاد طي كانت لبني أسد، فلما خرج بنو طي من اليمن تغلبوا على أجا وسلمى، وتفرق بنو أسد بسبب ذلك فى الأقطار ولم يبق لهم حى . قال ابن سعيد : وبلادهم الآن لطي . قال فى "مسالك الأبصار" : ويغسل وما ينضم إليها من بلاد الشام قوم من بني أسد .

ومن بطون أسيد الكاهلية ، وهم بنو كاهل بن أسد ، ومن بطونهم دودان بن أسد أيضا .

الأصل السادس - كنانة (بكسر الكاف ونون بعدها ألف ثم نون مفتوحة بعدها هاء) وهو كنانة بن خزاعة ، وهي قبيلة عظيمة اشتهرت على عمود النسب . وقد ذكر الحمداني أن منهم جماعة بالإنحيمية من صعيد الديار المصرية يعرفون بكنانة طلحة ، وذكر في "ممالك الأيصار" أن طائفة منهم قدموا الديار المصرية في وزارة الصالح طلائع بن رزيك ونزلوا دمياط وما حوله . وله على حاشية عمود النسب خمسة فروع .

الفرع الأول - مئكان (يفتح الميم وسكون اللام ونون في الآخر) ، وهم بنو مئكان بن كنانة .

الفرع الثاني - عبد مناة باضافة عبد إلى مناة (بهم مفتوحة بعدها نون) ، وهم بنو عبد مناة بن كنانة ، ولهم عدة بطون .

منهم غفار (بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء وراء بعد الألف) ، وهم بنو غفار ابن عبد مناة بن كنانة ، وهم رهب أبي ذر النخعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم "غفار غفر الله لها" .

ومنهم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ومن بكر هؤلاء الدئل . وهم بنو الدئل بن بكر ابن عبد مناة ، وإليهم ينسب أبو الأيود الدؤلي واضع علم النحوب بأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ومنهم بنو ليث ، وهم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة منهم الصعب بن جثامة الليثي الصحابي رضي الله عنه . وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بساقية قتلة بالإنحيمية من صعيد مصر .

ومنه بنو الحارث، ويقال فيهم بلحارث؛ وهم بنو الحارث بن عبد مناة .  
ومنه بنو مُذَلِّج (بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وجيم في الآخر)،  
وهم بنو مُذَلِّج بن مرة بن عبد مناة . وفي بنى مُذَلِّج هؤلاء عِلْمُ القباية، وهو الجلق  
الأكبر بالأب ونحو ذلك بالشَّبه . ومنهم طائفة الآن بصَرْخَدَ وَحَوْران من بلاد  
الشام، وطائفة بالأعمال الغربية من الديار المصرية .

ومنه بنو صَمْرَةَ (بفتح الصاد المعجمة وسكون الميم وفتح الراء المهملة وهاء  
في الآخر) وهم بنو صَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة، وإليهم ينسب عمرو بن أمية الضمير  
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بساقية  
قُلْتَة وما يليها من بلاد أنعم من صعيد مصر .

الفرع الثالث - عمرو بن كَنانة، وإليه ينسب العَمَرِيُّون من بنى كَنانة .

الفرع الرابع - عامر بن كَنانة، ومنه العامريون من كَنانة .

الفرع الخامس - مالك بن كَنانة . ومن عَقِبِهِ بنو فِرَاس، بن غنم، بن ثعلبة، بن  
الحارث، بن مالك . وفي بنى فِرَاس هؤلاء يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه لبعض من كان معه: "لَوِ دِدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي بِألفٍ مِنْكُمْ سَبْعَةٌ مِنْ بَنِي  
فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ". وقد ذكر الحمداني أن منهم جماعة بساقية قُلْتَة وما يليها من الإنجيمية  
بمصر . وذكر الحمداني أيضا أن من كَنانة بن تَزِيمَة طائفة بصعيد مصر بالأشْمُونِيَّين  
وما حولها تُعرَفُ بِكَانَة طَلْحَة .

الصنف الثاني من العرب العدنانية - قُرَيْش (بضم القاف وفتح الراء المهملة)،  
وهم بنو النُضَر (بفتح النون وسكون الضاد المعجمة) ابن كَنانة وقيل في تسميته بذلك إنه  
كان في سفينة بجير فَارِسَ إذ خرجت عليهم دابة عظيمة يقال لها قُرَيْش تخافها أهل

السفينة على أنفسهم فأخرج سهما من كائنه ورمأها فأثبتهما ، ثم قُرِبَت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة فسميَ باسمها . وقيل سميَ بنوه بذلك لغلبتهم القبائل وقهرهم إياهم ، تشبيها بالدابة المقدم ذكرها من حيث إنها تقهر سائر دواب البحر وقيل أخذوا من التقرش ، وهو الاجتماع لأن قُصِيَا جمعهم عليه عند ولايته أمر قُريش . وقيل لتجارتهم أخذوا من التقرش ، وهو التجارة .

ثم لقريش عشرة أصول على عمود النسب .

الأصل الأول - فِهر بن مالك ، ويتفرع عن فِهر على حاشية عمود النسب قبيلتان .

القبيلة الأولى - بنو الحارث ، وهم بنو الحارث بن فِهر . ومن بنى الحارث هؤلاء بنو الجراح رهط أبي عبيدة بن الجراح ، أحد العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع لهم بالجنة .

القبيلة الثانية - بنو محارب بن فِهر ، المتقدم ذكره . ومنهم الضحَّاك بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثاني - غالب بن فِهر . ويتفرع عنه على حاشية عمود النسب قبيلة واحدة ، وهم بنو الأدرم بن لؤي<sup>(١)</sup> بن غالب ، والأدرم هو الناقص الذَّن .

الأصل الثالث - لؤي بن غالب . ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى - سعد ، وهم بنو سعد بن لؤي بن غالب ، كان له من الولد عمار ، وعماري ، وغزوم ، من أمهاته بُثَّانة (بضم الباء الموحدة) وبها يُعرفون فيقال لهم بنو بُثَّانة ، ومنهم أبو الطَّفيل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فيه نظر فان تيم الأدرم ابن غالب كما في القاموس في مادة تيم فليس لفظ ابن لؤي عما طنى به فلم السامع .



القبيلة الثانية - تُزَيْمَة (بضم الحاء المعجمة وفتح الزاى) وهم بنو خزيمَة بن لؤى ؛ وكان تحتَه عائذَة (بالعين المهملة والياء المثناة تحت والذال المعجمة) بنت الحِمْس بن حُفَافَة فَعُزِفَ ولده بها فقبل لهم بنو عائذَة .

القبيلة الثالثة - بنو عامر، وهم بنو عامر بن لؤى، وكان له من الولد حِمْسَل وبَيْض . ومن ولد حِمْسَل سُهَيْل بن عمرو الذى عقد الصُّلح مع النبي صلى الله عليه وسلم، يوم الحُدَيْبِيَّة لقريش ؛ ومنهم عمرو بن عبدوُد العامريّ فارس العرب الذى قتله عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه .

الأصل الرابع - كعب بن لؤى بن غالب، ويتفرع منه خارجا عن عمود النسب قبيلتان .

القبيلة الأولى - هُصَيْص (بضم الهاء وفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت وصاد مهملة فى الآخر) . ومن هُصَيْص بنو سَهْم، منهم عمرو بن العاص رضى الله عنه ؛ وكانت خُطَة بنى سَهْم بِسُطَاط مصر حول الجامع العتيق . وقد ذكر الحمدانى أن من بنى عمرو بن العاص اشتاتاً بالصعيد، ولم حصّة فى وقف عمرو على أهله بمصر .

ومنهم بنو جُمَح (بضم الجيم وفتح الميم وحاء مهملة فى الآخر) وهم بنو جُمَح بن هُصَيْص المقدم ذكره ؛ ومنهم أُمَيَّة بن حَلَف عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن من بنى جُمَح قوما بأذرعات من بلاد الشام .

القبيلة الثانية - بنو عَدَى، وهم بنو عدىّ بن كعب ؛ ومنهم أمير المؤمنين عمرُ أبى الخطاب رضى الله عنه وسعيد بن زيد أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة ؛ وقد ذكر القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" أنه وفد من بنى عدى

جماعة إلى الديار المصرية في وزارة الصالح طلائع بن رزّيك وزير الفائز الفاطمي .  
وممنهم رجال من بني عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ومقتدئهم خلف بن نصر  
العُمري وأنهم لقوا من الصالح طلائع بن رزّيك وأقرّ الأكرام ، ونزلوا بالبرلس<sup>(١)</sup> من  
سواحل الأعمال الغربية . وذكر أن من العُمريين ببلاد الشام فوقة بوادى بني  
زيد وفرقة بمجلون .

الأصل الخامس - مُرة بن كعب ، ويتفرع عنه قبيلتان على حاشية  
عمود النسب .

القبيلة الأولى - تيم ، وهم بنو تيم بن مرة بن كعب . ومنهم أبو بكر الصديق  
رضى الله عنه ، وطلحة أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة . وقد ذكر الحمداني أن من  
بني الصديق رضى الله عنه من بني عبد الرحمن وبني محمد ولدى أبي بكر رضى الله  
عنه جماعة بالأشموين والبهسائية من صعيد مصر . قال الحمداني ، وهم ثلاث فرق هم  
وأقرباؤهم وأطلق على الكل بنو طلحة . فالفرقة الأولى منهم بنو إسحاق ، ويقال إن  
إسحاق ليس أبا لهم وإنما هو (إسحاق) مكان تحالفوا عنده فسموا به . والفرقة الثانية  
فضاء طلحة ، وهم بطون كثيرة ، وأكثرهم أشتات كثيرة في البلاد لاحت لهم . والفرقة  
الثالثة بنو محمد ، وهم بنو محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، ومنازلهم بالبرجين  
وسقط سكرة ، وطحا المدينة من بلاد الأشموين فيما ذكره الحمداني ، وأكثرهم الآن  
بدهروط من البهسائية ، وخرج منهم جماعة من العلماء على مذهبي الإمامين : مالك  
والشافعي رضى الله عنهما .

القبيلة الثانية - بنو يقظة ، وهم بنو يقظة بن مُرة . ومنهم بنو مخزوم ( يفتح الميم  
وسكون الحاء المعجمة وضم الزاي وسكون الواو ويم في الآخر ) وهم بنو مخزوم بن

(١) قال ياقوت برلس بفتحين وضم اللام وتشدّدها وفي القاموس برلس بالضات وشد اللام .

يَقْطَعُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ، وَبِهِ أَشْتَهَرَتِ الْقَبِيلَةُ دُونَ أَبِيهِ يَقْطَعَةَ لِكَثْرَةِ عَقِبِهِ دُونَ أَبِيهِ . مِنْهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَحَدُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو جَهْلٍ ابْنُ هِشَامٍ عَدُوُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخُوهُ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ ، قُتِلَا يَوْمَ بَدْرٍ كَافَرَيْنِ ، وَأَخُوهُمَا سَالِمَةُ بْنُ هِشَامٍ ، أَسْلَمَ وَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ . وَمِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ التَّائِبِيُّ الْمَشْهُورُ . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّ مِنْ بَنِي خَزْرَجٍ جَمَاعَةً بِبَصْعِدِ مِصْرَ بِالْأَشْثُونِيِّينَ وَفِيهِمْ بَأْسٌ وَشِدَّةٌ . وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ مِنْهُمْ خَالِدَ حِصْنٍ وَخَالِدَ الْجِجَارِ . وَذَكَرَ أَنَّ كَلَامَهُمْ يَدْعِي بِتَوْعَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنِّسْبِ عَلَى اقْتِرَاضِ عَقِبِهِ . قَالَ وَلَعَلَّهُمْ مِنْ سِوَاهُ مِنْ بَنِي خَزْرَجٍ فَهُمْ أَكْثَرُ قُرَيْشٍ بَقِيَّةً وَأَشْرَفُهُمْ جَاهِلِيَّةً .

الأصل السادس - كَلَابُ بْنُ مُرَّةَ ، وَيَتَفَرَّعُ مِنْهُ عَلَى حَاشِيَةِ عُمُودِ النَّسَبِ قَبِيلَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ زُهْرَةُ (بِضْمِ الزَّايِ وَسُكُونِ الْمَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ وَهَاءِ فِي الْآخِرِ) وَهُمْ بَنُو زُهْرَةَ بْنِ كَلَابِ بْنِ مُرَّةَ قَالَهُ أَبُو عَيْسَى وَغَيْرُهُ . وَقَدْ ذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ أَنَّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ كَلَابِ تُسَبِّ وَلَدَهُ إِلَيْهَا . مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ كِلَاهُمَا مِنَ الْعَشِيرَةِ الْمَقْطُوعِ لَهُمُ بِالْجَنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمِنْهُمْ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً بِبِلَادِ الْأَشْثُونِيِّينَ بِبَصْعِدِ مِصْرَ .

الأصل السابع - قُصَيٌّ بْنُ كَلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، وَكَانَ قُصَيٌّ عَظِيمًا فِي قُرَيْشٍ ، وَهُوَ الَّذِي جَمَعَهُمْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ حِينَ يَدْعَى مُجْمَعًا \* بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

وَأَرْجَعَ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ مِنْ خُرَاعَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَتَرَعَوْهَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ . وَيتَفَرَّعُ مِنْهُ عَلَى حَاشِيَةِ عُمُودِ النَّسَبِ قَبِيلَتَانِ .

القَبِيلَةُ الْأُولَى - بَنُو عَبْدِ الدَّارِ ، وَهُمْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ، وَبِيدِ بَنِيهِ كَانَتْ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ دُونَ سَائِرِ بَنِي قُصَيٍّ . وَذَلِكَ أَنَّ قُصَيًّا لَمَّا أَخَذَ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ الْخُزَاعِيِّ ، أَرْسَلَهَا مَعَ ابْنِهِ عَبْدِ الدَّارِ هَذَا إِلَى الْبَيْتِ وَقَالَ : يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ هَذِهِ مِفْتَاحِ بَيْتِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَقَدْ أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكُمْ . فَبَقِيَتْ بِيَدِهِ مِنْ حَيْثُذْ ، وَمِنْ وَلَدِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْحَجَّيِّ الَّذِي أَتَرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ مِفْتَاحِ الْكُفَّةِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ حِينَ طَلَبَهَا مِنْهُ لِيَدْخُلَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْبَيْتَ لَيْلًا فَلَمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : إِنَّ الْكُفَّةَ لَمْ تُفْتَحْ لَيْلًا قَطُّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ فَأَعَادَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ مَرَّهٍ فَيَكُمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْمَسَالِكِ أَنَّ بَحْمَاهُ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بَنُو شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ ، ابْنُ طَلْحَةَ ، بَنُ أَبِي طَلْحَةَ ، بَنُ عَبْدِ الْعَزِيِّ ، بَنُ عُثْمَانَ ، بَنُ عَبْدِ الدَّارِ ، وَهُمْ حَجَّجَةُ الْكُفَّةِ ، وَهِيَ مِفْتَاحُهَا بِيَدِهِمْ إِلَى الْآنَ . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ هَؤُلَاءِ قَوْمًا بِصَعِيدِ مِصْرَ بِسُقُطٍ وَمَا يَلِيهَا مِنْ بِلَادِ الْبَهْنَسَايَةِ يَعْرِفُونَ بِحِجَاةِ نَهَارٍ .

القَبِيلَةُ الثَّانِيَةُ - بَنُو عَبْدِ الْعَزِيِّ ، وَهُوَ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ قُصَيٍّ ، مِنْهُمْ هَبَّارُ بْنُ الْأَسَدِ كَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَمَدَحُهُ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيِّ هَؤُلَاءِ بَنُو أَسَدٍ ، وَهُمْ بَنُو أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيِّ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ هَؤُلَاءِ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَقْطُوعِ لَهُمْ بِالْحَنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومنهم خديجة أم المؤمنين، زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم، وورقةُ بن نوفل الذي أتته خديجةُ في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، في ابتداء النبوة حين جاءه الملكُ بجرأ . وقد ذكر الحمداني أن من بنى الزبير طائفةً بصعيد مصر بلاد الهنسا وما يليها . فمن ولد عبد الله بن الزبير بنو بدر، وبنو مصلح، وبنو رمضان . ومن بنى مُصعب بن الزبير جماعة يعرفون بجماعة محمد بن وراق . ومن ولد عروة ابن الزبير بنو عتي .

الأصل الثامن - عبد مناف بن قصي، ولبنى عبد مناف في قريش النسب الصميم، والحسب الكريم، وإلى هذا أشار أبو طالب بقوله :

إِذَا أَقْتَحَرْتَ يَوْمًا قَرَيْشَ بِمَفْخَرٍ \* فَعَبْدُ مَنْفٍ أَصْلُهَا وَصِمْمُهَا

ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى - بنو عبد شمس بن عبد مناف . ومن عبد شمس بنو أمية، وهم بنو أمية الأكبر وأمية الأصغر أبني عبد شمس بن عبد مناف .

فأما أمية الأكبر، فكان له عشرة أولاد : أربعة منهم يسمون الأعياص، وهم العاص، وأبو العاص، والعبص، وأبو العبص، وستة يسمون العنابس، وهم حرب، وأبو حرب، وسفيان، وأبو سفيان، وعمرو، وأبو عمرو .

ومن بنى أمية الأكبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب، والحكم بن العاص . ومن ولده كانت المراءنة خلفاء بني أمية . وأما أمية الأصغر فيقال لأولاده العبلات، ومن عقب أمية الأصغر الثري بنت عبد الله بن الحارث بن أمية، التي كان يشب بها عمر بن أبي ربيعة، وكان تزوجها سُهَيْل بن عبد الرحمن بن عوف، وفيهما يقول عمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيُّ سُهَيْلًا \* عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ  
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ \* وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وقد اختلف في النسبة إلى أمية على مذهبين، أحدهما أنه أموي بضم الهمزة بحراً على اللفظ في أمية، وإليه يميل كلام الشيخ أبيه الدين أبي حيان في شرح التسهيل، الثاني أنه ينسب إليها أموي بفتحها لأن أمية تصغير أمة فإذا نسبت رددته إلى أصله وعليه اقتصر الجوهري.

(١)  
القبيلة الثانية - نوفل، وهم بنو نوفل بن عبد مناف، ومنهم نافع بن طريب ابن عمرو بن نوفل الذي كتب المصاحف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان نوفل وعبد شمس متآلفين بغيري بنوهما على ذلك.

القبيلة الثالثة - بنو المطلب، وهم بنو المطلب بن عبد مناف، وكان المطلب متآلفاً مع أخيه هاشم بن عبد مناف المقدم ذكره بغيري بنوهما على ذلك، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم "لم يَفْتَرِقْ هَاشِمٌ وَالْمُطَلِبُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ". ومن بنى المطلب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

الأصل التاسع - هاشم بن عبد مناف، وأسمه عمرو، وسمى هاشماً لهشمه الثريد أيام الجاهلية، وفي ذلك يقول الشاعر:

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ \* وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْوَنَ عَجَافَ

وأنهت إليه سيادة قريش. وكان له على حاشية عمود النسب أربعة أولاد. وهم فضلة، وأسد، وصيفي، وأبو صيفي، ولم يشتهروا كل الاشتهار.

الأصل العاشر - عبد المطلب بن هاشم، وكان له اثنا عشر ولداً: عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، والعباس،

(١) كذا في سبائك الذهب أيضاً والذي في العقد الفريد شافعي بن طريب.

وَضَرَّارَ ، وَحَمْزَةَ ، وَجَلَّ ، وَأَبُو مَلَبَّ ، وَفَتَمَ ، وَالْقَيْدَلِقُ الْمَلَقَبُ بِالْمَقُومِ ، وَالْحَارِثُ أَعْمَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِلافٍ فِي الْعَدَدِ فِيهِمْ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَالْقَبْ مِنْهُمْ لَسْتُهُ : حَمْزَةٌ ، وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَأَبُو لَهَبٍ ، وَأَبُو طَالِبٍ ، وَالْحَارِثُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ .

فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَهُوَ وَلَدُهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَلَاصَةُ الْوُجُودِ ، وَزُبْدَةُ الْعَالَمِ . وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهُوَ وَلَدُهُ الْخُلَفَاءُ مِنْ زَمَنِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّقَّاحِ أَوَّلِ خُلَفَائِهِمْ وَهُمْ جَرَّا إِلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ خَلِيفَةِ الْمَصْرِ . وَأَمَّا حَمْزَةُ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَرْمٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ عَقِبَهُ أَقْرَضَ . وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، وَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَجَعْفَرٌ ، وَعَقِيلٌ ، وَهُوَ وَلَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَقِبَهُمَا قَدْ مَلَأَ الشَّرْقَ وَالْمَغْرِبَ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِي أَنَّ مِنْهُمْ بِمَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَعْفَرِيَّةِ بَنِي جَعْفَرِ الصَّادِقِ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ يَمْرِئٍ مَقْلُوطٍ إِلَى سَمْلُوطٍ غَرْبًا وَشَرْقًا ، وَعَدَّ مِنْ بَطُونِهِمُ الْخَيَادِرَةَ ، وَهُمْ أَوْلَادُ حَيْثَرَةَ ، وَالسَّلَاطِنَةَ ، وَهُمْ أَوْلَادُ أَبِي جُحَيْشٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ الشَّرِيفُ حِصْنُ الدِّينِ بْنُ تَغْلِبٍ صَاحِبُ دَرَّوَةِ سَرَآمٍ مِنَ الْأَشْمُونِيِّينَ ، وَبِهِ عُرِفَتْ بَدْرُوتُ الشَّرِيفِ ، وَكَانَ قَدْ سَمَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمُلْكِ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ وَبَقِيَ حَتَّى مَلَكَ الظَّاهِرُ بَيْرُوسَ ، فَأَعْمَلَ لَهُ خِوَالِثَ الْغَدَرِ حَتَّى قَبِضَ عَلَيْهِ وَشَتَقَهُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ . قَالَ وَمِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ قَوْمٌ بِمَرْجَةِ مَقْلُوطٍ ، وَبَنِي الْحُسَيْنِ هَؤُلَاءِ تَعْرِفُ الْقَرْيَةَ الْمَسْمَاةَ بِبَنِي الْحُسَيْنِ . وَفِي أَسْيُوطَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ يُعْرِفُونَ بِأَوْلَادِ الشَّرِيفِ قَاسِمَ . وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" أَنَّ بَسَامِيَّةً وَحَلَبَ وَبِلَادَهُمَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ :

ومن ولد جعفر بن ابى طالب اقوام ببلاد الشام بوادى بنى زيد، وبصرخند  
وبلادها جماعة من عامر بن هلال، يدعون أنهم من بنى جعفر بن أبى طالب أيضا .  
وفى بعض قُرَى أذربِعات قوم يدعون أنهم منهم . وأما الحارث وأبو هب فقد ذكر  
فى العبران لما عقبا موجودا ولم يصرح بمحله .

### الضرب الثالث

(من العرب الموجودين المتردد في عروبهم)

وهم البربر (ببائين موحدين مفتوحين بينهما راء مهمله ساكنة وراء مهمله  
فى الآخر) . قال الجوهري : ويقال فيهم البرّارة والهاء للمعجمة والنسب ولا يمتنع  
حذفها . وقد اختلف في نسبهم اختلافا كثيرا فذهبت طائفة من النساين إلى أنهم  
من العرب . ثم اختلف في ذلك فقبل اوزاع من اليمن ، وقيل من غسان وغيرهم  
تفرقوا عند سيل العرم قاله المسعودى ؛ وقيل خلفهم أبرهة ذو المنار أحد تبايعه اليمن  
حين غزا المغرب ؛ وقيل من ولد لقمان بن حمير بن سبأ ، بعث سرية من بنيه إلى  
المغرب ليعمره ، فتلوا وتناسلوا فيه ؛ وقيل من لحم وجذام ، كانوا نازلين بفلسطين  
من الشام إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس فاجسوا إلى مصر فتمهم ملوكها  
من نزولها فذهبوا إلى المغرب فزلوه ؛ وذهب قوم إلى أنهم من ولد لقشان بن  
إبراهيم النخيل عليه السلام . وذكر الحمداني أنهم من ولد بربر بن قيذار بن إسماعيل  
عليه السلام ، وأنه ارتكب ذنبا فقال له أبوه البرّ البرّ اذهب يا برّفا أنت يبرّ ، وقيل  
هم من ولد بربر بن ثميلا بن مازيع بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل  
من ولد بربر بن كسلاجيم بن حام بن نوح ؛ وقيل من ولد ثميلا بن ماراب بن عمرو  
ابن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ؛ وقيل من ولد قيط بن حام بن نوح ؛



وقيل أخلط من كنعان والعاليق ؛ وقيل من حمير ومصر والقبط ؛ وقيل من ولد جالوت ملك بنى إسرائيل ، وأنه لما قتله داود تفرقوا في البلاد فلما غزا إفريقيش البلاد نقلهم من سواحل الشام إلى المغرب ، وهو الذى ربحه صاحب العبر . وبالجملة فأكثر الأقوال جانحة إلى أنهم من العرب وإن لم يتحقق من أى عرب هم ، وهم قبائل متشعبة وبطون متفرقة ، وأكثرهم ببلاد المغرب ؛ وبديار مصر منهم طائفة عظيمة ، قال فى العبر : وهى على كثرتها راجعة إلى أصلين لا يخرج عنهما : أحدهما البرانس ، وهم بنو برنس بن بربر . والثانى البتر ، وهم بنو مادغش الأبت بن بربر . وبعضهم يقول إنهم يرجعون إلى سبعة أصول ، وهى اردواحة ، ومصمودة ، وأوربة ، وعجبة ، وكثامة ، وصنهاجة ، وأوريفة . وزاد بعضهم لمطة ، وهسكورة ، وكزولة . وقد ذكر صاحب العبر منهم الجمل الغفير ؛ والذى تدعو الحاجة إلى ذكره من ذلك طائفتان .

الطائفة الأولى - الذين كان منهم ملوك المغرب للحاجة إلى ذلك لمعرفة أنساب الملوك عند المكتبة إليهم ، وهم ثلاث قبائل .

القبيلة الأولى - مَصْمُودَة ( يفتح الميم وسكون الصاد المهملة وضم الميم وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر ) وهم بنو مَصْمُودَة بن برنس بن بربر . قال فى العبر : وهم أكبر قبائل البربر ، وأكثرهم عددا ، وأوسعهم شعبا ، ومنهم الموحنون أصحاب المهدي بن تومرت القائم بقاياهم بإفريقية إلى الآن .

ومن مَصْمُودَة هَتَاتَة ( يفتح الهاء وإسكان النون وفتح التاء المثناة فوق وبعدها الف ثم تاء ثانية مفتوحة وهاء فى الآخر ) ومنهم أبو حفص أحد أصحاب المهدي بن تومرت المتقدم ذكره ، وهو الذى ينسب إليه الحَفْصِيُّون ملوك إفريقية القائمون بتونس إلى الآن على ماسياتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك .

القبيلة الثانية - زَنَآنَةُ ( بكسر الزاي وفتح النون وبعدد الالف تاء مثناة فوق مفتوحة وهاء في الآخر) وهم بطن من الأُتْرَبِ البربر . قال في العبر : وأسم زَنَآنَةُ جانا بالجيم ويقال شاننا بالشين ، ابن يحيى ، بن صولات ، بن ورساك ، بن ضرى ، بن رحيك ، بن مادغش ، بن بربر . وقل ابن حزم عن بعضهم أن ضرى ، بن شقعو ، بن تبدواد ، بن ثملا ، بن مادغش ، بن هوك ، بن برسق ، بن كداد ، بن مازيف ، بن هراك ، ابن هريك ، بن بدآ ، بن بديان ، بن كنعان ، بن حام ، بن نوح عليه السلام . وقيل : جانا ابن يحيى ، بن ضريس ، بن جالوت ، بن هريك ، بن جديلات ، بن جالود ، بن رديلات ، ابن عصى ، بن بادين ، بن رحيك ، بن مادغش الأتر ، بن قيس عيلان ، وحيثئذ تكون من العرب العدنانية . وقيل : جالوت ، بن جالود ، بن دبال ، بن قحطان ، بن فارس فتكون من الفرس . قال في العبر : وترجم نَسَابَةُ زَنَآنَةُ الآن أنهم من حمير من التبابعة فيكونون من القحطانية ؛ وبعضهم يقول إنهم من العالقة . وقد تقدم عددهم في العرب .

ومن زَنَآنَةُ بنو مَرَيْنَ ( بفتح الميم وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر) وهم بنو مَرَيْنَ ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن وجرميج ، بن فاتن ، ابن بدر ، بن يحف ، بن عبد الله ، بن زرتييص ، بن المعز ، بن إبراهيم ، بن رحيك ، بن واشين ، بن نصبين ، بن سرا ، بن احيا ، بن ورسيك ، بن اديت ، بن جانا ، وهو زَنَآنَةُ .

ومن بنو مَرَيْنَ هؤلاء بنو عبد الحق ملوك فاس القائمون بها إلى الآن على ما يأتي ذكره في الكلام على المسالك والممالك إن شاء الله .

ومن زَنَآنَةُ أيضا بنو عبد الواد ملوك تلمسان من المغرب الأوسط القائمون بها إلى الآن .

القبيلة الثالثة - صَنَهَاجَةُ ( بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح الهاء وألف بعدها جيم مفتوحة وهاء في الآخر ) وهم بنو صَنَهَاجَةَ ، بن برنس ، بن بربر .

وقيل صَناهج، بن أوريغ، بن برنس، بن بربر. ويقال إنهم من حمير من عرب اليمن قاله ابن الكلبي والطبري والبيهقي والمسعودي وعبد العزيز الجرجاني .

وحكى ابن حزم : أن صناهج إنما هو ابن امرأة اسمها بصلى وليس له أب معروف وأنها تزوجت بأوريغ، وهو معها، فولدت له هَوَّارة، فكان صناهج أخا هَوَّارة لأُمِّه . ومن صناهجة لَمْتُونة (يفتح اللام وسكون الميم وضم التاء المثناة فوق وفتح النون وهاء في الآخر) ، ومن لمتونة ملوك المُرَاطِيطين الذين كان منهم أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين باني مدينة مَرَّاكُش من الغرب الأقصى ، وهم الذين آتقرض مُلكُهم بدولة الموحِّدين .

الطائفة الثانية - الذين منهم بالديار المصرية . قال في العبر : وهم قبيلتان .  
القبيلة الأولى - هَوَّارة (يفتح الهاء وتشديد الواو وفتح الراء المهملة بعد الألف وهاء في الآخر) ، وهم بنو هَوَّارة بن أوريغ، بن برنس، بن بربر . وذكر الحمداوي أنهم من ولد برّ بن قنذار، بن إسماعيل عليه السلام . قال في العبر : ونسأبتهم يقولون إنهم من عرب اليمن : فتارة يقولون إنهم من عاملة إحدى بطون قُضاعة، وتارة يقولون إنهم من ولد المسور، بن السكاسك، بن وائل، بن حمير، وتارة يقولون من ولد السكاسك، بن أشرس، بن كئنة، فيقولون هَوَّار، بن أوريغ، بن جيور، بن المنثي، ابن المسور . وقد عدَّ الحمداوي من بطونهم بالديار المصرية بنى مجريش، وبنى اسرات ، وبنى قطران، وبنى كُريب ، ولكنهم الآن قد آتسعت بطونهم، وكثُرَت شعوبهم، وصار لهم بطون كثيرة .

منها بنو محمد، وأولاد مأمون، وبندار، والعرايا، والشللة، وأشعوم، وأولاد مؤمنين، والروابع، والروكة، والبروكية، والبهاليل، والأصايفة، والدناجلة، والمواسية

(١) في العبر بدون هاء التأنيث وقد اختلف الأصل الذي يبدأ فتارة يبتدأ وتارة يحدنها .

والبلازد، والصوامع، والسدادرة، والزبانية، والخياشة، والطرده، والأهله،  
وازلتين، واساين، وبنو قير، والته، والتابعة، والغنائم، وفزاره، والعبادة،  
وساوره، وغلبان، وحديد، والسبعة. وذكر في "مسالك الأبصار" أن لهم بالديار  
المصرية البحيرة، ومن الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة، ولم يزل الأمر على  
ما ذكره إلى آخر المائة الثامنة في الدولة الظاهرية الشهدية برقوق فغلبهم على البحيرة  
زنارة وحلفاؤهم من بقية عرب البحيرة، فخرجوا عنها إلى صعيد مصر، وتزلوا به  
بالأعمال الإنجيمية في جرجا وما حوله. ثم قوى أمرهم، واشتد بأسهم، وكثر  
جمعهم، حتى أنتشروا في معظم الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص، وإلى غربى الأعمال  
البنسائية، وأقطعوا بها الإقطاعات، وصارت الإمرة في بلاد إنجيم لأولاد عمر،  
وفي أعمال البنسا وما حوله لأولاد غريب، والأمر على ذلك إلى الآن.

القبيلة الثانية - لؤآثة (بفتح اللام والواو والتاء المثناة وهاء في الآخر) قال  
الجداني: ويقال لؤآنا بالآلف، وهم بنو لؤآنا الأصغر، بن لؤآنا الأكبر، بن رحيك،  
ابن مادغش الأتر، بن بربر. قال الجداني: وهم يقولون إنهم من قيس من  
غطفان، بن سعد، بن قيس عيلان. وذكر عن بعض السابيين أنهم من ولد بر، بن  
قيذار، بن إسماعيل عليه السلام، وأنه تزوج امرأة من الهالقي فولدت له أولادا  
منهم لؤآثة.

وحكى ابن حزم عن بعض النسابة: أن لؤآثة من القبط. ثم قال: وليس بصحيح.  
قال الجداني: ولهم بمصر بطون كثيرة، منهم بنو بلار، وجد وخص، وبنو مجدول،  
وبنو جديدي، وقطوفه، وبركين، ومالو، ومزورة. قال: وبنو جديدي تجمع أولاد

(١) ذكرها صاحب القاموس بهذا الضبط في باب التاء المثناة من فوق فليتب.

قريش، وأولاد زَعَزَع، وهم أشهرُ مَنْ في الصعيد . وقطوفة تجمع مَغَاة وواهلة .  
وبركين تجمع بنى زيد وبنى رويح . ومزورة تجمع بنى وركان وبنى غرواسن .  
ثم قال : فأما بنو بلار ففرقتان فرقة بالهنسية، وهم بنو محمد، وبنو علي، وبنو زار،  
ونصف بنى شهلان .

وأما الفرقة التي بالجزيرة، فبنو مجلول، وسقارة، وبنو أبي كَثِير، وبنو  
الحلالس . قال : ويقال لهذه الفرقة جد وخاص، ويقال للأولى البلارية؛ ومنهم  
مَغَاة، ولم يَمْلُوط إلى الساقية، ولبنى بركين قُلُوسًا وما معها إلى بحري طَنْبَدِي،  
ولبنى جد وخاص الكفور الصولية، وسقط أبو حرجا إلى طَنْبَدِي، وإهرت . ومنهم  
بنو محمد، وبنو علي المتقدم ذكرهما، وأمرأؤهم بنو زعازع .

وأما مزورة، فبنو وركان، وبنو غرواسن، وبنو جهاز، وبنو الحكم،  
وبنو الوليد، وبنو الحجاج، وبنو الحرمة .

وأما بنو زار . فن بنى زرية؛ ومنهم نصف بنى عامر، والحماسنة، والضباعنة؛  
وهم في إمارة بنى زعازع . ومنهم أيضا بنو زيد وأمرأؤهم أولاد قريش، ومسكنهم  
النويرة؛ وبالجزيرة منهم صلامس : عرب البدرشين، وبنو منصور : عرب منية  
رهينة، وبنو بَكَم : عرب سقارة، وبنو مجلول، وبنو يرفى، وبنو يوسف، وبهم  
تعرف الكفور الثلاثة المسماة بأسمهم . وبالمنوفية منهم بنو يحيى، والسوة، وعبيد،  
ومصيلة، وبنو غنار . ومن لَوَاثَة هؤلاء زُنَّارَة (بضم الزاى وتشديد النون وألف  
ثمراء مهيجلة مفتوحة وهاء في الآخر)، وهم بنو زُنَّارَة من ولد بر، بن قَيْنَار، بن إسماعيل  
عليه السلام، وقال : إنه أخو هَوَّارَة، وأكثر زُنَّارَة ببلاد المغرب؛ ومنهم جماعة

(١) في السباتك بنو الجلاس بالجيم وحده .

(٢) في مجسم ياقوت طنبجة بالذال المعجمة وهاء التانيث .

بالبحيرة وجماعة بالمنوفية . وقد عدّ الحمدانيّ من بطونهم بالبحيرة بنى مزديش ، وهم مزداشة ، وبنى صالح ، وبنى سام وزمران ، وأوريقة ، وعزهان ، ولقان . وزاد بعضهم بنى جبون ، وواكدة ، وفرطيطة ، وغرجومة ، وطازوله ، ونفاث ، وناطورة ، وبنى السعوية ، ومزداشة ، وبنى أبى سعيد ، وهم عرب بدر بن سلام . ومن لوائه أيضا مُزَنّات ( يضم الميم وفتح الزاى والتاء المثناة فوق وهاء فى الآخر ) ، وهم بنو مُزَنّات ، بن لوائه الأصغر ، ومنازلهم من البحيرة غربا إلى العقبة الكبيرة ببرقة .

### المقصود الثالث

( فى معرفة أنساب العجم )

وهم منّ عدا العرب من الفُرس ، والتُرك ، والرُّوم ، وغيرهم . ويُحتاج إلى ذلك فى المكتابات إلى ملوكهم ، وعَقْدًا مُتَدَنّ معهم ، ونحو ذلك .  
والمشهور من الأهم العجمية ست وعشرون أمة .

الأولى - التُرك ( يضم التاء المثناة فوق وسكون الزاء المهملة وكاف فى الآخر ) ، وهم الأئمة المشمورة الذين منهم مُلُوك الديار المصرية الآن ، وهم من بنى تُرك ، بن كُومر ، بن يافِث ، بن نوح عليه السلام ، وقيل من بنى طيارش ، بن يافث ، ونسبهم آبن سعيد إلى ترك ، بن عابر ، بن شويل ، بن يافث . قال فى العبر : ويدخل فى جنس التُرك القفجاق ، وهم الخفشاج ، والطُغرغر ، وهم التتر . ويقال فيهم التار بزيادة ألف ، والطُطر بابدال التاء طاء ، والخطا ، والخزنجية والخزَر ، وهم الفز الذين كان منهم ملوك السلاجقة ، والهُياطلة ، وهم الصغدور والفور والعلان ، ويقال : اللان ، والشركس ، والأزكش ، والروس فكلُّهم من جيل التُرك ونسبهم داخل فى نسبهم .

الثانية - الجَرَامِقة (بفتح الجيم وكسر الميم وفتح القاف وهاء في الآخر)، وهم أهل المَوْصِل في الزمن القديم . قال ابن سعيد : وهم من ولد بُحْرُوق ، بن أشور ، بن سام ، ابن نوح عليه السلام . وقال غيره : من ولد كائز ، بن إرم ، بن سام .

الثالثة - الجليل ( بكسر الجيم وسكون المثناة تحت ولام في الآخر ) ، وهم أهل كِلان من بلاد الشرق . قال ابن معيّد : وهم من بنى باسل ، بن أشور ، بن سام ، ابن نوح عليه السلام .

الرابعة - الخَزَر ( بفتح الخاء والزاى المعجمتين وراء مهملة في الآخر ) ، وهم التركمان . في الإسرائيليات أنهم من ولد توغر بجا ، بن كوسر ، بن يافت ، بن نوح ؛ وقيل هم من بنى طيراش بن يافت ؛ وقيل نوع من الترك .

الخامسة - الديلم ( بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر ) ، وهم الذين كان منهم ملوك بنى بويه الخارجين على خلفاء بنى العبّاس ببغداد . قال في العبر : هم من بنى ماداي ، بن يافت ، بن نوح ؛ وقال ابن سعيد : من بنى باسل ، بن أشور ، بن سام ، بن نوح ؛ وقيل هم من العرب وضعفه أبو عبيد .

السادسة - الروم وضبطهم معروف ، وهم الأمة المعروفة الذين منهم ملوك القُسْطَنْطِينِيَّة الآن ؛ قيل هم من بنى كيثم بن يوثان ، وهو يابان ، بن يافت ، بن نوح ؛ وقيل من ولد رومي ، بن يوثان ، بن علجان ، بن يافت ، بن نوح ، وقيل من ولد رعويد ابن عيصو ، بن إسحاق ، بن إبراهيم عليه السلام . وقال الجوهري : من ولد رُوم ، بن عيصو بن إسحاق .

السابعة - السُرِّيَّان ( بضم السين وسكون الراء المهملتين وفتح الياء المثناة تحت

وألف ثم نون) ، قال ابن الكلبي : من بنى سُريان ، بن نيط ، بن ماش ، بن آدم ،  
ابن سام ، بن نوح .

الثامنة - السُّنْد ( بكسر السين المهملة وسكون النون ودال مهملة في الآخر ) ،  
في الإسرائيليات أنهم من ولد شبا ، بن رعما ، بن كوش ، بن حام ، بن نوح ؛ وحكى  
الطبري عن ابن إسحاق : أنهم من بنى كوش بن حام .

التاسعة - السُّودان وضبطهم معروف . قال ابن سعيد : جميع أحيائهم من ولد  
حام بن نوح ؛ ونقل الطبري عن ابن إسحاق : أن الحبشة من ولد كوش بن حام  
والنوبة ، والزنج ، والزغاوة من ولد كنعان بن حام . وذكر ابن سعيد : أن الحبشة من  
بنى حبش والنوبة من ولد نوبة أو بنى نوبى ، والزنج من بنى زنج ، ولم يرفع في نسبهم  
فيحتمل أنهم من بنى حام ، وأنهم من بنى غيره .

العاشر - الصَّقَالِبَة ( بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وألف بعدها لأم مكسورة  
وباء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر ) ، وهم عند الإسرائيليين من بنى بازان بن يافت  
ابن نوح ، وقيل هم من بنى اشكَّاز ، بن توغرما ، بن كوسر ، بن يافت .

الحادية عشرة - الصِّين وضبطهم معروف ، قيل هم من بنى صيني ، بن ماغوغ ،  
ابن يافت ، بن نوح ؛ وقيل من بنى طوبال بن يافت . وذكر "هرشيوش" مؤرخ  
الروم أنهم من بنى ماغوغ بن يافت .

الثانية عشرة - العِبْرَانِيُّونَ ( بكسر العين المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح  
الراء المهملة وألف بعدها نون مكسورة وياء مثناة تحت مشددة مضمومة وواو  
ساكنة ثم نون ) ، وهم الذين يتكلم اليهود بلسانهم إلى الآن . قال الطبري : وهم من  
ولد عابر ، بن شالخ ، بن أرغشذ ، بن سام ، بن نوح .



الثالثة عشرة - الفُرس (بضم الفاء وسكون الراء المهملة وسين مهملة في الآخر) وهم الذين كان منهم ملوك الأكسرة. قال ابن إسحاق: هم من ولد فارس، بن لاوذ، ابن سام، بن نوح. وقال ابن الكلبي: هم من ولد فارس، بن طيراش، بن أشور، بن سام، بن نوح؛ وقيل من ولد طيراش، بن همدان، بن يافث، بن نوح؛ وقيل من بنى أميم، بن لاوذ، بن سام. ووقع للطبري: أنهم من ولد رعويل، بن عيصو، بن إسحاق، ابن إبراهيم عليه السلام. قال في العبر: ولا التفات إلى هذا القول لأن ملك الفُرس أقدم من ذلك.

الرابعة عشرة - الفريج (بفتح الفاء والراء المهملة وسكون النون وجم في الآخر) قيل من ولد طوبال، بن يافث؛ وقيل من ولد غطرما، بن كورم، بن يافث.

الخامسة عشرة - القبط (بكسر القاف وسكون الباء الموحدة وطاء مهملة في الآخر)، وهم الذين كان منهم أهل مصر في القديم. قال إبراهيم بن وصيف شاه: هم من بنى قبطيم، بن قفط، بن مصر، بن بيسر، بن حام، بن نوح؛ وعند الإسرائيليين أنهم من ولد قفط بن حام.

السادسة عشرة - القُوط (بضم القاف وسكون الواو وطاء مهملة في الآخر)، وهم أهل الأندلس في القديم. قال "هرشيوش" هم من ولد ماغوخ، بن يافث، بن نوح؛ وقيل هم من ولد قُوط، بن حام، بن نوح.

السابعة عشرة - الكُرد (بضم الكاف وسكون الراء المهملة ودال مهملة في الآخر)، وهم الذين كان منهم بنو أيوب ملك مصر بعد الفاطميين. قال في العبر: هم من بنى إيران بن أشور، بن سام، بن نوح. قال المقر الشهابي ابن فضل الله في كتابه "التعريف": ويقال في المسلمين الكُرد، وفي الكفار الكرج، وحينئذ فيكون الكُرد والكُرج نسباً واحداً.

الثامنة عشرة - الكنعانيون ( بفتح الكاف وسكون النون وفتح العين المهملة وضم الياء المثناة تحت المشددة )، وهم الذين كان منهم جابرة الشام من ولد كنعان أبن حام، بن نوح .

التاسعة عشرة - الآكان ( بلام مفتوحة وميم بعدها ألف ونون )، وهم الذين كانوا قصدوا سواحل الشام في الدولة الأيوبيّة ومواطنهم في شمالى البحر الرومى غربا بشمال . قال في العبر : وهم من ولد طوبال ، بن يافث ، بن نوح .

العشرون - النبط ( بفتح النون والباء الموحدة وطاء مهملة في الآخر )، وهم أهل بابل من العراق في الزمن القديم ، وإليهم تنسب الفلاحة النبطيّة لأبن وحشيّة . قال ابن الكلبي : هم من بنى نبط ، بن ماس ، بن إرم ، بن سام ، بن نوح . وقال ابن سعيد : هم من بنى نبط ، بن آشور ، بن سام ، بن نوح .

الحادية والعشرون - الهند وضبطه معروف . في الإسرائيليات أنهم من ولد دادان ، ابن رعماء ، بن كوش ، بن حام ، ونقل الطبري عن ابن إسحاق أنهم من بنى كوش ، بن حام ، بن نوح من غير واسطة .

الثانية والعشرون - الأرمن ( بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم ونون في الآخر ) وهم أهل أرمينية الذين بقاياهم ببلاد سبسي ، قيل هم من ولد قهويل ، بن ناحور ، بن تارخ ، وهو آزر ، وتارخ أبو إبراهيم عليه السلام .

الثالثة والعشرون - الأشبان ( بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف ثم نون ) قيل هم من ولد ماشع ، بن يافث ، بن نوح . وعند الإسرائيليين من ولد ياون وهو يوثان بن يافث ، وعند آخرين أنهم من شعوب بن عيصو بن

إسحاق ؛ وقال الطبري : أشك أنهم من ولد رعويل بن عيصو بن إسحاق ، وهو قريب من الذي قبله .

الرابعة والعشرون اليونان - وهم الأمة الذين كان منهم الحكماء شرق الخليج القُسطنطيني ، وهم من ولد يونان ، وهو ياوان ، بن يافت ، بن نوح . وقال البيهقي : هم من ولد يونان ، بن خلعجان ، بن يافت . وشذ الكندي فقال : يونان ، بن عابر ، بن شائع ، ابن أرغشذ ، بن سام بن نوح ؛ فجعل يونان أخا لقحطان أبي عَرَب اليمن . وقال : لأنه خرج من بلاد العرب مغاضبا لأخيه قحطان فنزل شرق الخليج القُسطنطيني ، ورد عليه أبو العباس الناشي بقوله :

تُخَلِّطُ يُونَانًا بِقَحْطَانَ ضَلَّةً \* لَعَمْرِي لَقَدْ بَاعَدَتْ بَيْنَهُمَا جَدًّا

ثم اليونانية على ثلاثة أصناف اللطيطيون ، وهم بنو لطين بن يونان ، والإغريقون وهم بنو أغريق بن يونان ، واللكيم ، وهم بنو اللكيم بن يونان وهي أصل الروم فيما يقال على ما تقدم .

الخامسة والعشرون زويلة - (بضم الزاي وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر) وهم أهل بركة في القديم ، ومنهم الطائفة الذين وصلوا صُحْبَة جوهر المعزى باني القاهرة المنسوب إليهم باب زويلة بالقاهرة ، يقال إنهم من بني حوبلا بن كوش بن حام بن نوح .

السادسة والعشرون ياجوج وماجوج - وضبطهما معروف . قيل إنهم من ولد ماغوغ ، بن يافت ، بن نوح ؛ وقيل من ولد كומר ، بن يافت .

## النوع الثالث عشر

( المعرفة بمفاتيح الأئمة ، ومناقشتهم ، وما جرى بينهم في ذلك من المحاورات والمراجعات والتناقضات ؛ وفيه مقصدان )

## المقصد الأول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

(١١) لاختفاء أنه يتعين على الكاتب معرفة المفاتيح الواقعة بينهم ، من معرفة وجوه الاختصار التي يمدح بمثلها : مما يستعان بمثله على المدح والإطراء الواقع في الولايات وما يُفَضَّل به كل واحد من البلاء على خصمه ، وما يردُّ عليه من الأجوبة المبطللة له لينسج على منوال ذلك فيما يرد عليه من المخاطبات ، والمكاتبات عند دعاية ضرورته إليه ، واحتياجه إلى إيراده .

## المقصد الثاني

( في ذكر أُمُودَج من المفاتحات ، والمناقرات يُنسج على منواله )

فأما المفاتحات ، فمنها ما رُوي أنه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بنى تميم سنة الوفود بعد فتح مكة ، فيهم عطارذ بن حاجب ، بن زُرارة ، بن عُدَس التميمي ، وقيس بن حاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن زيد ، وعُتْبَة بن حصين ابن حُدَيْفَة بن بدر ، والأقرع بن حابس ، في لَقَّهم ولَقَّيفهم ، ودخلوا المسجد وتنادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وراء مُجْرأته أن أخرج إلينا يا محمد ، فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من صياحهم فخرج إليهم - فقالوا : يا محمد جئناك

(١) لعله والتكن من معرفة الخ كما يفيد السياق .

لِنُقَارِكَ، فَاذِنْ لِّشَاعِرِنَا وَخَطِيبِنَا - قَالَ "قَدْ أَذِنْتُ لِحَاطِبِيكُمْ فَلْيَقُلْ" فَقَامَ عَطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ فَقَالَ :

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ عَلَيْنَا الْفَضْلُ، وَهُوَ أَهْلُهُ، الَّذِي جَعَلَنَا مُلُوكًا، وَوَهَبَ لَنَا أَمْوَالًا عَظِيمًا نَفْعَلُ مِنْهَا الْمَعْرُوفَ، وَجَعَلَنَا أَعَزَّ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأَكْثَرَهُ عُدَدًا، وَأَشَدَّهُ عُدَّةً، قَبْلَ مِثْلِنَا فِي النَّاسِ؟ أَلَسْنَا بِرُءُوسِ النَّاسِ وَأَوْلَىٰ فَضْلِهِمْ؟ فَمَنْ فَاتَرْنَا فَلْيَعُدِّدْ مِثْلَ مَا عَدَدْنَا، وَإِنَّا لَوْ نَشَاءُ لَا كَثَرْنَا الْكَلَامَ وَلَكَّا تَحِيًّا عَنِ الْإِكْثَارِ، وَأَقُولُ هَذَا لِأَنَّا تَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلِنَا، وَأَمِيرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمِيرِنَا" ثُمَّ جَلَسَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ الْخَزَجِيِّ : "قُمْ فَلِحَبِيبِ الرَّجُلِ فِي خُطْبَتِهِ" فَقَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ :

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ خَلَقَهُ، قَضَىٰ فِيهِنَّ أَمْرَهُ، وَوَسَّعَ كَرْسِيَهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا مِنْ فِعْلِهِ، ثُمَّ كَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ أَنْ جَعَلَنَا مُلُوكًا وَأَصْطَفَىٰ مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ رَسُولًا، أَكْرَمَهُ نَسَبًا، وَأَصْدَقَهُ حَدِيثًا وَأَفْضَلَهُ حَسَبًا، فَانْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ، وَاتَّخَذَهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَكَانَ خَيْرَةً مِنَ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، فَأَمَّنَ بِرَسُولِ اللَّهِ الْمَاهِجُرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَدَوَىٰ رَحِمَهُ، أَكْرَمُ النَّاسِ أَحْسَابًا، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا، وَخَيْرُ النَّاسِ فِعَالًا، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ الْخَلْقِ إِجَابَةً، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ حِينَ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ فَتَنَحَّنْ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَوُزَّرَاءُ رَسُولِ اللَّهِ، فَتَقَاتَلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُتَّعَ بِمَالِهِ وَدَمِهِ، وَمَنْ كَفَرَ جَاهَدْنَاهُ فِي اللَّهِ أَبَدًا، وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا، أَقُولُ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ."

فقام الزبرقان بن بدر التميمي فقال :

نَحْنُ الْكَرَامُ . فَلَا حَى يُقَايَرُنَا \* مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ السُّيُحُ  
وَكَمْ قَسَرْنَا دِينَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ \* عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يَتَّبِعُ  
وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمَنَا \* مِنْ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ

وهي أبيات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحسان بن ثابت "قم فأجب الرجل فما قال " فقال حسان رضى الله عنه :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ \* قَدْ يَبْنُونَ سُنَّةَ النَّاسِ يُتَّبَعُ  
يَرْغَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ \* تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَمِيرِ يُصْطَنَعُ  
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ \* أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ فَعُدُوا  
بِجَهْدِ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدِّثٍ \* إِنْ الْخَلَائِقُ فَاعَلِمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ  
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ \* فَكُلُّ سَبْقِي لَأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ  
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ \* عِنْدَ الدَّفَاقِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقَعُوا  
أَكْرَمُ بَقْوَمٍ رَسُولُ اللَّهِ شِعْبُهُمْ \* إِذَا تَفَاوَتَ الْأَهْوَاءُ وَالشُّعْبُ

وهي أبيات .

ويروى أن الزبرقان بن بدر قال :

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا \* إِذَا اخْتَلَفُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ  
فَأَنَا فُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ \* وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ  
وَأَنَا بَدْوُ الْعَالَمِينَ إِذَا انْتَفَحُوا \* وَتَضَرَّبُ رَأْسَ الْأَصِيدِ الْمُتَفَاقِمِ  
وَأَنَا لَنَا الْمِرْبَاعُ فِي كُلِّ غَارَةٍ \* نَفِيرٌ يُجْعَدُ أَوْ بَارِضُ الْأَعَاجِمِ

فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال :

هَلِ الْجَدُّ إِلَّا السُّودُّ الْعَوْدُ وَالنَّدَى \* وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَأَحْزَالُ الْمَقَامِ  
نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا \* عَلَى أُنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاحِمٍ  
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا \* بِأَسْبَاقِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ  
جَعَلْنَا بَيْنَنَا دُونَهُ وَبَيْنَنَا \* وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بِفِيءِ الْمَقَامِ  
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَنَابَعُوا \* عَلَى دِينِهِ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ  
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا \* وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرْتُمْ \* يَعُودُ وَبِالْآءِ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ  
هَيْلَتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ \* لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُلْمٍ وَخَادِمٍ؟  
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّنِ دِمَائِكُمْ \* وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسِمُوا فِي الْمَقَامِ  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَأُسْلِيمًا \* وَلَا تَلْبَسُوا زِيَا كَرِيٍّ الْأَعْلَامِ

فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي ! إن هذا الرجل مُراد ،  
لَطِيبُهُ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيبِنَا ، وَلَشَاعِرُهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا ، وَلَا صَوَاتُهُ أَعْلَى مِنْ  
أَصَوَاتِنَا ؛ فَاسْمَعُوا وَأَحْسِنُوا صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَوَابَتِهِمْ .

ففى هذا الوفد نزل ﴿ إِنَّ الدِّينَ يَنْتَدُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

قلت : وهذه مكالمة ظاهرة ، وتجاهلٌ فاحش من بنى تميم ، حيث طلبوا المفاخرة  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلُّ العرب على اختلاف شعوبهم ، ونتاج قبائلهم  
معتزفون لبني هاشم السابق في الشرف ، والتقدم في الفضل ، مع ما فضل الله تعالى به

رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخصَّه به من رفيع الشرف الذى لم يبلغه نبى مرسل ، ولا ملك مقرب .

وقد تعرض أبو نؤاس فى بعض أشعاره لمديح نبيهم ، وبالغ فى نغمهم فالحش ، فقال :

نُزِمَ خَيْرُ بَنِي خَازِمٍ \* وَخَازِمٌ خَيْرُ بَنِي دَارِمٍ  
وَدَارِمٌ خَيْرُ تَمِيمٍ وَمَا \* مِثْلُ تَمِيمٍ فِي بَنِي آدَمِ

ونقضه عليه الشيخ فصح الدين بن سيد الناس اليعمرى ، فقال رحمه الله فأجاد القول ، وفاز بالقدح الملقى فقال :

مُحَمَّدٌ خَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ \* قَنَ تَمِيمٌ وَبَنُو دَارِمٍ ؟  
وَهَاشِمٌ خَيْرُ قُرَيْشٍ وَمَا \* مِثْلُ قُرَيْشٍ فِي بَنِي آدَمِ !

وهو مأخوذ من قول الأول :

قُرَيْشٌ خَيْرُ بَنِي آدَمِ \* وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمٍ  
وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحَدٌ \* رَسُولُ الْإِلَهِ إِلَى الْعَالَمِ

واليه ينظر قول ابن عرسية :

لِلَّهِ بِمَا قَدْ بَرَأَ صَفْوَةً \* وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ بَنُو هَاشِمٍ  
وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ \* عَجْدُ النُّورِ أَبُو الْقَاسِمِ

ولقد أنصف إسحاق بن إبراهيم الموصلي حيث قال :

إِذَا مَضَى الْجُرَاءُ كَانَتْ أَرْوَمَتِي \* وَقَامَ بَصْرَى خَازِمٌ وَأَبْنُ خَازِمٍ  
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَاخٍ وَتَوَلَّيْتُ \* يَدَايَ الثَّرِيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

فإنه جعل مضر التى هى أرومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصل نغره وقعد سؤدده فأصاب الفخر فى قوله ، وفاز بالشرف فى شعره ،



ومن ذلك ما حكاه ابن الكلبي . قال : قال كسرى للنعمان بن المنذر يوما هل في العرب قبيلة تُشرف على قبيلة ؟ قال نعم - قال فبأي شيء ؟ قال : مَنْ كانت له ثلاثة آباء متواليَّة رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكامل الرابع فاليَّت مَنْ قبيلته فيه ويُنسب إليه - قال فاطلَّب ذلك فطلبه فلم يصبه إلا في آل حُدَيْفَةَ بن بدر ، وآل حَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وآل ذِي الْجَدَيْنِ ، وآل الْأَشْعَثِ بن قيس بن كِنْدَةَ - قال فجمع هؤلاء

الرهط وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمُ الْحُكَّامَ وَالْعُدُولَ ، وقال ليتكلم كل رجل منكم بماثر قومه وليصُدَّقْ ، فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم ، وكان ألسن القوم ؛ فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والأعز الأعظم ، ومأثرة للصنيع الأكرم . فقال مَنْ حوله ولمَ ذاك يا أبا فزارة ؟ فقال ألسنا الدخائم التي لأثرنا ، والعز الذي لا يضام ؟ قيل صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فَزَارَةُ بَيْتُ الْعِزِّ وَالْعِزُّ فِيهِمْ ! \* فَزَارَةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ لِنِصَالِهَا  
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالْحَسَبُ الَّذِي \* بَنَاهُ لَقَيْسٌ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا  
فَهَيْهَاتَ قَدْ أَغْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ \* مَا ثَرُّ قَيْسٍ تَجَمُّدُهَا وَفِعَالُهَا  
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَرَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ \* إِلَى الشَّمْسِ فِي جَبْرِ النُّجُومِ يَنَالُهَا  
فَإِنْ يَصْلَحُوا يَصْلُحْ لَذَلِكَ جَمِيعُهَا \* وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

ثم قام الأشعث الكندي ، وإنما أُذِنَ له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقربته من النعمان بن المنذر ، فقال : قد علمت العرب أنا ثقاتل عديدها الأكثر ، وزحفها الأكبر ، وإنا لنبات الكُرْبَات ، ومَعْدِنُ المَكْرُمَات - قالوا ولمَ يا أبا كندة ؟ قال لأننا ورثنا ملك كندة فاستظلنا بأفيائه ، وتقلدنا منكبه الأعظم ، وتوسطنا بحبوجه الأكرم ، ثم قام شاعرهم ، فقال .

إِذَا قِسْتَ أَيْبَاتَ الرِّجَالِ بَيْنَنَا \* وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يُقَارِبُ  
فَرَنْ قَالَ كَلَّا أَوْ أَنَا بِمُحَلَّةٍ \* يَنَافِرُنَا فِيهَا فَحْنُ نَحَاطِرِ  
تَعَالَوْا قِفُوا كَيْ يَظْهَرَ النَّاسُ أَيْنَا \* لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثَهُ الْأَكَابِرُ

ثم قام بسطام الشيباني فقال : قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذي لا يزول ، ومغرم عنها الذي لا يحول ، قالوا ولمَ يا أبا شيبان - قال لأننا أدركهم للنار ،

وأضربهم لللك الجبار ، وأقومهم للحكم ، وألهمهم للنصير . ثم قام شاعرهم فقال :  
 لعمري بسطام أحق بفضيلها \* وأول بيت العز عن القبائل  
 فسايل (أبيت اللعن) عن عز قومها \* إذا جد يوم الفخر كل مناقيل  
 ألسنا أعز الناس قوماً ونصرة \* وأضربهم للكبش بين القبائل  
 وقائع عز كلها ربيعة \* تبدل لها عزاً رقاب الحافيل  
 إذا ذكرت لم ينكر الناس فضيلها \* وعاد بها من شرها كل وإيل  
 وأنا ملوك الناس في كل بلدة \* إذا نزلت بالناس إحدى الزلايل

ثم قام حاجب بن زُرارة التميمي . فقال : قد علمت معد أنا فرع دعامت ، وقادة زحفها - قالوا : ولم ذاك يا أخا بني تميم ؟ قال لأننا أكثر الناس عديداً ، وأنجبهم طراً ولداً ، وأنا أعطاهم للجزيل ، وأحملهم للثقل ، ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت أبناء خنيف أنسا \* لنا العز فلما في الخطوب الأوائل  
 وأنا كرام أهل نجد وثروة \* وعز قديم ليس بالمتضائل  
 فكم فيهم من سيّد وابن سيّد \* أغر نجيب ذي فعال وإيل  
 فسايل (أبيت اللعن) عنا فلنسا \* دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم : وأثبتهم في النابيات مقادم ؛ قالوا : ولم ذاك يا أخا بني سعد ؟ قال لأننا أدركهم النار ، وأمنهم للجار ، وأنا لا تنكّل إذا حملنا ، ولا نرام إذا حملنا . ثم قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيس وخنيف أنسا \* وجبل تميم والجميع الذي ترى  
 بأننا عماد في الأمور وأنسا \* لنا الشرف الضخم المروك في الندى  
 وأنا ليوث الناس في كل مازي \* إذا جز بالبيض الجاسم والطل<sup>(١)</sup>

(١) الطل بالضم جمع طلبة وهي الأعناق .

فَمَنْ ذَا يَوْمِ الْفَخْرِ يَعْلِلُ حَاصِمًا \* وَقَيْسًا إِذَا حَرَّتْ أُلُوفٌ إِلَى الْعُلَا  
فَهَيْمَاتٍ قَدْ أَعْيَا الْجَمِيعَ فَعَالَمٌ \* وقاموا بيوم الفخر مسعاة من سعى  
فقال كسرى حيثئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حباة هم ،  
وأعظم صلاتهم ، وكثر ما بهم .

قال أبو عبيدة : كانت العرب تعد البيوتات المشهورة بعظم القدر والشرف :  
تعد بيت هاشم بن عبد مناف ، وتعد أربعة ، أولها بيت آل حذيفة بن بدر ، وبيت  
آل زُرارة الدارميين : بيت بنى تميم ، وبيت آل ذى الجدين : عبد الله بن عمرو بن  
الحارث بن هشام : بيت بنى شيبان ، وبيت بنى الدياث من بنى الحارث بن كعب  
بيت اليمن . قال : فأما كندة فلا يعدون في البيوتات إنما كانوا ملوكا .

واعلم أن المفاخرة قد تكون بحقيقة الحسب . وقد تقوم فيها الفصاحة واللسان  
مقام الحسب : كقول أبي تمام الطائي يفتخر :

أَنَا ابْنُ الدِّينِ اسْتَرْضِعَ الْمَجْدُ فِيهِمْ \* وَتَمَيَّ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْمٌ وَيَانِعُ  
مَضُوءًا وَكَانَ الْمَكْرَمَاتُ لَدَيْهِمْ \* لَكَثْرَةٍ مَا وَصَّوْا بَيْنَ شَرَائِعُ  
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَجْدِ مُنْتَفِلِمٌ يَكُنُّ \* لَهَا رَاحَةٌ مِنْ مَجْدِهِمْ وَأَصَابِعُ  
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظَ مَالِنَا \* فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الْوَدَائِعُ  
وقوله أيضا :

جَرَى حَالِمٌ فِي حَلِيَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى \* بِهَا الْقَطَرُ شَاوًا قِيلَ أَيُّهَا الْقَطَرُ ؟  
فَقِي ذَنْرُ الدُّنْيَا أَنَا سٌ وَلَمْ يَزَلْ \* لَهَا بِإِذْلًا فَانْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الدُّنْرُ  
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْتَخِرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى \* فَلَيْسَ لِحَيٍّ غَيْرِنَا ذَلِكَ الْفَخْرُ  
جَعْنَا الْعُلَا بِالْجُودِ بَعْدَ اقْتِرَاقِهَا \* إِلَيْنَا كَمَا الْإِيَامُ يَجْمَعُهَا الشُّهُرُ

قال في شرح اللامية : وعند أكثر الناس أن أبا تمام كان أبوه نصرانياً يقال له تدرس العطار، من جاسم : قرية من قُرَى حوران من الشام، فغير اسم أبيه وأندس في بني طيء، وذكر صاحب الأغاني أن رجلاً قال لجرير : من أشعر الناس؟ قال : قم حتى أعرفك الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية، وقد أخذ عتراً له فاعتقلها وجعل يمسّ ضرعها، فصاح به اخرج يا أبت، فخرج شيخ دميم، رث الهيئة . وقد سال لبن العترة على لحيتته، فقال ترى هذا ؟ قال نعم . قال أو تعرفه قال لا . قال هذا أبى، أو تدرى لم كان يشرب من ضرع العترة؟ قال لا، قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه ؛ ثم قال أشعر الناس من فاجر بهذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فغلّبهم .

قال الصلاح الصفدى : ما هذه إلا وقاحة عظيمة من جرير في مفاخرته أولئك الشعراء وهذا أبوه، لكنه تغفر له هذه الوقاحة باعتدافه لذلك الرجل، وإظهاره بجل أبيه، وربما كان الاكتضار بالتورية والتعريض بالأمور المقتضية للشرف، بحيث يظن السامع حقيقة الاكتضار والشرف بمجرد السماع، فإذا عرف المقصدين تين له خلاف ذلك، كقول أبي الحسن الجزار :

أَلَا قُلْ لِلَّذِي يَسْأُ \* لُ عَنْ قَوْمِي وَعَنْ أَهْلِي  
لَقَدْ تَسْأَلُ عَنْ قَوْمِ \* كِرَامِ الْفَرَجِ وَالْأَصْلِ  
يُرِيقُونَ دَمَ الْأَنْعَا \* مِ فِي حَزْنٍ وَفِي سَهْلِ  
وَمَا زَالُوا لَمَّا يُسْأَلُو \* نَ مِنْ بَاسٍ وَمِنْ بَذْلِ  
يُرْجِيهِمْ بَنُو كَلْبٍ \* وَيَحْشَاهُمْ بَنُو عَجَلِ

وقوله أيضاً :

إِنِّي لَمِنْ مَعْشِيرِ سَفَكَ الدَّمَاءِ لَهُمْ \* دَابٌّ، وَسَلَّ عَنْهُمْ مِنْ رَبِّ تَحْقِيقِ

تُضَىٰ بِاللَّهِ إِشْرَاقًا قَوَاضِيَهُمْ \* فَكُلُّ أَيَّامِهِمْ أَيَّامٌ تُشْرِيقُ

وعلى هذا المنهج ما حكاه بعضهم، قال : وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره، يحبسها إذا شاء، ويطلقها إذا شاء، قال فعظم في عيني؛ ثم التفت إلى قبر آخر قبائله فإذا عليه مكتوب : لا يفتر أحد بقوله، فما كان أبوه إلا بعض الحدادين، يحبس الريح في كبره إذا شاء، ويرسلها إذا شاء؛ قال : فعجبت منهما يتسابقان ميتين، فإذا طرق السمع شيء من ذلك ظن السامع أنه في غاية الفخر والشرف حتى يعلم حقيقته، وبأشياء ذلك ونظائره كثيرة، وليس هذا موضع استيعاب القول في المفارقة الحقيقية ولا غيرها .

وأما أيام المنافرة وهي المحاكاة في الحسب، فمن ذلك ما يحكى أن الأعشى أتى علقمة، بن حُلَائِة، بن عَوْف، بن الأخوص، بن جعفر، بن كلاب، وهو يريد سلامة ذوفانئس الحميري من التباينة، فسأل الأعشى علقمة أن يُتْلِيَهُ أَى يمجِّره، فقال له علقمة : أتُتْلِك على بنى الأخوص - قال لا يُقْنِعْنِي - قال: فعلى بنى كلاب قال لا يقنعني - قال : فليس عندي أكثر من هذا؛ فأتى عامر بن الطفيل بن مالك ابن جعفر بن كلاب، قال قد أتيتك على الجن والإنس، ثم أتى سلامة فأنصرف من عنده بجبائه .

وكان عامر وعلقمة المذكوران لما أسس أبو براء وهو عامر بن مالك، بن جعفر، ابن مَلْعَب الأسيَّة تنازعا في الرئاسة .

فقال علقمة كانت لجدى الأخوص وإنما صارت لعمك بسببه وقد قعد عمك عنها وأنا أسترجعها فانا أولى بها منك، فشرى الشر بينهما وسارا إلى المنافرة،

(١) وقع في الأصل وأما أنس وهو تصحيف من الناسخ .

وقدِم الأعشى على<sup>(١)</sup> نقيثة ذلك فصار هو وليد مع عامر ، وصار مع حلقة الحطيئة ،  
والسندري ، وتافرا .

فقال عامر لعلمة : والله إني لأكرم منك حسبا ، وأثبت منك نسباً ، وأجلول  
منك قصبا .

فقال حلقة : والله لأنا خير منك ليلاً ونهاراً .

فقال عامر : والله لأنا أحب إلى نساءك أن أصبح فيهن منك .

فقال حلقة : أنافرك إني لبر ، وإنك لفاجر ، وإني لولود ، وإنك لعافر ؛ وإني  
لعف ، وإنك لعاهر ؛ وإني لوايف ، وإنك لغادر .

فقال عامر : أنت رجل ولود وأنا رجل عقيم وقد وقيت لبي عمرو بن نعيم .  
وقد زعموا أني غدرت بهم وهم كاذبون ، ولكني أنافرك : أنا أنحر منك للقاء ،  
وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة<sup>(٢)</sup> الشياح .

فقال حلقة : أنت رجل تقاتل والناس تزعم أني جبان ؛ ولأن تلقى العدو وأنا  
أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك ؛ وأنت رجل جواد والناس يزعمون أني  
بخيل ولست كذلك ، وأنت تعطى العشيرة إذا ألت ؛ ولكني أنافرك : أنا خير  
منك أثراً ، وأحد منك بصراً ، وأشرف منك ذكراً .

فقال عامر : أنت رجل فان ، وليس لبي الأحوص فضل على بني مالك  
في العدد ، وبصري ناقص وبصرك صحيح ؛ ولكني أنافرك أني أسي منك همة ،  
وأطول منك قبة ؛ وأحسن منك لية ، وأجعد منك جمه ، وأسرع منك رحه ،  
وأبعد منك همة .

(١) أي عل أثره انظر القاموس في مادة ف ي أ . (٢) الشياح بالكسر القمط .

فقال علقمة : أنت رجل جسيم وأنا رجل قَضيع ، وأنت جميل وأنا قبيح ؛  
ولكنني أنا فارك بأبائي وأعمامي .

فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن لأنا فارك فيهم ، ولكنني أنا فارك : أنا خير  
منك عَقِيًّا ، وأطعمُ منك جَدًّا .

فقال علقمة : قد علمتُ أن لك عَقِيًّا وقد أطعمت طيبًا ؛ ولكنني أنا فارك أنى  
خير منك ، وأولى بالخير منك .

فقال عامر : إني والله لأركبُ منك فى الحَمَاء ، وأقتلُ منك للكماء ، وخير منك  
للوالاء .

فقال بعض بنى خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن  
جعفر : إنك لن تطيق عامرا ، ولكن قل له أنا فارك لخيرنا ، وأقربنا للخيرات .  
فقال علقمة : له ذلك .

فقال عامر : <sup>(١)</sup> صير وتيس وتيس وعنز فأرسلها مثلا نعم على مائة من الإبل إلى مائة  
يعطاها الحكم أيتا ينفر عليه صاحبه أنخرجها ففعلوا ، ووضعوا بها رَهْنا من أبنائهم على  
يدى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد فسمى الضمين ، وصارت علما عليه  
إلى الآن ، ونخرج علقمة ومن معه من بنى خالد وعامر فيمن معه من بنى مالك وقد  
أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك بن جعفر وهو أبو براء ، فقال : يا عماء  
أعنى - فقال : يا ابن أختى سُبَيْتى ، فقال : لا أُسُبُّك وأنت عمى - قال : فسبَّ الأحوص -  
فقال : عامر ولا أُسبُّ والله الأحوص وهو عمى ، فقال : ولكن دونك بعلى فأتى قد  
رَبَعَتْ فيها أربعين مِرْباطا فاستعِنَ بها على متافرك ، وجعلتا متافرتهما إلى أبى سفيان

(١) هكذا فى الأغاني .

(٢) لله إلى .



آبن حرب بن أمية فلم يقل بينهما شيئا، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال لها  
أنتما كركنتي البعير الأندم، وأبى أن يقضى بينهما، فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام،  
فأبى أن يقضى بينهما، فوثب مروان بن سُرَاقَة، بن قُبَادَة، بن عمرو، بن الأُحوص  
وكان مع حلقة فقال :

يا لَقْرَشٍ بَيِّنُوا الْكَلَامَا \* إِنَّا رَضِينَا مِنْكُمْ الْأَحْكَامَا  
فَيِينُوا إِذْ كُنْتُمُ الْحَكَمَا \* كَانِ أَبُونَا لِمِ إِمَامَا  
وَعَبْدُ عَمْرٍو مَعَ الْفِتَامَا \* فِي يَوْمِ نَفْسٍ مُعَلِّمِ إِصْلَامَا  
يُخْسِنُ فِيهِ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا \* وَدِعْلَجِ أَقْدَمُهُ إِقْدَامَا  
لَوْلَا الَّذِي أَجْشَمْتُمْ إِجْشَامَا \* لَا تَعْتَدْتُمْ مَذْجَ أَنْعَامَا

فأبوا أن يقولوا بينهما شيئا، فأتيا غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي فردهما إلى  
حريلة بن الأشعر المزني، فردهما إلى هيرم بن قُذْبَة بن سنان الفزاري، وإنما ساقا  
الإبل معهما حتى أشتت وأربعت لا يأتیان أحدا إلا هاب أن يقضى بينهما،  
فوعدهما هيرم إلى العام القابل، فأتيا للوعد، وقال لبيد وكان مع عامر يومئذ يرتجز :

يَا هَيْرِمُ، وَأَنْتِ أَهْلُ عَدْلٍ \* هَلْ يَذْهَبَنَّ فَضْلُهُمْ لِفَضْلِي<sup>(١)</sup>  
أَنْ يَفْخَرَ الْأُحْوصُ يَوْمَ قَبْلِي \* لِيَنْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي  
لَا تَجْعَنَّ شَكْلَهُمْ وَشَكْلِي \* وَتَسْلَ آبَاءَهُمْ وَتَسْلِي  
\* قَدْ عَلِمُوا أَنَّا كَرَامُ الْأَصْلِ \*

وقال أيضا :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ \* عَلَقَمَ قَدْ نَافَسَتْ غَيْرَ مُتَفَرِّ  
\* نَافَرَتْ سَقْبًا مِنْ سِقَابِ الْعَرَعَرِ \*

فقال خُفَّاءُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ :

نَهْنَهْ لِمَالِكَ الشَّعْرَ يَا لَيْدٌ \* وَأَصْبَدُ قَدْ يَنْفَعُكَ الصُّبُودُ  
سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تُسُودُوا \* سُودِدْكُمْ صَغِيرُهُ زَهِيدٌ

ثم قال :

إِنِّي إِذَا مَا نُسِيَ الْحَيَاءُ \* وَضَاعَ يَوْمَ الْمَشْهَدِ اللَّوَاءُ  
أُتِئْتُ وَقَدْ حُقَّ لِي النَّمَاءُ \* إِلَى كُفُولِ ذِكْرَهَا سَنَاءُ  
إِذْ لَا تَزَالُ حُلُوءٌ كَوْمَاءُ \* مَبْقُورَةٌ لَسْفِهَا رُفَاءُ  
لَمْ يَنْهِنَا عَنْ تَحْرِهَا الصَّفَاءُ \* لَنَا عَلَيْكُمْ سَوْرَةٌ وَلَاءُ  
\* الْحَبْدُ، وَالسُّودْدُ، وَالْعَطَاءُ \*

ثم قال :

أَتَمَّ عَزَمْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ \* فِي سَنَوَاتٍ مُضَرَ الْهَوَالِكِ  
\* يَأْشُرُ أَحْيَاءُ وَشَرَّ هَالِكِ \*

وكان السندريّ مع علقمة فأرتفع صوته، فقبل من ذا ؟ فقال :

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيّ \* أَنَا الْقَتْلُ الْحَمْدُ الطُّوَالُ الْجَعْفَرِيّ  
\* مِنْ وَلَدِ الْأَحْوَصِ أَخُوَالِي غَنِيّ \*

فقال عامر للبيد : أجبه ! فرغب عن إجابته، وكان السندريّ يقال بلدته عَيْسَاءُ ، وكانت أمةً لفاختة أبنه جعفر بن كلاب ، أمرأة شريج بن الأحوص ، فوقع عليها شريج فولدت له زَبَّانَ ، ويزيد، وشهابا، فقال لبيد :

لَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأَسْبِغَهُمْ \* أَيُّتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِمًا  
الْأَيْبَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكِ \* فَلَا زَالُ يَلْقَى فِي الْحَيَاةِ الْمَلَاوِمَا

لِكَيْلَا يَكُونَ السَّنْدَرِيُّ نَبْدِنَا \* وَأَشْتَمُ أَعْمَامًا عُمُومًا عَمَامَةً  
وَأَشْرَمِنْ تَحْتِ الْقُبُورِ أَبَوَةً \* كَرَامًا هُمْ شَلُّوا عَلَى النَّفَائِمِ  
لَمَبْتُ عَلَى أَكْثَانِهِمْ وَجُجُورِهِمْ \* وَلَيْدًا وَسَمُونِي وَلَيْدًا وَعَاصِمًا  
بَلَى أَيْتَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِك \* فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا يَمَا

ووثب الخطيئة فقال :

مَا يُحْسِنُ الْحُكَّامُ بِالْفَضْلِ بَعْدَمَا \* بَدَأَ سَابِقٌ دُوْ غُرَّةٍ وَجُجُولٍ ؟

حتى أتى على نصيحة كاملة، ثم قال :

يَا عَامٍ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاجٍ وَمَكْرُمَةٍ \* لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَّ

وأقام القوم على ذلك أيامًا، فأرسل هريم إلى عامر فأتاه سرا لا يعلم به أحد، فقال : يا عامر كنت أحسب أن لك رأيا، وأن فيك خيرا، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ؛ أتأفِر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك إلا بأبائه، فإلى الذي أنت به خير منه ؟ فقال عامر : أنشئتُ الله والرحم أن لا تفضل على علقمة، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبدا ! هذه ناصيتي لك فاجزها وأحكم في مالي ، فإن كنت لا بد فاعلا فسو بيني وبينه - فقال أنصرف فسوف أرى رأيي : نخرج عامر وهو لا يشك أنه سيفضله عليه ؛ ثم أرسل إلى علقمة سرا، وقال له مثل ما قال عامر ، فرد عليه علقمة بما رده به عامر وأنصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامرا عليه ؛ ثم إن هريما أرسل إلى أخيه وبنى أخيه : إني قاتل غدا بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فرغت فليطرد بعضكم عشرا فلينحرها عن علقمة ، وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس أن لا يكون لهم جماعة . وأصبح

(١) في اللسان نديقي وأجمل - أي ندى . وعما عا أي متفرقة .

هَرِمَ جَلَسَ مَجْلِسَهُ وَأَقْبَلَ النَّاسَ ، وَأَقْبَلَ عُلُقْمَةَ وَعَامِرَ حَتَّى جَلَسَا ، فَقَالَ لِبَيْدَ :

يَا هَرِمُ أَبْنَى الْأَكْرَمِينَ مَنَصِبًا \* إِنَّكَ قَدْ وَلَيْتَ أَمْرًا مُعْجَبًا  
فَاخُذْكُمْ وَصَوِّبْ رَأْيَ مَنْ تُصَوِّبُ \* إِنَّ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ تُرْتَبُ  
نَلَمْنَاهُ خَالًا وَأُمًّا وَأَبَا \* وَعَامِرُ خَيْرُهُمَا مَرْكَبًا  
\* وَعَامِرُ أَذْنَى لِقَيْسٍ نَسَبًا \*

فَقَالَ هَرِمُ : إِنَّمَا يَا بَيْدَ جَعَفَرُ قَدْ تَحَاكَمْتَا عِنْدِي وَأَنْتَا كَرِهْتُمَا الْبَعِيرَ الْفَحْلَ تَقَعَانِ  
الْأَرْضَ مَعًا ، فَلَيْسَ مِنْكُمَا وَاحِدٌ إِلَّا وَفِيهِ مَا لَيْسَ فِي صَاحِبِهِ ، وَكَلَّا كَمَا سَيَدُّ كَرِيمٌ ،  
فَعَمِدَ بَنُو هَرِمَ وَبَنُو أَخِيهِ إِلَى تِلْكَ الْجُزُرِ فَتَحَرَّوْهَا حَيْثُ أَمَرَهُمْ هَرِمُ ، وَفَرَّقُوا  
بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَفْضَلْ هَرِمُ وَاحِدًا مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَحِلِّبَ بِذَلِكَ شَرًّا  
عَلَى الْفَتَيْنِ ، وَهَمَّا آتِيَانِ عَمَّ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْأَعْمَى ، نَحَرَ وَهُوَ يَقُولُ :

شَاكَكَ مِنْ قَتْلَةِ أَطْلَامَا \* بِالشَّطِّ فَالْوَتْرِ إِلَى حَاجِرِ  
وَقَدْ رَأَاهَا وَسَطَ أَثْرَابَا \* فِي الْحَيِّ ذِي الْبَهْمَةِ وَالشَّامِرِ  
إِذْ هِيَ مِثْلُ الْفُضَيْنِ هَيَالَةً \* تَرُوقُ عَيْنِي ذِي الْجَمَا الزَّائِرِ  
كَدُمِيَّةٍ صُورَ غُحْرَابُهَا \* بِمُذْهَبٍ فِي مَرَمٍ مَائِرِ  
تَشْفِي غُلِيلَ النَّفْسِ لِأَيِّهَا \* حَوْرَاءُ تَسْبِي نَظَرَ النَّائِرِ  
عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُرِلَتْ \* هَيْفَاءُ مِثْلُ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ  
مَمْشُوقَةٌ الْقَدِّ غُلَامِيَّةٌ \* مَوْصُوفَةٌ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ  
قَدْ نَهَدَ الشَّدَى عَلَى نَحْرِهَا \* فِي مُشْرِقِ ذِي صُجُحِ نَائِرِ  
لَوْ أَسْنَدْتَ مَيِّتًا إِلَى نَحْرِهَا \* عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَائِرِ  
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا \* يَا عَجَبًا لَلْيَتِ النَّاشِرِ  
عَلَقَمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ \* النَّاقِضُ الْأَوْتَارَ وَالْوَارِ

والفارس الخليل يحيل إذا \* نار غبار الكعبة الثائر  
 سُدَّتْ نَبِي الْأَحْوِصِ لَمْ تَعْلَمُ \* وعامرٌ سادَ نَبِي عامِرِ  
 إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا \* يَنْبَغُ لِلْسَّامِعِ وَالنَّاطِرِ  
 حَكْمُهُ فَقَضَى يَنْتَكِمُ \* أَلْبَحُّ مِثْلُ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ  
 لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ \* وَلَا يُبَالِي غَبَنَ الْخَاسِرِ  
 فَأَعْجَبُ الدَّهْرَ مَتَى سُوِّيَا ؟ \* كَمْ ضَاحِكٍ مِنْ ذَا وَمِنْ سَاحِرِ ؟  
 فَافَنَ حَيَاءً أَنْتَ ضَاعَتْ \* مَالِكٌ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ عَازِرِ  
 وَلَسْتُ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ جَحَى \* وَلَأَمَّا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ  
 أَقُولُ لِمَا جَاءَنِي نَفَرُهُ \* سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاسِرِ !  
 عَلَقَمَ لَا تَسْفَهُ وَلَا تَجَعَلَنَّ \* عِرْضَكَ لِلوَارِدِ وَالصَّادِرِ  
 قَدْ قُلْتُ قَوْلًا فَقَضَى يَنْتَكِمُ \* وَأَعْرَفَ الْمَقْشُورُ النَّافِرِ

وطاش هَرم حتى أدرك خلافة عمر رضى الله عنه ، فقال : يا هَرم أى الرجلين  
 كنت مفضلاً لو فعلت ؟ فقال : لو قلت ذلك اليوم يا أمير المؤمنين ، عادت جلدعة ،  
 ولبغيت شعقات هجر - فقال عمر رضى الله عنه : " نعم مستودع السر أنت يا هَرم !  
 مثلك فليستودع العشرة أسرارهم ، وإلى مثلك فليستبضح القوم أحكامهم " .

قال أبو عبيدة : ومات علقمة بجوران وهو والى عمر بن الخطاب . وأما عامرُ  
 ابنُ الطَّغِيلِ فأصابته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابته القُدة ومات  
 في بيت سُلَويَّة ، فقال : أَغْنَتْ كَغْدَةَ البعير وموت في بيت سُلَويَّة ؟

وفي هذه القصة مقنع في المتافرة عن غيرها ، وفي كتاب "الريحان والرياحان"  
 لبعض الأندلسيين جملة من هذه المفانرات والمتافرات :

## النوع الثالث عشر ( المعرفة بأيام الحروب الواقعة ؛ وفيه ثلاثة مقاصد )

### المقصد الأول ( في وجه أختياج الكاتب إلى ذلك )

قد ذكر في "حسن التوسل" : أن الكاتب يحتاج إلى معرفة أيام العرب ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم من الأشعار ، والمناقضات ؛ وذكر فارس مشهور ، أو ملك مذكور ، أو واقعة معينة لشخص خاص ، وما أدّاه كل منهم لنفسه أو ليومه : لما في ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكتبة من ذكر يوم مشهور ، أو فارس معين ، ونحو ذلك مما مضى عليه أمر الجاهلية ، أو حدث في الإسلام ؛ فإن الكاتب إذا لم يكن حارفا بالوقائع ، عالما بما جرى منها ، لم يدرك كيف يُجيب عما يرد عليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها :

### المقصد الثاني ( في ذكر أيام من ذلك تُرشد إلى معرفة المقصد منه )

ومن أشهرها ذكرنا ، وأعظمها حربا . يوم تُرّاز ( تُرّاز آسم جبل بين البصرة ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به ) ؛ وكانت الحرب فيه بين بني ربيعة الفرس ، وهو ربيعة زرار ، وبين قبائل اليمن ؛ وكانت الغلبة فيه لبني ربيعة ، فقتلوا من قبائل اليمن خلقا كثيرا ، وكان قائد ربيعة حُكَيْب بن ربيعة ملك بني وائل ( وأسمه وائل وطيب لقب عليه ) وهو من ربيعة الفرس ؛ وكان قد ملك على بني معد وقبائل

جموع العرب وهزمهم وعظم شأنه ، وبقى زمانا من الدهر ، ثم داخله زهو شديد ،  
وبنى على قومه فصار يحب عليهم مواقع السحاب ، ولا يرى سماه ، ويقول : وحش  
أرض كذا في جوارى ، فلا يصاد ؛ ولا ترد إبل مع إبله ؛ ولا تؤقد نار مع ناره ؛  
وبقى كذلك حتى قتله جساس بن مرة الوائلي أيضا ؛ ولما قتل كليب توالى الحروب  
بسبب قتله بين بنى تغلب ، وبين بكر أبى وائل ؛ وكان قائد بنى تغلب مهلهل أخو  
كليب ، وقائد بنى بكر مرة أبو جساس المقدم ذكره ؛ فكان بينهم يوم عينة ، وتكافأ  
فيه الفريقان ، ثم كان بينهم يوم واردة ، وانتصر فيه بنو تغلب على بكر ؛ ثم كان  
بينهم يوم الحنو ، وانتصرت فيه بكر على تغلب ، ثم كان بينهم يوم العصيات ،  
وانتصرت فيه تغلب على بكر ، وأصيب بنو بكر حتى ظنوا أنهم قد بادوا ؛ ثم كان  
بينهم يوم قصّة ، وهو يوم التحالقي كثُر فيه القتل بين الفريقين ، في أيام أنزل  
يشتد فيها القتال .

ومن أيام غيهر المشهورة يوم عين أباغ ، وعين أباغ موضع يقال له ذات  
الحيار ؛ وكان الحرب فيه بين غسان ونخع ، وكان قائد غسان الحارث الذي طلب  
أدرع أمرئ القيس ، وقيل غيره ، وكان قائد نخع المنذر بن ماء السماء بغير خلاف ؛  
وفي هذا اليوم قُتل المنذر ، وأنهزمت نخع ، وتبعته غسان إلى الحيرة وأكثروا فيهم  
القتل . ويوم مرج حليلة ، وكان بين غسان ونخع أيضا ؛ وكان من أعظم الأيام  
وأشدّها حربا ، بلغت الجيوش فيه عددا كثيرا ، وعظم الغبار حتى قيل إن الشمس  
احتجبت وظهرت الكواكب التي في غير جهة الغبار . ويوم الكديد ، وكان بين  
كثانة وسليم ، وانتصرت فيه سليم على كثانة ، وقتل فيه ربيعة بن مكرم فارس كثانة ؛  
وبه يضرب المثل في الشجاعة ؛ وكان يُعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يُعقر على قبر  
غيره . ويوم الكلاب الأول ؛ والكلاب موضع بين البصرة والكوفة ؛ وكان بين

الأخوين : شراحيل وسلمة أبني الحارث بن عمرو الكندي ؛ وشراحيل هو الأكبر وكان معه بكر وائل وغيرهم ، وسلمة الأصغر ؛ وكان معه تغلب وائل وغيرهم ، وأشتد القتال بينهم ، وانتصر سلمة وتغلب على شراحيل وبكر ، وأنهزم شراحيل وتبعته خيل أخيه فقتلوه . ويوم الكلاب الثاني ، وكان بين بكر ووائل . ويوم أواراة ، (وأواراة أسم جبل) وكانت الحرب فيه بين المنذر بن أمريئ القيس ملك الحيرة ، وبين منذر وائل بسبب الحيرة ، وظفر فيه المنذر ، وأقسم أنه لا يزال يذبهم حتى يسيل دمه من رأس أواراة إلى حضيضه ، وبقي يذبهم والد يمد فسكب عليه ماء حتى سال الدم من رأس الجبل إلى حضيضه ، وبرت يمينه . ويوم رحرخان ، (ورحرخان أسم واد بالمجاز) وكانت الحرب فيه بين الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وبني دارم ، وبني ماوية ، وبني معبد بن زُرارة ، وبني تميم ؛ وأنهزم فيه بنو تميم ومن معهم ، وأسر معبد بن زُرارة ؛ وقصد أخوه لقيط بن زُرارة أن يستفكه فلم يقدر ، وعذبوا معبدا حتى مات . ويوم شعيب جبلة ، وشعب جبلة هضبة حمراء بين الشريف والشرف . وكان من شأنه أنه لما آنقضت وقعة رحرخان المتقدمة ، ومضى لها سنة ، وذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استنجد لقيط بن زُرارة التميمي بن ذبيان لثأر أخيه فأنجذته ، وتجمعت بنو تميم غير بني سعد ، ونحيت معه بنو أسد ، وسار بهم لقيط إلى بني عامر وبني عيس في طلب ثأر أخيه معبد ، فأدخلت بنو عامر وبنو عيس أموالهم في شعب جبلة ، فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب وكسروا جماع لقيط وقتلوا لقيطا ، وأسروا أخاه حاجب بن زُرارة ، وانتصرت بنو عامر وبنو عيس نصرا عظيما ؛ وقُتل أيضا من بني ذبيان وبني تميم ومن بني أسد جماعة مستكثرة ؛ وكان هذا اليوم من أعظم أيامهم . ويوم ذي قار ، وهو أقرب الوقائع المشهورة في الجاهلية عهدا ، وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل عام بدر ؛



وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، فحبسه فهلك في الحبس ؛ وكان النعمان قد أودع حلقته (وهي السلاح والدرع) عند هاني بن مسعود البكري ، فأرسل أبرويز يطلبها من هاني ، فقال هذه أمانة ، والحز لا يسلم أمانته ؛ وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، فاستشار أبرويز إياسا ، فقال إياس : المصلحة التناقل عن هاني بن مسعود حتى يطمئن ويتبعه فتدركه - فقال أبرويز : إنه من أخوالك لا تألوه نصحا - فقال إياس : رأى الملك أفضل ؛ فبعث أبرويز الهزبان في ألفين من الأعاجم ، وبعث ألفا من بهراء ، فلما بلغ بكرين وائل خبرهم أتوا مكانا من بطن ذى قار ، فزولوه ووصلت إليهم الأعاجم ، وأقتتلوا ساعة فانهزمت الأعاجم هزيمة قبيحة ؛ فبرئ أن النبي صلى الله عليه وسلم ، خبر بذلك أصحابه ، فقال "اليوم أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبني نصر" .

ولأبي عبيدة مصنف مفرد في أيام العرب ، وقد أورد منها ابن عبد ربه في كتاب "العقد" جملة مستكثرة ، وفي آخر كتاب الأمثال للبيداني نبذة محزنة من ذلك ، وليس بنا حاجة إلى استيعابها هنا .

وأما الحروب الواقعة في صدر الإسلام . فمنها وقعة الجمل ، وكانت بين علي كرم الله وجهه ، ومعه أهل الكوفة ، وبين عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكانت راكبة يومئذ على جمل اسمه عسكر وبه عرفت الوقعة ، وقُتل بين الفريقين خلق كثير ، وكانت النصرة فيه لعلي ومن معه .

ومنها وقعة صفين ، وكانت بين علي كرم الله وجهه ومعه أهل العراق ، وبين معاوية بن أبي سفيان ، ومعه أهل الشام ، وكان ابتداءها في سنة ست وثلاثين ، وكان مدة مقامهم بصيفين مائة وعشرة أيام أوقعوا فيها وفيات كثيرة ؛ قبل تسعين

(١) في المد الفريد ومعجم البلدان الماسر ، وفسره بالمرزبان .

وقعة ؛ وكانت عدة القتلى بينهم فيما يقال من أهل الشام خمسة وأربعين ألفا ، ومن أهل العراق ستة وعشرين ألفا ، منهم ستة وعشرون من أهل بدر ؛ وكان عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مع علي رضي الله عنه ، وقاتل حتى قُتِلَ ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **”يَقْتُلُ عَمَّارَا الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ“** ومضت عليهما مدة ، وعلى رضي الله عنه على العراق ، ومعاوية على الشام ومصر إلى أن قتل علي رضي الله عنه .

ولا حاجة بنا إلى الخوض في أكثر من ذلك ، فإن ذلك محمول على اجتهادهم ، والإسراك عما شجر بينهم واجب .

ومنها وقعة سَرَجِ رَاهِطٍ ؛ وكان من حديثها أنه لما هلك يزيد بن معاوية ، كان سعيد بن جندب على قنسرين ، فوثب عليه زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا وَبَاعَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فلما قعد زُفَرُ عَلَى الْمِثْبَرِ ، قال : الحمد لله الذي أقعدني مَقْعَدَ الْغَادِرِ الْفَاحِرِ ، وَحَصِرَ ، فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ ؛ وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى فِلَسْطِينَ ، وَالْأُرْدُنَّ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى فِلَسْطِينَ رَوْحُ بْنُ زَيْنَاعَ الْجُدَامِيَّ ، وَنَزَلَ هُوَ الْأُرْدُنَّ ، فَوَثَبَ نَاتِلُ بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيَّ عَلَى رَوْحِ بْنِ زَيْنَاعَ فَأَخْرَجَهُ مِنْ فِلَسْطِينَ وَبَاعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ؛ وَكَانَ النَّمَانُ ابْنُ بَشِيرٍ عَلَى حِمصَ فَبَاعَ لَابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ الضُّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى دِمَشْقَ ، فَجَعَلَ يَقْدُمُ رَجُلًا وَيُخْرِأُ أُخْرَى ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَالَ الضُّحَّاكُ هَلْ لَكَ أَنْ تَقْدُمَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بَيْعَةَ أَهْلِ الشَّامِ ، قَالَ نَعَمْ وَوَأَقَى عَلَى ذَلِكَ بَنُو أُمِيَّةَ ، وَالْإِمَائِيُّونَ ؛ فَلَمَّا فَشَا ذَلِكَ أُرْسِلَ الضُّحَّاكُ إِلَى بَنِي أُمِيَّةَ تَصَدَّرَ إِلَيْهِمْ ؛ وَقَالَ لِمَرْوَانَ وَعُمَرُو بْنُ سَعِيدَ : اكْتُبُوا إِلَى حَسَّانَ بْنِ مُحَمَّدٍ فَيَسِيرُ مِنَ الْأُرْدُنِّ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَلَابِيَّةَ ، وَنَسِيرُ نَحْنُ مِنْ هُنَا حَتَّى نَلْقَاهُ فَنَنْظُرَ هُنَاكَ رَجُلًا تَرْضُونَهُ ؛ فَلَمَّا أَسْتَقْلَتِ رَايَاتُ الضُّحَّاكِ مِنْ دِمَشْقَ ، قَالَتِ الْقَيْسِيَّةُ لَا نَصَحْبِكَ دَعَوْتَنَا إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ رَجُلٌ هَذِهِ

الأمة ، فلما بايعناك خرجت تابعا لهذه الأعراب بنى كلب ، فأجابهم إلى إظهار بيعة  
أبن الزبير ، وسار حتى نزل مرج راهط ، وأقبل حسان حتى لقي مروان ، فسار مع  
مروان حتى لَقُوا الضحاك ، وهم نحو من سبعة آلاف ، والضحاك في نحو ثلاثين ألفا  
وأقتلوا ، فقتل الضحاك وقُتِل معه أشراف من قريش :

### المقصد الثالث

( في كيفية استعمال الكاتب ذكر هذه الوقائع في كلامه )

لا يخفى أن الكاتب المترشح للكتابة إذا كان من المعرفة بأيام الحرب ، والعلم بتفاصيل  
أخبارها ، وَمَنْ يَعَدُّ مِنْ فُرْسَانِ حروبها ، ونصائِقِ خطبائها ، ومُفْلِقِي شعرائها ، وما  
جرى بينهم في ذلك من الخُطْبِ والأشعار والمناقضات ، كان مستعدا لما يستشهد  
به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكتبة : أو شعر : من ذكر أيام مشهورة ،  
أو ذكر فارس معين ، كما قال أبو تمام الطائي يمدح بنى شيبان :

إذا أَفْخَرْتَ يوماً تَمِّمُ بِقَوْسِهَا \* وَزَادَتْ عَلَى مَاوَلَدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ  
فَاتَمَّ يَدِي قَارِ أَمَأَتْ سُوْفُكُم \* عُرُوشَ الَّذِينَ آسَرَهُنَا قَوْسَ حَاجِبِ  
يشير إلى أن حاجب بن زُرَّارة التميمي وفد على كسرى في سنة جَدَبِ فقال  
الحاجب مَنْ أَنْتَ ؟ قال رجل من العرب ، فلما دخل على كسرى قال له مَنْ أَنْتَ ؟  
قال سيد العرب ؛ - قال ألم تقبل بالباب إنك رجل من العرب - ؟ قال كنت بالباب  
رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سُنْتُهُمْ ؛ فَلَاحَ فُهْ دُرَا ؛ وشكا إليه محل  
الجماز ، وطلب منه حِلَّ ألف بغير بُرٍّ على أن يعيد قيمتها ، - فقال وما ترهني على  
ذلك - قال قَوْسِي ، فاستعظم همته وقال قبلت ، وأعطاه حِلَّ ألف بغير بُرٍّ ، ومات  
حاجب فأحضر بَنُوهُ المسال بعد موته وطلبوا منه قوس أبيهم فَأَفْخَرَتْ تَمِيمٌ بِذَلِكَ .

(١) لعله إذا كان على جانب من المعرفة بأيام الخ كما هو ظاهر .

فأشار أبو تمام في يتيته إلى هذه المتنبية : يقول يابن شيبان في يوم ذى قار أبدتم  
جيوش كسرى الذى أسترهن قوس حاجب .

وكما قال أبو نصر "الفتح بن خاقان" في خطبة كتابه "قلائد العقيان" : لو جاوره  
كُليب ما طرق حمّاه ، أو أستجار به أحد من الدهر حمّاه ، أو كان يوادى الأخرم ،  
لطاف به ربيعة وأحم ، أو أسة نجده الكندى ما كساه الملاءه ، أو كان حاضرًا  
يسطام لما ختر على الألاءه .

وكما قلت في المفارقة بين السيف والقلم عند التعرض لذكر المقر الزينى أبى يزيد  
الدوادار الذى من أجله وضعت "فلولقيه فارس عبس لوثى عابسا ، أو طرق حى"  
كُليب لبات من حمّاه آيسا ، أو قارعه ربيعة بن مكدم لعل بالسيف مقرّقه ،  
أو نازله يسطام لبتد جمعه ونزقه .

إلى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى ويتنظم في هذا السلك .

قال في "حسن التوسل" : وإذا لم يكن صاحب هذا الفن عارفا بكل يوم من  
هذه الأيام ، عالما بما جرى فيها ، لم يدرك كيف يُجيب عما يرد عليه من مثلها ، ولا  
ما يقول إذا سئل عنها . قال : وحسبه ذلك نقصا في صناعته ، وقصورا عما يتعين  
عليه من معرفته وحسن الجواب عنه عند السؤال عنه .<sup>(١)</sup>

وأما الوقائع التى وردت في حوادث خاصة بأقوام فقد قال الوزير "ضياء الدين بن  
الأثير" رحمه الله في "المثل السائر" : إنها كالأمثال في الاستشهاد بها وذكر لها أمثلة .  
منها قوله من كتاب : ولا يُعدّ البرّ برا حتى يلحق الغيب بالحضور ، ويصل من لم  
يصله بجزاء ولا شكور ، فزنة الغائب بالشاهد من كرم الإحسان ، ولهذا نابت شمال  
رسول الله عن يمين عثمان . يشير إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، في بيعة الحديبية<sup>(٢)</sup>

(١) لعل من زائدة من قلم الناصح (٢) في بعض النسخ العقية .

كان قد أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى مكة في حاجة ، ولم يحضر البيعة ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيده الشمال على اليمين وقال ”هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ وَشِمَالِي خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ“ .

ومنها قوله من تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة : ”وإذا استعنت بأحد على عملك فأضرب عليه بالأرصاء ، ولا تَرْضَ بما عرفته من مبدل حاله ، فإن الأحوال تتقل بتقل الأجساد ؛ وإياك أن تُخَدِّعَ بصلاح الظاهر كما خَدَّعَ عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد .

يشير بذلك إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه آستدعى أبا موسى الأشعرى ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثى ، فذهب الربيع بن زياد إلى بعض موالى عمر وسأله عما يروج عنده ويتفق عليه ، فأشار إلى خُشُونَةِ العيش ففضي ، وليس جُبة صوف ، وعمامة رداء ، وخُفًا مطابقًا ، وحضريين يديه في جملة العمال ، فصوب عمر نظره وصعد فلم يقع إلا عليه ، فأدناه وسأله عن حاله ، ثم أوصى أبا موسى الأشعرى به .

ومنها قوله في معارضة كتاب القاضي الفاضل إلى ديوان الخلافة يُعَدِّدُ فيه مسامى الملك الناصر ”صلاح الدين يوسف بن أيوب“ وما قاساه في الفتوح من الأهوال وهو : ومن جملتها ما فعل الخادم في الدولة المصرية . وقد قام بها منبر وبربر ، وقالت منا أمير ومنكم أمير ، فردَّ الدعوة الباسمية إلى معادها ، وأذكر المنابر ما نسبتَه بها من زهو أعوادها . يشير بذلك إلى ما تقدم من اجتماع الأنصار في اليوم الذي مات فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، في سقيفة بني ساعدة إلى سعد بن عُبادة ، وكيف ذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وقال الحباب بن المنذر : ”منا أمير ومنكم أمير“ فقال أبو بكر رضى الله عنه : لا ، ولكم الأمر وأتم الوزراء . إلى غير ذلك مما يجرى هنا المجرى وينتظم في هذا السلك :

## النوع الرابع عشر

( في أوابد العرب )

وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية ، بعضها يجري مجرى الديانات ، وبعضها يجري مجرى الأصطلاحات والعادات ، وبعضها يجري مجرى الخرافات ، وجاء الإسلام بإبطالها : وهي عدة أمور .

منها الكهانة ، وكان موضوعها عندهم الإخبار عن أمور غيبية بواسطة أستراق الشياطين السمع من السماء ، وإلقاء ما يستمعونه من الغيبيات إليهم . وقد كان في العرب قبل البعثة عدة كهنة تعتمد العرب كلامهم ، ويرجعون إلى حكمهم فيما يُحَرِّون به . ومن عجيب أخبارهم في ذلك أن هند ابنة عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه ابن المغيرة المخزومي ، وكان له بيت للضيافة يشاء الناس من غير إذن ، فغلا البيت يوما فأصطحج الفاكه هو وهند فيه ، ثم نهض الفاكه لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن كان يمتلئ البيت فويله فلما رآها وثى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إلى هند فركضها برجله وهي نائمة فانتبهت - فقال من ذا الذي خرج من عندك - فقالت لم أر أحدا وأنت الذي أنبهني - فقال لها اذهبي إلى بيت أبيك فأقيم عنده ! وتكلم الناس فيها - فقال له أبوها إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، فهاكني إلى بعض كهّان اليمن ، فخرجا في جماعة من قومهما إلى كاهن من كهّان اليمن ومعهما هند ونسوة آخر ، فلما شارفوا بلاد الكاهن ، قالت هند لأبيها إنكم تأتون بشرا يصيب ويخطئ ولا آمنه أن يسمني ميسما يكون علي سبة - فقال أبوها سأختبره لك فصفر لمرسه حتى أدلى ، فأدخل في إحليله حبة حنطة وشده عليها بسير ، فلما دخلوا على الكاهن ، قال له عتبة : إنا قد جئناك في أمر وقد خبات لك خبا اختبرك به فانظر ماهو فقال تمرّة في كمره - فقال أريد أبيض من هذا - فقال حبة بر ، في إحليل

مُهر - فقال له أنظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يدنو من إحداهن فيضربُ بيده على كتفها ويقول أَنَهَضِي حَتَّى دَنَا مِنْ هُنْدَ فَقَالَ لَهَا : أَنَهَضِي غَيْرِ رِيحَاءٍ وَلَا زَانِيَةٍ وَلَتَلِدَنَّ لِمَلِكٍ أَسْمُهُ مَعَاوِيَةُ ، فَهَضْضِي إِلَيْهَا الْفَاكِهَ فَأَخَذَ بِيَدِهَا ، فَخَذَبَتْ يَدَهَا مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي ! فَوَاللَّهِ لَأَحْرُسَ عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِكَ ، فَتَرَوُجَهَا أَبُو سَفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ فَوَلَدَتْ لَهُ مَعَاوِيَةَ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ لِي أَنْ أَتَيْتُ بِهِ الْحَالِ إِلَى الْخِلَافَةِ . وَقَدْ أَخْبَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكَهَنَةِ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْبَ ظَهْرِهِ مِنْهُمْ سَطِيعَ الْكَاهِنِ وَغَيْرِهِ .

وَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حُرِّمَتِ السَّيِّئَةُ وَمُنِعَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعْ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْئًا يَرَصُدًا﴾ .

وَمِنْهَا الزَّجْرُ وَالطَّيْرَةُ : وَهِيَ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ ، وَأَصْلُهُ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادُوا فِعْلَ أَمْرٍ أَوْ تَرْكَهُ زَجَرُوا الطَّيْرَ حَتَّى يَطِيرَ ، فَإِنْ طَارَ يَمِينًا كَانَ لَهُ حَكْمٌ ، وَإِنْ طَارَ شِمَالًا كَانَ لَهُ حَكْمٌ ، وَإِنْ طَارَ أَمَامًا كَانَ لَهُ حَكْمٌ ، وَإِنْ طَارَ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ كَانَ لَهُ حَكْمٌ ، وَمَنْ ثُمَّ سَمِيتِ الطَّيْرَةُ أَخْذًا مِنْ أَسْمِ الطَّيْرِ ، وَأَكْثَرُ مَا عَوَّلُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْغُرَابُ ، ثُمَّ تَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِ الطَّيْرِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، ثُمَّ جَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى مَا يَحْدُثُ فِي الْجَمَادَاتِ مِنْ كَسْرِ أَوْ صَدْعٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ، وَرَبَّمَا أَتَتْهُ بَعْضُ الزَّجَرِ إِلَى حَدِّ الْكَهَانَةِ .

وَمَا يَحْكِي مِنْ زَجَرِ الطَّيْرِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ لَهْيٍ : وَهُوَ بَطْنٌ مِنَ الْعَرَبِ يُعْرِفُونَ بِالْعِافَةِ ، خَرَجَ فِي حَاجَةٍ لَهُ ، وَمَعَهُ سَقَاءٌ مِنْ لَبَنٍ فَسَارَ صَدْرَ يَوْمِهِ فَعَطِشَ فَأَنَاحَ لِيَشْرَبَ فَإِذَا غُرَابٌ فَتَعَبَّ فَأَنَارَ رَاحَتَهُ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ أَنَاحَ لِيَشْرَبَ ، فَتَعَبَّ الْغُرَابُ وَتَمَتَّعَ فِي التَّرَابِ ، فَضَرَبَ الرَّجُلُ السَّقَاءَ بِسَيْفِهِ فَإِذَا فِيهِ

(١) الرِّصَاءُ بِالْمَهْمَلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ الْقَبِيحَةِ وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ بِالْعَامِ الشَّيْنِ وَهُوَ تَصْغِيفٌ فَاحْذَرُوهُ .

ثُعبان عظيم فقتله ، ثم سار فإذا غراب واقع على سِدْرَةٍ فصاح به فوق على سلمة ، فصاح به فوق على صخرة فاتتهى إليها ، فأثار من تحتها كتراً ؛ فلما رجع إلى أبيه قال له ما صنعت ؟ قال مَرْتُ صَدْرَ يَوْمِي فَأَنْخْتُ لِأَشْرَبُ فَنَعِبَ الْغَرَابُ - فقال : أَثَرُ رَاحِلَتِكَ وَإِلَا فَلَسْتُ بِأَبْنَى - قال فعلت - قال ثم ماذا ؟ قال سرت حتى وقت الظهيرة فَأَنْخْتُ لِأَشْرَبُ فَنَعِبَ الْغَرَابُ ، وَتَتَرَّخُ فِي التَّرَابِ - فقال أَضْرِبِ السَّيِّءُ وَإِلَا فَلَسْتُ بِأَبْنَى . قال فعلت ؛ فوق على صخرة قال أَثَرُ مَا تَحْتَهَا وَالَا فَلَسْتُ بِأَبْنَى . قال فعلت ؛ فوجدت كترًا .

وقد وردت السنة بإبطال حكم الزجر والطيرة بقوله صلى الله عليه وسلم ”أَقْرِوا الطَّيْرَ فِي وَكَاثِنَا“ وقوله صلى الله عليه وسلم ”لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ“ وأسَّحَسَنَ صلى الله عليه وسلم ، الفأل فقال ”وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ“ أسممها . وقد فرق العلماء بين الفأل والطيرة بأن الطيرة تُقْصَدُ والفأل يأتي من غير قصد .

ومنها الميسر : وهو ضرب من القمار كانوا يقتسمون به لحم الجُرُزِ التي يذبحونها بحسب قَدَاحٍ يَضْرِبُونَهَا ، لكل قَدَحٍ منها نصيب معلوم : وهي أحد عشر قَدَحًا : سبعة منها لها حظ إن فازت وعليها غرم إن خابت بقدر ما لها من الحظ عند الفوز ، وأربعة منها تُنْقَلُ بها القَدَاحُ لاحتِّظَ لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت . فاما السبعة التي لها الحظ إن فازت وعليها الغرم إن خابت . فأولها القَدَحُ : وهو قَدَحٌ فِي صَدْرِهِ حَرْزٌ وَاحِدٌ ، وله نصيب واحد في الأخذ والغرم . والثاني التَّوَمَ ، وفي صدره حَرْزَانِ ، وله نصيبان في الأخذ والغرم . والثالث الضَّرِيبُ ( ويسمى الرقيب ) وفيه ثلاثة حُرُوزَ ، وله ثلاثة أنصباء . والرابع الحُلُسُ وفيه أربعة حُرُوزَ وله أربعة أنصباء . والخامس النَّافِسُ وفيه خمسة حُرُوزَ ، وله خمسة أنصباء . والسادس المُسِيلُ ، ويسمى المُصَفِّحُ أيضًا ؛ وفيه ستة حُرُوزَ وله ستة أنصباء . والسابع المُعْلَى ،



وفيه سبعة حروز ، وله سبعة أنصباء ؛ وهو أوفرها حظاً ، ولذلك يضرب به المثل في الحظ فيقال قَدَحُهُ الْمُعْلَى .

وأما الأربعة التي تُثَقَّلُ بها القداح فهي السَّيْفِج ، والمَنْبِج ، والمُضْعَف ، والوَدْع ، وكان طريقهم في ذلك أن القوم يجتمعون فيشترُونَ جَزُوراً فيحْرُونَهَا وَيُقَصِّلُونَهَا على عشرة أجزاء ، ويستَمُون فيها على سبعة أنصباء لا أكثر ، وتسمى الأنصباء فيها الأيسار ، فإن كانوا أقل من سبعة وأراد أحدهم قَدَحِينَ أو أكثر ، أخذ وكان له فوزها ، وعليه غرمها ؛ فإذا جَزَعُوا الجزور على ذلك ، أتوا برجل يسمونه الحُرْصَةَ ، من شأنه أنه لم يأكل لحماً قط بئس ، ويؤتى بالقداح فتشَدُّ مجموعة في قطعة جلد تسمى الرَّبَابَةَ ، ثم يُلْفُ الحُرْصَةُ على يده اليمنى ثوباً لتلايحيد مس قَدَح ، له مع صاحبه هوى فيحاييه في إخراجها ، ثم يؤتى بثوب أبيض يسمى المِجْوَل ، فيُبْسَط بين يدي الحُرْصَةِ ، ويقوم على رأسه رجل يسمى الرِّقِيب ، ويدفع رِبَابَةَ القَدَاحِ إلى الحُرْصَةِ ، وهو محوّل الوجه عنها ، فيأخذ الرَّبَابَةَ التي تُجْمَعُ فيها القَدَاحُ ، ويدخل يده تحت الثوب فينكر القداح فإذا نهد فيها قَدَحَ يتاوله دُفْعَةً إلى الرِّقِيب ، فإن كان مما لاحظ له ، ردّ إلى الرَّبَابَةِ فإن خرج بعده المسبيل مثلاً أخذ الثلاثة الباقية وغرم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور آخر ، وعلى ذلك أبداً يفعل بن فاز ومن خاب ، فربما يمحروا عِلَّةَ جُرْ ، ولا يغرم الذين فازوا من ممنا شيئاً ، وإنما القرم على الذين خابوا ، وكان عندهم أنه لا يحل للخاصين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئاً ، فإن فاز قَدَحَ الرجل فازادوا أن يُعيدوا قدحه ثانية على خطأ فعلوا ذلك به ؛ وقد نظم الصاحب إسماعيل بن عباد أسماء القداح التي لها النصيب فوزاً وغرمًا في أبيات فقال :

(١) الحرصة بالضم والراء المهملة والضاد المعجمة أمين المقامرین . ووقع في الاصل الحرصة بالراء والصاد المهملة وهو تصحيف من النسخ فاحذره .

إِنَّ الْقِدَاحَ أَمْرُهَا عَجِيبٌ \* الْفَسْدُ وَالتَّوَهُمُ وَالرَّقِيبُ  
وَالْحِلْسُ ثُمَّ النَّافِيسُ الْمُصِيبُ \* وَالْمُصَفِّحُ الْمَشْتَرُ النَّجِيبُ  
ثُمَّ الْمُعَلَّى حَقْلُهُ الرَّغِيبُ \* هَاكَ فَقَدْ جَاءَ بِهَا التَّرْتِيبُ

ومنها الأزلَام : وهى ضرب من الطَّيْرَة ، كانوا إذا أرادوا فعل أمر ولا يدرون ما الأمر فيه ، أخذوا قِدَاحًا مكتوبًا على بعضها افعل ، لا تفعل ، وعلى بعضها نعم ، وعلى بعضها لا ، وعلى بعضها خذ ، وعلى بعضها سر ، وعلى بعضها سريع ، فإذا أراد أحدهم سفرًا مثلاً أتى سادَنَ الأوثان ؛ فيضرب له بتلك القِدَاح ويقول : اللهم أيها كان خيرا له فأنخرجه فما خرج له عمل به ، وإذا شكوا فى نسب رجل أجالوا القِدَاح وفى بعضها مكتوبٌ سريع ، وفى بعضها مكتوبٌ مُلْحَق ؛ فإن خرج السريع أثبتوا نسبه ، وإن خرج المُلْحَق نفوه . وإن كان بين اثنين اختلاف فى حق شئى كل منهما له سهم وأجالوا القِدَاح فن خرج سهمه فالحق له وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ .

ومنها البَعِيرَة ، والسَّائِيَة ، وَالْوَصِيلَة ، والحام .

فأما البَحِيرَة ، فكانت الناقة إذا أُتِجَت خمسة أبطن عَمَلُوا إلى الخامس منها مالم يكن ذكرا فشَقُّوا أذنها وتركوها ، فلا يُعْز لها وبر ، ولا يُحْمَل عليها شئ ولا يُدْكَر عليها إن ذُكِّت اسمُ الله تعالى ، وتكون ألبانها للرجال دون النساء .

وأما السَّائِبَة فكان الرجل يُسَيِّب الشئ من ماله : بهيمة أو عبدا ، فيكون حراما أبدا وتكون منافع ذلك للرجال دون النساء .

وأما الوَصِيلَة فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عَمَلُوا إلى السابع فإن كان ذكرا دُبِح ، وإن كان أنثى تركت فى الغنم ، وإن كان ذكرا وأنثى قيل وصلت أخاها فحرما جميعا ، وكانت منافعهما ولبن الأنثى منهما للرجال دون النساء .

وأما الحام ، فكان الفحل إذا صار من أولاده عشرة أبطن ، قالوا حتى ظهره ، فترك ، ولا يحمل عليه شيء ، ولا يركب ، ولا يمنع ماءً ، ولا مرعى ، وقد أخبر الله تعالى بطلان ذلك بقوله : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا صَيْلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ .

ومنها إغلاق الظهر : كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة عمداً إلى البعير الذي كملت به مائة فأغلق ظهره بأن يترع شيئاً من قفراته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم أن إبل صاحبه قد أمأت .

ومنها التفقة ، والتعمية . كان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل : وهى التفقة ، فإن زادت على ذلك فقأ العين الأخرى وهى التعمية ، ويزعمون أن ذلك يدفع العين عن الإبل قال الشاعر :

وَهَبْتَهَا وَأَنْتَ ذُو أَمْتَانِ \* فَفَقَأَ فِيهَا عَيْنَ الْبُرْغَانِ

ومنها نكاح المقت : وهو نكاح زوجة الأب - وكان من شأنهم فيه أن الرجل إذا مات قام أكبر ولده ، فألقى ثوبه على امرأة أبيه فوريث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجة يزوجه بعض إخوته بمهر جديد ، فكانوا يتوارثون النكاح كما يورثون المال ، فأنزل الله تعالى ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ ، وحرّم زوجة الأب بقوله ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ومن ثم سمي نكاح المقت .

ومنها رمى البقرة : كانت المرأة فى الجاهلية إذا مات زوجها ، دخلت حفشاً (يعنى حفصاً) ولبست شربابها ولم تمسّ طيباً حتى تمضى عليها سنة ، ثم يؤتى بدابة : حمار أو شاة أو طير ، فتقتض به أى تتمسح به قبلها فتقتض بهى إلا مات ، ثم تخرج بعد ذلك فتعطى بقرعة قترى بها ، ثم تراجع ما شاعت من طيب أو غيره فتسخر

الإسلام ذلك بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذِرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ .

ومنها وأد البنات (وهو قتلهن) . كانوا يقتلون خشيّة العار؛ ومن فعل ذلك قيس ابن عاصم المنقرئ، وكان من وجوه قومه ومن ذوى المال، وكان سبب ذلك أن النعمان بن المنذر أغزاهم جيشاً فسيبوا ذراريهم فأتاب القوم وسألوه فيهم فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباهاً ردت إليه ، وكل من اختارت صاحبها تركت معه ، فكلهن اخترن آباهنّ إلا أبنّة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن الجحّوح ، فنذر قيس أنه لا يولد له أبنّة إلا قتلها فكان يقتلنّ بعد ذلك . وورد القرءان بإعظام ذلك بقوله ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ .

ومنها قتل الأولاد خشيّة الإملاق والفاقة، فكان الرجل منهم يقتل ولده مخافة أن يظلم معه إلى أن ينهى الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ .

ومنها حبس البلياء؛ كانوا إذا مات الرجل يستدون ناقةه إلى قبره ويقيمون رأسها إلى ورائها ويغطون رأسها بولية وهي البرذعة فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى، ويزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها قال أبو زيد :  
كالبلياء رء وسها في الولايآ \* مانحات السموم حرائل الخلود<sup>(٢)</sup>

ومنها الهامة - كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يطالب بثأره ، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة ، وصاح : أسقوني أسقوني حتى يطالب بثأره ؛ قال ذو الأصبح :

(١) في الأصل بزية وكذلك جمعها في البيت زلايا وهو تصحيف فاحذره

(٢) في الأصل أبو زيد وهو تصحيف .

يَا عَسْرُو إِلَّا تَدْعُ شَيْئِي وَمَنْقَصَتِي \* أَضْرِبَكَ حَتَّى تَقُولَ الْمَاهِيَةُ اسْقُونِي  
ومنها تأخير البكاء على المقتول للاخذ بثأره - كان النساء لا يبيكين المقتول منهم  
حتى يؤخذ بثأره ، فإذا أخذ به بكينه حينئذ ، قال الشاعر :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ \* فَلَيَاتِ نِسْوَتًا بَوَاجِهِ نَهَارِ  
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَامِرًا يَنْدُبْنَهُ \* لِيَطْمَنَ حُرُّ الْوَجْهِ بِالْأَنْبَارِ

ومنها تصفيق الضال - كان الرجل منهم إذا ضلَّ في الفلاة ، قلب ثيابه وحسَّ  
ناقته وصاح في أدبها كأنه يُومئ إلى إنسان وصفق بيديه قائلا : الْوَحَا الْوَحَا النَّجَاءُ  
النَّجَاءُ هَيْكَل : السَّاعَةَ السَّاعَةَ ، إلى إلى عَجَل ، ثم يمزك ناقته فيزعمون أنها تهتدي ،  
إلى الطريق حينئذ . قال الشاعر :

وَأَذَنٌ بِالتَّصْفِيقِ مِنْ سَاءَ ظَنُّهُ \* فَلَمْ يَدْرِ مِنْ أَيِّ الْيَدَيْنِ جَوَابُهَا  
يريد إذا ساء ظنُّه بنفسه حين يضلُّ .

ومنها الغول - كانوا يزعمون أن الغول تترأى لأحدهم في الفلاة فيدبها فتستهويه ؛  
ويربما أدعى أحدهم أنه قابلها وقاتلها قال ناطق شبرا :

أَلَا مِنْ مُخَيَّرِ فَنِيَانٍ<sup>(١)</sup> فَهَمَّ \* بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطْنِ  
بَائِي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهَوَّى \* بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ  
فَقُلْتُ لَهَا كَلَا تَا نِضُو أَرْضِ \* أَخُو سَفَرٍ فَضَلِّي لِي مَكَانِي  
فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ \* لَهَا كَفِّي بِمَضْقُولِي بِمَاقِي  
فَأَضْرَبُهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ \* صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَالْجُرَّانِ

ومنها ضرب الثور ليشرب البقر - كانوا يزعمون أن الحنَّ تركبُ الثيران فتصعد  
البقر عن الشرب ، فيضربون الثور ليشرب البقر ، قال الشاعر :

(١) في نسخة فهر . وفي ياقوت قومي . وقوله في البيت الثاني بسبب في الاصل بسيف وهو تصحيف .

كَذَلِكَ التَّوْرُ يُضْرَبُ بِالْمِرَاوِي <sup>(١)</sup> \* إِذَا مَا عَاقَتِ الْبَقَرُ الظِّلْمَ

ومنها تعليق سنّ الثعلب وسنّ الهزّة وحيض السّمرة - كانوا يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة فُتَلّق عليه شيء من ذلك ، سلم من أهله ، وأن الجنّة إذا أرادته لم تقدر عليه ؛ قالت امرأة تصف ولدا :

كَانَتْ عَلَيْهِ سِنَّةٌ مِنْ مِرَّةٍ \* وَتَعَلَّبَ وَالْحَيْضُ حَيْضُ السَّمَرَةِ

ومنها تعليق كعب الأرنب - كانوا يعلّقونه على أنفسهم ، يزعمون أنه وقاية من العين والسّحر ، قائلين إن الجنّ تتفر من الأرنب لكونها تحيض ، قال الشاعر :

وَلَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ إِنْ حُمَّ وَاقِعٌ \* وَلَا وَدَّعٌ يَنْفِي وَلَا كَعْبُ أَرْنَبٍ

ومنها تعليق الحلي على السليم (وهو المسوع) - كانوا إذا لُصِعَ فيهم إنسان علّقوا عليه الحلي من الأساور وغيرها ، ويتركونه سبعة أيام ويمنع من النوم فيُفِيّق ، قال النابغة :

يُسَهِّدُ مِنْ وَقْتِ الْعِشَاءِ سَلِيمُهَا \* لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَّاقِعُ

ومنها وطء المقاتل القتلى - كانوا يزعمون أن المرأة المقاتلة (وهي التي لا يعيش لها ولد) إذا وطئت قتيلًا شريفًا بقي أولادها ، قال بشر بن أبي خازم :

يَظُلُّ مَقَالِيتُ النِّسَاءِ بَطَانُهُ \* يَقْلَنُ الْأَيْلُقُ عَلَى الْمَرْءِ مِتْرُ

ومنها مسح الطارف عين المطروف - كانوا يزعمون أن الرجل إذا طَرَفَ عين صاحبه فهاجت فسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول في كل مرة : بإحدى جاءت من المدينة : بأثنين جاءتا من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة إلى سبع سكن هيجانها .

ومنها كى السليم من الإبل ليبدأ الحرب منها - كانوا يزعمون أن الإبل إذا أصابها

(١) في الأصل بالهوادي وهو تصحيف فاحذره .

عُزِّرَ (وهو الجرب) فَكُونُوا صَحِيحًا إِلَى جَانِبِهِ لِيَتَمَّ رَاحَتُهُ بَرِيءٌ ، وَرَبِّمَا زَعَمُوا أَنَّهُ  
يُؤْمِنُ مَعَهُ الْعَدُوُّ ، قَالَ النَّابِغَةُ :

وَكَلَّفَتْنِي ذَنْبَ امْرِئِي وَتَرَكْتُهُ \* كَلْنِي الْعَرِيكُوِيَّ غَيْرُهُ وَهُوَ رَايِعُ  
وَمِنْهَا ذَهَابُ الْخَدَرِ مِنَ الرَّجُلِ - كَانُوا يَقُولُونَ إِنْ الرَّجُلُ إِذَا خَدِرَتْ رَجُلُهُ فَذَكَرَ  
أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ ذَهَبَ عَنْهُ الْخَدَرُ ، قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ كِلَابٍ :

إِذَا خَدِرْتَ رَجُلِي ذَكَرْتُ أَبْنَ مُصْعَبٍ \* فَإِنْ قُلْتُ عَبْدُ اللَّهِ أَجْلَى قُورِهَا  
وَمِنْهَا الْحَلَى<sup>(١)</sup> عَنِ الصَّبِيَّانِ بِجَبَايَةِ الْحَىِّ وَاطْعَامِهِ الْكِلَابَ - كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الْفَتَى  
إِذَا ظَهَرَ فِيهِ الْحَلَى بَشَفَتَهُ (وَهِيَ بُثُورٌ تَبْتُ بِالشَّقَّةِ) فَيَأْخُذُ مَنَظِلًا عَلَى رَأْسِهِ وَيَتَزَيَّنُ  
بِثُوبِ الْحَىِّ وَيَتَادَى الْحَلَى الْحَلَى فَيُلْقِي فِي مَنَظِلِهِ مِنْ هُنَا كَمْرَةً ، وَمِنْ هُنَا كَمْرَةً ، وَمِنْ  
هُنَا قِطْعَةً لَحْمٍ فَإِذَا آمَتَلَتْ شَرَّ يَمِينِ الْكِلَابِ فَيَذْهَبَ عَنْهُ الْحَلَى .

وَمِنْهَا شُقُّ الرِّدَاءِ وَالْبُرْقُعِ ، لَدَوَامُ الْحُبِّ - زَعَمُوا أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَحْبَبَتْ رَجُلًا أَوْ أَحْبَاهَا  
وَلَمْ تُشَقَّ عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَيُسَقَّ عَلَيْهَا بَرْقُعُهَا فَسَدَ حُبُّهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا شُقَّ رِدَاءُ شَقِّ بِالْبُرْدِ بَرْقُعُ \* دَوَالَيْكَ حَتَّى كُلُّنَا غَيْرُ لَا يَمِينُ  
فَكَمْ قَدْ شَقَّقْنَا مِنْ رِدَاءِ مُحَبَّرٍ \* وَمِنْ بَرْقُعٍ عَنْ طِفْلَةٍ غَيْرِ عَانِينِ

وَمِنْهَا رَمَى سَنِ الصَّبِيِّ الْمُتَغَرِّ فِي الشَّمْسِ - يَقُولُونَ : إِنْ الْفَلَامُ إِذَا أَتَغَرَّ فَرَمَى سَنَّهُ  
فِي عَيْنِ الشَّمْسِ بِسَبَابَتِهِ وَإِلْهَامِهِ وَقَالَ أَبَدَلِييَ بِهَا أَحْسَنَ مِنْهَا ، أَمِنْ عَلَى أَسْنَانِهِ  
الْعَوَجَ وَالْفَلَجَ وَالنَّغْلَ ، قَالَ طَرْفَةُ :

بَدَلْتَهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ \* بَدَا أَيْضَ مَصْقُولِ الْأَشْرِ

وَمِنْهَا التَّعْشِيرُ - زَعَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ دُخُولَ قَرْيَةٍ نَخَافَ وَبَاءَهَا فَوْقَ عُلَى

(١) لَمْ يَدْخُلْ الْحَلَى عَنْ الْخ . وَهُوَ فِي الْأَصُولِ مَقْصُورِيًّا وَدَه الْقَامُوسُ وَالْأَسْنَانُ فِي بَابِ الْمَهْمُوزِ وَقَالَ  
الْأَخْبَرَانِ بَعْضُهُمْ لَا يَمِينُ .

بأبها قبل أن يدخلها فَعَشَّرَ كما ينق الجارثم دخلها، لم يصبه وبأؤها، قال عروة  
ابن الورد :

لَعَمْرِي لَئِنْ عَشَّرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى \* نُهَاقَ حَمِيرٍ إِنِّي بِلَمَزُوعٍ  
ومنها عَقْدَ الرَّثَمِ - وهونبت معروف - كان الرجل إذا أراد سفراً عمداً إلى رثم  
فَعَقْدَهُ فإن رجع وراءه معقوداً، اعتقد أن أمرأته لم تَحْنُه، وإن رءاه محلولاً اعتقد  
أنها خانته، قال الشاعر :

خَانَتْهُ لَمَّارَاتٌ شَيْباً بِمَقَرِّهِ \* وَغَرَّه حِلْفُهَا وَالْعَقْدُ لِلرَّثَمِ  
ومنها اعتبار دائرة المَهْقُوع - وهي دائرة تكون في عتق الفرس يقال لها المَهْقُوعَةُ  
على ما يأتي ذكره في الكلام على الخليل في الطَّرَف الآتي - كانوا يزعمون أن الفرس  
المَهْقُوع إذا عَرِقَ تحت صاحبه أَغْثَلَتْ حَلِيلَتُهُ، وَطَلَبَتْ الرجال، قال الشاعر :

إِذَا عَرِقَ الْمَهْقُوعُ بِالْمَرْءِ أَغْثَلَتْ \* حَلِيلَتُهُ وَأَزْدَادَ حَرًّا عِجَانَهَا

ومنها خَضَابُ نَحْرِ الفرس السابق - كان من عادتهم إذا أُرْسِلُوا خَيْلاً على صَيْدٍ  
فَسَبَقَ أَحَدُهَا خَضَبُوا صَدْرَهُ بِدَمِ الصَّيْدِ علامةً له، قال الشاعر :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْعَاوِيَاتِ بِتَحْمِيرِهِ \* عَصَارَةُ حِجَاءٍ بِشَيْبِ مُرَجَلٍ  
ومنها جزا ناصية الأسير - كانوا إذا أسروا رجلاً ثم مَتُّوا عليه فأطلقوه، جَزَّوْا  
ناصيته ووضعوها في مكانة، قالت الخنساء .

جَزَّزْنَا نَوَاصِيَ فُرْسَانِهِمْ \* وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ لَأُجْزَا

(١) في اللسان في زور الفرس أو عرض زوره . وسيأتي تفسيره بذلك في الهوامش .

(٢) في نسخة الماديات .



## النوع الخامس عشر (في معرفة عادات العرب؛ وهي صنفان)

### الصنف الأول

#### (نيران العرب)

قد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" للعرب ثلاث عشرة نارا .  
الأولى نار المزدلفة - وهي نار تُوقَد بالمزدلفة من مشاعر الحج ليراها مَنْ دفع من  
عرفة . وأول مَنْ أوقدها قُصَيَّ بن كلاب، فهي تُوقَد إلى الآن .

الثانية نار الاستمطار - كانوا في الجاهلية الأولى إذا احتبس المطرُ جمعوا البقر  
وعَقَدُوا في أذنانها وعراقيبها السَّلْعَ والعُشْرَ، ويَصْعَدُونَ بها في الجبل الوعر، وَيُسْعِلُونَ  
فيها النار، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر، قال الشاعر :

أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيِّقُورًا مُسْلَعَةً \* وَمِيسِلَةٌ مِنْكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

الثالثة نار الحلف - كانوا إذا أرادوا عَقْدَ حَافٍ أَوْقَدُوا النار وعقدوا الحلف  
عندها، ويذْكُرُونَ خيرها، ويدْعُونَ بِالْحِرْمَانِ من خيرها على مَنْ قَضَى المَهْدَ، وحلَّ  
العقد . قال العسكري "وإنما كانوا يُحْضُونَ النار بذلك لأن منفعتها تختص  
بالإنسان، لا يشتركه فيها شيء من الحيوان غيره" .

الرابعة نار الطرد - وهي نار كانوا يُوقِدُونَهَا خَلْفَ مَنْ يَمْضِي ولا يحبون رجوعه .  
الخامسة نار الحرب - كانوا إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا، أوقدوا نارا على  
جبلهم ليبلغ الخبرُ أصحابهم .

السادسة نار الحرثين : كانت في بلاد عبس فإذا كان الليل تضى نار تسطعم

وفي النهار دخان مرتفع ، وربما بَدَر منها عُنُق فأحرق مَنْ مرَّ بها ، فخر خالدُ بْنُ سنانِ النَّبِيُّ ، فدفعها ، فكانت معجزة له .

السابعة نار السَّعَالِي - تُرْفَعُ لِلتَّقَرُّ فَيَتَبِعُهَا قَهْوِي بِهِ التَّوَلُّ عَلَى زَعْمِهِمْ كَمَا تَقْدُمُ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَوَابِدِ الْعَرَبِ .

الثامنة نار الصيد - وهي نار تُوقَدُ لِلطَّيَاءِ تَغْشَاهَا إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا .

التاسعة نار الأسد - وهي نار توقد إذا خافوا الأسدَ لينفِرَ عنهم فإن من شأنه التَّفَارُّعُ عَنِ النَّارِ ، يُقَالُ إِنَّهُ إِذَا رَأَى النَّارَ حَلَّتْ لَهُ فِكْرُ يَصْبَدُهُ عَنْ قَصْدِهِ .

العاشرة نار القِرَى - وهي نار تُوقَدُ لِيَلِإِهَا الْأَصْيَافُ فَيَهْتَدُوا إِلَيْهَا .

الحادية عشرة نار السليم (وهو الملسوع) : كانوا يُوقِدُونَ النَّارَ لِلْسُّوْعِ إِذَا لُدِغَ . يُسَاهِرُونَهُ بِهَا ، وَكَذَلِكَ الْمَجْرُوحُ إِذَا نَزَفَ دَمُهُ ، وَالْمَضْرُوبُ بِالسَّيَاطِ وَمَنْ عَصَبَهُ الْكَلْبُ كَيْ لَا يَنَامُوا فَيَسْتَدُ الْأَمْرَ بِهِمْ فَيُؤَدِّهِمْ إِلَى الْهَلَكَةِ .

الثانية عشرة نار الفداء - كان الملوك منهم إذا أسروا نساء قبيلة خرجت إليهم السادة منهم للفداء أو الاستيلاء فيكفون أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن أو في الظلمة فيخفي قدر ما يحبسونه لأتسهم من الصَّفِيِّ ، فيوقدون النار لعرضهن .

الثالثة عشرة نار الوسم - وهي النار يسم بها الرجل منهم إبله فيقال له ماسمة إبلك ؟ فيقول كذا :

### الصنف الثاني

( أسواق العرب المعروفة فيما قبل الإسلام )

قد كان للعرب أسواق يُقيمونها في شهور السنة ، ويتقلون من بعضها إلى بعض ويحضروها سائر قبائل العرب : ممن قُرِبَ منهم وبعد . فكانوا يزلون دومة الجندل

أول يوم من ربيع الأول، فيقيمون أسواقها بالبيع والشراء، والأخذ والعطاء؛ وكان يعيشون فيها أكيذرومة - وهو ملكها - وربما غلب على السوق كلب، فيعشونهم بعض رؤساء كلب فيقوم سوقهم هناك إلى آخر الشهر. ثم ينتقلون إلى سوق حجر من البحرين في شهر ربيع الآخر، فتكون أسواقهم بها، وكان يعيشون في هذا السوق المنذر بن ساوى أحد بني عبدالله بن دارم - وهو ملك البحرين. ثم يتحولون نحو عمان من البحرين أيضا فتقوم سوقهم بها. ثم يتحولون فيزلون إرم وقرى الشحر من اليمن فتقوم أسواقهم بها أياما. ثم يتحولون فيزلون عدن من اليمن أيضا فيشترون منه اللطائم وأنواع الطيب. ثم يتحولون فيزلون حضرموت من بلاد اليمن، ومنهم من يجوزها فيرد صنعاء فتقوم أسواقهم بها ويحبون منها الخرز والأدم والبُرود، وكانت تجلب إليها من معافر. ثم يتحولون إلى عكاظ في الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار، ويتحاجون؛ ومن له أسير سعى في فدائه، ومن له حكومة أرتفع إلى من له الحكومة؛ وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم؛ وكان آخر من قام بها منهم الأقرع بن حابس التميمي. ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج. ثم يرجعون إلى أوطانهم قد حصلوا على الغنيمة، وآبوا بالسلامة.

### النوع السادس عشر

#### (النظر في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال)

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى معرفة وقائع التاريخ، وتفصيلاتها؛ ولا يكاد يستغنى عن العلم بشئ منها لأمر. منها العلم بأزمنة الوقائع والمجريات؛ وأحوال الملوك والأعيان والحوادث، والمجريات الحاصلة بينهم؛ فيحتاج بكل واقعة منها في موضعها، ويستشهد بها فيما يلائمها، ويحتاج لمثل ذلك؛ فإنه متى أخل بمعرفة ذلك

أحتج بالقصة في غير موضعها ، أو نسبها إلى غير من هي له ، أو لبس عليه خصمه بالاستشهاد بواقعة لاحقية لها ، أو نسبها إلى غير من هي له ليظهر بُحْته عليه ، وما يجرى مجرى ذلك ؛ وفيه مقصدان .

### المقصد الأول

( في ذكر نبذة تاريخية لايّسع الكاتب جهلها مما يحتاج به الكاتب تارة  
ويذاكر به ملكه أو رئيسه أخرى )

اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له ، وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف فنونه : ما بين مختصر ، وبسوط : من مقتصر على فن ، ومستوعب لفنون ، وفي خلال تلك المصنّفات نوادر غريبة ، ولطائف عجيبة ؛ لا يحصل الوقوف عليها إلا بعد استيعابها بالمطالعة ، كما لا يقع الظفر بالجوهر في المعدن إلا بعد عمل كثير يحصل في خلالها بغتة ؛ فإذا التقطت الجواهر من المعدن ، سهل تناولها لمريدها ؛ وهي على ضربين .

### الضرب الأول ( الأوائل )

وهي معرفة مبادئ الأمور المهمة ، وقد أفردها أبو هلال العسكري بالتصنيف ، وأورد التعاليم منها في كتابه "لطائف المعارف" نبذة صالحة ، وتضمنت كتب التاريخ منها جملة مما لم يتعرضوا إليه ؛ وقد اقتصرت منها على ما تشوف نفوس أكثر الناس إلى معرفته والإطلاع عليه : مما توفرت الدواعي عليه ، فاستمر وجوده ، وأنسحب عليه حكم الاستعمال إلى الآن ، أو أشتهر في مبدأ أمره ، ثم زال بعد ذلك ؛ جارياً في ترتيبه على وجه يقرب تناوله ، مقتماً الأهم فالأهم بالنسبة إلى حال الكاتب :

## أُمُور تُتَعَلَّقُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

(سِوَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ مِمَّا شَاكَلَ غَيْرَهُ)

أَوَّلُ مَنْ اسْتَرْقَّ الرِّقَقَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . أَوَّلُ مَنْ شَابَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَصَّ شَارِبَهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ شَعْرَهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَخَصَّصَ ، وَأَوَّلُ مَنْ آسَتْكَ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَلَّمَ الْأَطْفَارَ ، وَأَوَّلُ مَنْ آسَتْجَى ، وَأَوَّلُ مَنْ أَخْتَنَ ، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى الْحَمَارَ .

## الْخِلَافَةُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا

أَوَّلُ مَنْ مُتَّيَّ خَلِيفَةً أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ يَخَاطَبُ بِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ؛ وَسَيَّاقِي ذِكْرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَقْلَابِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَخْلَفَ مِنَ الْخُلَفَاءِ : اسْتَخْلَفَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ؛ وَسَيَّاقِي ذِكْرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى وِلَايَةِ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ فُرِضَ لَهُ الْعِطَاءُ فِي بَيْتِ الْمَالِ عَنِ الْخِلَافَةِ ، وَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى بِإِعَادَةِ جَمِيعِ مَا حُمِّلَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ .

أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَسَيَّاقِي ذِكْرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا اللَّقَبِ فِي جُمْلَةِ الْأَقْلَابِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ بَيْتَ الْمَالِ فِيهَا ذِكْرَهُ الْعَسْكَرَى ، لَكِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ قَبْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَيَكُونُ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَسَيَّاقِي ذِكْرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى وَكَّالَةِ بَيْتِ الْمَالِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَّرَ الْكُورَ وَمَسَحَ أَرْضَ السَّوَادِ ، وَرَتَّبَ الْخِرَاجَ عَلَى الْأَرْضِيِّينَ ، وَالْجَزْيَةَ عَلَى الْجَمَاحِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ الطَّعَامَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْجِجَارِ ؛ وَذَلِكَ فِي عَامِ

الرمادة<sup>(١)</sup> عند غلق السحر بالحجاز . وسيأتى ذكره فى الكلام على خليج القاهرة فى أوائل المسالك والممالك .

أول من أقطع القطائع من الخلفاء أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على الإقطاعات فى المقالة السادسة ، وهو أول من حمى الحمى لنعم الصدقة من الخلفاء ، وهو أول من آخذ صاحب شرطة من الخلفاء .

أول من آخذ يتاثرى فيه قصص أهل الظلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبقي حتى كتبت له شتمه فى رقة ، وطرح فى البيت فتركه ؛ ثم آخذ المهدي بعده ، ثم ترك بعد ذلك .

أول من سلم عليه بالخلافة فقبل السلام عليك يا أمير المؤمنين معاوية ؛ وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم ؛ وهو أول من عهد إلى ابنه بالخلافة ، عهد بها إلى ابنه يزيد ، ثم تبعه الكثير من الخلفاء على ذلك ؛ وهو أول من استخلف فى حال صحته وإلا فابو بكر لم يستخلف عمر إلا فى مرض موته ، وعمر لم يجعل الأمر شورى إلا وهو مطعون ؛ وسيأتى ذكر ذلك جميعه فى الكلام على ولاية الخلفاء فى المقالة الخامسة ، وهو أول من آخذ المقصورة فى المسجد لصلاة الجمعة ؛ وقيل آخذها مروان قبله ، وقيل عثمان ؛ وهو أول من نهى عن الكلام بحضرته من الخلفاء ، وكان الناس قبل ذلك يردون على الخليفة ويعترضونه فيما يقول ؛ وهو أول من آخذ ديوان الخاتم نلتهم الكتب ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على اللواحق من المقالة الثالثة ، وهو أول من آخذ البريد فى الإسلام ؛ وسيأتى ذكره فى الكلام على البريد فى خاتمة الكتاب .

أول من سار فى الناس بالخيبة من الخلفاء وأمر أن لا يخاطب باسمه كما يخاطب

(١) فى الأصل الزيادة وهو تصحيف .

(٢) يظهر أن قبله سقط وما بعده يدل على أن التكلم فيه الآن عبد الملك بن مروان فإنه أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء فليحذر .

الخلفاء قبله الوليد بن عبد الملك فاتفق أن خالف رجل غطابه باسمه فأمر به فوطئ .  
أول من رتب مراتب الخلافة وأقام حاجبا للاستئذان عليه أبو جعفر المنصور ،  
وأتخذ في قصره بيتا يجلس فيه الناس حتى يؤذن لهم ؛ وهو أول من اتخذ الأتراك  
اتخذ حمادا التركي ، ثم اتخذ المهدي بعده مباركا التركي ، ثم أكثر الخلفاء من الأتراك  
بعد ذلك .

أول من جلس للصائب من الخلفاء على البساط دون الأيماط هارون الرشيد  
حين نعى إليه قريبه : إبراهيم بن علي ؛ فاتخذ الخلفاء ذلك دأبا في المآتم .  
أول من نعت على المنبر بنت الخلافة الأمين بن الرشيد فقيل : اللهم وأصلح  
عبدك وخليفتك عبد الله محمدا الأمين .

أول من أضيف لقبه من الخلفاء إلى اسم الله المعتمد فقيل المعتمد بالله ، ثم تبعه  
الخلفاء على ذلك ؛ وسيأتى ذكره في الكلام على الخلفاء في المقالة الثانية .  
أول من حوّل السنة الشمسية إلى السنة القمرية وأقر النيروز المتوكل ؛ وسيأتى  
ذكره في تحويل السنين في المقالة السابعة ، وهو أول من أمر بتغيير زى أهل الذمة ؛  
وسيأتى ذكره في الكلام على عقد الصلح لأهل الذمة في المقالة السابعة .

### أمور تتعلق بالملوك والأمراء

أول من لبس التاج الضحّاك أحد ملوك الفرس وهو الفردوس فيا يقال ؛ وفي زمنه  
كان إبراهيم الخليل عليه السلام .  
أول من مسح الأرضين ، ووضع الدواوين ، ووضع الخراج على الأرضين ،  
ووظف الموظفين على البلاد قيذار أحد ملوك الفرس ، واتخذ لذلك ديوانا وسماه  
ديوان العدل .

أول من جلس على السرير من ملوك العرب جَذِيعَة الأبرش، وهو أول من وقعت له السُّمعة من ملوك العرب، وأول من لبس الطَّوْق منهم .

أول من مَشَتْ الرجال معه وهو راكب الأشعث بن قيس، كانت بنو عمرو بن معاوية مَلُكُوهُ عليهم وتَوَجَّوهُ .

أول من مَشَى بين يديه بالأعمدة الحديد زيادُ ابن أبيه، وهو أول من جلس الناس بين يديه على الكرسي، وهو أول من اتخذ العَسَسَ والحَرَسَ .

أول من سُلِّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة فقبل السلام عليك أيها الأمير، وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم، ثم تبعه الأمراء على ذلك .

أول من حُمِلَ إليه التَّلَجُ النجاش بن يوسف، وسيأتي ذكره في الكلام على حمل التلج لصاحب الديار المصرية في خاتمة الكتاب .

أول من نَقَشَ اسمه من الملوك على الدنانير والدراهم مع الخلفاء عِزُّ الدَّوْلَةِ بن بُويهِ وإخوته ملوك الديلم القائميين على الخلفاء العبَّاسيين ببغداد، في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ثم تبعهم الملوك على ذلك .

أول من حُمِلَ السُّنَجَقُ على رأسه من الملوك غازي بن زنكي صاحب الموصل، وهو أول من اختار الأجناد أن يركبوا بالسيوف في أوساطهم والدَّبايس تحت ركبهم .

أول من حُمِلَ الشمع معه على البغال في الليل من ملوك الديار المصرية محمد بن طُغْجُ الإخشيد، وكانت الشمعة تجعل على مؤنر البغل وفراش راكب أمامها، وهو يلتفت في كل قليل يصلحها، فأبدلها الملوك بعده بهذه الفوانيس التي تحمل على البغال مع الفانوسية أمام ملوك الديار المصرية في الليل .

أول من لُقِّبَ من وزراء الفاطميين بالديار المصرية بالملك فلان رضوان بن ونحشى



وزير الحافظ : لقب بالملك الأفضل ، وكان من قبله من الوزراء لا ينعت بالملك .  
 أول من لف العمامة على الكلوثة من ملوك الديار المصرية الأشرف خليل بن  
 قلاوون ، وكانت ملوك بني أيوب يلبسون كلوثة صفراء بغير عمامة ولذلك تراهم  
 يطلقون على أرباب الأقاليم المتعممين في مقابلة أن الجند كانوا بغير عمام .  
 أول من اعتاد حلق رأسه من ملوك الديار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاوون  
 حين حج ، وتبعه الأمراء والجند على ذلك واستمر الأمر على ذلك إلى الآن ، وكان  
 لم قبل ذلك غداثر شعر مرسله كعرب الحجاز ونحوهم .

### الوزراء

أول من سمي وزيرا في الإسلام أحمد بن سليمان الخلال ، وزير السفاح أول خلفاء  
 بني العباس ، ثم تبعه وزراء الخلفاء والملوك على ذلك ، وكانوا قبل ذلك يقولون كتابا .  
 أول من لُقّب بالصاحب من الوزراء ، كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد ، وكان السبب  
 في ذلك أنه كان يصحب الأستاذ ابن العميد فكانوا يقولون صاحب ابن العميد ،  
 ثم غلب عليه اللقب حتى قيل له الصاحب مجزّدا وتبعه الخلفاء على ذلك ، وسيأتي  
 ذكره في الكلام على هذا اللقب في المقالة الثالثة .

أول من لقب بالملك الفسلافى من وزراء الفاطميين بالديار المصرية رضوان بن  
 ونحشى وزير الحافظ ، لُقّب الملك الأفضل ، ثم صار رسما لوزرائهم بعد ذلك ، وتبعهم  
 ملوك الديار المصرية على ذلك إلى الآن .

### القضاة

أول قاض كان في الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، استقضاه أبو بكر  
 الصديق رضى الله عنه ، في خلافته فكث سنة لا يأتيه أحد في قضية .

أول قاض بالمدينة النبوية عبد الله بن نوفل ، استقضاه عليها أمير المؤمنين عمر  
ابن الخطاب رضي الله عنه في خلافته .

أول قاض بالكوفة جبير بن القشعم .

أول قاض بالبصرة أبو مريم الحنفى ، أحد بنى حنيفة ، استقضاه أميرها عمرو  
ابن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة .

أول قاض بمصر قيس بن أبي العاص السهمى ، استقضاه عليها عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه ، في خلافته في سنة ثلاث وعشرين من الهجرة .

أول قاض جمع له القضاء والشرطة بمصر عائش بن سعيد وليها من قبل أميرها  
مسلمة بن مخلد .

أول قاض بمصر نظرفى الأحباس يعنى الأوقاف بمصر أبو محجن توبة في خلافة  
هشام بن عبد الملك ، وكانت الأوقاف قبل ذلك بيد أربابها أو أوصيائهم - فقال :  
هذه مآلها إلى الفقراء والمساكين فانا أضع يدي عليها ، فما مضت له سنة حتى صار  
لها ديوان عظيم .

أول قاض بمصر خرج لرؤية الهلال عبد الله بن إهيعة . قال أبو عمر الكندى ،  
وهو أول قاض ولي مصر عن خليفة ، وليها عن أبي جعفر المنصور في أول سنة  
خمس وخمسين ومائة .

أول قاض ولي مصر ممن يقول بقول أبي حنيفة أبو الفضل إسماعيل بن البسّع  
الكندى ، وكان أهل مصر قبله لم يعرفوا مذهب أبي حنيفة ولم يالفوه ، وكان يرى  
بطلان الأوقاف ، فكتب الليث فيه إلى أبي جعفر المنصور فكتب إليه بعزله .

أول قاض بمصر أدخل النصارى في خصوماتهم إلى المسجد أبو عبد الرحمن محمد

أَبْنُ مَسْرُوقَ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ لَهَا مِنْ قَبْلِ الرَّشِيدِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَهُوَ  
أَوَّلُ مَنْ آخَذَ لِمَجْلِسِهِ الشُّهُودَ مِنْ قُضَاةِ مِصْرَ .

أَوَّلُ قَاضٍ وَلِيَ مِصْرَ مِنْ يَقُولُ بِقَوْلِ مَالِكٍ أَبُو بُعَيْمٍ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَرَّاتِ مَوْلَى  
مَعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ، وَلِلشَّافِعِيِّ عَلَيْهِ ثَنَاءٌ جَمِيلٌ فِي مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ ، وَهُوَ أَوَّلُ قَاضٍ آخَذَ  
لِلشُّهُودِ دِيْوَانَنَا وَكُتِبَ أَسْمَاؤُهُمْ فِيهِ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ مِنْ قَبْلِ الرَّشِيدِ فِي سَنَةِ بَضْعٍ  
وَعِثْمَانِينَ وَمِائَةٍ .

أَوَّلُ قَاضٍ وَلِيَ عَلَى الْمَصَاحِفِ أَمِينًا بِجَمَاعِ الْفُسْطَاطِ الْحَارِثُ بْنُ مِسْكِينَ ، وَكَانَتْ  
وَلَايَتُهُ فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ .

أَوَّلُ مَا اسْتَقَرَّتْ قُضَاةُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَرْبَعَةٌ ، مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضٍ فِي سُلْطَنَةِ  
الظَّاهِرِ بَيْرَسَ الْبِنْدَقْدَارِي . وَذَلِكَ أَنَّ الْقَضَاءَ بِهَا كَانَ بِيَدِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ أَبِي  
بَنْتِ الْأَعْمَرِ وَكَانَ شَافِعِيًّا ، فَكَانَتْ تَأْتِيهِ الْمَكَاتِبُ الْمُخَالَفَةُ لِمَذْهَبِهِ فَيَتَوَقَّفُ فِيهَا فَيُشَقُّ  
ذَلِكَ عَلَى السُّلْطَانِ وَالْأَمْرَاءِ فَاتَّفَقَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ قَاضِيًا لِيَقْضَى  
كُلُّ مَنْهُمْ بِمَذْهَبِهِ .

أَوَّلُ مَا خُصَّ قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِالتَّوْلِيَةِ فِي أَعْمَالِهَا دُونَ رُقَّتِهِ  
الثَّلَاثَةِ فِي سُلْطَنَةِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، ذَكَرَهُ أَبُو  
الْمَكْرَمِ فِي تَذَكُّرَتِهِ :

### الأمور العليسية

أَوَّلُ مَنْ أَخْطَأَ فِي الْقِيَاسِ إِبْلِيسَ ، حَيْثُ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ  
مِنْ طِينٍ ، أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ مَا أَلْقَى إِلَى جَوْهَرِ الطِّينِ زَادَ وَنَمَا ، وَمَا أَلْقَى إِلَى جَوْهَرِ النَّارِ  
أَضْمَحَلَّ وَتَلَاثَنَى .

- أول من نطق بالحكمة أنوش بن شِيث بن آدم عليه السلام .
- أول من دُلَّ على تركيب الأفلاك، وقدر مسير الكواكب، وكشف عن أحوال تأثيراتها، ونبه على عجائب الصنع فيها إدريس عليه السلام .
- أول من نظرفى الطب افريدون ملك الفرس بعد الضحَّاك ، وفى أيامه ظهرت الفلاسفة وتكلموا فى علومهم .
- أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلى بأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهو أول من نقط المصاحف النقط الأول على الإعراب .
- أول من صنَّف فى علم الكلام واصل بن عطاء المعتزلى .
- أول من تُرِّجِم له كتب الطب والنجوم وضيها من كتب العلوم الفلسفية خالد بن يزيد، ثم تلاه المأمون فاكثر من ذلك .
- أول من صنَّف فى غريب القرآن أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المنثى .
- أول من صنَّف فى أصول الفقه الإمام الشافعى رضى الله عنه ، صنَّف فيه كتابه الرسالة :
- أول من صنَّف فى الفقه مالك بن أنس صنَّف كتابه الموطأ .
- أول من عمل العروض الخليل بن أحمد، وهو أول من صنَّف اللغة مرتبة على حروف المعجم صنَّف كتابه " العين " .
- أول من صنَّف فى علم البديع عبد الله بن المعتز .
- أول من سنَّ الإساءة والإعتراء فى البحث فرعون؛ بينا هو وموسى عليه السلام فى مقام المناظرة حيث قال ((وما رَبُّ العالمين)) فأجابه موسى بقوله ((رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُّؤْمِنِينَ)) إلى آخر المناظرة بينهما إذ قال ((لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)) :

### الخطبة

أول من جمع قريشا وخطبهم ونبه على أن النبي "صلى الله عليه وسلم" منهم قُصِيَّ  
 ابن كلاب، وسيأتي ذكره في الكلام على مكة في المسالك والممالك في المقالة الثانية .  
 أول من خطب على العصا وعلى الراحلة قُصِيَّ بن ساعدة الإيادي ، وقد تقسم  
 ذكر خطبته التي خطبها على الراحلة في الكلام على الخطب .  
 أول من عمل المنبر تميم الداري عمله للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قد رأى منابر  
 الكنائس بالشام .

أول من أرتج عليه في الخطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : أيها الناس إن  
 الذين كانوا من قبل كانوا يُعَذِّبَان لهذا المقام مقالا ، وأتم إلى إمام عادل أحوج منكم  
 إلى إمام قائل ، وستأتيكم الخطبة على وجهها في الجمعة الأخرى ثم نزل .  
 أول من خطب جالسا معاوية حين كثر شغفه .  
 أول من أقام الجمعة بالمدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، أسعد بن زرارة  
 الأنصاري بنى بيضة .

أول من رفع يده في الخطبة يوم الجمعة عبيد الله بن عبد الله بن عمر .  
 أول من أخرج المنبر في العيد مروان بن الحكم ولم يكن قبل ذلك يُخرج .

### الخط

أول من خط بالقلم في الجملة قيل آدم عليه السلام وقيل إدريس .  
 أول من كتب بالعربية قيل هود عليه السلام أنزل عليه ، وقيل إسماعيل ،  
 وقيل ثلاث نفر من بولان من طي أصحابها على ذلك ، وسيأتي ذكره في الكلام  
 على الخط في الباب الثاني من هذه المقالة .

## كتابة الإنشاء

أول من كتب في أول الكتب بسم الله الرحمن الرحيم سليمان عليه السلام، حين كتب إليقيس كما أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت .

أول من كتب في أول الكتب باسمك اللهم أمية بن أبي الصلت، فكتبها قريش في كتبهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، يكتبها في ابتداء الأمر، وسيأتي ذكر جميع ذلك في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة .

أول من كتب من فلان إلى فلان قس بن ساعدة فيما قاله العسرى وأقره النبي صلى الله عليه وسلم، في مكاتباته، وسيأتي ذكره في الكلام على الفواتح في المقالة الثالثة .

أول من زاد في أوائل الكتب بعد التحميد "وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله" هارون الرشيد، وسيأتي ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة .  
أول من أزعج بالهجرة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه، وسيأتي ذكره في الكلام على الخواتم في المقالة الثالثة .

أول من كتب في آخر كتابه وكتب فلان بن فلان أبي بن كعب قاله العسرى .  
أول من ختم الكتب سليمان عليه السلام فقد قيل في قوله تعالى حكاية عن إليقيس ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ إن المراد به الختم . وأول من ختمها في الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم، حين قيل له : إن ملوك الأعاجم لا يقرعون كتابا غير مخنوم فالتخذ خاتما نقش فصره محمد رسول الله فكان يختم به الكتب، وسيأتي ذكر ذلك في الكلام على الخواتم .

أول من اتخذ الطين لحَم الكُتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قاله الثعالبي في "لطائف المعارف" .

أول من اتخذ ديوان الخاتم معاوية بن أبى سفيان ، حين كتب لرجل بمائة ألف درهم ففك الكتاب فأصلحها مائتين ، قاله الثعالبي في "لطائف المعارف" .

### كتابة الأموال وما في معناها

أول من اتخذ الديوان في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وضع ديوان الجيوش . وسبأى ذكره في الكلام على الإقطاعات في المقالة السادسة .

أول من جعل الحساب في دَفَاتِر خالد بن برمك فيما قاله الثعالبي ، وكان قبل ذلك في أدراج من كاغِد ورق .

أول من نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية المجاج بن يوسف في خلافة عبد الملك بن مروان ، نقله له صالح بن عبد الرحمن ، كاتب كاتبة زاذان فروخ فكان كُتَّاب العراقيين علماء وتلاميذ<sup>(١)</sup> .

أول من نقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية عبد الملك بن مروان ، نقله له سليمان بن مسعود مولى الحسين كاتب رسائل عبد الملك ، فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام .

أول من نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد العزيز بن مروان في إمارته على مصر ، ذكره صاحب "المنهاج في صنعة الخراج" .

أول من وسَّع في أرزاق الكُتَّاب الفضل بن سهل وزير المأمون .

(١) في الأصل فروخ بالهمزة فكان كبار العراقيين وهو تصحيف فاحذره .

## الخراج والحزبية

أول من وضع الخراج وأزال المقاسمة كسرى أنوشروان؛ وذلك أنه مر على زرع وامرأة تمنع ولدها منه؛ فسألها عن ذلك، فقالت: إن لللك فيه حقاً، ولا نستحله حتى يأخذ الملك حقه، ففترع على الزرع قدراً معلوماً وخطب بين الغلة وأصحابها.

أول من وضع الخراج على الأرضين والحزبية على الجاهل في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السواد؛ ثم رسم بالمقاسمة أبو جعفر المنصور حين خرب السواد.

أول من ألزم الخراج كلفة الحمل ومؤنته زياد بن أبيه فبقى حتى أسقطه زياد ابن أبيه<sup>(١)</sup>.

أول من عرف العرفاء على الناس بلجاية المال وغيره زياد، وكان يقول: العرفاء كالأيدي والمنالك فوقها.

## المعاملات

أول من ضرب الدنانير والدرهم في الإسلام عبد الملك بن مروان، ضربها بالشام من فضة خالصة، وكان الناس قبل ذلك يتعاملون بدرهم القرس والرؤم؛ ولما ضربها عبد الملك كتب إلى الحجاج بالعراق بإقامة رسم ذلك، فضرب الدرهم ونقش عليها قل هو الله أحد إلى آخر السورة، فسميت الدرهم الأحديّة، وكرهها الناس لنقش القرآن عليها، مع أنه قد يحملها المحدث، فسميت المكروهة.

قلت: وقد رأيت درهما من هذه الدراهم الأحديّة، أرائيه بعض أعيان حلب، وذكر لي أن فلاحاً أصاب ركاماً لطيفاً بها فأحضره إلى نائب حلب خوف عهدته،

(١) كذا في الأصل.



فاقتسمه هو وأهل مجلسه ، وعوضه من كل درهم أضعافه ، فحصل لوالد ذلك الرئيس هذا الدرهم فوصل إليه بدمه .

أول من شدد في العيار في الدراهم يوسف بن عمر ، أمر أن لا يضرب درهم بنقص حبة فما فوقها ، ثم استخف درهما فوجده ينقص حبة ، فأمر أن يضرب كل رجل من الضرائين ألف سوط ، وكانوا مائة ضراب ، فضرب في نقص حبة واحدة مائة ألف سوط .

أول من شدد في خلوص الذهب أحمد بن طولون صاحب مصر والشام ، وذلك أنه حين وجد الكثر المثلث ورُبَّعين شمس ، وأتى له منه بميت وصل صدره لوح ذهب مكتوب بالقبطية فُرب فاذا فيه : أنا أكبر الملوك وذهبي أخالص الذهب ؛ فقال : قاتل الله من يكون هذا اللعين أكبر منه أو ذهبه أخالص من ذهبه ، ثم شدد في التعليق حتى كان قاضي القضاة يحضره بنفسه ، وسيأتي الكلام على ذلك في معاملة الديار المصرية في المقالة الثانية .

أول من ضرب الدراهم الزُيُوف في الإسلام عبيد الله بن زياد .

أول من اتخذ ألسنة الموازين من الحديد عبد الله بن عامر أمير المدينة من قبل عثمان .

أول من عمل الأوزان الجحاجُ بن يوسف ، عملها له سمير اليهودي ، وذلك أن الجحاج حين ضرب الدراهم الأحديَّة على ما تقسم ضربها سمير اليهودي من فضة خالصة أيضا وجعل فيها ذهباً فأراد الجحاج قتله ، فقال : ألا أدلك على ما هو خير للمسلمين من قتلي ، قال : هاته ، فوضع الأوزان ، وزن ألف ، ووزن خمسمائة ، ووزن ثلثمائة إلى وزن ربع قيراط فجعلها حديداً ونقشها وأتى بها إلى الجحاج فعفا عنه ، وكان الناس قبل ذلك إنما يأخذون الدرهم الوازن فيزنون به غيره .

أول من آتخذ الذراع التي يُذَرَع بها الأرضون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السَّواد . وقيل أول من آتخذها زياد ، نظر إلى ثلاثة نفر من أطولهم ذراعا وأوسطه وأقصره بجمعها وأخذ ثلثها فجعلها ذراعا .

### العمارة

أول بيت وضع في الأرض الكعبة ، بنها الملائكة ؛ قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ .

أول من جعل للكعبة بابا أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .  
أول من سقف بمكة سقفا قُصِيَّ بن كلاب ، وكان الناس قبل ذلك إنما ينزلون في العريش .

أول من بَوَّب بمكة بابا حاطب بن أبي بلتعة .  
أول من آتخذ بمكة رَوْشَنَا بِدِيل بن رِقَاء الخَزَّاعِي . وهو أول من بنى بها بيتا مربعا ، وكانوا قبل ذلك يتحامون التريب في البناء كيلا يُشَبَّه ببناء الكعبة .  
أول قرية بُنِيَتْ بعد الطوفان قرية ثمانين ، من الجزيرة الفُراتية ؛ بناها نوح عليه السلام ، وأُزِل بها من كان معه في السفينة وهم ثمانون رجلا .  
أول مدينة بُنِيَتْ بمصر بعد الطوفان مدينة مَنَف وأصلها بالسُّريانية مافه ومعناها ثلاثون ؛ سميت باسم جماعة مَصْر بن بَيْصَر الذين كانوا معه ، وسيأتي ذكرها في جملة قواعد مصر القديمة في المقالة الثانية .

أول من عمل الحِمَام سليمان عليه السلام ، صنعها له الجن وعملوا له التُّورَة لإزالة شر كان على بَلْقِيس حين تَرَوَّجها فيما يقال .

أول من اتخذ الأجر هانئ فرعون حيث قال له ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ  
فاجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾ .

أول من بنى بالخص والأجر في الإسلام زياد ابن أبيه بالبصرة .

### الزراع

أول من غرس النخلة أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام

### الصناعات

أول من خاط الثياب إدريس عليه السلام، وكان الناس قبل ذلك يلبسون الجلود .

أول من عمل القراطيس يوسف عليه السلام . وقيل غيره؛ وسيأتي ذكره  
في الكلام على ما يكتب فيه في المقالة الثالثة .

أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام؛ قاله الثعالبي .

أول من عمل الكيمياء قارون، ويقال إنه المراد بقوله تعالى حكاية عنه ﴿ قَالَ إِنَّمَا  
أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ .

أول من عمل الزجاج ملكي أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وسيأتي ذكره في الكلام  
على ملوكها في المقالة الثانية .

أول من اتخذ الرجال علفاً بن زبَّان الحميري<sup>(١)</sup>، وكانت العرب قبل ذلك يركبون  
الخصاصر .

أول من كسا الكعبة في الجاهلية تبع : أسعد أبو كرب .

(١) وقع في المختصر ربان بامال الزاي وفي القاموس والصاحح باعجامها وهو الاقرب .

أول من اتخذ المحامل له المجاج بن يوسف .  
 أول من اتخذ السباط الأصبح بن مالك ، أحد ملوك اليمن فقيل السباط  
 الأصبحية .

### اللباس

أول من لبس الثياب الخرقارون ، ويقال إنه المراد بقوله تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ . وهو أول من أطال ثيابه وصبغها على الأرض نجبا وتيها .

أول من قور طيلسانا من العرب في الإسلام عبد الله بن عامر أمير المدينة من  
 قبل عثمان . والطيلسان المقور على نحو الطرحة التي يلبسها الوزراء وقضاة القضاة  
 الآن ، وكانت وزراء الفاطميين يلبسونها . وهو أول من لبس الخنز ، فقال أهل  
 المدينة ليس الأمير جلد دب .

أول ما لبس بنو العباس السواد حين قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية  
 إبراهيم بن محمد الإمام أول قائم منهم بطلب الخلافة حزنا عليه ، فاستمر فيهم ؛ وفيه  
 كلام يأتي في المقالة الثانية عند الكلام على لبس الخلفاء .

أول من لبس الحفاف الساذجة بالبصرة زياد بن أبيه .

أول من أحتنى النعال من العرب جذيمة الأبرش .

أول من خلع نعليه عند دخول الكعبة في الجاهلية الوليد بن المغيرة .

أول من لبس النعال الصرارة المرواني كان قصيرا فاتخذ النعال الغلاظ الصرارة  
 لتزيد في طوله وليسمع جواريه وحرمة عند دخول بيته فتصلح شأنها من كانت على  
 غير هيئة صالحة . قال العسكري : من ثم اتخذ الناس نعال الخشب يعني القباقيب .  
 أول من أمر بتغيير زى أهل الذمة المتوكل ، أمرهم أن يلبسوا العسلي ، ويتخذوا

رُكِبَ الخشب ونحو ذلك فيمتازوا عن المسلمين؛ وسيأتى ذكره في عقد صلح أهل  
الذمة في المقالة السابعة .

### الحرب وآلاته

أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، وكانت قبله وُحوشاً لا تُركَبُ فواضها  
وركبها، وتعلم بنوه رياضتها منه، فصارت فيهم إلى الآن . ولذلك العرب أعرفُ  
الناس بالخيل . وهو أول من ميز بين العتاق منها والمُجَنِّ في سهام أصحابها، فسبقت  
العتاق المُجَنِّ .

أول من اتخذ الدروع وليسها داود عليه السلام إذ يقول تعالى ﴿ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ  
أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ (١) وكانوا قبل ذلك يلبسون ثياباً من حديد .

أول من اتخذ السلاح وجاهد سليمان عليه السلام فيما قاله العسكري وفيه نظر .

أول من اتخذ الحديد من العرب ذُو يَزَنَ الحميري، وكانت أسنتهم قبل ذلك  
صَيَاصِي البقر .

أول من اتخذ الحصن من الجبل للكائن بالإسكندر .

أول من اتخذ المنجنيق الضَّحَّاك حين أراد إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار،  
وضعه فيه ورمى به في النار فكانت عليه برداً وسلاماً . وأول من اتخذ من العرب  
جَذِيمة الأبرش .

أول من اتخذ الجواسيم والعُيون على المدو الإسكندر .

أول لواء عقده النبي صلى الله عليه وسلم، لَوَاءُ أبيض لعمه حمزة وقال "خُذْهُ  
يَا أَسَدَ اللَّهِ" وذلك في رمضان من السنة التي هاجر فيها، وحمله له يزيد بن أبي يزيد .

(١) لعل مراده صفايح من حديد كما هو نص الأوتل والتفسير واللفظة في نسخة الخط غير مجودة .

أول ما عُدَّت الرِايَات في الإسلام يوم حُتِن ، عقد صلى الله عليه وسلم ، راية سَدَاء من بُرْد عائشة ، وكانوا قبل ذلك لا يعرفون إلا الألوية قاله العسكري .

أول من قُتل النبي صلى الله عليه وسلم ، بيده أبي بن خُلف لعنه الله ، طعنه صلى الله عليه وسلم طعنة خفيفة فوجد لها ألماً شديداً ففعل له ان تبالى فقال : لو أن ما بي بأهل الأرض لقتلهم ، ومات منها ؛

أول حرب كان بين أهل القِبْلَة يوم صِفِّين ، بين عائشة وعلي رضي الله عنهما .

### الأسماء والألقاب

أول من سُمِّي المصحف مُصحفاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جمع القرآن .

أول من سُمِّي باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد بن حاطب حين وُلِد بأرض الحبشة في الهجرة الأولى .

أول من سُمي بالحسن والحسين السَّبطان ولداً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو أحمد العسكري في كتابه "التصحيح والتحرif" قال المفضل حجب الله هذين الاسمين عن ان يسمى بهما حتى سُمي بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، ابنيه عليهما السلام أما حسن وحسين الموجودان في أنساب طيِّبٍ فلا أول بسكون السين والثاني بفتح الحاء وكسر السين .

أول من سُمِّي عبد الملك في الإسلام عبد الملك بن مروان .

أول من سُمِّي بعد النبي صلى الله عليه وسلم أحمد أبو الخليل وأضع العروض ولذلك يقال فيه الخليل بن أحمد .

أول من سُمِّي الغالية غالية معاوية بن أبي سفيان شتمها من عبد الله بن جعفر فوصفها له فقال إنها غالية .

أول ما سميت العطيات جوائز في زمن عثمان رضى الله عنه ، وذلك أن ابن عامر كان على العراق من قبل عثمان فبعث جيشا مع قطرب بن عبد عوف الهلالي إلى كَرْمَان ، بغري الوادي بسيل خيف منه الغرق ، فقال قطرب من عبّره فله ألف درهم ، فعبره رجل ثم آخر ثم آخر حتى جاز جميعهم فأعطاهم قطرب ألفا ألفا فكان جملة ذلك أربعة آلاف ألف ، فاستكثرها ابن عامر فكتب بها إلى عثمان فأجازها ، وقال : كل ما كان في سبيل الله فهو جائز .

أول ما لقب بفلان الدولة في أيام المكتفي بالله .

أول ما لقب بفلان الدين في أيام القادر بالله ؛ وسيأتي ذكره في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة .

### الضيّفات

أول من قرئ الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام حتى كُتِبَ أبا الضيفان لكثرة قرّاه لهم .

أول من سنّ للضيف صدر المجلس بهرام جور : أحد ملوك الفُرس .

أول من هتمّ التّريد للقرى في زمن الخُلّ هاشم بن عبد مناف ، وبذلك سمي هاشما وكان اسمه قبل عمرا .

أول من قطّر جيرانه في شهر رمضان عيّد الله بن العباس بن عبد المطلب . وهو أول من حمل الطعام على رءوس الناس لكثرة وأول من أنهبه .

### وجوه البر

أول من اتخذ البيارستان بالشام للرضى الوليد بن عبد الملك .

أول من اتخذ البيارستان بمصر أحمد بن طولون بناءً بالقُسْطَاط ، وهو موجود إلى الآن .

أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم بأنفسهم عثمان بن عفان رضى الله عنه .

### الأعياد والمواسم

أول من اتخذ النيروز من الفرس بما الملك ، وهو الذى بنى مدينة طوس ، يقال إنه كان فى زمن هود عليه السلام ، كان الدين قبله قد تغير وظهر الجور ، فلما ملك جدد الدين وأظهر العدل فسمى اليوم الذى ملك فيه نيروز أى يوم جديد عربته العرب فقبلوا الواوياء فقالوا نيروز .

أول هدية كانت فى النيروز لما الملك المتقّم ذكره ، وذلك أنه لم يظهر القصب إلا فى أيامه فذاقه بعض الناس فاستحلاه فصنع منه السكر فوافق فراغه فى أول يوم ملك فيه بما وهو يوم النيروز فأهدى إليه منه فى ذلك اليوم ، فصار سنة عندهم ، فهم يتهادون فيه بالسكر ، ثم توسعوا فيه قهاذوا بنير السكر .

أول ما ظهر المهرجان فى زمن افريدون القائم بعد الضحّاك من ملوك الفرس ، وذلك أنه لما ظفر بالضحّاك فقيده وانقطع ما كان فى زمنه من الظلم والفساد سمى اليوم الذى ظفر به فيه المهرجان . قال العسكرى : والمهر الوفاء كأن معناه سلطان الوفاء ، وكان سبيل الملوك فيه سبيل النيروز .

أول من أفتتح المكتبة بتهنئة النيروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سَفَط ذهب فيه قطعة عود هندى فى طوله وعرضه ، وكتب معه "هذا يومٌ جرت فيه العادة ، بلطاف العيد السادة" .



### الأقوال

أول من قال أما بعد داود عليه السلام ، و يقال إنها فصل الخطاب المشار إليه بقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ . وقيل أول من قالها قُش بن ساعدة .  
أول من قال مَرَجًا سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، قال ذلك لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ، حين وفد عليه ليهتته رجوع الملك إليه ، فقال له ”مَرَجًا وأهلا ، وناقّة ورحلا ، ومُنَاخا سهّلا ؛ ومَلِكًا رَجُلًا ؛ يُعْطَى عَطَاءَ جَزَلًا“ .

أول من قال جعلت فداك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قالما لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة ، فقال ”جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا أَصْنَعُ؟“ . وقيل أول من قالها له علي بن أبي طالب حين دعا عمرو بن ود العامري إلى المبارزة ، فقال علي ”جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذِنُ لِي؟“ ثم استعملها الكتاب بعد ذلك في مكاتباتهم .

أول من قال أطال الله بقاءك عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تكلم على رضى الله عنه بحضرته في العدل بكلام أعجبه ، فقال له : صدقت أطال الله بقاءك ؛ ثم نقلها الكتاب إلى استعمالها في مكاتباتهم .

أول من قال أيّدك الله عمر بن الخطاب قاله لعلي عليه السلام أيضا .

### الشعر والغناء

أول من قصّد القصائد مهلهل خال امرئ القيس ؛ والقصيد ما زاد على سبعة أبيات .

(١) في نسخة الخط والمطبوع السابق ونحلا وهو تصحيف وقد ذكرت الكلمة في اللسان في مادة رب ح ل

أول من أطال الرِّجَّ العجَّاجَ . قيل إن الرِّجَّ كان في الجاهلية إنما يقول منه الرجل البتين أو الثلاثة في الحرب ونحوه حتى جاء العجَّاج ففتح أبوابه وشبهه بالشعر، ووصف فيه الديار وأهلها، والرسوم والفلوات ، ونعت الإبل والظلول ؛ وكان في أول الإسلام يشبه بأمرئ القيس .

أول من استخرج اللطيف من المعاني في الشعر وجرى على طريقه البديع مسلم ابن الوليد .

أول من أخرج الغناء العربي جرادة جارية ابن جندعان فيما قاله العسكري . وفيه نظر فإن الغناء معهود من عهد عاد حتى كان من جملة مغنياتهم الجرادتان اللتان يضرب بهما المثل فيقال " غنَّته الجرادتان " .

أول من علم الجوارى المَنَمَّات الغناء إبراهيم الموصلي ، وكان الناس بمكة لا يعلمون الجارية الحسنة الغناء .

### النساء

أول امرأة خُفِضَتْ هاجرُ أم إسماعيل ؛ وذلك أنها حين تغيرت عليها سارة لئسرى إبراهيم عليه السلام بها حلفت لتقطعن شيئاً من جسدها فأشار عليها إبراهيم أن تخفيها ، وتتقب أذنيها ، وتجعل فيهما قرطين ففعلت فزادت حسناً .

أول امرأة أكتحلت بالإئتمد زرقاء اليمامة ، وكانت تنظر مسيرة ثلاثة أيام .

أول امرأة تنابت مبيح الجيمنة التي تزوجها مسيئة الكذاب .

(١) في نسخة الخط لبشرى وهو تصحيف ظاهر .

أول امرأة لبست المصبغات في الإسلام شَميلة زوج عباس ، وهى أول من عبا<sup>(١)</sup> الطيب .

### الموت والدفن

أول امرأة حُملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم .  
أول من دُفن بالبيع عثمان بن مظعون ، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة .  
أول من دُفن بقرافة مصر رجل اسمه عامر فقال عمرو بن العاص : عَمَرْتُ والله .

### أُمُور تنسب للجاهلية

أول من حَرَّمَ الخمر في الجاهلية الوليد بن المغيرة ، وقيل قيس بن حاصم ، ثم جاء الإسلام بتقريره .  
أول من حَرَّمَ القمار في الجاهلية الأقرع بن حابس التميمي ، ثم جاء الإسلام بتقريره .  
أول من رَجَّمَ في الزنا في الجاهلية ربيع بن حذان ، ثم جاء الإسلام بتقريره في المحصن .  
أول من حَكَم أن الولد للفرأش في الجاهلية أكرم بن صبيح حكيم العرب ، ثم جاء الإسلام بتقريره .

أول من قطع في السرقة في الجاهلية الوليد بن المغيرة ، ثم جاء الإسلام بتقريره .  
أول من سنَّ الدية مائة من الإبل عبدُ المطلب جدُّ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك أنه نذر إن ولد له عشرة ذكور لينحنَّ العاشر فؤلده عشرة ، وكان عاشرهم عبدُ الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، فرام ذبحه ، فعارضه قريش في أمره ، وأشير عليه بأن يُقرع بينه وبين الإبل حتى تخرج القرعة على الإبل ؛ فأقرع بينه وبين عشرة

(١) في اللسان يقال عبا الطيب ... يعوّه عباً صنته وخلطه .

نفرجت القرعة عليه، ثم زاد عشرة بعد عشرة وهي تقع عليه حتى بلغ مائة من الإبل فوقعته القُرعة عليها فتجرها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم، يقول "أنا ابن الدُّيُحَيْنِ" يعني إسماعيل وعبد الله، ثم جاء الإسلام بتقريرها .  
أول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من الموقف قصي بن كلاب ،  
فهى تُوقَد إلى الآن .

أول من أهدى البدن إلى البيت الياس بن مُضَر .  
أول من أظهر التوحيد بمكة قبل البعثة قُص بن ساعدة .  
أول من خَصَب بالوئمة من قرين عبد المطلب .  
أول من نَسأ للنساء ، وسبب السواثب، وجعل الوصيلة والحاي عمرو بن لُحى  
وهو أبو خزاعة .

### الضرب الثاني

( من النبذ التاريخية التي لا يسع الكاتب جهلها نواذر الأمور ولطائف  
الوقائع والمباحريات )

### العراقة وشرف الآباء

قال الثعالبي : <sup>(١)</sup> أشرف الأنبياء في النبوة يعني تواصل الآباء فيها يوسف بن يعقوب  
ابن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؛ وشاهد ما قاله أن النبي صلى الله عليه وسلم،  
يقول "الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم"  
ولا ينبغي أن إخوته عليهم السلام في هذه الرتبة في العراقة .  
أعرق الأكاسرة في الملوك شيرويه بن أبرويز بن أردشير بن بابك ملك ابن ملك  
أبن ملك ابن ملك .

(١) مراده أعرق الأنبياء كما تقتضيه العناية جد .

أعرق الناس في صُحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي خُفافة رضى الله عنهم ، أربعتهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبوه .

أعرق الخلفاء في الخلافة المتتصرة ، بن المتوكل ، بن المعتصم ، بن الرشيد ، بن المهدي ، بن المنصور في آباءه خمسة آباء خلفاء وهو سادسهم فيها . وفي معناه أخواه المعتمد والمعتز ، أما عبد الله بن المعتز وإن زاد أبا في الخلافة فإنه لم تمض عليه مدة تعتبر ، ولذلك لا يعدّه أكثر المؤرخين في جملة الخلفاء .

أعرق الناس في الملك والخلافة جميعا باعتبار الأصول والحواشى من الذكور والإناث يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . أما من جهة الخلافة فهو خليفة ، وأبوه خليفة ، وجده خليفة ، وجدّ أبيه خليفة ، وعمومته خلفاء . وأما من جهة الملك فأمه شاهر بنت فيروز ، بن يزيد ، بن شهر يار ، وأمها من بنات شيويه ابن أبريز ، وأم شيويه مريم بنت قيصر ، وأم فيروز بنت خاقان ملك الترك .

أعرق الوزراء في الوزارة أبو علي الحسين ، بن القاسم ، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وأخوه أبو جعفر محمد بن القاسم ، فإن القاسم وُزِّرَ للقنطرة ومحمد وُزِّرَ للقائم وأبهما القاسم وُزِّرَ للعتصم ثم للكتفى بعده ، وعبيد الله وُزِّرَ للعتصم ، وسليمان وُزِّرَ للعتصم وبعده للعتصم فكل من الحسين ومحمد وزير ابن وزير ابن وزير يعني في آباءه ثلاثة وزراء ، وهو الرابع فيها .

أعرق الناس في القتل عمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير بن العوام بن خُوَيلد ، قُتل عمارة ، وأبوه حمزة جميعا يوم قُتيد في حرب الإباضية ، وقتل مُصعب بدير الجلائق في الحرب بينه وبين عبد الملك ، وقتل الزبير بوادي السباع في نوبة الجمل ،

وقتل العوّام في حرب الفجار، وقُتل خُوَيْلِد في حرب بُرْءَة . قال الثعالبي ولا يعرف في العرب والعجم ستة مغبونون في نَسَقٍ واحد إلا آل الزبير .

أعرق الناس في الفقه إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة ، كان كل من إسماعيل وحماد فقيها وأبو حنيفة الإمام الأعظم .

أعرق الناس في القضاء بلال بن أبي بُرْءَة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، كان بلال قاضيا على البصرة، وأبو بُرْءَة قاضيا على الكوفة، وأبو موسى قاضيا لأُمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

أعرق الناس في حِجَابَةِ الخلفاء العباس بن الفضل بن الربيع ، فإن العباس حجب الأمين، والفضل حجب الرشيد قبل أن يتقلد عنه الوزارة، والربيع حجب المنصور والمهدي ؛ وفي ذلك يقول أبو نُوَاس من أبيات :

سَادَ الرَّبِيعُ وَسَادَ فَضْلٌ بَعْدَهُ \* وَتَمَّتْ بَعْبَاسُ الْكَرِيمِ فُرُوعُ  
عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا أَحْتَدَمَ الْوُغَى \* وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ

أعرق الناس في الشعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، ستة كلُّهم شعراء على نَسَقٍ ؛ ثم كانت العرَاقَة في الشعر بعده مع زيادة آباء لمتقج، بن محمود، بن مروان، بن يحيى، بن مروان، بن الجبوب، بن مروان، ابن سليمان، بن يحيى، بن أبي حفصة : مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ عشرة على نَسَقٍ :

### الغايات من طبقات الناس

أشرف الناس في الأئمة نسبا الحسن والحسين عليهما السلام، رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّهما، والقاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالهما، وعلي بن أبي

طالب أبوهما ، وفاطمة بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهما ، وخديجة بنت خويلد جتتهما .

أشرف النساء في النسب والصهر فاطمة ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوها ، وخديجة أمها ، وعلى بن أبي طالب زوجها ، والحسن والحسين سيدنا شباب أهل الجنة ولداها .

أشرفُ الناس في المصاهرة عبدُ الله بن عمرو بن عثمان ، تزوج إليه أربعة من الخلفاء ؛ تزوج الوليد بن عبد الملك بنته عبدة ، وسليان بن عبد الملك بنته عائشة ، وزيد بن عبد الملك بنته أم سعيد ، وهشام بن عبد الملك بنته رقية : قال الثعالبي ولا يُعرف رجل له أربعة أخтан خلفاء إلا هو :

### غرائب أمور تتعلق بالخلفاء

امرأة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة والزبير ؛ وهي حفصة ابنةُ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أبوها محمد المديج ، وأمها خديجة بنتُ عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أمماء بنت أبي بكر ، وأم المديج فاطمة بنت الحسين بن علي ؛ وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأم فاطمة بنت الحسين أم إسماعيل بنت عبد الله ؛ وأم عبد الله بن عمرو زينب بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فهي من ولد كل من المذكورين .

أربع نسوة في الإسلام ولدت كل واحدة منهن خليفتين ؛ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدت الحسن والحسين ، وقد بُويع لهما بالخلافة ؛ وولادة بنت العباس العبسية زوجة عبد الملك بن مروان ولدت له الوليد وسليان ؛ وهما

خليفان؛ وساهر بنت فيروز بن يزيد جد زوجة الوليد بن عبد الملك ولدت له يزيد وإبراهيم فوليا الخلافة، واختيران ولدت للمهدي مومني الهادي وهارون الرشيد .

أمرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة ، وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، يزيد أبوها ، ومعاوية بن أبي سفيان جدّها ، ومعاوية بن يزيد أخوها ، وعبد الملك ابن مروان زوجها ، ومروان بن الحكم حموها ، وزيد بن عبد الملك ابنها ، والوليد وسليان وهشام أبناء عبد الملك أولاد زوجها .

ومثلها من بني العباس زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، جدّها المنصور ، وأخو جدّها السفاح ، وزوجها الرشيد ، وعمّها المهدي ، وابنها الأمين ، وأبناء زوجها المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

خليفة سلم عليه بالخلافة عمّه وعم أبيه وعم جدّه ، وهو هارون الرشيد سلم عليه سليمان بن المنصور ، والعباس بن محمد عم أبيه المهدي ، وعبد الصمد بن علي عم جدّه أبي جعفر المنصور .

خليفة سلم عليه من أهل بيته سبعة كل منهم ابن خليفة ، وهو المتوكل ، سلم عليه أحمد بن الواثق ، وأحمد بن المعتصم ، وسليان بن المأمون ، وعبد الله بن الأمين ، وأبو محمد بن الرشيد ، والعباس بن الهادي ، ومنصور بن المهدي .

خليفة قبل هو وأبنة يد خليفة فأجاز أبنة بجائزة ثم قبل المقبلة يده هو وأبنة يد المقبل أولا وهو خليفة فأجاز أبنة بمثل تلك الجائزة ، وهو المعتصم ، وقف لإبراهيم ابن المهدي أيام خلافته ثم نزل المعتصم فقبل يده ثم أدنى منه أبنة هارون فقبل يده ، وقال يا أمير المؤمنين عبدك هارون أبني فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما

(١) الحدود تسمة فقط وكذا في المثل بها فتنه .

(٢) كذا في الأصل .



أَسْتُخْلَفَ المعتصم وقف له إبراهيم بن المهدي ثم ترجل في ذلك الموضع بعينه وقبّل يده وأدنى منه أبنه هبة الله فقَبّل يده ، وقال : يا أمير المؤمنين عبدك هبة الله أبني فأصر له بعشرة آلاف درهم . قال الصولي ولا يعرف مثل ذلك خليفتين وإبنيهما . خليفة جرت اموره كلها على ثمانية ، وهو المعتصم ، فهو الثامن من خلفاء بني العباس ، ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة ، وعمره ثمان وأربعون سنة ، وكان ثامن أولاد الرشيد ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وخلف ثمانية بنين ، وثمان بنات ، وثمانية آلاف دينار ، وثمانية وعشرين ألف درهم ، وثمانية عشر ألف دابة ، وله ثمان فتوحات ، وتوفي ثمان يَسين من شهر ربيع الأول ومن ثمّ سَمِيَ الثَّمن .

خليفة له عشرة أولاد وعشرة إخوة ، وعشرة أولاد إخوة ، وهو مروان بن الحكم فأولاده العشرة عبد الملك ، ومعاوية ، وعبد العزيز ، وقُصّ ، وعمر ، ومحمد ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأيوب ، وداود . وإخوته عبد الواحد ، وعبد الملك ، وعبد العزيز ، وسعيد بنو الحارث بن الحكم ، وحرب ، وعثمان ، وعمر بنو عبد الرحمن ابن الحكم ، ويوسف ، وسليمان ، ويحيى بنو يحيى بن الحكم .

ليلة ولد فيها خليفة ، ومات فيها خليفة ، وولى فيها خليفة ، وهى ليلة السبت لأربع بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ؛ ولد فيها المأمون ، ومات فيها المهادي ، واستخلف فيها الرشيد ؛ ولا يعهد مثل ذلك في زمن من الأزمان .

خليفتان أحدهما ابن الآخرين قبريهما بُعد كبير ؛ وهما الرشيد والمأمون ، قبر الرشيد بطُوس وقبر المأمون بطَرَسُوس .

خليفة ركب البريد؛ وهو موسى الهادي، مات أبوه المهدي وهو نائبه على جرجان، فكتب إليه الرشيد بالخبر والبيعة ووجه إليه الخاتم والبردة والقضيب فركب البريد وأتى إلى بغداد بعد ثلاثة عشر يوماً من موت المهدي، ولا يعرف خليفة ركب البريد غيره .

خليفتان اسم كل منهما جعفر قتل كل منهما في يوم الأربعاء وهما المتوكل والمقتدر .

خليفة ولي الخلافة ستين سنة متوالية؛ وهو المستنصر بالله الفاطمي خليفة مصر على أن الثعالبي في "لطائف المعارف" قال استقرت ولاية معاوية بن أبي سفيان أربعين سنة عشرون منها إمارة وعشرون منها خلافة .

خليفة كانت خلافته يوماً أو بعض يوم، هو عبد الله بن المعتز، بويع بعد خلع المقتدر، فلما كان من الغد حاربه غلمان المقتدر وعاونهم العامة فهرب وأختفى ثم ظفربه .

أربعة إخوة ولي كل منهم الخلافة، وهم الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام أولاد عبد الملك بن مروان .

لم يل الخلافة من أبوه حتى سوى أبي بكر الصديق والطائع لله وكلاهما اسمه أبو بكر .

لم يل الخلافة من أبواه هاشميان سوى الحسن بن علي من فاطمة ومحمد الأمين ابن الرشيد من زبيدة .

لم يل الخلافة من اسمه العباس سوى أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس بن المتوكل على الله محمد خليفة العصر، على كثرة هذا الاسم في أولاد الخلفاء العباسيين وكونه اسم جدتهم الأكبر . قلت : وقد أخبرني أمير المؤمنين المستعين

المشار إليه أن تسميته العباس كانت برؤيا رآها الشيخ بدر الدين البهنسنى بمكة المشرفة ، رأى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه في النوم ، وهو يقول له قل لولدى محمد ، (يعنى المتوكل على الله) إذا ولد له ولد يسميه العباس ؛  
وسياتى ذكر ذلك في الكلام على العهد الذى أنشأته قبل ولايته الخلافة بنحو ثمان سنين آمتعنا لمخاطر في جملة اليهود في المقالة الخامسة .

(العجوبة) قال الصولى : الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يخلع ، النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن نخلع . ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية ، ومروان ، وعبد الملك ، وعبد الله ابن الزبير نخلع . ثم الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد ، وهشام ، والوليد بن يزيد نخلع . ثم كان منهم يزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ومروان بن محمد وهو آخرهم ولم يكن بعده من بنى أمية من يتم العدد بهم ستة فألقى .  
ثم كانت الدولة العباسية فكان السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، والإمامين نخلع . ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين نخلع .  
ثم المعتز ، والمهتدى ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكفى ، والمقتدر نخلع في فتنة المعتز . ثم رد إلى الخلافة ثم قتل ؛ ولم يمتد بخلافة ابن المعتز لخلعه في يومه . قال صاحب "رأس مال النديم" والتعالي في "لطائف المعارف" : ثم القاهر ، ثم الراضى ، ثم المتقى ، ثم المستكفى ، ثم المطيع ، ثم الطائع نخلع . قال الصلاح الصفدى : ثم القادر ، والقائم ، والمقتدى ، والمستظهر ، والمسترشد ، والراشد نخلع . ثم المقتضى ، والمستنجد ، والمستضى ، والناصر ، والظاهر ، والمستعصم نخلع وقتل أيام هولاكو عند أستيلائه على بغداد .  
قلت : هذا غلط فاحش من الصلاح الصفدى لا يليق بمثله فإنه أسقط قبل المستعصم المنتصر وهو السادس .

وقد ذكر الشيخ شمس الدين ابن نباتة في تاريخ الخلفاء أنهم لما بايعوا المستنصر المذكور خلعه ثم أعادوه فرارا من التطير بخلق السادس، وحيثئذ فيكون من بعد المستنصر المستعصم المذكور ثم المستنصر أحمد، الذي أتى به الظاهر بيبرس وتوجه إلى الديار المصرية، ثم الحاكم أحمد، ثم أبنة المستنصر سليمان، ثم أبنة المستعصم أحمد، ثم الواثق إبراهيم نفلح، ثم المعتضد أبو بكر بن المستنصر، ثم أبنة المتوكل، ثم المستعصم زكريا، ثم الواثق عمر، ثم المستعين أبو الفضل العباس خليفة العصر أدام الله أيامه وهو الخامس والله تعالى أعلم بمن يكون السادس وما يكون من أمره.

قال الصلاح الصفدي: وكذلك العبيديون المعروفون بالفاطميين كان منهم بالمغرب عبيد الله المهدي، والظاهر بالله، والمنصور، والمُعزّ باني القاهرة بالمغرب ثم بمصر والعزّيز، والحاكم فقتلته أخته. ثم الظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والأمير، والحافظ، والظاهر نفلح وقتل؛ ثم الفائز، والعاقد وهو آخرهم. قال وكذلك بنو أيوب في ملك مصر أولهم صلاح الدين، ثم ولده العزيز، وأخوه الأفضل بن صلاح الدين، والعاقل الكبير أخو صلاح الدين، والكامل ولده، والعاقل الصغير نفلح. ثم كان منهم الصالح نجم الدين أيوب، ثم المعظم توران شاه، ثم أم خليل شجرة الدر، ثم الأشرف موسى وهو الرابع ولم يكن منهم من يكمل الستة. قال: وكذلك دولة الأتراك ملوك مصر أولهم المعزّ أيك، وابنه المنصور، والمظفر قطز، والظاهر بيبرس، وابنه السعيد بركة، وأخوه العادل سلامش نفلح؛ وملك السلطان الملك المنصور قلاوون.

قلت: ثم أبنة الأشرف خليل، ثم المعظم بيدرا ولم يعتد به خلفه من يومه كما لم يعتد بابن المعز في الخلفاء، ثم الناصر محمد بن قلاوون، ثم العادل كتبغا، ثم المنصور لاچين، ثم المظفر بيبرس الجاشنكير نفلح، ثم المنصور أبو بكر بن الناصر محمد، ثم الأشرف بكك ابن الناصر محمد، ثم الناصر أحمد بن الناصر محمد، ثم الصالح إسماعيل بن الناصر محمد، ثم

الكامل شعبان بن الناصر محمد، ثم المظفر حاجي بن الناصر محمد نخلع، ثم الناصر حسن  
 ابن الناصر محمد، ثم الصالح صالح بن الناصر محمد، ثم المنصور محمد بن المظفر حاجي،  
 ثم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد، ثم آبنه المنصور علي، ثم الصالح حاجي  
 ابن الأشرف شعبان نخلع، ثم الظاهر برقوق، ثم الناصر فرج سلطان المصرو هو الثاني  
 والله أعلم بمن يكون السادس :

### غرائب تتعلق بالملوك

ملك مُلكٌ وهو في بطن أمه، وهو سابور ذو الأكتاف أحد ملوك الفرس، مات  
 أبوه وهو حمل ولم يكن له ولد سواه، فعقدوا التاج على رأس أمه على أن يكون من  
 في بطنها هو الملك كائناً من كان، فلما وضعته ملكوه .

ثلاثة من ملوك فارس ابن وأب وجد أسمهم واحد، وهم بهرام بن بهرام بن  
 بهرام، ومثلهم من ملوك غسان من العرب الحارث بن الحارث بن الحارث . قال  
 الثعالبي : وهذا التناسق لا يقع إلا في الأكابر والرؤساء وقد جاء من هذا النمط في سادات  
 الإسلام الحسن بن الحسن بن الحسن السبط .

ملكان إسلاميان أول أسم كل واحد منهما عين قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك  
 أول أسم كل واحد منهم عين، أحدهما عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد  
 وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور  
 أسمه عبد الله قتل أبا مسلم الخراساني وأسمه عبد الرحمن وعمه عبد الرحمن بن علي  
 وعبد الجبار بن عبد الرحمن وإلى خراسان .

قال الثعالبي : أربعة في الإسلام قتل كل واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل،  
 وهم الحجاج بن يوسف، وأبو مسلم الخراساني، وبالك، والبرقي .

قلت : وقد وقع لـ تيمور كور كان المعروف بـ تارلنك صاحب ما وراء النهر على رأس الثمانمائة من الهجرة ما هو أكثر من ذلك ، فإنه قد فزع من الهند إلى الخليج القسطنطيني ، وقتل من كل إقليم من الخلق ما لا يحصى حتى كان بيني بالرؤوس في كل مدينة يفتحها منارا

### غرائب تتعلق بـ سراة الناس

ثلاثة بنو أعمام في زمن واحد ، كل منهم سيد جليل ، لم يصلح للإمامة أو الرياسة ثم كان لكل منهم ابن اسمه محمد كذلك ، وهم علي بن عبد الله بن عباس وأبنيه محمد وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبنيه محمد ، وعلي بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وأبنيه محمد . قال الجاحظ وهذا من غرائب ما يتفق في العالم ، فإن هذا أمر لم يشاركهم فيه أحد .

أب وأبن تقارب ما بينهما من العمر تقاربا شديدا وهما عمرو بن العاص وأبنيه عبد الله كان بينهما في السن ثلاث عشرة سنة . قال الثعالبي ولا يعهد مثل ذلك . أخوان تباعد ما بينهما في السن تباعدا شديدا وهما موسى بن عبيدة الربدي المحدث<sup>(١)</sup> وأخوه عبد الله كان بينهما في السن مائة سنة ولم يعرف مثل ذلك في غيرهما .

أربعة إخوة كل واحد منهم أسن من الآخر بعشر سنين ، وهم أولاد أبي طالب كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعشر سنين .

ثلاثة إخوة ولدوا في سنة واحدة وقتلوا في يوم واحد وسن كل واحد منهم اثنان وأربعون سنة ، وهم مزيد ، وزيد ، ومذك أولاد المهلب بن أبي صفرة . وهذه من غرائب النوادر .

(١) في الأصل الزبيرى وهو تصحيف عن الربدى كما يعلم من الخلاصة للزرجى .

رجل مكث عشر سنين لا يولد له إلا رجل ولا يموت له إلا أنثى، وهو المهلب  
ابن أبي صُفْرة في غير أولاده الثلاثة المذكورين .

أربعة رجال في الإسلام لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده أكثر  
من مائة فيما قاله الثعالبي وغيره، وهم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم، وخليفة بن براء السعدي، وعبد الرحمن بن عمر الليثي، وجعفر بن سليمان  
الهاشمي، ومنهم من يذكر بدله أبا بكره مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

خمسة إخوة تباعدت قبورهم أشد تباعد، وهم بنو العباس بن عبد المطلب قبر  
عبد الله بالطائف، وقبر عبيد الله بالمدينة، وقبر معدّ بأفريقية، وقبر الفضل بالشام،  
وقبر قثم بسمرقند .

قاض قضى في الإسلام خمسا وسبعين سنة وهو شريح بن الحارث الكندي  
استقضاء عمر على الكوفة فبق بها خلافة عمر وما بعدها إلى تمام المئة المذكورة لم  
يتعطل منها سوى ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير .

### أوصاف جماعة من المشاهير

”من كان من الخلفاء أصْلَحَ“ قال الثعالبي: كان الصلح في عمر، وعثمان، وعلي،  
ومروان بن الحكم، وعمر بن عبد العزيز؛ قال ثم آتقطع الصلح من الخلفاء .

”من كان في غاية الطول“، كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كأنه راكب  
والناس يمشون لطوله؛ وكان عدي بن حاتم إذا ركب تكاد رجلاه تمط في الأرض؛  
وكذلك جابر بن عبد الله البجلي، وكان قس بن ساعدة في نهاية الطول والجسام،  
وكان عبد الله بن زياد إذا رآه الرائي وهو ماش، ظن أنه راكب لطوله؛ وكان  
علي بن عبد الله بن عباس في غاية من الطول، وكان أبوه عبد الله أطول منه، وجده

العباس أطول من أبيه ؛ ويقال إن جَبَلَةَ بن الأيهم النَّسَّابِي كان طوله اثني عشر شبرا .

”من كان في غاية القصر“ قال الثعالبي : كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شديد القصر يكاد الجلوس يوازونه من قصره ؛ وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قصيرا دَحْدَاحا ، وكان الحُطَيْيئة الشاعر مُقَرط القصر ، ولذلك لُقِّبَ بالحُطَيْيئة ، وكان ذوالرِّمَّة الشاعر قصيرا جَدًّا ، ورأيت في بعض التواريخ أن كثير عَزَّة كان طوله ثلاثة أشبار ؛ وكان العباس بن الحسن في غاية من القصر وفيه قيل :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ مِنْ قِصَرٍ \* وَأَنْظُرْ إِلَى الْفَضْلِ وَالْحَجْدِ الَّذِي شَادَا  
إِنَّ التَّجْوِمَ يُجْوِمُ الْجَوَّ أَصْفَرُهَا \* فِي الْعَيْنِ أَبْعَدُهَا فِي الْجَوِّ أَضْعَادَا

”من عُرِفَ بالدهاء من العرب“ معاوية بن أبي سفيان ، زياد بن أبيه ، عمرو بن العاص ، المغيرة بن شعبة ، قيس بن سعد بن عبادة ، عبد الله بن بُذَيْل الخُزَاعِي .

”من نُسِبَ منهم إلى الحق“ عامر بن كُرَيْز ، معاوية بن مروان بن الحكم ، بَكَّار ابن عبد الملك بن مروان ، العاص بن هشام ، عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان ، سهل بن عمرو وأخوه سُهَيْل ، العاص بن سعيد بن العاص .

”المؤلفة قلوبهم في أول الإسلام“ قال الثعالبي : هم من قريش أبو سفيان ابن حرب ، وسُهَيْل بن عمرو ، وَحَوِيطُ بن عبد العزى ، وهَبَّار بن الأسود ، والحارث بن هشام ، وَحَكِيم بن حِزَام ، وَصَفْوَان بن أُمَيَّة ، وَأَنَس بن عَدَى . ومن فَزَّارَةُ عَيْنَةَ بن حِصْن . ومن تَيْمِ الأقرع بن حَابِس . ومن بَنِي سُلاَيمِ الْعَبَّاسِ بن مِرْدَاس . ومن تَهَيْفِ الْعَلَاءِ بن الحارث .

”من أصيبت عينه“ أبو سفيان بن حرب ، ذهب عينه يوم الطائف ثم عُمي بعد ذلك . الأشعث بن قيس ، ذهب عينه يوم اليرموك ، المغيرة بن شعبة كذلك



الأشتر النخعي، جريبر بن عبد الله البجلي، عدى بن حاتم، عتبة بن أبي سفيان، المختار  
أبن أبي عبيد، الأحنف بن قيس، المهلب بن أبي صفرة، طاهر بن الحسين، عمرو  
أبن الليث الصفّار .

”من سُمِلت عيناه من الخلفاء والملوك“ أما من الخلفاء فالقاهر، والمتقى،  
والمكتفي، وأما من الملوك فهُرمز بن أنوشروان أحد الملوك الأكاسرة، صمصام  
الدولة بن بويه، منصور بن نوح بن منصور الساماني .

”من كان مكفوف البصر من أشراف الناس“ زُهرة بن كلاب بن كعب ؛  
عبد المطلب بن هاشم ؛ العباس بن عبد المطلب ؛ الحكم بن العاص ؛ أبو سفيان بن  
حرب ؛ الحارث بن العباس بن عبد المطلب ؛ مُطعم بن عدى بن نوفل بن  
عبد مناف ؛ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ؛ عتبة بن  
مسعود الهذلي، عبد الله بن عبيد الله بن عتبة ؛ أبو أحمد بن يحيى بن مسعود  
الأسدي ؛ جابر بن عبد الله الأنصاري ؛ عبد الله بن أرقم ؛ البراء بن عازب ؛ حسان  
أبن ثابت ؛ أبو أسيد الساعدي ؛ قتادة بن دُعامة ؛ دُرَيْد بن الصَّمَّة الجُشمي ؛ عزيمة  
ابن نوفل الزُهري ؛ الفاكه بن المغيرة المخزومي ؛ جذيمة بن حازم النهشلي ؛ أبو العباس  
الشاعر ؛ علي بن زيد بن جدعان ؛ المغيرة بن مقسم الضبي ؛ التميمي الكبير الحافظ  
الفقيه ؛ منصور الشاعر المصري ؛ ابن سيده الأندلسي ؛ أبو العلاء المعري ؛ بشير بن  
برْد ؛ أبو البقاء العكبري ؛ أبو العيَّاء هشام بن معاوية الضرير النحوي ؛ الكوفي ؛  
أبو القاسم السهيلي صاحب الروض الأنف ؛ أبو القاسم الشاطبي ؛ الصرصري  
الشاعر ؛ أبو الحسن علي بن عبد الغني الحضري ؛ أبو عبد الله بن خلصة المغربي  
النحوي ؛ أبو عبد الله بن الخياط .

### أصحاب العاهات من الملوك

من ملوك اليونان الإسكندر، كان أحنف . ومن ملوك الفرس أنوشروان كان  
أور، يزدجر كان أعرج . ومن ملوك العرب جديمة الوضاح، كان أبرص، الثعالب  
أبن المنذر، كان أحر العينين والشعر. ومن الخلفاء عبد الملك بن مروان أبحر، يزيد  
أبن عبد الملك أققم، هشام بن عبد الملك أحوّل، مروان الحمار أشقر أزرق،  
موسى الهادي شفته العليا متقلصة، حتى كان أبوه المهدي قد رتب له خادما يلازمه متى  
غفل وفتح فاه قال: موسى أطبق، إبراهيم بن المهدي كان أسود سمينا يلقب بالثني  
ومن أشراف قريش وغيرهم أبو طالب أعرج، وأبو جهل أحوّل، أبو لهب  
كذلك، وكذلك زياد، وصدى بن زيد . الأحنف بن قيس، أحنف متراكب  
الأسنان، صعل الرأس، مائل الدن. والربيع بن زياد أبرص، وكذلك الحارث بن  
حزرة، وأمين بن خريم، والحسن بن حنظلة، وكان عبيدة السلماني أصم، وكذلك  
أبن سيرين والحكيث الشاعر، والمرقش الأكبر الشاعر أجدع .

### أصحاب النوادر

أبن أبي عتيق، أشعب الطمع، أبو الفصن بجحا، أبو العبر، أبو العنيس، ابن  
الخصاص مزيه المدنى .

### أجواد الإسلام

عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، سعيد  
أبن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، عبد الله بن عامر بن مُكرز، حمزة بن  
عبد الله بن الزبير بن العوام، حمز بن عبيد الله بن معمر التيمي، خالد بن عبد الله

(١) في العقد الفريد اسم الجواد عبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي .

أَبْنُ خَالِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ الْعَاصِ ، قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَتَّابُ بْنُ أَبِي وَرْقَانَ الْحَنْظَلِيِّ ، أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ بَدْرِ الْقَزَّازِيِّ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

### الطَّلَحَاتُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْجُودِ

طَلْحَةُ الْفَيَّاضُ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ الْعَشْرَةِ ، وَطَلْحَةُ الْجُودُ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وَطَلْحَةُ الدِّرَاهِمُ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ ، وَطَلْحَةُ الْخَيْرُ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَطَلْحَةُ النَّدَى - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ ، وَطَلْحَةُ الطَّلَحَاتُ - وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَّاعِيِّ .

أَزْوَادُ الرِّكَبِ ثَلَاثَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُمْ مَسَافِرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ ، وَزَمْعَةُ <sup>(١)</sup> ابْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ غَزْوَمٍ : يُشَمُّوْا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَرَوْا مَعَهُمْ أَحَدٌ فِي سَفَرٍ قَطُّ بِجُودِهِمْ .

### مَنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْأَثَرِ بِلِقَبِهِ

غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الْأَنْصَارِيُّ أَصِيبَ يَوْمَ أَحُدٍ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ غَسَلَتْهُ . قَتِيلُ الْجَنِّ ، هُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، أَلِ فِي بُحَيْرٍ قَتَلَهُ الْجَنُّ . مُصَابِغُ الْمَلَائِكَةِ ، هُوَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ . حِمَى الدَّبَرِ ، هُوَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ ، حَمَتُهُ النَّحْلُ إِلَى أَنْ كَانَ اللَّيْلُ . ذُو الشَّهَادَتَيْنِ هُوَ تُخَيْمَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ ، شَهِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَضَاءِ دِينِ الْيَهُودِيِّ حِينَ أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ وَقَّاهُ ، اعْتِمَادًا عَلَى خَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) فِي الْأَصْلِ مَسْلُةٌ ... .. وَرَبِيعَةٌ وَهُوَ سَبَقَ قَلَمُ مِنَ النَّاسِخِ وَالتَّصْحِيحِ مِنَ الْقَامُوسِ وَشَرَحَهُ .

وسلم، فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين . ذو العَيْن، هو قتادة بن النعمان، أصيبت عينه يوم أحدرتها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذو اليمين هو عبيد بن عبيد عمرو الخزاعي كان يعمل بيسديه معا . ذو العِمامة، هو أبو أُحِيحة سعيد بن العاص بن أمية، كان إذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامته حتى ينزعها . ذو الثُدَيَّة، كانت إحدى يديه مُحَدَّجَة كالثدي، كان رأس الخوارج . ذو الثَّفَنَات، كان يقال ذلك لعل بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولعل بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السَّجَدَات منهما من شبه ثَفَنَات البعير . ذو السِّيفَيْن، هو أبو الهيثم ابن التَّيَّهَان، سمي بذلك لتقلده في الحرب بسيفين . سَيْف الله، هو خالد بن الوليد . أَسَدُ الله، هو حمزة بن عبد المطلب . ذات النُّطَاقَيْن، هي أسماء بنت أبي بكر، سميت بذلك لأنها شَقَّت نِطَاقَهَا للسُّفْرَة في الليلة التي هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبوها إلى المدينة . عُرْوَة الصَّعَالِيك، هو عُرْوَة بن الوَرْد، كان إذا شَكَا إليه أحد أعطاه فرسا ورُحْمًا وقال له : إِنْ لم تستغنِ بذلك فلا أغناك الله . سُلَيْكُ الْمُقَاتَب، هو سُلَيْكُ بن سُلَكَة، كان أعدى الناس حتى إن الفرس لا يُدْرِكُه . طَفِيلُ الْأَعْرَاس، رجل من غَطَفَان؛ وقيل هو من مَوَالِي عُثْمَانَ بن عَفَّان رضى الله عنه، كان يتبع الأعراس فيأتيها من غير دَعْوَة وإليه تنسب الطُّفَيْلِيَّة . أُمِّجُ بْنُ أُمِيَّة هو عمر بن عبد العزيز . جَبَّارُ بْنُ الْعَبَّاس هو هَارُونُ الرَّشِيد : لأنه أغزى أبَنَه القَاسِمُ الرُّومَ فقتل منهم خمسين ألفا، وأخذ منهم خمسة آلاف دَابَّةً بالسُّرُوج وَالْجُثْمُ الفِضَّة، وأغزى علي بن عيسى بن ماهان بلادَ التُّرْك فقتل منهم أربعين ألفا، وغزا هو بنفسه بلاد الروم ففتح هَرَقْلَة، وأخذ الجزية من ملك الروم . بَنَات طَارِق، هن بنات العلاء بن طارق بن أمية بن عبد شمس، سُمِّيْنَ بِجَدِّهِنَّ، يضربهنَّ المثل

(١) في الأصل سليل باللام وهو تصحيف انظر اللسان في مادة س ل ك

في الحسن والشرف . بنات الحارث ، هنّ بنات الحارث بن هشام ، يُضرب بهنّ  
المثل في الحُسن وغلوّ المهر .

من كان فردا في زمانه بحيث يضرب به المثل في أمثاله

كان الإسكندر، في طوّفان الأرض، وسرى أنوشروان، في العدل، وزرقاء  
اليمامة، في حِدّة النظر، وحاتم الطائي، في الكرم، وكعب بن مامة، في الإيثار،  
وارسطاطاليس، في الحكمة، وبقراط، في الطب، وقُتس بن ساعدة، في الفصاحة،  
وتعبان وائل، في البلاغة، وعمرو بن الأهم، في البيان، وباقل، في البَيّ، وأبو بكر  
الصدّيق رضي الله عنه، في معرفة الأنساب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قوّة  
الهيبة، وعثمان بن عفان رضي الله عنه، في التّلاوة، وعلّى بن أبي طالب رضي الله  
عنه، في القَصّاء، ومعاوية، في كثرة الاحتمال، وأبو عبيدة بن الجراح، في الأمانة،  
وأبو ذرّ، في صدق اللّهمجة، وأبى بن كعب، في القرآن، وزيد بن ثابت، في الفرائض،  
وآبن عباس، في تفسير القرآن، وعمرو بن العاص، في الدّهاء، وأبو موسى الأشعريّ،  
في سَلَامَة الباطن، والحسن البصريّ، في الوعظ والتذكير، ووهب بن منبه،  
في القصص، وآبن سيرين، في تعبير الرؤيا، ونافع، في القراءة، وأبو حنيفة، في القياس  
في الفقه، وآبن إسحاق، في المغازي، ومقاتل، في التّأويل، والكلبي، في قصص القرآن،  
وآبن الكلبّي الصغير، في النسب، وأبو الحسن المدائني، في الأخبار، ومحمد بن جرير  
الطبري، في عُلوّم الأثر، والخليل بن أحمد، في العرّوض، وفُضَيْل بن عياض، في العبادة،  
ومالك بن أنس، في العلم، والشافعيّ، في فقه الحديث، وأبو عبيدة، في الغريب، وعلّى  
آبن المدينيّ، في علل الحديث، ويحيى بن معين، في رجال الحديث، وأحمد بن حنبل،  
في السنة، والبخاري، في نقد الصحيح، والحنيد، في التصوّف، ومحمد بن نصر المروزيّ،

في الاختلاف، وأبو علي الجبائي، في الاعتزال، وأبو الحسن الأشعري، في علم الكلام، وأبو القاسم الطبراني، في عوالم الحديث، وعبد الرزاق، في آرتحال الناس إليه، وآبن منته، في سعة الرحلة، وأبو بكر الخطيب، في سرعة القراءة، وآبن حزم، في مذهب الظاهر، وسيبويه، في النحو، وأبو الحسن البكري السيري، في الكذب، وإياس بن معاوية، في الذكاء والتفكر، وعبد الحميد، في الكتابة والوفاء، وأبو مسلم الخراساني، في علو الهمة والحزم، وإسحاق الموصلي النديم، في الفناء، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني، في المحاضرة، وأبو معشر، في النجوم، والرازي، في الطب، وعمر بن حمزة، في التيه، والفضل بن يحيى، في الجود، وجعفر بن يحيى، في التوقيع، وآبن زيون، في سعة العبارة، وآبن القرية، في البلاغة، وإلحاحظ، في الأدب والبيان، والحريري، في المقامات، والبديع الهمداني، في الحفظ، وأبو نواس، في المجون والخلاعة، وآبن سجاج الشاعر، في تحف الألفاظ، والمنتهى، في الحكيم والأمثال شعرا، والزخمشري، في تعاطي العربية، والنسني، في الجدل، وبحرير الشاعر، في الهجاء الخبيث، وسامد الراوية، في شعر العرب، والاحنف بن قيس، في الحلم، والمأمون، في حب العفو، والوليد، في شرب الخمر، وعطاء السلمي، في الخوف من الله تعالى، وآبن البواب، في الكتابة، والقاضي الفاضل، في الترميل، والعياد الكاتب، في الخناس، وأشعب، في الطمع، وأبو نصر الفارابي، في معرفة كلام القدماء ونقله وتفسيره، وسنين بن إسحاق، في ترجمة اليوناني إلى العربي، وآبن سينا، في الفلسفة وعلوم الأوائل، والإمام نخر الدين الرازي، في الاطلاع على العلوم، وإلحاحظ في سعة العبارة، والسيف الأيدي، في التحقيق، والنصير الطوسي، في معرفة المجسطي، وآبن الهيثم، في الرياض ونجم الدين الكاتبي، في المنطق، وآبن الأعرابي، في الاطلاع على اللغة، وأبو العيلاء، في الأجوبة المسكتة، ومنزید، في البخل، والقاضي أحمد بن أبي دواد، في المروءة

وحسن التقاضى ، وآبن المعتز، فى التشبيه، وآبن الرضى، فى التطير، والصولى  
فى الشطرنج، والفزائى، فى الجمع بين المعقول والمنقول، وآبو الوليد بن رشد، فى تلخيص  
كتب الاقدمين الفلسفية والطبية، وعبي الدين بن عربى، فى علوم التصوف، وجابر  
آبن حيان فى علم الكيمياء .

### غرائب اتفاق

اتفاقية جلييلة - ولِد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وبُعِثَ يوم الاثنين ،  
وهاجر يوم الاثنين ، وتُوِّفَ يوم الاثنين .

اتفاقية اخرى - قَتَلَ عبدُ الله بن زيادُ الحسينَ بنَ عليٍّ عليهما السلام يوم  
عاشوراء ، وقتله الله على يد ابراهيم بن الأشتر فى يوم عاشوراء .

أخرى - قال عبد الملك بن عمير الليثي : رأيت فى قصر الإمارة بالكوفة رأس  
الحسين بن عليٍّ بين يدي عبد الله بن زياد على ترس ، ثم رأيت فيه رأس عبد الله  
ابن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ، ثم رأيت فيه رأس المختار بين يدي مُصعب  
آبن الزبير ، ثم رأيت فيه رأس مُصعب بين يدي عبد الملك بن مروان . قال :  
حدثت بهذا عبد الملك بن مروان فتطير منه ففارق مكانه .

أخرى - قال الصولى : حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أنه لما ولى المعتز لم  
تمض مدة لطيفة حتى أحضر الناس وأُخرج المؤيد<sup>(١)</sup> وقيل أشهدوا أنه دُعِيَ فأجاب ،  
وليس به أثر ؛ ثم مضت مدة شهر فأحضر الناس وأُخرج المستعين وقال : إن منيته  
أتت عليه ، وها هو لا أثر به فأشهدوا ؛ ثم خُلع المعتز ، واستخلف المهتدى ؛ ولم  
يمض إلا مُدبدة حتى أُخرج المعتز ميتا وقال : أشهدوا ، أنه قد مات حتف أنفه

ولا أثر به ؛ ثم لم تكمل السنة حتى استُخْلِفَ المعتد فأنحرج المهتدى ميتا وقال :  
اشهدوا أنه قد مات حتف أنفه من جراحته ، فتعجب الناس من تلاخُطهم  
في مدة يسيرة .

عبرة - مات المكشفي بالله عن مائة ألف ألف دينار ؛ ولما غُسل لم توجد  
يَجْمرة ييخر فيها إلا جمرة من خَزَفٍ أحمر ، وكان فيما خلف ألوف من مجامر الذهب  
والفضة . قال أحمد بن أبي دواد : لقد شددت لحيي المأمون ، والمعتمد ، والواثق ،  
بعد موتهم فلم أجد خرقه أشد بها لحيي واحد منهم إلا ما أحرقه من الدرايع التي  
تكون على .

لطيفة - في سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر المعتضد برد فاضل سَهَامِ المواريث  
على ذوى الأرحام ، وأبطل ديوان المواريث ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

لطيفة - في سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر المتجمعون بفرق أكثر الأقاليم  
بسبب كثرة الأمطار وزيادة الأنهار فصَحَّفَ الناس من ذلك فقلَّت الأمطار حتى  
أمتَسَقُوا ببغداد مرات .

غريبة - ذكر ابن سينا في المقالة الأولى من كتابه الشفاء أنه نزل يُجْرَجَان  
صاعقة من الهواء فنشبت في الأرض ، ثم نبتت نَبْوة الكُرَّة وسمع الناس لذلك صوتا  
عظيما هائلا فحَفَرُوا عليها فإذا هي قطعة من حديد تقدير مائة وخمسين مترا ، وهي أجزاء  
جاورشيَّة صفراء مستديرة ؛ التصق بعضها ببعض ، فكتب محمود بن سبكتكين ،  
صاحب خراسان بانفاذه إليه أو قطعة منه فتعذر نقله لِثِقَلِهِ فحاولوا كسر قطعة منه  
فلم تعمل فيه الآلات ، ففُوج كسره فقطع منه قطعة لطيفة ، وحملت إليه فوام أن  
يَطْبَع منها سيفا فتعذر عليه .

لطيفة أخرى - في سنة إحدى عشرة وخمسمائة جاء سَيْلٌ عظيم ففَرَّقَ مدينة



سَنَجَار من بلاد الجزيرة، وهدم المنازل، وأغرق خلقا كثيرا . ومن غريب ما حكى أن السيل حمل مَهْدًا فيه صبي صغير فتعلق المهدي بشجرة زيتون، وغاض الماء، وبقي المهدي معلقًا بالشجرة فلم الصغير .

أعجوبة - في سنة ستين وأربعمائة كان بمصر وقسطنطين زلزلة عظيمة، طلع فيها الماء من ربوع الآبار، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم، فقتل الناس إلى أرض البحر يلتفتون ما أنكشف البحر عنه مما في أرضه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا .

ثم في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقع ببلاد الشام زلزلة عظيمة خربت شيزر، وحماه، وحمص، وحِصْن الأكراد، وطرابُلس وأنطاكية، وغيرها من البلاد التي حولها، ووقعت الأسواق والقلاع حتى تداركها نور الدين الشهيد رحمه الله بالهامة .

فائدة - في سنة اثنتين وخمسمائة قلع المفتي الخليفة باب الكعبة، وعمل عوضه بابا مصقفا بالفضة المذهبة، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا يُدفن فيه .

نادرة - في سنة خمس وستين وسبعمائة وقع تلج عظيم بالشام فكسر الأشجار وقطع الطرق لا سيما بمكبراء وما حولها .

أخرى - في سنة سبعين وسبعمائة ظهر بالشام جراد عظيم لم يُسمع بمثله، وأمتد من مكة إلى الشام، وعظم بحوران حتى أكل الأشجار، والأخشاب، وأبواب الدور، وما وصل إليه من الأصبغة والقماش، وسُدت أعين الماء خوفا من أن يُفسدها، وكان من شأنه ببجلون أنه امتلأت منه المدينة وعُلقت الأسواق، وطبقت أبواب الدكاكين والطاقات، وسدت الأبواب وحضروا لصلاة الجمعة فلا عليهم الجامع، وتراعى على الخطيب على المنبر حتى شغله عن الخطبة، وكذلك حير الناس حتى خرجوا من الجامع يحبون فيه خبا إلى الركب، وأنتنت لكثرة ما قتل منه

حتى صار أهل البلد يسمون القطران ليغطي راحته ((وما يعلم جنود ربك إلا هو)).  
 أخرى - في سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة رأى أهل الشام في السماء بعد مغيب  
 الشفق حمرة عظيمة من جهة الشمال، ثم اشتدت الحمرة حتى صارت كالنار الموقدة  
 وانتشرت في السماء حتى كاد يغطي ثلثها، وعم بلاد الشام حتى كانت بدمشق،  
 وبلبك وحلب، وقاقون، والرملة، والقدس، وطرابلس؛ حتى خاف جميع أهل  
 هذه البلاد على أنفسهم الهلاك، وضرعوا إلى الله تعالى، وأبتهلوا إليه، فكشف الله  
 عنهم بعد نصف الليل .

قلت - : وقد رأيت مثل هذه الآية العظيمة بمصر في سنة اثنتي عشرة  
 وثمانمائة : وهو أنه ظهرت حمرة عظيمة من جهة الغرب فوق حمرة النار، وجاء من  
 وراء تلك الحمرة برق ساطع، فصار كلما لمع البرق داخل تلك الحمرة يخال الناظر أنها  
 نار لا محالة حتى داخلني منه أنه عذاب قد صُبَّ على الناس، ثم أقشع بعد العشاء  
 بقليل فلذلك لم يتبه له أهل مصر . وبالجملة فوقائع الدهر وعجائبه أكثر من أن  
 تحصر، ولا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا القدر .

وَاللَّيَالِي كَمَا عَلِمْتَ حَبَالِي \* مُقَرَّبَاتٌ يَلِدُنَّ كُلَّ عَجِيبٍ

### المقصود الثاني

(في وجه بيان استعمال الكاتب ذلك في خلال كلامه)

لا يخفى أن الكاتب إذا عرف أحوال المتقدمين وسيرهم، وأخبارهم، ومن برع  
 منهم، صار عنده علم بما لعله يسأل عنه، واعتداده لما يرد عليه من ذكر واقعة  
 بعينها أو يحتج عليه به من صورة قديمة : ليكون على يقين منها، مع ما يحتاج إلى  
 إيراد في خلال مكاتباته ورسائله : من ذكر من حسن الاحتجاج بذكره في أمر من

الأمر أو حالة من الحالات : كما كتب به البديع الهمداني إلى أبي الحسين بن فارس وقد بلغه أنه ذكر في مجلسه فقال : إن البديع قد نسي حق تعليمنا إياه، وعقنا، وشمخ بأنفه عنا، والحمد لله على فساد الزمان، وتغير نوع الانسان . فكتب إليه :

” نعم أطل الله بقاء الشيخ الإمام ، إنه الخما المسنون، وإن طُنَّت الظنون، والناس لآدم، وإن كان المهدي قد تقدم، وأرتكبت الأضداد، واختلط الميلاد . والشيخ يقول فسد الزمان، أفلا يقول متى كان صالحا ؟ أفي الدولة العباسية، وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها ؟ أم المدة المروانية ، وفي أخبارها ” لا تَكْشَعُ الشُّوْلُ بِأَغَارِهَا ؟ “ أم السنين الحربية، والسيف يُغَمِّدُ فِي الطُّلَا، والرُّمْحُ يَرْكُزُ فِي الْكَلَا، وميتٌ بحر في القلا، والحِزْبَانِ وَكِرْبَلَا، أم التَّيْبَةُ الْهَاشِمِيَّةُ، وعلى يقول : ليت العَتَرَةَ مِنْكُمْ بِرَاسٍ، من بني فراس ؟ أم الايام الأموية ، والتغير إلى المجاز، والعيون إلى الأعجاز ؟ أم الإمارة العتوية ، وصاحبها يقول : وهل بعد البُرُولِ إِلَّا التَّزُولُ ؟ أم الخلافة التيمية، وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في نَائَةِ الْإِسْلَامِ ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل أسكتي يا فلانة ، فقد ذهب الأمانة ؟ أم في الجاهلية وليد يقول :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَافِهِمْ \* وَبَقِيََتْ فِي خَلْفٍ يَحْلِدُ الْأَجْرِبِ .

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول :

بِلَادٌ بِهَا كُتَاٌ وَكُتَاٌ يُجْبِهَا \* إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ .

أم قبل ذلك، وروى لآدم عليه السلام :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا \* فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُسَوِّدٌ قَبِيحٌ !

أم قبل ذلك والملائكة تقول : اَجْعَلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ؟

وما فسد الناس، ولكن أطرَد القياس ؛ ولا ظَلَمْتَ الأيَّامَ، إنما امتدَّ الظلام ؛ وهل

(١) أى في أول الاسلام قبل أن يقوى انظر اللسان .

يفسد الشيء إلا عن صلاح، ويمسى المرء إلا عن صباح؛ ولعمري! لئن كان كرم العهد كتاباً يرد وجواباً يصدر لانه لقريب المنال، وإنى على تويخه لى لفقيه إلى لقائه، شفيق على بقاءه، منتسب إلى ولاته، شاكر لآلته .

والغاية القصوى فى ذلك ما كتب به ذو الوزارتين "أبو الوليد بن زيدون" رحمه الله على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصر إلى إنسان استمالها عنه إلى نفسه وهى :

أما بعد أيها المصاب بعقله، المورط بجهله؛ البين سقطه، الفاحش غلطه؛ العائر فى ذيل أغتراره، الأعمى عن شمس نهاره؛ الساقط سقوط الذهب، على الشراب، المتهاف تهافت القراش فى الشهاب؛ فإن المُنْجَب أكذب، ومعرفة المرء نفسه أصوب؛ وإنك راسلتنى مستهدياً من صلتى ما صيرت منه أيدى أمثالك، متصدياً من خلتى لما قُسمت فيه أنوف أشكالك؛ مرسلًا خليلك مرئاده، مستعملاً عشيقك قواده؛ كاذباً نفسك فى أنك ستزول عنها إلى، وتختلف بعدها على :

وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ \* دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ !

ولا شك أنها قتلتك إذ لم ترض بك، وملكتك إذ لم تنر عليك؛ فإنها أعذرت فى السفارة لك، وما قصرت فى النيابة عنك؛ زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه، والإنسانية أسم أنت جسمه وهيولاه؛ قاطعة أنك أنفردت بالجمال، وأستأثرت بالكمال وأستعليق فى مراتب الحلال؛ حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك ففضضت منه، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه؛ وإن قارون أصاب بعض ما كثررت، والنطف حتر على فضل ما ركزت، وكسرى حمل غاشيتك، وقبصر رعى ماشيتك؛ والإسكندر قتل داراً فى طاعتك، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بجروحهم عن جماعتك؛ والضحاك استدعى مسالمتك، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك؛ وشيرين

قد نافست بوران فيك ، وبقيس غارت الزياء عليك ؛ وأن مالك بن نورة إنما أردف لك ، وعروة بن جعفر إنما رحل إليك ؛ وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعى بعزتك ، وجساسا إنما قتله بأفقتك ، ومهلهلا إنما طلب ناره بهمتك ؛ والسموئل إنما وفى عن عهدك ، والأحنف إنما آحتى فى برؤك ؛ وحاتم إنما جاد بوفرك ، ولقي الأضياف بيشرك ؛ وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك ، والسليك بن السليكة إنما عدا على رجليك ؛ وعامر بن مالك إنما لاعب الأستنة ببيديك ؛ وقيس بن زهير إنما استعان بدهائك ، وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك ؛ ويحجان وإثل إنما تكلم بلسانك ، وعمر بن الأهتم إنما سحر ببياتك . وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسانك ، والتمكلات فى دماء عيس وذبيان أسندت إلى كفالك ؛ وأن أحتيال هريم لعامر وعلقمه حتى رضيا كان عن إشارتك ، وجوابه لعمر ، وقد سأل عن أيهما كان ينفر وقع بعد مشورتك ؛ وأن الجحاج تقلد ولاية العراق بجذك ، وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك ، والمهلب أوهن شوكة الأزارقة بأيدك ، وأفسد ذات بينهم بكيدك ؛ وأن هرمس أعطى بيلينوس مأخذ منك ، وأفلاطون أورد على أرسطا طاليس ماحدث عنك ؛ وبطليموس سوى الإصطلاب بتديرك ، وصور الكرة على تقديرك ؛ وأبقراط علم العلل والأمراض بطف حسك ، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك ؛ وكلاهما قلدا فى العلاج ، وسألك عن المزاج ؛ وأستوصفك تركيب الأعضاء ، وأستشارك فى الداء والدواء ؛ وأنت نهجت لأبى معشر طريق القضاء ، وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء ؛ وأعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق ، وجعلت للكندى رسما أستخرج به الدقائق ؛ وأن صناعة الألحان اخترأعتك ، وتأليف الأنايق توليدك وأبتدأعتك ؛ وأن عبد الحميد بن يحيى بارى أقلامك ، ومهمل بن هارون مدون كلامك ؛ وعمر بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك ؛ وأنت الذى

أقام البراهين ، ووضع القوانين ، وحدّ الماهية ، وبين الكيفية والكيفية ، وناظر في الجوهر والعرض ، وميز الصحة من المرض ، وحلّ المعنى ، وفصل بين الاسم والمسحى ، وضرب وقسم ، وعدل وقوم ، وصنف الأسماء والأفعال ، وروب الطرف والحال ، وبني وأعرب ، ونفى وتعجب ، ووصل وقطع ، وثنى وجمع ، وأظهر وأخمر ، وأبدأ وأخير ، واستفهم وأهل ، وقيد وأرسل ، وأسند وبحت ونظر . وتصفح الأديان ، ورشح بين مذهبي ماني وغيلان ، وأشار بذبح الجعد ، وقتل بشار ابن برد ، وأكث لو شئت خرقت العادات ، وخالفت المعهودات ، فأحلت البحار عذبه ، وأعلنت السلام رطبه ، ونقلت غداً فصار أسما ، وزدت في العناصر فكانت نحسا ، وأنت المقول فيك "كل الصيد في جوف الفرا" ، والمقول فيك :

ليس على الله بمستنكر \* أن يجمع العالم في واحد

والمعنى بقول أبي تمام :

فلو صوّرت نفسك لم ترّدها \* على ما فيك من كريم الطباع

والمراء بقول أبي الطيّب :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة \* كنت البديع الفرد من أبنائها

فكذمت في غير مكدم ، وأستسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم ، ولم تجد لريح مهزاً ، ولا لشفرة محزاً ، بل رضى من الغنيمة بالإياب ، وتمت الرجوع بخفى حين ، لأنى قلت لها :

\* لقد دلّ من بالّت عليه الثعالب \*

وأنشدت :

على أنها الأيام قد صرن كلها \* عجائب حتى ليس فيها عجائب

ونخرت وكفرت ، وعبست وبّرت ، وأبدأت وأعلنت ، وأبرقت وأرعلت ،

وَهَمْتُ ولم أفعل، وَكِدْتُ وليتني، ولولا أن لجوارِ ذِمَّةً، وللضَّيَافَةِ حُرْمَةً، لكان  
الجواب في قَدَالِ الدُّمُسْتَقْ، والنعل حاضرة إن عادت العُقْرُب، والمُعْقُوبَةُ ممكنة  
إن أَصَرَ المَذْنِب، وهبها لم تلاحِظْكَ بعينٍ كَلِيلَةٍ عن عيوبك مَلُوهَا حَبِيبًا وَحَسَنٌ فيها  
من تَوَدَّ، وكانت إنما حَلَّتْكَ بِحَلَاكَ، ووسمتك، بسياك، ولم تُعْرِكَ شهاده، ولا  
تَكَلَّفْتُ لك زياده، بل صدقت مِنَّ بكَها فيا ذِكرته عنك، ووَضَعْتَ الهِنَاءَ مواضع  
النَّقَبِ فيما نسبته إليك، ولم تكن كاذبة فيما أَثْنْتُ به عليك، فالْمُعِيدَةُ تسمعُ به خير  
من أن تراه، هَبْنِ القَذَال، أَرْغَنِ السَّيَال، طويل العُنُقِ والسِّلاوَه، مُفْرِطُ الحُمُقِ  
والغَبَاوَه، جافى الطبع، مَسِيءُ الإِجَابَةِ والسمع، بفيض الهَيْئَةِ، مخيفُ الذَّهَابِ  
والجَيْئَةِ، ظاهرُ الوَسْوَاس، مُتَنِّنُ الأنفَاس، كثير المعايِب، مشهور المَثَالِب، كلامك  
تتمه، وحديثك غمغه، وبيأْنُكَ فَهْفَهه، وضَحْكُكَ قَهْقَهه، ومَشْيُكَ هِرْوَلَه،  
وغيثُكَ مَسَالَه، ودينُكَ زَنْدَهه، وملكُكَ غَرْقَهه :

مَسَاوِلُو قُسْمَنَ عَلَى الْفَوَائِي \* لَمَّا أَتَهَرَبَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

حتى إن باقلاً موصوفاً بالبلغة إذا قُرِنَ بك، وَهَبَقَّةٌ مَسْتَحَقٌّ لَأَسَمِ الْعَقْلِ إذا  
أُضْيِفَ إِلَيْكَ؛ وَأَبَا غَبْشَانَ مَجْهُودٌ مِنْهُ سَدَادُ الْعَمَلِ إِذَا نَسَبَ إِلَيْكَ، وَطُوبَسَا مَأْمُورٌ  
عَنْهُ يَنْ طَائِرٌ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ، فُوجُودُكَ هَدَمَ، وَالْإِعْتِنَاءُ بِكَ نَدَمَ؛ وَإِنْ خَلِيَةِ مِنْكَ  
ظَفَرٌ، وَالْحَنَةُ مَعَكَ سَقَرٌ؛ كَيْفَ رَأَيْتَ لُؤْمُكَ لَكَرْمَى كَفَاءَ ! وَضَعْتَكَ لَشَرِّهِ وَفَاءَ؛  
وَأَتَى جَهْلَتَ أَنْ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَجَنَّبُ إِلَى أَشْكَالِهَا، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى آلَافِهَا،  
وهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرَّ وَالْقُرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ، وَشَعَرْتَ أَنَّ نَارِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ  
لَا اتِّزَاءَ بَيْنَ، وَقُلْتَ الْخَلِيْتُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ، وَتَمَثَّلَتْ :

\* عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْقِيَانِ \*

وذَكَرتُ أَنِي عَلِقْتُ لِأَيُّيَاعٍ مِّنْ زَادٍ، وَطَائِرٍ لَا يَصِيدُهُ مِّنْ أَرَادٍ، وَغَرَضٍ لَا يَصِيدُهُ إِلَّا مِّنْ أَجَادٍ، فَمَا أَحْسَبُكَ إِلَّا قَدْ كُنْتَ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِيهِ، وَتَرْتَشَّعْتَ لِلتَّرْفِيهِ، لَوْلَا أَنْ جُرَّحَ الْعَمَاءُ جُبَّارٌ، لِلْقَيْتِ مَا لَقِيَ مِنَ الْكَوَاعِبِ يَسَّارٌ؛ فَمَا هُمْ إِلَّا بِدُونِ مَا هَمَّتْ بِهِ، وَلَا تَعْرِضُ إِلَّا لِأَيْسَرِ مَا تَعْرِضُتُ لَهُ؛ أَيْنَ أَتَعَاوُذُكَ رَوَايَةَ الْأَشْعَارِ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ؛ أَمَا ثَابَ لَكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ أَلْ مِسْمَعِ \* وَتُشْجِحُ فِي أَكْفَانِهَا الْحَبَطَاتِ

وَهَلَّا عَشَيْتَ وَلَمْ تَقْتَرْ، وَمَا أَمْنُكَ أَنْ تَكُونَ وَافِدَ الْبَرَاجِمِ، أَوْ تَرْجِعَ بِصَحِيفَةِ الْمُتَمَتِّسِ، أَوْ أَفْعَلَ بِكَ مَا فَعَلَهُ حَقِيلُ بْنُ طُلْفَةَ<sup>(١)</sup> بِالْجُهْنِيِّ الَّذِي جَاءَ خَاطِبًا، فَدَهَنَ أَسْتَهَ زَبِيتَ وَأَدْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّمْلِ؛ وَمَتَى كَثُرَ تَلَاغِينَا، وَأَتَّصَلَ تَرَاثِينَا؟ فَيَدْعُوَنِي إِلَيْكَ مَادِمًا ابْنَةُ الْخُسُوفِ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ، وَقُرْبِ الْوَسَادِ؛ وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَاقِمَ فَأَنْكِحَ فِي جَنْبٍ، أَوْ عَضَلْتَنِي هُمَامٌ بِنِ مَرَّةٍ، فَأَقُولُ زَوْجٌ مِنْ عُدَدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُمُودٍ، وَلِعَمْرِي لَوْ بَلَفْتَ هَذَا الْمُبْلَغَ لَأَرْتَفَعْتَ عَنْ هَذِهِ الْحِطَّةِ، وَمَا رَضِيتُ بِهِذِهِ الْحِطَّةِ، فَالنَّارُ وَلَا الْعَارُ، وَالْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيْنَةُ، وَالْحُرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِتَذِينِهَا:

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنْكَحِ \* وَفِتْيَانِ هِرَّانَ الطَّوَالِ الْغَرَاقِ

مَا كُنْتُ لَا تَمُحِّطُ بِالسَّيْرِ إِلَى الرَّمَادِ، وَلَا أَمْتِطِي التَّوَرْدُونَ الْجَوَادِ؛ وَإِنَّمَا يَتِيمٌ مِنْ لَا يَجِدُ مَاءً، وَبِرْعَى الْهَشِيمِ، مِنْ عِلْمِ الْجَمِيمِ؛ وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ مِنْ لَا ذَلُولَ لَهُ؛ وَلِعَلَّكَ إِنَّمَا غَزَاكَ مِنْ عُمَيْتِ صَبُونِي إِلَيْهِ، وَشُبَّهَتْ مَسَافَقَتِي لَهُ مِنْ أَقْصَارِ الْعَصْرِ، وَدِيَا حِينَ الْمَصْرِ، الَّذِينَ هُمْ الْكَوَاكِبُ عُلُوِّهِمْ، وَالرِّيَاضُ طِيبُ شِمِّهِ.

\* مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ ثَقُلَ لَاقِيَتُ سَيِّدِهِمْ \*

(١) فِي الْأَصْلِ عُلْمَةٌ وَهُوَ تَصْغِيرُ أَنْظَرَ مَادَّةَ ع ل ف فِي الْقَامُوسِ .



حَنِّ قَدَحَ لَيْسَ مِنْهَا، مَا أَنْتَ وَهْمٌ؟ وَأَيْنَ تَقَعُ مِنْهُمْ؟. وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَأَوْعَمُّوْهُمْ؟  
وَكَا لَوِ شَيْطَانٌ فِي الْعَظَمِ بَيْنَهُمْ؛ وَإِنْ كُنْتَ إِلَّا بَلَعْتَ قَعْرَ تَابُوتِكَ، وَتَجَاوَيْتَ لَقَمِيصِكَ  
عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ؛ وَعَطَّرْتَ أَرْدَانَكَ، وَجَرَّرْتَ هَيْبَانَكَ؛ وَأَخْتَلَّتْ فِي مَشِيَّتِكَ،  
وَحَذَفَتْ فُضُولَ لِحْيَتِكَ؛ وَأَصَابَحْتَ شَارِبَكَ، وَمَطَطَلْتَ حَاجِبَكَ؛ وَرَقَّقْتَ خَطَّ  
عِزَارِكَ، وَأَسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ، رَجَاءَ الْإِكْتِنَانِ فِيهِمْ، وَطَمَعًا فِي الْإِعْتِدَادِ مِنْهُمْ  
فَطَلَنْتَ نَجْرًا، وَأَخْطَطْتَ أَسْنُكَ الْخُفْرَةَ. وَاللَّهِ لَوْ كَسَاكَ عَحْرُقُ الْبُرْدَيْنِ، وَحَلَّتْكَ  
مَارِيَةٌ بِالْقُرْطَيْنِ، وَقُلَّدَكَ عَمْرُو الصَّمْصَمَةِ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّعْمَةِ، مَا شَكَّكَتُ  
فِيكَ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِمَلَأَ فِيكَ، وَلَا سَتَرْتُ إِيَّاكَ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ. وَهَبَكَ سَامِيَتُهُمْ  
فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ، وَجَارِيَتُهُمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ؛ أَلَسْتُ تَأْوِي إِلَى  
بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَعَافٍ، إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبَ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيْنَ مِنْ أَنْفَرِدَ بِهِ مِمَّنْ لَا غَلَبَ  
إِلَّا عَلَى الْأَقْلَى الْأَخْسَ مِنْهُ؛ وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يَتِمَدُّنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ،  
وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَيَّ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَيَّ، وَبَيْنَ أَنْ تَرَقُدَ تَرْحَتَ بِيْرِهِ، وَنَضِبَ  
غَدِيرِهِ، وَذَهَبَ تَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضَرَّاطُهُ. وَهَلْ كَانَ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشْفُفُ  
وَسُوءُ الْكِيلَةِ، وَيَقْتَرَنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا الْقُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوبِهِ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو \* أَذَلَّ الْحَرُصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تُصَدَّرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْجَعَ بِذَلِكَ عَلَى ظُلْمِكَ، وَلَا تَكُونَ بِرَاقِشَ  
الدَّلَالَةِ عَلَى أَهْلِهَا، وَعِزَّ السُّوءِ الْمُسْتَبْتِرَةِ لِحَنِّهَا؛ فَمَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ سَقَطَ الْعَشَاءُ بِكَ عَلَى  
سِرْحَانٍ، وَبِكَ لَا يَطْفِيْ أَغْفَرُ؛ قَدْ أَعْذَرْتُ إِنْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، وَأَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا،  
وَقَرَعْتُ عَصَا الْعَنَابِ، وَحَدَّرْتُ سُوءَ الْعِقَابِ .

إِنَّ الْمَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ \* وَالشَّيْءُ تَحْقَرَهُ وَقَدْ بَنَى

فَإِنْ بَادَرْتُ بِالنَّدَامَةِ، وَرَجَعْتُ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ؛ كُنْتُ قَدْ أَشْتَرَيْتَ الْعَافِيَةَ  
لَكَ بِالْعَافِيَةِ مِنْكَ؛ وَإِنْ قُلْتَ جَعَجَعَةً وَلَا طِطْحَنَ، فَرُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ، وَأَنْشَدْتَ :

لَا يُؤَسِّتُكَ مِنْ مُحَدَّرَةٍ \* قَوْلٌ تُنَلِّظُهُ وَإِنْ بَرَحَا  
فُعِدَّتْ لِمَا نَهَيْتُ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتَ مَا اسْتَعْفَيْتُ مِنْهُ ، بَعَثْتُ مِنْ يَزِيدِجِكَ إِلَى  
الْخَضْرَاءِ دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكُرًّا وَصَفْعًا ، فَإِذَا صَرْتَ إِلَيْهَا صَبَّتْ أَكَارُوهَا بِكَ ،  
وَتَسْلُطُ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ : فَمِنْ قَرَعَةٍ مُعْجِزَةٍ تَقُومُ فِي قَفَاكَ ، وَمِنْ فُجْزَةٍ مُنْتِنَةٍ تُرْمَى بِهَا  
تَحْتَ خِصْبِكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ ، لَكِنَّ تَذَوُّقَ وَبَالِ أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :  
فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ \* رَأَى ضَرِيرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

فلولا المعرفة بالتاريخ، والإحاطة بالوقائع والسِّيَر، والأقاصيص، والأمثال السائرة  
في معنى ذلك، لما تأتى للنائر الاقتدار على سبك هذه الوقائع، والتلويح بمقتضياتها .

### النوع السابع عشر

(المعرفة بخزائن الكتب، وأنواع العلوم، والكتب المصنفة فيها  
وأسماء الرجال المبرزين في فنونها؛ وفيه مقصدان)

### المقصد الأول

(في ذكر خزائن الكتب المشهورة)

قد كان الخلفاء والملوك في القديم بها مزيد اهتمام، وكال اعتناء، حتى حصلوا منها  
على العدد الجمة، وحصلوا على الخزائن الجليلة . ويقال إن أعظم خزائن الكتب  
في الإسلام ثلاث خزائن .

أحدها - خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد ، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى  
كثرةً ، ولا يقوم عليه نفاسة ، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد ، وقتل  
ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فنهبت خزانة الكتب فيما ذهب،  
ونهبته معالمها، وأغفيت آثارها .

الثانية - خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت من أعظم الخزائن، وأكثرها جمعا للكتب النفيسة من جميع العلوم على ما سيأتى ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية. ولم تزل على ذلك إلى أن أقضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم، وأستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم، فاشترى القاضي الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة، ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة، فبقيت فيها إلى أن استولت عليها الأيدي فلم يبق منها إلا القليل .

الثالثة - خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس، وكانت من أجل خزائن الكتب أيضا. ولم تزل إلى أقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس، فذهبت كتبها كل مذهب .

أما الآن فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب، اكتفاء بخزائن كتب المدارس التي أبنتوها من حيث إنها بذلك أمس .

واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تُحصى، وأجل من أن تُحصَر؛ لاسيما الكتب المصنفة في الملة الإسلامية فإنها لم يصنف مثلها في ملة من الملل، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم؛ إلا أن منها كتب مشهورة قد توفرت الدواحي على نقلها، والإكثار من نسخها، وطارت مُتمعتها في الآفاق ورُغب في اقتنائها .

### المقصد الثاني

(في ذكر العلوم المتداولة بين العلماء، والمشهور من الكتب المصنفة فيها ومؤلفيهم ويرجع المقصد فيها إلى سبعة أصول، يتفرع عنها أربعة وخمسون علما)

## الأصل الأول

(علم الأدب، وفيه عشرة علوم)

الأول علم اللغة - من الكتب المختصرة فيه المتخَب، والمجرد لُكْرَاع، وأدب الكاتب لأبن قتيبة، وفقه اللغة للثعالبي، والفصح لثعلب، وكفاية المتحفظ لأبن الأجدابي، والألفية لأبن أصيبع . ومن المتوسطة فيه المُجَمَّل لأبن فارس، وديوان الأدب للفارابي، وإصلاح المنطق لأبن السكيت . ومن المبسطة الجامع للأزهري والعياب الزائر للصاغاني، والصحاح للجوهري . قال في إرشاد القاصد : ولا أنفع ولا أجمع من المحكم لأبن سيده .

الثاني علم التصريف - من الكتب المختصرة فيه التصريف الملوک لأبن جنى والتعريف لأبن مالك . ومن المتوسطة تصريفُ أبن الحاجب، وهو من أحسن الكتب الموضوعة فيه وأجمعها . ومن المبسطة فيه المتع لأبن عصفور، وشرح تصريف أبن الحاجب وغيره .

الثالث علم النحو - من الكتب المختصرة فيه الكافية لأبن الحاجب، والدرّة الألفية لأبن معطى، وإختلاصة لأبن مالك . ومن المتوسطة المفصل للزحشرى والمقرب لأبن عصفور، والكافية الشافية لأبن مالك، وتسهيل الفوائد له وهو الجامع على شدة اختصاره . ومن المبسطة كتاب سيبويه وشرحه، وشرح أبن قاسم على الألفية، وشرحه على التسهيل، وشرح شهاب الدين السمين عليه؛ وأوسع الكل شرح الشيخ أنير الدين أبي حيان على التسهيل .

الرابع علم المعاني - من الكتب المنفردة فيه مصنّف تيمم الحرّبي<sup>(١)</sup>، وهو عزيز الوجود .

(١) هكذا بهذا الرسم في الأصل ولم نعرطه بعد البحث .

الخامس علم البيان - من الكتب المنفردة به كتاب نهاية الإيجاز للإمام نجر الدين الرازى ، والجامع الكبير لابن الأثير الجزرى .

السادس علم البديع - من الكتب المنفردة به المختصرة فيه زهر الربيع للطزرى . ومن المتوسطة فيه البديع للتيفاشى ، وشرح البديعة للصنفى الحلى . ومن المبسطة كتاب التحبير لابن أبى الأصبع .

(تنبيه) ومن الكتب المشتملة على علوم المعاني والبيان والبديع روض الأزهار لابن مالك ، والإيضاح لابن مالك ، وأعظمها شهرة بالديار المصرية تلخيص المفتاح لقاضى القضاة جلال الدين القزوينى وطليه عدة شروح . منها شرح الخلخالى ، وشرح الشيخ أكل الدين ، وشرح الشيخ بهاء الدين السبكى ، وهو من أجل شروحه ، والمعول عليه منها شرح الشيخ سعد الدين التفتازانى .

السابع علم العروض - من الكتب المختصرة فيه عروض ابن مالك ، ولابن الحاجب فيه لامية كافية ، اعتنى الناس بشرحها ، ومن شرحها الشيخ جمال الدين ابن واصل ، والشيخ جمال الدين الأسنوى . وللأسوى لامية ضاهى فيها لامية ابن الحاجب ، ولالإمام القزوينى عليها شرح حسن ، وللايكى فيه مختصر بديع ، وللبجهرى فيه مختصر . ومن المتوسطة فيه عروض ابن القطاع ، وعروض ابن الخطيب التبريزى . ومن المبسطة كتاب الأمين المحلى ، وعروض الأستاذ أبى الحسن العروضى المعروف بأستاذ المقتدر . وقد نظم فيه صاحبنا شعبان الآثرى محتسب مصر ألفية فائقة سماها "هداية الضليل إلى علم الخليل" جمع فيها فأوعى .

الثامن علم القوافى - من الكتب المختصرة فيها قوافى الأيكى . ومن المتوسطة قوافى ابن القطاع ، ومن المبسطة قوافى ابن سيده .

التاسع علم قوانين الخط - في أصول الخط ألفية لشعبان الآثاري ، ولأبن الحسين كتاب في قلم التلث ، ولأبن الشيخ عز الدين بن عبد السلام مصنف في قلم النسخ ، وفي صناعة الهجاء المختصة بالقراءان الرائية للشاطبي ، وفي خلال كتب النحو الجامعة كالتمهيد وغيره جملة من الهجاء ، وقد أودعت في هذا الكتاب ما فيه كفاية من ذلك .

العاشر قوانين القراءة - فيه كتاب التنبيه لأبي عمرو الداني .

### الاصول الثاني

( العلوم الشرعية ، وفيه تسعة علوم )

الأول علم النواميس المتعلقة بالنبوات - وفيه كتاب لأرسطاطاليس ، وكتاب لافلاطن ، وأكثر مسائله في كتاب "المدينة الفاضلة" لأبي نصر الفارابي ، وفي آخر الطوالع والمصباح<sup>(١)</sup> للبيضاوي مسائل من ذلك .

الثاني علم القراءات - من الكتب المختصرة فيه التيسير لأبي عمرو الداني ، ونظمه الشاطبي في قصيدته التي وسماها بحرز الأمان ، فأعنت عما سواها من كتب القراءات وأعنت الناس بشرحها ، ولأبن مالك دالية بديعة في علم القراءات لكنها لم تستهر . ومن الكتب المبسطة فيه كتاب الروضة في القراءات ، وشروح الشاطبية كالقاسي وغيره .

الثالث علم التفسير - من الكتب المختصرة فيه زاد المسير لأبن الجوزي ، والوجيز للواحدي ، والنهر لأبي حيان . ومن المتوسطة فيه الوسيط للواحدي والكشاف للزحشرى ، ومعالم التنزيل للبقوي . ومن المبسطة البسيط للواحدي ، وتفسير القرطبي ، وتفسير الامام غفر الدين ، والبحر المحيط لأبي حيان .

(١) هو كتاب البيضاوي في علم الكلام .

واعلم أن كل واحد من المفسرين قد غلب عليه فن من الفنون يميل إليه في تفسيره، فالتيقاني تغلب عليه القصص، وابن عطية تغلب عليه العربية، وابن عطية تغلب عليه أحكام الفقه، والزجاج تغلب عليه المعاني وغير ذلك .

الرابع علم رواية الحديث - أضبطل الكتب المصنفة فيه وأصحها رواية صحيح البخاري، وصحيح مسلم رضي الله عنهما، وبعدهما بقية كتب السنن المشهورة : كسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارقطني . والمسندات المشهورة كسنن أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري ونحوها .

ومن كتب السير السيرة لابن هشام، وزهر الخصال لابن سيد الناس . ومن الكتب المبسطة المشتملة على متون الأحاديث دون الرواة جامع الأصول لابن الأثير . ومن المتوسطة الجمع في ذلك الجمع بين الصحيحين للهيتمي، ومختصر جامع الأصول لمصنفه . ومن المختصرة فيما يتعلق بالأحكام، الإلمام بأحاديث الأحكام، للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وعمدة الأحكام للمافظ عبد الغني المقدسي .

ومما يتعلق بالترغيب والترهيب رياض الصالحين للنووي . ومما يتعلق بالأدعية كتاب الأذكار له، وسلاح المؤمن لابن الامام . إلى غير ذلك من أنواع المصنفات المختلفة المقاصد مما لا يحصى كثرة .

الخامس علم دراية الحديث - من الكتب الموصلة للدخول في ذلك علوم الحديث لابن الصلاح، وتقريب التيسير للنووي، وعلوم الحديث للناظم، والكفاية للخطيب أبي بكر، وفي أول جامع الأصول المقدم ذكره في كتب رواية الحديث قطعة من ذلك . ومن الكتب المبسطة في أسماء الرجال الكمال . ومن الكتب المبسطة

(١) هما مفسران أحدهما مقدم على الآخر وكلاهما مسمى بأبي محمد عبدالله إلا أن المتقدم دمشق والناظر غرناطة وكلاهما أخذ من كشف الظنون . (٢) أي ابن الأثير الجزري .

في معاني الحديث شرح البخاري لأبن بطلال ، وشرحه لأبن التين المغربي ، وشرحه لمغلطاي ، وشرحه للكرمانى ، وشرحه لشيخنا سراج الدين بن الملقن ، وشرح مسلم للقاضي عياض ، وشرحه للشيخ محي الدين النووى ، وشرح سنن أبى داود لمغلطاي ، وشرح العمدة للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وشرحها للشيخ تاج الدين الفاكهاني . ومن الكتب في غريب الحديث كتاب الغريبين للهروى ، والنهاية لأبى السعادات أبى الأثير ، وغير ذلك من سائر الأنواع .

السادس علم أصول الدين - من الكتب المختصرة فيه الطوابع للقاضي ناصر الدين البيضاوى ، والمصباح له ، وقواعد العقائد للخواجه نصير الدين الطوسى ، وكتاب الأربعين للقاضي جمال الدين بن واصل . ومن المتوسطة المحصل للإمام نغر الدين ، والصحائف للسمرقندى ، وشرح الطوابع للسيد العبرى ، وشرحها للشيخ عز الدين الأصقفهاني .

السابع علم أصول الفقه - من الكتب المختصرة فيه مختصر أبى الحاجب ، ومنهاج البيضاوى ، والتقيح للقرافى ، والقواعد لأبن الساعاتى . ومن المتوسطة فيه التحصيل للأرموى . ومن المبسطة فيه الأحكام لآمدى ، والمحصول للإمام نغر الدين ، وشروح مختصر أبى الحاجب : كشرح القطب الشيرازى ، وشرح المسيل ، وشرح الشيخ شمس الدين الأصقفهاني ، وأتقن شرح عليه البعض ؛ وكشرح منهاج البيضاوى لأبن المطهر ، وشرحه للشيخ جمال الدين الأسنوى ، وغير ذلك ؛ وكشرح التقيح لمصنفه .

الثامن علم الجدل - من الكتب المختصرة فيه المفتى للأبهرى ، والفصول للنسفى ، والخلاصة للراغى ، والمؤونة لأبى إسحاق الشيرازى . ومن المتوسطة فيه التفاسير للعميدى ، والوسائل للأرموى . ومن المبسطة تهذيب النكت للأبهرى .



التاسع علم الفقه - من كتب الشافعية المختصرة مختصر المُنزّي، ومختصر البُويطي والوجيز للغزالي، والتنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، والمحرر للرافعي، والمنهاج للنووي والحاوي الصغير لعبد الغفار القزويني، والعَجَب العُجاب، وجامع المختصرات، ومختصر الجوامع للشيخ كمال الدين الشيباني. ومن المتوسطة المذهب لأبي إسحاق الشيرازي، والوسيط للغزالي، والشرح الصغير للرافعي، والروضة للنووي، والجواهر للقمي، وأجمعها على اختصار المتق للشيخ كمال الدين الشيباني. ومن المبسطة الأُمّ للامام الشافعي، والحاوي للآوري، والبحر للروائي، والنهاية لإمام الحرمين، والبيسط للغزالي، والشامل لأبى الصَّبَّاح، والتممة للتلوي، والعُدَّة لأبي المكارم الروياني، والشرح الكبير على الوجيز للرافعي، وشرح المذهب للنووي انتهى فيه إلى إنشاء الربا، ولو كل لأغنى عن جُل كتب المذهب، والكفاية في شرح التنبيه لأبى الرُّقَّة، والمطلب في شرح الوسيط له، والبحر المحيط في شرح الوسيط للقمي. ومن محاسنها المُمَهَّدات على الرافعي، والروضة للشيخ جمال الدين الأسنوي.

ومن كتب الحنفية المختصرة البداية، والنافع، والكثر، وجمع البحرين، ومختار الفتوى. ومن المتوسطة الهداية. ومن المبسطة المحيط، والمبسوط، والتحرير والجامع الكبير وغير ذلك.

ومن كتب المالكية المختصرة التلخيص للقاضي عبد الوهاب، ومختصر ابن الجلاب، ومختصر ابن الحاجب. ومن نفيس المختصرات فيها مختصر الشيخ خليل المالكي، هذا فيه قريباً من نحو جامع المختصرات. ومن المتوسطة التهذيب للبرادعي، والجواهر لأبى شامس، ونظم الدرر للشارح مساحي. ومن المبسطة النوادر لأبى زيد، والبيان والتحصيل، وكتاب أبى يونس، وشرح التلخيص للآزري، وليس بكامل، والذخيرة للقرافي.

ومن كتب الحنابلة المختصرة مختصر الحنق، والنهاية الصغرى لأبن رزين . ومن المتوسطة المقيع، والكافي . ومن المبسطة المغنى لأبن قدامة .  
ومن كتب الخلاف فى المذاهب الأربعة الاختلاف والجمع لأبن هبيرة الحنبلى .  
ومن المشتمل على مذاهب السلف الإشراف لأبن المنذر .

### الأصل الثالث

( العلم الطبيعى، وفيه اثنا عشر علما )

الأول علم الطب - من الكتب المختصرة فيه الموجز لأبن النفيس، والفصول لأبقراط . ومن المتوسطة المختار لأبن هبل، والمائة لسيحى، والشافى لأبن القف .  
ومن المبسطة كامل الصنعة المعروف بالملكى، والقانون للرئيس أبى على بن سينا  
وهو الذى أخرج الطب من التلقيق إلى التهذيب والترتيب، وهو أجمع الكتب  
وأبلغها لفظا وأحسنها تصنيفا .

الثانى علم البيطرة - من الكتب المصنفة فيه كتاب حنين بن اسحاق .

الثالث علم البيزرة - من الكتب المصنفة فيه كتاب القانون الواضح وفى كتاب  
العلاجين لأبن العوام جملة كافية من البيطرة والبيزرة .

الرابع علم الفراسة - من الكتب المصنفة فيه كتاب ارسطاطاليس وكتاب  
الفراسة للإمام نضر الدين الرازى، ولقيلان فيه كتاب مختص بالتفرس فى النساء .

الخامس علم تعبير الرؤيا - من الكتب المختصرة فيه فوائد الفرائد لأبن  
الدقاق، وتعبير الحنبلى المرتب على حروف المعجم . ومن المتوسطة فيه شرح  
البدر المنير للحنبل . ومن المبسطة فيه تأليف أبى سهيل المسيحى، والبشرى  
فى شرح كتاب الكرماني .

السادس علم أحكام النجوم - من الكتب المختصرة فيه مجمل الأصول لكوشيار،  
والجامع الصغير لمحي الدين المغربي . ومن المتوسطة كتاب التاريخ والمنفى لأبن هنتا .  
ومن المبسطة مجموع أبن سريج . ومن الكتب المنفردة ببعض أجزائه الأدوار لأبي  
معشر، والإرشاد لأبي الريحان البيروني، والمواليد للخصبي، والتحاويل للسحرقى،  
والمسائل للقيصرانى، ودرج الفلك لسكلوشا . ومن المدخل إليه مدخل القبيصى،  
والتفهيم للبيرونى مدخل إلى هذا الفن، وفيه ما يحتاج إليه من الرياض أيضا .

السابع علم السحر، وعلم الحرف والأوقاف - ومن كتب السحر المعتمدة في بعض  
طرائقه السر المكتوم المنسوب للإمام نضر الدين، وكتاب الجهرة للخوازمي،  
وكتاب طياريس لارسطاطا ليس، وفي غاية الحكيم للجريطى فصول كافية في بعض  
طرقه أيضا .

ومن كتب علم الحرف كتاب لطائف الإشارات للبنى، وشمس المعارف له، وهو  
عزيز الوجود، وفي النسخ المعتمدة من اللغة النورانية للبنى قطعة كافية منه .

الثامن علم الطلسمات - في كتاب طبئانا الذى نقله أبن وحشية عن النبط أُمُودج  
لعمل الطلسمات ومدخل إلى علمها، وفي غاية الحكيم للجريطى قواعد هذا العلم .  
قال في إرشاد القاصد إلا أنه ضئ بالتعليم كل الضن، ولأبى يعقوب السكاسكى فيه  
كتاب جليل القدر .

التاسع علم السيميا - رأيت فيه كتباً مجهولة المصنِّفين .

العاشر علم الكيميا - من الكتب المطولة فيه كتب جابر بن حيان . قال في إرشاد  
القاصد : وأمثل كتب الإسلاميين في ذلك التذكرة لأبن كونه، ورُثبة الحكيم  
للجريطى، وشرح الفصول لعون بن المنذر . ومن النظم الرائق فيه نظم الشنورى .

الحادى عشر علم الفلاحة - من الكتب المختصرة فيه الفلاحة المصرية . ومن  
المبسوطة فيه الفلاحة النبطية ، ترجمة أبى بكر بن وحشية .  
الثانى عشر علم ضرب الرمل - من الكتب المصنفة فيه تجارب العرب ،  
وفى مثلثات ابن محقق<sup>(١)</sup> حصر صوره .

تنبيه - لارسطاطا ليس ثمانية كتب فى الطبيعى يختص كل كتاب منها بجزء  
جردها ابن سينا فى مختصر ترجمه بالمقتضبات ، وخلصها أبو الوليد بن رشد تلخيصا  
مفيدا ، والمتأخرون جمعوا فى غالب كتبهم بينه وبين الالهى فى التصنيف كما فى الطوالع  
والمصباح للبيضاوى .

### الأصل الرابع

( علم الهندسة ، وفيه عشرة علوم )

الأول علم عقود الأبنية - من الكتب المصنفة فيه مصنف لابن الهيثم ،  
ومصنف للكرخى .

الثانى علم المناظر - من الكتب المختصرة فيه كتاب أقليدس . ومن المتوسطة  
كتاب على بن عيسى الوزير . ومن المبسوطة كتاب ابن الهيثم .

الثالث علم المراتب المحرقة - من الكتب المصنفة فيه كتاب لابن الهيثم .

الرابع علم مراكز الأثقال - من الكتب المعتبرة فيه كتاب ابن الهيثم ، وفيه  
كتاب لأبى سهل الكوهى .

الخامس علم المساحة - من الكتب المختصرة فيه كتاب ابن مجلى الموصلى .  
ومن المتوسطة كتاب ابن المختار . ومن المبسوطة ، كتاب ارشيدس .

(١) فى كشف الظنون محفوق .

- السادس علم إنباط المياه - للكنزى فيه مختصر جليل ، وفي خلال الفلاحة  
النبطية لأبن وحشية مهمات هذا العلم .  
السابع علم بحر الأفعال - فيه كتاب لفيلان .  
الثامن علم البنكومات - فيه كتاب لارشميدس عمدة في بابيه .  
التاسع علم الآلات الحربية - فيه كتاب لبني موسى بن شاكر .  
العاشر علم الآلات الروحانية - أشهر كتبه الكتاب المعروف بميل بن موسى ،  
وفيه كتاب مختصر لفيلان ، وكتاب مبسوط للبديع الجزرى .

### الأصل الخامس

(علم الهيئة ، وفيه خمسة علوم)

- الأول علم الزيجات - قال في إرشاد القاصد : أقرب الزيجات عهدا بالرصد  
الزيج العلائق . قال وأهل مصر في زماننا إنما يقيمون دفتر السنة من زيج لفقوه  
من عدة أزياج ولقبوه بالمصطلح ؛ وأتم الزيجات في زماننا الذى نحن فيه زيج الشيخ  
علاء الدين بن الشاطر الدمشقي ، وهو عزيز الوجود لم ينتشر ولم تكثر نسخته بعد .  
الثاني علم المواقيت - من الكتب المختصرة فيه نفائس البواقيت في علم  
المواقيت . ومن المبسوط جامع المبادئ والغايات لأبى على المراكشى .  
الثالث علم كيفية الأرصاد - من الكتب المعتبرة فيه كتاب الأرصاد لأبن  
الهيثم ، وكتاب الآلات العجيبة للحارثي يشتمل عليه .  
الرابع علم تسطيع الكرة - من الكتب القديمة فيه كتاب تسطيع الكرة  
لبطليموس . ومن الكتب المحدثه فيه الكامل للفرغانى ، والاستيعاب لليبوفى ،  
وآلات التقويم للمراكشى .

الخامس علم الآلات الظلية - فيه عدة مصنفات، ولا إبراهيم بن سنان الحزاني فيه كتاب مبرهن .

### الأصل السادس

(علم العدد المعروف بالارتماطيقى ، وفيه خمسة علوم)

الأول علم الحساب المفتوح - من الكتب المختصرة فيه مختصر ابن مجلى الموصلى ومختصر ابن فلوس الماردىنى، ومختصر السموعل بن يحيى المغربى . ومن المتوسطة الكافى للكرخى . ومن المبسطة الكامل لأبى القاسم بن السمع .

الثانى علم حساب التخت والميل - من الكتب المصنفة فيه على طريق الهندى كتب معدة، ومن الكتب المصنفة فيه على طريق القبار كتاب الحصار ، وكتاب المدخل وغيرهما .

الثالث علم الجبر والمقابلة - من الكتب المختصرة فيه نصاب الجبر لابن فلوس الماردىنى، والمفيد لابن مجلى الموصلى . ومن المتوسطة فيه كتاب المظفر الطوسى . ومن المبسطة جامع الأصول لابن المجلى، والكامل لأبى شجاع بن أسلم .

الرابع علم حساب الخطأين - وفيه من الكتب الجامعة كتاب لزين الدين المعزى الخامس علم حساب الدور والوصايا - ومن الكتب المصنفة فيه كتاب لأفضل الدين الحويمى .

### الأصل السابع

(العلوم العملية ، وفيه ثلاثة علوم)

الأول علم السياسة - ومن الكتب المصنفة فيه كتاب السياسة لأرسطاطاليس

الذى ألقه للاسكندر، وكتاب المدينة الفاضلة لأبى نصر الفارابى، وللشيخ تقي الدين ابن تيمية كتاب حسن فى السياسة الشرعية .

الثانى علم الأخلاق - ومن الكتب المختصرة فيه ، كتاب للشيخ أبى على بن سينا . ومن المتوسطة كتاب الفوز لأبى على بن مسكويه . ومن المبسطة كتاب للامام نضر الدين الرازى .

الثالث علم تدبير المنزل - ويحصل الانتفاع فيها بالأطلاع على السير الفاضلة المحمودة للولك وضيهم ، ولا أنفع من السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . فإذا عرف الكاتب هذه العلوم والفنون وما صنف فيها من الكتب ، أمكنه التصرف فيها فى كتابه بذكر علم نبيل لمساواته أو التفضيل عليه ، وذكر كتاب مصنف فى ذلك حيث تدعو الحاجة إلى ذكره : كما وقع لى فى تقرير مولانا قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ، أبى سيدنا شيخ الإسلام أبى حفص عمر البلقينى الكافى الشافعى "إن تكلم فى الفقه فكأنما بلسان الشافعى" تكلم ، والربيع عنه يروى ، والمزنى منه يتعلم ، أو خاض فى أصول الفقه قال الغزالى هذا هو الإمام باتفاق ، وقطع السيف الآمدى بأنه المقدم فى هذا الفن على الإطلاق ؛ أو جرى فى التفسير قال الواحدى هذا هو العالم الأوحى ، وأعطاه أبى عطية صفة يده بأن مثله فى التفسير لا يوجد ؛ وأعترف له صاحب الكشف بالكشف عن الغوامض ، وقال الإمام نضر الدين هذه مفاتيح الغيب وأسرار التزليل فارفع الخلاف واندفع المعارض ؛ أو أخذ فى القراءات والرسم أزرى بأبى عمرو الدانى ، وعدا شأؤ الشاطبى فى الرائية وتقدمه فى حرز الأمانى ؛ أو تحدث فى الحديث شهد له السفيانان بعلو الرتبة فى الرواية ، وأعترف له أبى معين فى التبريز والتفتم فى الدرايه ؛ وهتف الخطيب

البغدادى يذكره على المتأخر، وقال ابن الصلاح لمثل هذه الفوائد لتعين الرحلة،  
 وفي تحصيلها تشدد أصحابه، أو أبدى في أصول الدين نظرا تعلق منه أبو الحسن  
 الأشعرى بأوفى زمام، وسد باب الكلام على المعتزلة حتى يقول عمرو بن عيسى  
 وواصل بن عطاء ليتنا لم نفتح بابا في الكلام؛ أو دقق النظر في المنطق بهر الأبهري  
 في مناظرته، وكتب الكاشي وثيقة على نفسه بالعجز عن مقاومته؛ أو ألم بالجدل  
 رمى الأرموى نفسه بين يديه، وجعل العميدى عمدته في آداب البحث عليه؛  
 أو بسط في اللغة لسانه استرف له ابن سيده بالسيادة، وأقر بالعجز لديه الجوهري  
 وجلس ابن فارس بين يديه مجلس الاستفادة؛ أو نحا إلى النحو والتصريف أربى  
 فيه على سيويه، وصرف الكسائي له عزمه فسار من البعد إليه، أو وضع أنموذجا  
 في علوم البلاغة، وقف عنده الجرجاني، ولم يتعد حله ابن أبي الأصبح ولم يحاوز  
 وضعه الرماني؛ أو روى أشعار العرب، أزرى بالأصمعي في حفظه، وفاق أبا عبيدة  
 في كثرة روايته وغزير لفظه؛ أو تعرض للعروض والقوافي استحقهما على الخليل،  
 وقال الأخفش عنه أخذت المتدارك واعترف الجوهري بأنه ليس له في هذا الفن  
 مثيل؛ أو أصل في الطب أصلا، قال ابن سينا هذا هو القانون المعبر في الأصول،  
 وأقسم الرازى بحجي الموتى إن بقراط لو سمعه لما صنف الفصول؛ أو جنح إلى  
 غيره من العلوم الطبيعية فكأنما طبع عليه، أو جذبه بزمام فائق ذلك العلم إليه،  
 أو سلك في علوم الهندسة طريقا لقال أقليدس هذا هو الخط المستقيم، وأعرض  
 ابن الهيثم عن حل الشكوك وولى وهو كظيم، وحمد المؤتمن بن هود عدم إكمال  
 كتابه الاستكمال، وقال عرفت بذلك نفسى وفوق كل ذى علم عليم، أو عرج على  
 علوم الهيئة لأعترف أبو الريحان البيروني أنه الأعجوبة النادرة، وقال ابن أفلح  
 هذا العالم قطب هذه الدائرة؛ أو صرف إلى علم الحساب نظره لقال السموهلي



آبن يحيى ، لقد أحيا هذا العزّ الدارس ، وأنجحت عن هذا العلم غيابه حتى لم يبق  
عمّة لعاميه ولا عمّة على ممارس :

وقد وجدت مكان القول ذا سمّة \* فإن وجدت لساناً قال لا تقل

وسوف أورد هذه الرسالة في موضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ؛  
وكذلك يجرى القول فيما يكتب به من إجازات أهل العلوم ونحوها في كل علم ، وقد  
تقدم ذكر شيء مما يجرى هذا المجرى في الكلام على النحو ونحوه .

— — — — —

تم الجزء الأول وفيه الجزء الثانى

أوله ( النوع الثامن عشر )

المعرفة بالأحكام السلطانية

— — — — —

(२०००/१९१३/२०८१/१०१)







